

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب الاخوان

الحث على اتخاذ الإخوان واختيارهم

- حدثنا سهل بن محمد قال حدثنا الأصمعي قال أخبرنا العجلي قال بعض الأدباء لابنه : يا بني ، إذا دخلت المصر فاستكثر من الصديق فأما العدو فلا يهمنك ؛ وإياك والخطب فإنها مشوار كثير العثار .

قال : وبغني عن الأوزاعي عن يحيى بن كثير : أن داود النبي عليه السلام قال لابنه سليمان عليه السلام : " يا بني ، لا تستبدل بأخ لك قديم أخا مستفاداً ما استفام لك ، ولا تستقل أن يكون لك عدو واحد ، ولا تستكثر أن يكون لك ألف صديق " .

وكان يقال : أعجز الناس من فرط في طلب الإخوان ، وأعجز منه من ضيع من ظفيره منهم .

وفي الحديث المرفوع : " المرء كثير بأخيه " . وأنشد ابن الأعرابي :
لعمرك ما مال الفتي بذخيرة * ولكن إخوان الثقات الذخائر

(١) مكنا في لسان العرب مادة « شور » والمشوار : الشوط . وفي الأمل : « مشوا » .

قال أبو الجراح العقيلي : وجدتُ أعراضَ الدنيا وذخائرها بِعَرَضِ المِثَالِ
إلا ذخيرةَ الأدبِ وعَقِيلَةَ الحِلَّةِ ، فَاسْتَكْثَرُوا مِنَ الإِخْوَانِ وَاسْتَعَصِمُوا بِعُرَا الأَدَبِ

وكان يقال : الرجلُ بلا إخوانٍ كاليمين بلا شِمَالٍ . وقال الشاعر :

إذا لم يكن للقوم عِزٌّ ولم يكن * لهم رَجُلٌ عند الإمامِ مَكِينٌ

فكانوا كَأَيِّدٍ أوهنَ اللهُ بطشها * تُرى أشملاً ليستَ لهنَّ يَمِينُ

قال أيوبُ السَّخْتِيَانِي : إذا بلغني موتُ أخٍ لي فكأنما سقطَ عضوٌ مِنِّي

وقال القَطَامِي :^(٢)

وإذا يُصِيبُكَ - والحِوَادِثُ جَمَّةٌ - * حَدَّثَ حَدَاكَ إلى أخيك الأوثقِ

وقال آخر :^(٣)

أخاك أخاك إن من لا أخا له * كساعٍ إلى الميِّتِ بِغَيْرِ سِلَاحٍ

وإنَّ ابنَ عَمِّ المرءِ فأَعْلَمَ جَنَاحُهُ * وهل يَنْهَضُ البَازِي بِغَيْرِ جَنَاحٍ

وقال الثَّقَفِيُّ :

من كان ذا عَضُدٍ يُدْرِكُ ظِلَامَتَهُ * إنَّ الدَّلِيلَ الذي لَيْسَتْ لَهُ عَضُدُ

تَتَبَوَّيْدَاهُ إذا ما قَلَّ نَاصِرُهُ * وَيَأْتِفُ الضَّمِيمَ إنْ أَثَرَى لَهُ عَدَدُ

وقال آخر :

وبَغْضَاءِ التَّقِيِّ أَقْلٌ ضَئِيرٌ * وَأَسْلَمٌ من مَوَدَّةِ ذِي الفُسُوقِ

ولن تَنفَكَ تُحْسَدُ أو تُعَادَى * فَكثيراً ما اسْتَطَعْتَ مِنَ الصَّدِيقِ .

(١) في الأصل : « إذ كأنما ... » (٢) بفتح القاف وضمة وهر :

ابن شَيْمٍ التَّلْجِيّ من بني جشم بن بكر بن الأرقم ، وقد ورد البيت في ديوانه المطبوع بليدن هكذا : وا
أصابك الخ . وهذا البيت من قصيدة له مطلعها :

طرقت جنوب رحالتنا من مطرق * ما كنت أحسبها قريب الملق

(٣) هو مسكين الدارمي واسمه ربيعة بن عامر (أنظر خزائن الأدب لبغدادي طبع بولاق ج ١ ص ٦٦)

وكتب الفضل بن سيار إلى الفضل بن سهل :

يا أبا العباس إني ناصح * لك والنصح لدى الود كثير^(١)
لا تُسَلِّقَ ليوم صالح * إن إخوانك في الخير كثير
وليكن للشر ما أعددتهم * إن يوم الشر صعب قطير
هذه السوق التي أملها * يا أبا العباس والعمر قصير

قال المأمون : الإخوان ثلاث طبقات : طبقة كالغذاء لا يُستغنى عنه، وطبقة كالدواء لا يُحتاج إليه إلا أحياناً، وطبقة كاللواء لا يحتاج إليه أبداً .

قال حدثني سعيد بن سليمان قال حدثنا إسماعيل بن زكريا عن سعيد بن طريف عن عمير بن المأمون قال : سمعت الحسن بن علي يقول : من أدام الاختلاف إلى المسجد أصاب ثمان خصال : آية محكمة، وأخا مستفاداً، وعلماً مستطرفاً، ورحمة متظرة، وكلمة تكله على هدى أو تردعه عن ردى، وترك الذنوب حياة أو خشية .
قال وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبيه قال : كان يقال : الصاحب رُفعة في قبص الرجل ، فليظروا أحدكم يم يرقع قبصه .

وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبيه أنه قال : كان يقال : ما وجدنا شيئاً أبلغ في خير أو شر من صاحب .

وحدثني الراشدي عن الأصمعي قال حدثنا سليمان بن المغيرة قال : قال يونس :
أثنان ما في الأرض أقل منهما ولا يزدادان إلا قلة : درهم يوضع في حق ، وأخ يسكن إليه في الله .

(١) في الأصل : «... لدى الود كثير» بالواو المظنة، وفي النسخة : «إن إخوانك في الخير كثير» بالباء الموحدة، فوضعنا كلا من الكلمتين مكان الأخرى لاستقامة الكلام .

وحدثني شيخ لنا عن محمد بن مُنَادِر عن سفيان بن عُيينة قال : قال علقمة
ابن ليبيد العطاردي لابنه : يا بني ، إذا تَزَعَّتْكَ إلى صحبة الرجال حاجة ، فاصحب
منهم مَنْ إن حِبَّتْهُ زَانِكٌ ، وإن خَدَمَتْهُ صَانِكٌ ، وإن أَصَابَتْكَ خَصَاصَةٌ مَانِكٌ ؛
وإن قَلَّتْ صَدَقَ قَوْلُكَ ، وإن صُلَّتْ شَدَّ صَوْلُكَ ؛ وإن مَدَدَتْ يَدُكَ بِفَضْلِ مَدَّهَا ،
وإن رَأَى مِنْكَ حَسَنَةً عَدَّهَا ؛ وإن سَأَلَتْهُ أَعْطَاكَ ، وإن سَكَتَ عَنْهُ أَبْتَدَاكَ ،
وإن نَزَلَتْ بِكَ إِحْدَى الْمَلَمَّاتِ آسَاكَ ؛ مَنْ لَا يَأْتِيكَ مِنْهُ الْبَوَائِقُ ، وَلَا تَخْتَلِفُ عَلَيْكَ
مِنْهُ الطَّرَائِقُ ، وَلَا يَخْذُلُكَ عِنْدَ الْحَقَائِقِ ؛ وإن حَاوَلَ حَوِيلًا أَمَرَكَ ^(١) ، وإن تَنَازَعْتُمَا
مُنْفِيسًا ^(٢) آثَرَكَ .

قال محمد بن كعب القرظي ^(٣) لعمر بن عبد العزيز : إِنْ فِيكَ عَقْلًا وَإِنْ فِيكَ
جَهْلًا ، فَدَاوِ بَعْضَ مَا فِيكَ بَبَعْضٍ ، وَآخِ مِنَ الْإِخْوَانِ مَنْ كَانَ ذَا مَعْلَاةٍ ^(٤) فِي الدِّينِ
وَنِيَّةٍ فِي الْحَقِّ ، وَلَا تُؤَاخِ مِنْهُمْ مَنْ تَكُونُ مِثْلُكَ عِنْدَهُ عَلَى قَدَرِ حَاجَتِهِ إِلَيْكَ ، فَإِذَا
قَضَى حَاجَتَهُ مِنْكَ ذَهَبَ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ . وَإِذَا غَرَمْتَ غِرَاسًا مِنَ الْمَعْرُوفِ
فَلَا تَبْقِيَنَّ أَنْ تُحْسِنَ تَرْبِيَّتُهُ ^(٥) .

وقال الأحنف بن قيس : خَيْرُ الْإِخْوَانِ مَنْ إِنْ اسْتَغْنَيْتَ عَنْهُ لَمْ يَزِدْكَ
فِي الْمَوَدَّةِ ، وَإِنْ احْتَجَجْتَ إِلَيْهِ لَمْ يَنْقُصْكَ مِنْهَا ، وَإِنْ عَثَرْتَ عَصَدَكَ ، وَإِنْ احْتَجَجْتَ
إِلَى مَوْوَتِهِ رَفَدَكَ . وقال الشاعر :

إِن أَخَاكَ الصَّدَقَ مَنْ لَنْ يَخْدَعَكَ * وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ
وَمَنْ إِذَا رَيْبُ زَمَانٍ صَدَعَكَ * شَتَّ شَمْلَ نَفْسِهِ لِيَجْمَعَكَ
* وَإِنْ رَأَاكَ ظَالِمًا سَعَى مَعَكَ *

٢٠ (١) حاول الشيء : أراده ، والحويل : الاسم منه ، وأمر : شاور . (٢) المنفس :
النفيس . (٣) في الأصل « القرصي » وهو تحريف . (٤) المعلاة : الطلوع والشرف .
(٥) في الأصل : « فلا تبقي » .

وقال حُجَّة بن المضرب :

أخوك الذي إن تدعهُ لِمِئَةٍ * يُجِيكَ وإن تَغَضَّبَ إلى السِّيفِ يَغْضِبُ

وكتب رجلٌ إلى صديق له : أنت كما قال أعشى بإهله :

مَنْ ليس في خيرِهِ مَنْ يُفْسِدُهُ * على الصديق ولا في صفوه كدرٌ
وليس فيه إذا استنظرته عَجَلٌ * وليس فيه إذا يأسرته عسرٌ (١)

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :

أخوك الذي إن أحوجتك مِئَةً * من الدهر لم يبرح لها الدهر وإجمًا
وليس أخوك الحقُّ مَنْ إن تشعبت * عليك أمورٌ ظل يلحاك لائمًا

وقال آخر :

إذا كان إخوانُ الرجالِ حرارةً * فانت الحلالُ الحلوُّ والباردُ العذبُ
لنا جانبٌ منه دميثٌ وجانبٌ * إذا رامه الأعداءُ مَرَكَبُهُ صَغْبُ
وتأخذه عند المكارمِ هِزَّةٌ * كما اهترت تحت البارحِ الغصنُ الرطبُ

وقال آخر :

أبكي أخًا يتلقاني بنائله * قبل السؤال ويلقى السيفَ من دوني
إن المنايا أصابني مصائبها * فاستعجلتُ بأخٍ قد كان يكفيني

١٥

وقرأت في كتاب للهند : رأسُ المودةِ الاسترسال .

وقال أكرم بن صيفي : مَنْ تراخى تألف، ومن تشدد ثمر، والشرفُ التغافل .

وقال حاتم : العاقلُ فطنٌ متغافلٌ .

(١) السر (بالضم وبضمتين وبالفتح بك) : مذ اليسر .

وقرأتُ في كتاب للهند : مِنْ علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقاً^(١)
ولعدو صديقه عدواً . قال العنابي في ذلك :

تَوَدُّ عَدُوِّي ثُمَّ تَزْعُمُ أَنِّي * صَدِيقُكَ ، إِن الرأى عَنْكَ لِعَازِبُ
وَلَيْسَ أَخِي مَنْ وَدَّنِي رَأَى عَيْنَهُ * وَلَكِنْ أَخِي مَنْ صَدَّقَهُ الْمَغَائِبُ

قيل لبُزْجِهْر : أخوك أحبُّ إليك أم صديقك ؟ قال : إنما أحبُّ أخِي
إذا كان صديقاً .

وقال بعضهم : إن أحبَّ إخواني إلىَّ ، مَنْ كَثُرَتْ أَيْدِيهِ عَلَيَّ .^(٢)

وقال رجل في أخ له .

وَكُنْتُ إِذَا الشَّدَائِدُ أَرْهَقَتْنِي * يَقُومُ لَهَا وَأَقْعُدُ لَا أَقُومُ

وقال آخر :

أَخٌ طَالِبٌ مَسَرَّنِي ذِكْرَهُ * فَاصْبَحْتُ أَشْجَى لَدَى ذِكْرِهِ
وَقَدْ كُنْتُ أَغْدُو إِلَى قَصْرِهِ * فَاصْبَحْتُ أَغْدُو إِلَى قَبْرِهِ
وَكُنْتُ أَرَانِي غَنِيًّا بِهِ * عَنْ النَّاسِ لَوْ مَدَّ فِي عَمْرِهِ
إِذَا جُئْتُهُ طَالِبًا حَاجَةً * فَأَمْرِي يُخَوِّزُ عَلَى أَمْرِهِ

وصف أعرابي رجلاً قال : كَانَ وَاللَّهِ يَتَحَسَّى مَرَارَ الْإِخْوَانِ وَيَسْقِيهِمْ عَذْبَهُ .^(٣)

وقال أعرابي :

أَخٌ لَكَ مَا تَرَاهُ التَّهَرَّ إِلَّا * عَلَى الْعِلَالِ بِسَامًا جَوَادًا^(٤)

(١) كذا في العقد الفريد ج ١ ص ٢٥٧ وهو الصواب ، وفي الأصل : « ولعدو عدوه عدواً » .

(٢) في الأصل « إن أحبَّ إخواني إلىَّ مَنْ كَثُرَتْ أَيْدِيهِ إِلَيَّ » . (٣) كذا بالأصل ، ولم نجد هذه

الصيغة في كتب اللغة التي بين أيدينا ، ولعله محرف عن « مر » المقابل للعذب ، وهو ما يقتضيه السياق .

(٤) هذه الأبيات نسبت في الأغاني لزيد الأعجم (ج ١ ص ١٠٢ طبع بولاق) . (٥) هو من

قولهم : على علامته ، أي على كل حال .

سألناه الجزيل فأتاكنا * وأعطى فوق مُنبتنا وزادنا
فأحسن ثم أحسن ثم عدنا * فأحسن ثم عدتُ له فعادنا
مراراً لا أعود إليه إلا * تبسم ضاحكاً وثنى الوسادنا

المودة بالتشاكل

- بلغني عن ابن عيينة أنه قال: قال ابن عباس: القرابة تُقطع والمعروف يُكفر، ولم يُرَ كَتَقَارِبِ القلوب .

قال رجل للعريحي: جئتكَ أخطبُ إليك مودتك؛ فقال: لا حاجة بك إلى الخطبة، قد جاءتك زناً فهو الذُّ وأحلى . وقال الكيث بن معروف:

- ما أنا بالنكيس الدنيء ولا الذي * إذا صد عنه ذو المودة يُقربُ
واكنه إن دام دمت وإن يكن * له مذهبٌ عني فلي عنه مذهبُ
الآ' إن خير الودِّ ودٌّ تطوَّعت * به النفس لا ودٌّ آتى وهو مُتعبُ

وقال الطائي:

- ذو الودِّ مني وذو القُرْبى بمتلة * وإخوتي أسيرةٌ عندي وإخواني
عصابةٌ جاورتْ آدابهم أدبي * فهم وإن فُرقوا في الأرض جيرانِي
أرواحنا في مكانٍ واحدٍ وغدت * أبدأئنا^(٢) بشامٍ أو خراسانِ

وقال عبد الله بن عبد الله بن عتبة لعمر بن عبد العزيز:

أين لي فكُنْ مثلي أو أبتغِ صاحباً * كشكك إني مُبتَغِ صاحباً مثلي

(١) في الأصل: «جارت» بالزاي، والتصويب من ديوان أبي تمام . (٢) في الأصل:

«لشام» والتصويب من ديوان أبي تمام .

عزيرُ إخائي، لا ينالُ مودتي * من القوم إلا مسلمٌ كاملُ العقلِ
وما يلبثُ الإخوانُ أن يتفرقوا * إذا لم يؤلفُ روحُ شكلٍ إلى شكلٍ

وقال الطائي :

ولن تنظم العقدَ الكعابُ لزينة * كما ينظمُ الشمَلُ الشَتِيتَ الشمائلُ
كتب بعضُ الكتابِ إلى صديق له : إني صادفتُ منك جوهرَ نفسي ، فانا
غيرُ محمودٍ على الانقياد لك بغيرِ زمامٍ ، لأن النفسَ يتبعُ بعضها بعضاً .

قال حدثني محمد بن داود قال حدثنا يزيد بن خلف عن يعقوب بن كعب عن
بقيّة عن صفوان بن عمرو عن شريح عن أبي عبيد قال : كتب أبو الدرداء إلى
سلمان : إن تكن الدارُ من الدارِ بعيدةً فإنَّ الروحَ من الروحِ قريبٌ ، وطيرُ السماءِ
على إلفه من الأرضِ يقعُ .

وقال أبو العتاهية :

يُقاسُ المرءُ بالمرءِ * إذا ما هو ماشاهُ
وللقلبِ على القلبِ * دليلٌ حين يلقاهُ
وللشكلِ على الشكلِ * مقاييسُ وأشباهُ
وفي العينِ غنى للعَيْنِ * أن تَطِقَ أفواهُ

وقال المساحي :

يُزهدني في وُكُكِ ابنِ مساحي * مودتكِ الأرذالُ دونَ ذوى الفضلِ
وأك شَرارِ الناسِ سادوا خيارهم * زمانك، إنَّ الرذلَ للزمنِ الرذلِ

باب المحبة

قال حدثني أحمد بن الخليل عن محمد بن بشار عن يحيى بن سعيد عن ثور بن يزيد عن حبيب بن عبيد عن المقدم بن معد يكرب، وكان أدرك النبي صلى الله عليه وسلم، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : "إذا أحب أحدكم أخاه فليعلم أنه يحبه" .

- وحدثني محمد بن داود عن أبي الربيع عن حماد بن زيد عن ليث عن مجاهد . قال : ثلاث يصفين لك ود أخيك : أن تبدأه بالسلام إذا لقيته ، وتوسع له في المجلس ، وتدعوه بأحب أسمائه إليه . وثلاث من العي : أن تعيب على الناس ما تأتي ، وأن ترى من الناس ما يخفى عليك من نفسك ، وأن تؤذي جلسك فيما لا يعينك .

- ١٠ . وكان يقال : لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً . أى لا تسرف في حبك وبعضك . ونحوه قول الحسن : أحبوا حونا فإن أقواما أفرطوا في حب قوم فهلكوا . وكان يقال : من وجد دون أخيه مترا فلا يتركه .

وقال عمر بن أبي ربيعة :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى * فصادف قلباً فارغاً قمعاً

- ١٥ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه إطلبة الأسدى : قلت عكاشة بن محصن ! لا يحبك قلبي ! قال : فعاشرة جميلة يا أمير المؤمنين ، فإن الناس يتعاشرون على البغضاء .

وكتب رجل إلى صديق له : الشوق إليك وإلى عهد أيامك - التي حسنت بك كأنها أعياد ، وقصرت بك حتى كأنها ساعات - يفوت الصفات ؛ وما جدد الشوق

وَكثُر دَوَاعِيهِ تَصَاقُبُ الدَّارَ، وَقَرُبُ الْجَوَارِ؛ تَمَّ اللَّهُ لَنَا النِّعْمَةَ الْمُتَجَدِّدَةَ فِيكَ بِالنَّظَرِ
إِلَى الْفُرَّةِ الْمُبَارَكَةِ الَّتِي لَا وَحْشَةَ مَعَهَا وَلَا أَنْسَ بَعْدَهَا .

قال الحسن : الْمُؤْمِنُ لَا يَخِيفُ عَلَى مَنْ يُفِضُ وَلَا يَأْتُمُ فِيمَنْ يُحِبُّ .

وَقَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ : إِنَّهُ لَيَبْلُغُ مِنْ حَسَنِ شِفَاعَةِ الْمَحَبَّةِ أَنَّ الْحَبِيبَ يُسَيِّئُ
فَيُظَرِّئُ بِهِ الْقَلْطُ وَيُذْنِبُ فَيُحْتَجُّ لَهُ بِالنَّالَةِ ، وَذَنْبُهُ لَا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ وَلَا تَحْتَاجُ
لَهُ فِي جَوَازِ الْعُقُولِ .

وفيه : كُلُّ ذَنْبٍ إِذَا شُئْتَ أَنْ تَنْسَاهُ نَسِيتَهُ وَإِنْ شُئْتَ أَنْ تَذْكُرَهُ ذَكَرْتَهُ ،
فَلَيْسَ بِخَوْفٍ . وَلَيْسَ الصَّغِيرُ مِنَ الذَّنْبِ مَا صَغَرَهُ الْحَبُّ ، وَإِنَّمَا الصَّغِيرُ
مَا صَغَرَهُ الْعَدْلُ . وَإِسْرَافُ الذَّنْبِ إِلَّا مَا [لَا] يَصْلُحُ مَعَهُ الْقَلْبُ وَلَا يَزَالُ حَاضِرًا
الدَّهْرَ ، وَإِلَّا مَا كَانَ مِنْ نَتَاجِ اللَّؤْمِ وَمِنْ نَصِيبِ الْمَعَانِدَةِ ، فَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ غَيْرِ ذَلِكَ
فَإِنَّ الْغَفْرَانَ يَتَغَمَّدُهُ وَالْحَرَمَةَ تَشْفَعُ فِيهِ .

وَكُتِبَ رَجُلٌ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ فِي فِصْلِ مِنْ كِتَابٍ : لَسَانِي رَطْبٌ بِذِكْرِكَ ، وَمَكَائِكَ
مِنْ قَلْبِي مَعْمُورٌ بِمَحَبَّتِكَ . وَنَحْوُهُ قَوْلُ مَعْقِلٍ أَخَى أَبِي دُلْفٍ لِمُخَارِقٍ :
لَعَمْرِي لئن قَرَّتْ بِقُرْبِكَ أَعْيُنٌ : لَتَقْدَّ بِخِجْنَتِ بَالِينٍ مِنْكَ عَيُونُ
فَيَسْرُوا قِيمَ ، وَقَفَّ عَلَيْكَ مَوَدَّتِي * مَكَائِكَ مِنْ قَلْبِي عَلَيْكَ مَصُونُ

وقال رجل لشبيب بن شيبه : والله أحبك^(٢) ، قال : وما يمنعك من ذلك
وما أنت لي بجارٍ ولا أخ ولا قرابة^(٣) ! يريد أن الحسد موكَّل بالأدنى فالأدنى .

(١) زيادة يقتضيه المقام . (٢) في الأصل : « والله ما أحبك » بزيادة « ما »

وفي العقد الفريد (ج ١ ص ٢٣٤) : « إني أحبك » بدون قسم ، ونسب هذا القول فيه خالد بن صفوان .

(٣) ولا قرابة : أي ولا ذى قرابة ، وقد أنكر صاحب القاموس استعمال قرابة في مثل هذا الموضع بدون
إضافة . وتعبه شارحه بأن استعماله بدون الإضافة جائز وورد في فصح الكلام من أثر وشعر .

قال رجل لشهر بن حوشب : إني لأحبك قال : ولم لا نحبني وأنا أخوك
في كتاب الله ووزرك على دين الله ومثوقى على غيرك ! قال بشار :

هل تعلمين وراء الحب مثلة * تدنى اليك فاتك الحب أقصاني

وقال غيره :

أحبك حبيب لي واحد * وحب لأنك أهل لذاكا
فأما الذى أنت أهل له * فحسن فضلت به من سواكا
وأما الذى فى ضمير الحشا * فليست أرى الحسن حتى أراكا
وليس لي المرن فى واحد * ولكن لك المرن فى ذا وذاكا

وقال المسيب بن علس :

وعين السخط تبصر كل عيب = وعين أنحى الرضا عن ذاك تغمى

ونحوه لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

فليست براء عيب ذى الود كله * ولا بعض ما فيه إذا كنت راضيا
وعين الرضا عن كل عيب كليله * ولكن عين السخط تبدي المساويا

وقال بعض الخلفاء لرجل : إني لأبغضك قال : يا أمير المؤمنين ، إنما يحزر

من فقد الحب المرأة . ولكن عدل وإنصاف . وقال شريح :

خذي العفو مني تستديمي وودتي * ولا تطقي في سورتى حين أغضب
فإني رأيت الحب في الصدر والأذى * إذا اجتمع لم يلبث الحب ينحب

وقال أعرابي : إذا ثبتت الأصول في القلوب نطقت الألسن بالترويع ،

ولا يظهر الود السليم إلا من القلب المستقيم .

وقال آخر : من جمع لك مع المودة الصادقة رأيا حازما . فاجمع له مع المحبة

الخالصة طاعة لازمة .

قال اليزيدي : رأيتُ الخليل بن أحمد فوجدته قاعداً على طُنْفَسَةٍ^(١) ، فأومع لي فكرهتُ التضييقَ عليه ؛ فقال : إنه لا يضيقُ ممَّ الحياطِ على متحائينٍ ولا تَسعُ الدنيا مُتباغِضِينَ . وقال أبو زُبَيْدٍ للوليد بن عقبة^(٢) :

مَنْ يَخْنُكَ الصَّفَاءُ أَوْ يَبْدُلُ * أَوْ يَزِلُّ مِثْلًا تَزُولُ الظَّلَالُ
فَاعْلَمْ أَنَّي أَخُوكَ أَخُو الْعَهْدِ * بِدِ حَيَاتِي حَتَّى تَزُولَ الْجِبَالُ
لَيْسَ بِخُلِّ عَلَيْكَ مَنِّي بِمَالٍ * أَبَدًا مَا أَسْتَقِلَّ سَيْفًا حِمَالُ^(٣)
فَلَكَ النَّصْرُ بِاللَّسَانِ وَبِالْكَفِّ إِذَا كَانَ لِلْيَدَيْنِ مَصَالُ
كُلُّ شَيْءٍ يَحْتَالُ فِيهِ الرَّحَالُ * غَيْرَ أَنَّ لَيْسَ لِلنَّبَايَا أَحْتِيَالُ

وقال المُنْخَلُّ البَشْرِيُّ :

وَأَحِبُّهَا وَتُحِبُّنِي * وَيُحِبُّ نَاقَتَهَا بَعِيرِي

وذَكَرَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ : وَاللَّهِ لَكَانَ الْقُلُوبَ وَالْأَلْسُنَ رِيضَتْ لَهُ ، فَمَا تُعْقَدُ إِلَّا عَلَى وَدَّهِ ، وَلَا تَتَطَقُّ إِلَّا بِحَمْدِهِ .

قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ذَاتَ يَوْمٍ : وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ لِي بِكُلِّ عَشْرَةٍ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ صَرَفَ الدِّينَارَ بِالْدَّرْهَمِ ؛ فَقَالَ أَبُو حَاضِرٍ : مِثْلُنَا وَمِثْلُكَ كَمَا قَالَ الْأَعَشِيُّ :

عُلِقَتْهَا عَرَضًا وَعُلِقَتْ رَجُلًا * غَيْرِي وَعُلِقَ الْآخَرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ

(١) الطُنْفَسَةُ (مثلثة الطاء، والفاء) : البساط الذي به نخل رقيق . (٢) في الأصل :

«الوليد بن عتبة» بالفاء، ودون تحريف . وأبو زبيد هو المذنب بن حرملة الطائي كان جاهدًا قديمًا وأدرك الإسلام إلا أنه لم يعلم ومات نصرانيًا، وكان من المعمرين وكان نديم الوليد بن عتبة (أنظر كتاب الشعر والشعراء للزُّبَيْرِيِّ) طبع ليدن ص ١٦٧ (٣) في حاشية البحري (طبع مدينة ليدن سنة ١٩٠٩) : «ما أقل نلا قبال» .

أحبك أهل العراق وأحببت أهل الشام وأحب أهل الشام عبد الملك
آبن مروان .

وقال عمر لأبي مریم السلولی : والله لا أحبك حتى تُحب الأرض الدَّم؛ قال :
فَتَمَنِّنيَ لذلك حقاً؟ قال : لا ؛ قال : فلا ضير . وقال عمر أيضاً لرجل هم بطلاق
آمرأته : لِمَ تُطَلِّقُها ؟ قال : لا أحبها ؛ قال : أو كُلُّ البيوتِ بُنيتْ على الحب !
وأين الرعاية والتدبُّم^(١) ! .

قال أعرابي :

أحبك حباً لو بليت ببعضه * أصابك من وجدٍ على جنونٍ
لطيف مع الأحشاء أمانهارة * فسبت وأما ليله فأنين^(٢)

وكتب رجل إلى صديق له : الله يعلم أنني أحبك لنفسك فوق محبتي إليك
لنفسى ، ولو أنى خيرت بين أمرين : أحدهما لى وعلبك والآنرك وعلى ، لآثرت
المروءة وحسن الأحدوة بإيثار حظك على حظى ؛ وإنى أحب وأبغض لك ، وأوالى
وأطادى فيك .

وقال بعضهم : هون فقد يفرط الحب فيقتل ويفرط الغم فيقتل ويفرط السرور
فيقتل ؛ وينفتح القلب للسرور ، ويضيق وينضم للحزن والحب .

وقالوا : العشق آسم لما فضّل عن المحبة . وقال بعضهم : العشق مرض
قلب ضعف . وقال بعض الشعراء :

قَمَّ على معشوقة لا يزيدُها * إليه بلاءُ السوءِ الاتحبيّا

(١) التذم للصاحب : أن يحفظ ذمامه ويخرج عن نفسه ذم الناس له إن لم يحفظه .

(٢) السبت : السكون والراحة . (٣) هون : خفف وأرق ، وفى الأصل : «أهون» .

(٤) هو الأعشى كما فى اللسان مادة « تم » ، ومعنى « تم » أكل وأجهز .

ما يجب للصديق على صديقه

حدثنا أحمد بن الخليل قال حدثنا عبد الله بن موسى عن إسرائيل عن
 ابن إسحاق عن الحارث عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : قال النبي صلى
 الله عليه وسلم : ^(١) «لِلْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَصَالٌ سِتٌّ : يُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَهُ ، وَيُجِيبُهُ
 إِذَا دَعَاهُ ، وَيُسَمِّتُهُ إِذَا عَطَسَ ، وَيَعُودُهُ إِذَا مَرِضَ ، وَيَحْضُرُ جَنَازَتَهُ إِذَا مَاتَ ،
 وَيُحِبُّ لَهُ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» .

قال حدثني شبابة قال حدثنا القاسم بن الحكم عن إسماعيل بن عياش عن هشام
 ابن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 «أَعِنِ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ، إِنْ كَانَ مَظْلُومًا نَحْنُ لَهُ بِمَقْعِهِ وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا نَحْنُ لَهُ
 مِنْ نَفْسِهِ» . ١٠

وحدثني القومسي ^(٢) قال حدثنا أبو بكر الطبري عن عبد الله بن صالح عن معاوية
 ابن صالح عن أبي الزاهرية عن جبير بن بكير قال قال معاذ بن جبل : إِذَا آخِيتَ
 أَخًا فَلَا تُمَارِهِ وَلَا تُسَارِهِ وَلَا تُسَالِ عَنْهُ ، فَعَسَى أَنْ تُوَافِقَ عَدُوًّا فَيُخَيِّرَكَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ
 فُتْرَقَ بَيْنَكَا .

وقال التمر بن توبل في هذا المعنى : ١٥

جَزَى اللَّهُ عَنَّا حِمْرَةَ بَنَةِ نُوْقِلٍ ^(٤) * جَزَاءَ مُغِصَلٍ ^(٥) بِالْأَمَانَةِ كَاذِبٍ
 بِمَا سَأَلَتْ عَنِّي الْوُشَاةَ لِيَكْذِبُوا * عَلَيَّ وَقَدْ وَابَتْهَا فِي النَّوَائِبِ

(١) في الجامع الصغير : «للمسلم على المسلم ست بالمعروف : يسلم عليه ...» : (٢) نسبة إلى
 قورس (بضم القاف وفتح الميم ، وضبطه الصاغاني بكسر الميم وهو المشهور على الستم) صقع كبير من نواصان
 وبلاد الجبل . (٣) لا تماره : لا تجادله . ولا تسارّه : لا تلاحقه وتضايقه . (٤) في الأصل :
 «حمزة ابني نوقل» والتصويب عن اللسان مادة «نقل» . (٥) المغسل : من الإغلال ،
 وهو الخيانة .

قال حدثني محمد بن داود [قال] حدثني سعد بن منصور عن جرير عن عبد الحميد عن عنبسة قال قال ابن سيرين : لا تُكْرِمُ أخاك بما يكره ، ولا تحملن كتابا الى أمير حتى تعلم ما فيه .

وكان يقال : يُستحسنُ الصبرُ عن كلِّ أحدٍ إلا عن الصديق .
وقال بعضُ الشعراء :

إذا ضيّقتَ أمراً ضاقَ جدّاً * وإن هَوَّنتَ ما قد عرَّ هاناً
فلا تهلكَ بشيءٍ فأتَ يأساً * فكم أمرٍ تصعبَ ثم لانا
سأصبرُ عن رفيقٍ إن جفاني * على كلِّ الأذى إلا الهوانا

وقال ابن المقفع : أبذل لصديقك دَمَكَ ومالك ، ولمعرفتك رِفْدَكَ ومحضرك ،
وللعامةِ شركَ وتحيتك . واعدوك عدلك ، وضمنَ بليتك وعرضك عن كلِّ أحدٍ .

قال أبو اليقظان : ولي خالد بن عبد الله بن أبي بكرٍ قضاء البصرة فجعل يُحايي ؛
فقبل له في ذلك ؛ فقال : وما خيرُ رجلٍ لا يَقَطَعُ لأخيه قِطعةً من دينه ! .

قالوا : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على عجوزٍ ، فقال : ” إنها كانت
تأتيننا أيامَ خديجة ، وإن حسنَ العهد من الإيمان “ .

قال إبراهيم النخعي : إن المعرفةَ لتَنفَعُ عند الأسدِ المصورِ والكلبِ العقورِ
فكيف عند الكريمِ الحبيبِ ! . وقال الخليل بن أحمد :

وَقَيْتُ كُلَّ صَدِيقٍ وَدَنِي ثَمَنًا * إِلَّا الْمُؤَمَّلَ دُولَاتِي وَأَيَّامِي

وقال عمر بن أبي ربيعة في مساعدة الصديق :

وَحِجْلٌ كُنْتُ عَيْنَ النَّصْحِ مِنْهُ * إِذَا نَظَرْتُ وَمُسْتَمِعًا سَمِيعًا

(١) في الكامل للبرد طبع توربا ص ١٩٢ ج ١ : « سأصبر من ... الخ » .

أَطَافُ يَغِيَّةٍ قَهَبْتُ عَنْهَا * وَقُلْتُ لَهُ أَرَى أَمْرًا شَنِيعًا
أَرَدْتُ رِشَادَهُ جُهْدِي فَلَمَّا * أَبَى وَعَصَى أَتَيْنَاهَا جَمِيعًا

وقال بعض الكوفيين :

فَإِنْ يَشْرَبُ أَبُو فَرْوَخٍ أَشْرَبَ * وَإِنْ كَانَتْ مُعْتَقَةً عُقَارًا
وَإِنْ يَأْكُلُ أَبُو فَرْوَخٍ آكَلَ * وَإِنْ كَانَتْ خَنَانِيصًا صِغَارًا

وقال رجل من الأعراب لأخيه له : أما والله رب يوم كتثور الطاهي رقاص
بشراره، قد رميت بنفسي في أجيج لمبيد فاحتل منه ما أكره لما يحب^(٢) .

وأنشد ابن الأعرابي :

أُتِمُّصُ لِلصَّدِيقِ عَنِ الْمَسَاوِي * خَافَةَ أَنْ أَعِيشَ بِلا صَدِيقٍ

وقال كُثَيْرٌ :

وَمَنْ لَا يُغْمِصُ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ * وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمُتُ وَهُوَ عَاتِبُ
وَمَنْ يَتَّبِعْ جَاهِدًا كُلَّ عَثْرَةٍ * يَجِدْهَا وَلَا يَسْلَمْ لَهُ الدَّهْرُ صَاحِبُ

وقال آخر :

إِذَا مَا صَدِيقِي رَأَيْتُ سُوءَ فِعْلِهِ * وَلَمْ يَكُ عَمَّا سَاءَ نِي بُخْفِيسِي
صَبَرْتُ عَلَى أَشْيَاءَ مِنْهُ تَرِيُنِي * خَافَةَ أَنْ أُنِيَ بِغَيْرِ صَدِيقٍ

ومن المشهور في هذا قول النابغة :

وَلَسْتُ بِمُسْتَبِقٍ أَخًا لَا تَلُمُّهُ * عَلَى شَعَثِ أَيِّ الرِّجَالِ الْمَهْدُبِ

(١) الخنايص : جمع خنوص وهو ولد الخنزير . (٢) في الأصل : « لما يحب » بالياء

وكان يقال : مَنْ لَكَ بِأَخِيكَ كُلَّهُ . وأنشدني الرياشي :
إِقْبَلْ أَخَاكَ بِيَعْضِهِ * قَدْ يُقْبَلُ الْمَعْرُوفُ تَزَرًا
وَأَقْبَلْ^(١) أَخَاكَ فَإِنَّهُ * إِنْ سَاءَ عَصْرًا سَرَّ عَصْرًا

ونحوه قول الآخر :

أَخْ لِي كَأَيَّامِ الْحَيَاةِ إِخَاؤُهُ * تَلَوْنُ أَلْوَانًا عَلَى خُطُوبِهَا
إِذَا عِبْتُ مِنْهُ خَلَّةً فَهَجَرْتُهُ * دَعَتْنِي إِلَيْهِ خَلَّةٌ لَا أَعِيهَا

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

إِصْبِرْ إِذَا عَضَّكَ الزَّمَانُ، وَمَنْ * أَصْبِرْ عِنْدَ الزَّمَانِ مِنْ رَجُلِهِ
وَلَا تُهِنْ لِلصَّدِيقِ تَكْرِمُهُ * نَفْسَكَ حَتَّى تُعَدَّ مِنْ خَوَلِهِ
يَحْمِلُ أَثْقَالَهِ عَلَيْكَ كَمَا * يَحْمِلُ أَثْقَالَهِ عَلَى بَحْمِلِهِ
وَلَسْتَ مُسْتَبْقِيًا أَخَاكَ لَا * تَصْفَحْ^(٢) عَمَّا يَكُونُ مِنْ زَلَلِهِ
لَيْسَ الْفَتَى بِالَّذِي يَحْوُلُ عَنِ الشَّهِيدِ وَيُؤَيِّ الصَّدِيقُ مِنْ قَبْلِهِ^(٣)

وقيل لخالد بن صفوان : أَيْ إِخْوَانُكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الَّذِي يَغْفِرُ زَلَلِي ،
وَيَقْبَلُ عَلَيَّ وَيَسُدُّ خَلْلِي^(٤) .

وقال بشار :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مَرَارًا عَلَى الْقَدَى * ظَلِمْتُ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبَهُ
وَقَالَ الْحَرَمِيُّ لِأَبِي دُلْفٍ :

تَمْلِكُ إِنْ كُنْتَ ذَا إِرْيَةٍ * مِنَ الْعَالَمِينَ لَشَيْخٍ وَصِيفٍ^(٥)

(١) كذا بالأصل ، ولعله : « رَأَيْتُ أَخَاكَ » من يَتْلُو العِثْرَةَ والصَّفْحَ عَنْهُ . (٢) في حاشية

البحري : « وَلَا تُهِنْ لِلنَّيِّبِ » . (٣) في الأصل : « فَاصْفَحْ » . (٤) في الأصل : « الَّذِي » .

(٥) العِلَالُ : الْأَعْدَاءُ . (٦) كذا ورد بالأصل ، ولم نوفق إليه في مصدر آخر .

الإنصاف في المودة

كان يقال : لا خير لك في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له .

وقال جرير :

وإني لأستحي^(١) أن أرى له * على من الحق الذي لا يرى لي

وله أيضا^(٢) :

إذا أنت لم تُصِف أخاك وجدته * على طرف الهجران إن كان يعقل
ويركب حد السيف من أن تضيعه * إذا لم يكن عن شفرة السيف معي^(٣)
ستقطع في الدنيا إذا ما قطعني * يمينك ، فأنظر أي كف تبذل
وقال آخر^(٤) :

يا ضمير أخبرني ولست بضمير * وأخوك نافعك الذي لا يكذب
هل في القضية أن إذا استغنيت * وأمنتم فانا البعيد الأجنب
وإذا الشدائد بالشدائد مرة * أشجيتكم فانا المحب الأقرب
عجبا لئلك قضية وإقامتي * فيكم على تلك القضية أعجب
ولم^(٥) لكم طيب البلاد ورعيها * ولي الثماد ورعيها المجذب

(١) أستحي : آف . (٢) نسب المؤلف هذا الشعر لجرير ، وفي الخامسة طبع أوربا ص ٥٠٣ .
ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص (طبع بولاق ص ٦٩٤) أنه لمن بن أوس المزني . (٣) في الأصل :
« يعدل » والتصويب عن حاسة البحرى ، وفي حاسة أبي تمام : « مزحل » . (٤) قال في اللسان
مادة « حيس » : « هو لمن بن أحر الكافي قيل : هو ليرة الباهل » . (٥) ورد هذا البيت
في اللسان مادة « حيس » وشواهد المعنى هكذا :

ولجندب سهل البلاد وعندي * ولي الملاح ويزنن المجذب

ثم قال المعنى : « ويزنن (ولم^(٥) أف البلاد ورعيها) ، والمراد بالمال هنا الإبل ، وبالأف :
مال البرع من النبت ، والرعى : المرعى . وفي الأصل : « المالك » وهو تحريف . (٦) الثماد :
جمع ثمد (بالفتح وبالتحريك) وهو الماء الحليل الذي لا مادة له ، وفي الأصل : « ولي الثمار » بالراء ،
وهو تحريف .

وإذا تكونت كريمة أَدْعَى لها * وإذا يُحَاس الحيس يدعى جُنْدَبُ^(١)
 هذا لَعْمَرُكُمْ الصَّغَارُ بَعِينِهِ * لا أُمُّ لِي إِنْ كَانَ ذَاكَ وَلَا أَبُ
 وقال ابن عينة : مثل على كرم الله وجهه عن قول الله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ
 بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) ، فقال : العدلُ : الإنصاف ، والإحسان : التفضل .

وقال الشاعر :

صَبَقْتُ أُمِّيَّةً فِي الدَّمَاءِ رِمَاحَنَا * وَطَوْتُ أُمِّيَّةً دُونَنَا دُنْيَاهَا
 ويقال : مَنْ سَنَّ سُنَّةً فَلْيَرْضَ أَنْ يُحْكَمَ عَلَيْهِ بِهَا ، وَمَنْ سَالَ مَسْئَلَةً فَلْيَرْضَ
 بِأَنْ يُعْطَى بِقَدْرِ بَنَلِهِ .

وقال أبو العتاهية :

إذا ما لم يكن لك حُسْنُ فَهْمٍ * أَسَأَتْ إِبْجَابَةً وَأَسَاتَ سَمْعًا
 وَأَسَتْ الدَّهْرَ مُتَسَعًا بِفَضْلِ * إذا مَا ضِغَتْ بِالْإِنْصَافِ ذَرْعًا
 وقال حمادُ عَجْرَدٍ :

لَيْتَ شِعْرِي أَىَّ حَكْمٍ * قَدْ أَرَأَيْتُمْ نَحْكُونَا
 أَنْ تَكُونُوا غَيْرَ مُعْطٍ * يَنْ وَأَتَمُّ نَأْخُذُونَا

وقال آخر :

إِذَا كُنْتَ تَأْتِي الْمَرْءَ تَعْرِفُ حَقَّهُ * وَيَمْهَلُ مِنْكَ الْحَقُّ فَالْتَرِكُ أَجَلُ
 وَفِي الْعَيْشِ مَنَاجَاةٌ وَفِي الْمَجَرِّ رَاحَةٌ * وَفِي الْأَرْضِ عَمَّنْ لَا يُؤَاتِيكَ مَرْحَلُ^(٢)

(١) الحيس : التمر والأنف يدقان ويصجان عجنًا شديدًا ثم يسوى ذلك كالتريد . وفي الأصل :

« وإذا يجاش الحيس » بالميم والثنية ، وهو تحريف . (٢) المرحل : المكان

الذي يرتحل إليه ، ويحتمل أن يكون " مَرَحَل " بالزاي بدل الزاء ، والمرحل : المكان الذي
 ينتقل إليه .

وقال بشار :

إِن كُنْتَ حَاولَتْ هَوَانًا فَمَا * هُنْتُ وَمَا فِي الْهُونِ لِي مِنْ مُّقَامٍ
فِي النَّاسِ أَبْدَالٌ وَلِي مَرَحِلٌ * ^(١) عَنْ مَتَرٍ نَاءٍ وَمَرَعَى وَخَامٍ
لَا نَائِلٌ مِنْكَ وَلَا مَوْعِدٌ * وَلَا رَسُولٌ، فَعَلَيْكَ السَّلَامُ
وقال آخر : ^(٢)

لَهُ حَقٌّ وَلَيْسَ عَلَيْهِ حَقٌّ * وَمَهْمَا قَالَ فَالْحُسْنُ الْجَمِيلُ
وَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ يَرَى حَقُّوqًا * عَلَيْهِ لغيره وهو الرَّسُولُ ^(٣)
وقال أكرم بن صفيي : أَحَقُّ مَنْ يَشْرُكُكَ فِي النَّعَمِ شُرَكَاءُكَ فِي الْمَكَارِهِ .
أَخْذَهُ دِعْبِلٌ فَقَالَ :

وَإِنَّ أَوْلَى الْبَرَايَا أَنْ تُوَاسِيَهُ * عِنْدَ السَّرُورِ لَمَنْ آسَأَكَ فِي الْحَزَنِ ^(٤)
إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَسْهَلُوا ذَكَرُوا * مَنْ كَانَ يَأْلُهُمْ فِي الْمَتَرِ الْحَشِينِ
وَأَنشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ :

فَإِنْ آثَرَتْ بِالْوَدِّ أَهْلَ بِلَادِهَا * عَلَى نَازِحٍ مِنْ أَهْلِهَا لَا أَلُومَهَا
فَلَا يَسْتَوِي مَنْ لَا تَرَى غَيْرَ لَمَةٍ * وَمَنْ هَوَّنَاوٍ عِنْدَهَا لَا يَرِيْعُهَا ^(٥)
وقال رجل لبعض السُّلْطَانِ : أَحَقُّ النَّاسِ بِالْإِحْسَانِ مَنْ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ ،
وَأَوْلَاهُمْ بِالْإِنْصَافِ مَنْ بُسِطَتْ الْقَدَرَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَاسْتَدِمَ مَا أُوتِيَتْ مِنَ النِّعَمِ بِتَأْدِيَةٍ
مَا عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ .

قال المستهَلُّ بْنُ الْكُتَيْبِ لِبَنِي الْعَبَّاسِ :

إِذَا نَحْنُ خِفْنَا فِي زَمَانٍ عَدُوِّكُمْ * وَخِفْنَا كُمْ إِنَّ الْبَلَاءَ لَرَأِيْدُكُمْ

٢٠ (١) انظر الحاشية رقم ٢ بالصفحة السابقة . (٢) المرعى : فوطي : الذي لا ينتج كلوه لسوته .
(٣) هو عبد الله بن مصعب الزبيري ويسمى عائذ الكلب - قاله في عبد الله بن حسن بن حسن (انظر
الكامل للبدر طبع أوروبا ص ٣١) . (٤) كذا في الكامل . وفي الأصل : «لأهلها» .
(٥) انظر العقد الفريد ج ١ ص ٢٢٧) فقد ورد فيه هذا البيت ببعض مخالفة عما هنا .
(٦) الله : المزة من الإلمام ، والإلمام الزيارة غبا . ولا يريمها : لا يغارقه ولا يتحول عنها .

مداراة الناس وحسن الخلق والحوار

قال حدثنا الحسين بن الحسن [قال] حدثنا عبد الله بن المبارك عن وهيب^(١) قال : جاء رجل الى وهب بن منبه فقال : إن الناس قد وقعوا فيما وقعوا فيه ، وقد حدثت نفسي ألا أخالطهم ؛ فقال له وهب : لا تفعل ، فإنه لا بد للناس منك ولا بد لك منهم ؛ لهم إليك حوائج ، ولك إليهم حوائج ، ولكن كن فيهم أصم سمياً ، وأعمى بصيراً ، وسكوتاً تطوقاً .

قال وحدثنا حسين بن الحسن قال حدثنا عبد الله بن المبارك عن موسى بن علي^(٢) ابن رياح^(٣) قال : سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : أربع^(٤) خلال إن أعطيتن فلا يضرنك ما عدل به عنك من الدنيا : حسن خلقه ، وعفاف طعمته ، وصدق حديثه ، وحفظ أمانته .

قال : وبلغني عن وكيع عن مسعر عن حبيب بن أبي ثابت عن عبد الله بن باباه قال : قال عبد الله بن مسعود : خالطوا الناس وزابلوهم^(٥) .

عن وكيع عن سفيان عن حبيب بن ميمون قال : قال صعصعة بن صوحان لابن أخيه : إذا لقيت المؤمن خالطه^(٦) ، وإذا لقيت الفاجر خالفه ، وديك فلا تكلمته . قال المسيح صلى الله عليه : «كُنْ وَسَطًا وَامْشِ جَانِبًا» .

(١) في الأصل : «قد» . (٢) كذا ضبطه في تهذيب التهذيب بالتصغير .

(٣) في الأصل : «رياح» . ليا. المثناة ، والتصويب عن تهذيب التهذيب . (٤) الطعمة : وجه

الكسب طياً أرخيتا . (٥) كذا في النهاية لابن الأثير . وزابلوهم : فارقوم . وفي الأصل :

«وتزابلوهم» . (٦) كذا في العقد الفريد ، وفي الأصل : «خالصه» بالماد ، وخالصه في الدشرة :

صافاه . وهذا المعنى وإن صح على الجملة فالمخالطة في هذا المقام أنسب .

وروى أبو معاوية عن الأحمص بن حكيم عن أبي الزاهرية قال قال
أبو الرداء : إِنَّا لَنَكْشِرُ فِي وَجْهِهِ أَقْوَامٌ وَإِنَّ قُلُوبَنَا لَتَلْعَنُهُمْ^(١) .

ودخل لبيدة العجلي^(٢) على عمر رضي الله عنه ، فقال له عمر : أَقْتَلْتَ زَيْدًا ؟
فقال : يا أمير المؤمنين ، قد قتلْتُ رجلاً يسمي زيدا ، فإن يكن أخاك فهو الذي
أكرمه الله بيدي ولم يُبَيِّنْ به ؛ ثم لم يرَ من عمر بعد ذلك مكروها .

قال محمد بن أبي الفضل الهاشمي : قلتُ لأبي : لم تجلسُ إلى فلان وقد عرفت
عداوتَه ؟ فقال : أَخِي تَارَا وَأَقْدَحُ عَنْ وَدٍّ . وقال المهاجرُ بن عبد الله الكلابي :
وإِنِّي لَأَقْصِي الْمَرْءَ مِنْ غَيْرِ بَغْضَةٍ * وَأُذِنِي أَخَا الْبَغْضَاءِ مِنِّي عَلَى عَمْدٍ
لِيُحَدِّثَ وَدًّا بَعْدَ بَغْضَاءٍ أَوْ أَرَى * لَهُ مَضْرَعًا يُرِيدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ يُرِيدِي

وقال عقاب بن شبة : كُنْتُ رَدِيفَ أَبِي ، فَلَقِيَهُ جَرِيرٌ عَلَى بَغْلٍ خِيَاهُ أَبِي وَالْطَفَهَ ؛
فَلَمَّا مَضَى قُلْتُ : أَبَعَدَ مَا قَالَ لَنَا مَا قَالَ ! قال : يَا بُنَيَّ ، أَفَأُوسَعُ جَرِحِي ! .

قال ابنُ الحنفية : قد يُدْفَعُ بِاحْتِمَالٍ مَكْرُوهٍ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ .

قال الحسن : حُسْنُ السُّؤَالِ نَصْفُ الْعِلْمِ ، وَمُدَارَاةُ النَّاسِ نَصْفُ الْعَقْلِ ،
وَالْقَصْدُ فِي الْمَعِيشَةِ نَصْفُ الْمُؤْنَةِ .

مدح ابنُ شهابٍ شاعراً فأعطاه ، وقال : مِنْ أَتْبَعَنِي الْخَيْرَ أَتَقَى الشَّرَّ .

(١) الكشر : ظهور الأسنان للضحك يقال : كاشره إذا ضحك في وجهه وبأسطه . وفي رواية

« وَإِنَّ قُلُوبَنَا لَتَلْعَنُهُمْ » بدل « تلعنهم » . (٢) لم نثر على هذا الاسم وقد راجعنا ترجمة زيد بن

الخطاب في كتاب الطبقات الكبير لابن سعد وفي تهذيب التهذيب لابن حجر ، وفيهما أن زيدا كان يحمل راية
المسلمين يوم اليمامة وجعل يشته بالراية ويتقدم بها في نحر العدو ثم ضارب بسيفه حتى قتل . وقيل إن قاتله

الرجل بن عذرة كما قيل إنه أبو مريم الحنفي .

وفي الحديث المرفوع : «أَوَّلُ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ الْخَلْقُ الْحَسَنُ» . وقال : إِنَّ
حَسَنَ الْخَلْقِ وَحُسْنَ الْجَوَارِ يُعْمَرَانِ الدِّيارَ ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ . وقال : مَنْ حَسَنَ
اللَّهُ خَلْقَهُ وَخَلَقَهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ .

قال الشاعر :

فَتَى إِذَا نَبَّهَتْهُ لَمْ يَفْضُبِ * أبيضُ بَسَامُ وَإِنْ لَمْ يَعْجَبِ
مُوكَلُّ النَّفْسِ بِمَحْفَظِ الْغَيْبِ * أَقْصَى رَفِيقِهِ لَهُ كَالْأَجْنِبِ^(١)
وقرأتُ في كتب العجم : حُسْنُ الْخَلْقِ خَيْرُ قَرِينٍ ، وَالْأَدَبُ خَيْرُ مِيرَاثٍ ،
والتَّوْفِيقُ خَيْرُ قَائِدٍ .

وقالت عائشة رضي الله عنها : مَا تُبَالِي الْمَرْأَةُ إِذَا تَزَلَّتْ بَيْنَ بَيْتَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ
صَالِحِينَ إِلَّا تَزَلَّ مِنْ أَبْوَابِهِمَا .

وقال جعفر بن محمد : حُسْنُ الْجَوَارِ عِمَارَةٌ لِلدَّارِ ، وَصَدَقَةُ السَّرْمَتَةِ لِمَالٍ .

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : ثَلَاثَةٌ مِنْ قَرِيشٍ أَحْسَنُهَا أَخْلَاقًا وَأَصْبَحُهَا
وَجُوهَا وَأَشَدُّهَا حَيَاءً ، إِنْ حَدَّثُوكَ لَمْ يَكْذِبُوكَ ، وَإِنْ حَدَّثْتَهُمْ بِحَقٍّ أَوْ بَاطِلٍ لَمْ يُكْذِبُوكَ :
أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ . وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

وقال يزيد بن الطَّرِيقَةِ :

وَأَبْيَضَ مِثْلَ السِّيفِ خَادِمٌ رُفْقَةٌ * أَشْمُ تَرَى سِرْبًا لَهُ قَدْ تَقَدَّأَ^(٢)
كَكَرِيمٍ عَلَى عِلَاتِهِ لَوْ تَسُبُّهُ * لَفَدَاكَ رِسْلًا لَا تَرَاهُ مُرَبَّدًا^(٣)
يُجِيبُ بِلَيْسِهِ إِذَا مَا دَعَوْتَهُ * وَيَحْسِبُ مَا يُدْعَى لَهُ الدَّهْرُ أَرْشَدًا^(٤)

(١) لعله : «كأن أقرب» ليستقيم المعنى . (٢) تقدد : تخطع وبلى . (٣) في الشعر والشعراء :

«غزاته» . (٤) مربد : متغير الوجه من الغضب . (٥) كذا بالأصل ، والأصل في هذه
الكلمة أن تضاف إلى ضمير المخاطب (انظر شرح الأشموني على الألفية في باب الإضافة) .

وقرأت في كتاب للهند : مَنْ تَزَوَّدَ نَحْسًا بَلَقَتْهُ وَأَسْتَه : كَفَّ الْأَذَى ، وَحَسَنُ الْخُلُقِ ، وَجَانِبَةُ الرَّيْبِ ، وَالتُّبْلُ فِي الْعَمَلِ ، وَحَسَنُ الْأَدَبِ .

وقال المتأر في مداراة القرابة :

أَلَا إِنَّمَا الْمَوْلَى كَعَظِيمِ جَبَرَّتِهِ * فَلَا يَخْرُقُ الْمَوْلَى وَلَا جَابِرُ الْعَظِيمِ

وقال آخر في مداراة الناس :

وَأَتَزَلِّي طَوْلَ النَّوَى دَارَ غُرْبَةٍ * إِذَا شِئْتُ لَا قِيْتُ أَمْرًا لَا أَشَاكُهُ
خَامِقَتُهُ حَتَّى يُقَالَ سَجِيَّةٌ * وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أَعَاقِلُهُ
وقال بشار :

خَلِيلِي إِنْ الْعَسْرَ سَوْفَ يُفِيقُ * وَإِنْ يَسَارًا فِي غَسَدٍ خَلِيلُ
وَمَا أَنَا إِلَّا كَالزَّمَانِ إِذَا صَحَا * صَحَوْتُ وَإِنْ مَاتَ الزَّمَانُ أَمُوتُ

التلاقي والزيارة

حدثنا محمد بن عبيد قال حدثنا الفضل بن دكين عن طلحة بن عمر عن عطاء عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « زُرْ غِبًّا تَزِدَّ حُبًّا » .

وقال الأصمعي : دخل حبيب بن سويد على جعفر بن سليمان بالمدينة ، فقال جعفر : حبيب بن سويد وأد الصديق ، حَسَنُ التَّاءِ ، يَكْرَهُ الزِّيَارَةَ الْمُحَلَّةَ ، وَالْقَعْدَةَ الْمُنْسِيَةَ .

وقرأت في كتاب للهند : ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ تَزِيدُ فِي الْأَنْسِ وَالتَّحَنُّ : الزِّيَارَةُ فِي الرَّحْلِ^(١) ، وَالْمُؤَاكَلَةُ ، وَمَعْرِفَةُ الْأَهْلِ وَالْحَشَمِ .

وقال الطائي :

وَحَظُّكَ لَقِيَّةٌ فِي كُلِّ عَائِمٍ * مُوَافَقَةٌ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ

(١) الرجل : منزل الرجل ومسكه وبيته ، يقال : دخلت على الرجل رحله أي منزله .

قال أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الصوّاف عن موسى بن يعقوب السّدوسيّ عن أبي السّنان عن عثمان بن أبي سؤدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ عاد مريضًا أو زار أخًا ناداه مُنادٍ من السماء : أَنْ طِبْتَ وطابَ ممّشاكَ تَبَوُّأتُ من الجنة منزلاً" .

كتب رجل الى صديق له : مَثْنًا ، أعزّك الله ، في قُرب تجاورنا وبعْد تراورنا .
ما قال الأوّل :

ما أقرب الدار والجوار وما * أبعد مع قُربنا تلاقينا
وكلُّ غفلةٍ منك محمّلةٌ ، وكلّ جَفْوَةٍ مغفورةٌ ، للشَّغفِ بك ، والثَّقةِ بحسنِ
نيتك ، وسأخذ بقول أبي قيس :

ويكرّمها جارئها فيُرزّنها * وتعتلّ عن إتيانهم فتعذرُ
وقالت أعرابية :

فلا تَحْمَدُونِي في الزِيارَةِ إِنِّي * أزوركُم إِذ لم أَجد متعللاً
وكتب رجل الى صديق له يستريه : طال العهدُ بالاجتماع حتى كدنا نتناكرُ
عند التلاقي ، وقد جعلك الله للسرور نظامًا ، وللأنس تمامًا ، وجعل المشاهدة موحشةً
إذ خلتُ منك .

وقال سهل بن هارون :

وما العيشُ إِلَّا أن تطوّلَ بنائِل * وإلا لقاء المرء ذي الخلق العالِي

(١) هو أبو قيس بن الأسلت والأسلت ، لقب أبيه ، واسمه عامر بن جشم بن واثق الخ (أنظر الأغاني

ج ١٥ طبع بولاق) . (٢) كذا في خزانة الأدب لبغدادى ج ٢ ص ٤٨ والأغاني ج ١٥

ص ١٦٦ طبع بولاق ، وفي الأصل «ويكرّمها» بآيات النون وهي لغة رديئة .

وقال بشار :

تسقط الطيرُ حيث تَلْقَطُ^(١) الحَبَّ وتُنشَى منازلُ الكُرماءِ
قال رجل لصديق له : قد تصدبت للقائك غير مرة فلم يقض ذلك ، فقال له
الآخر : كلُّ برأتية فانت تأتي عليه .

قال ابن الأعرابي :

وأرني إلى الأرض التي من وراءكم * لترجني يوماً عليك الراجعُ
وقال آخر :

رأيتُ أخوا الدنيا وإن بات آمنا * على سفير يسرى به وهو لا يدري
تثقلتُ إلا عن يدٍ أستفيدها * وزورة ذى ودٍّ أشدُّ به أزرى

وقال آخر :

أزورُ عمداً وإذا ألقينا : تكلمت الضمائرُ في الصدورِ
فارجعُ لم أئمه ولم يئمني * وقد رضى الضميرُ عن الضميرِ
كان سفيانُ بن عيينة يقول : لا تعفروا الأقدامَ إلا إلى أقدارها ، وأنشد :
نضعُ الزيارةَ حيث لا يزرى بنا * شرفُ الملوكِ ولا تحجبُ الزورُ^(٢)
وكان يقال : امشِ ميلاً وعدَّ مريضاً ، وامشِ ميلين وأصلح بين اثنين ، وامشِ
ثلاثة أميال وزرأخا في الله .

وقال بعض المحدثين :

إنّا شئتُ أن تُقلى قَزْرٌ متابعاً * وإن شئتُ أن تزدادَ حُباً قَزْرُ غِباً

(١) الذي في الأغاني في ترجمة بشار : « يَنْتَرِ الحَبَّ » . (٢) في الأصل : « يضع

الزاري » وهو تحريف .

قالت : قَبَّحَكَ اللهُ ! فكان ماذا ؟ قال :

وَأَنْتِ أَقْصَى بِالْتَّارِيعِينَ * غَدَاةُ الصَّبَاحِ وَأَخْيَ الظُّنُونِ^(١)

قال عمه : فهَلَا كان ذا قَبْلُ ! .

قال الشاعر^(٢) :

بَيْضَاءُ تَسْحَبُ مِنْ قِيَامِ شَعْرَهَا * وَتَغِيبُ فِيهِ وَهُوَ جَثْلُ^(٣) أَعْمَمِ^(٤)
فَكَأَنَّهَا فِيهِ نَهَارٌ سَابِغٌ * وَكَأَنَّهُ لَيْلٌ عَلَيْهَا مُظْلَمٌ

وقال الطائي :

بَيْضَاءُ تَبْدُو فِي الظَّلامِ فَيَكْتَسِي * نَوْرًا وَتَبْدُو فِي النَّهَارِ فَيُظْلِمُ
وصف أعرابي امرأة فقال : كَادَ الْغَزَالُ يَكُونُهَا ، لَوْلَا مَا تَمَّ مِنْهَا وَتَقَصَّ مِنْهُ .

قال ابن الأعرابي : الحلاوة في العينين ، والجمال في الأنف ، والملاحاة في الفم .

قال أعرابي يصف امرأة :

خُرَاجِيَّةُ الْأَطْرَافِ مُرِّيَّةُ الْحَشَا * فَرَارِيَّةُ الْعَيْنَيْنِ طَائِيَّةُ الْقِمِ

كان الْمُقْنَعُ الْكِندِيُّ من أجمل الناس وكان يتقنع^(٥) لأنه كان متى سَفَرَ لُقِعَ (أى

أُصِيبَ بِعَيْنٍ) ، وهو القائل :

(١) غداة الصباح : غداة النارة . (٢) هو بكر بن الطاح كما في أمالي القائل (ج ١ ص ٢٢٧) ١٥

طبع دار الكتب المصرية (نهاية الأرب (ج ٢ ص ٢١) وأشعار الحماسة (ص ٥٦٥ طبع أوروبا) .

(٣) في نهاية الأرب وأشعار الحماسة : «فرعها» . (٤) جثل : كثير ملتف . وأعمم : أسود .

وفي أشعار الحماسة : «رحف» وهو الكثير الحسن . (٥) اسمه محمد بن ظفر بن عمير ، والمقنع

لقب غلب عليه ، كان أحسن الناس رجها وأمدهم قامه وأكلهم خلقا ، وهو شاعر مقل من شعراء الدولة

الأموية .

وفي الظَّعَانِ والأَحْدَاجِ أَمْلَحُ مَنْ * حَلَّ الْعِرَاقَ وَحَلَّ الشَّامَ وَالْيَمَنَ
جَنِيَّةً مِنْ نِسَاءِ الْإِنْسِ أَحْسَنُ مِنْ * شَمْسِ النَّهَارِ وَبَدْرِ اللَّيْلِ لَوْ قُرْنَا

الحكم بن صخر التَّقْفِيّ قال : خرجتُ حاجاً مُخْتَفِياً ، فلما كنتُ ببعض الطريق
أتتني جاريتان من بني عُقِيل لم أر أحسنَ منهما وجوهاً ، ولا أظرفَ ألسنةً ولا أكثرَ
علماً وأدباً ، فقصرتُ بهما يومئذٍ فكسوتُهما ، ثم حججتُ من قابلٍ ومعى اهلي ، وقد
أصابتنِي عِلَّةٌ فنصَلُها خَضَابِي ، فلما صرْتُ إلى ذلك الموضعَ قافلاً أنا بإحداهما ،
فدخلتُ حلي ، فسألتُ مسألةً منكِرٍ فقلتُ : فلانة ! قالت : فِدَى لَكَ أَبِي وَأُمِّي !
تَعْرِفُنِي وَأَنْكَرُكِ ؟ قلتُ : أنا الحكم بن صخر ، قالت : إني رأيتُكِ عاماً أوَّلَ شاباً
سُوقَةً وأراك العامَ مَلِكاً شيخاً ، وفي دُونِ هذا يُنكَرُ المرءُ صاحبه ؛ قلتُ : ما فعلتُ
أُخْتُكِ ؟ قالت : تزوجها ابنُ عَمٍّ لها وخرج بها إلى نَجْدٍ فذلك حيثُ يقول :
إذا ما قَفَلْنَا نَحْوَ نَجْدٍ وَأَهْلِهِ * فَحَسِيٍّ مِنَ الدُّنْيَا قُفُولٌ إِلَى نَجْدٍ
فقلتُ : لو أدركتُها لترَوَّجتُها ؛ فقالت : ما يمنعُكِ من شقيقَتها في حَسَبِها ،
وَتَظْهِيرَتها في جَمالِها ؟ — تعني نفسها — قلتُ : يمنعني من ذلك ما قال كثيرُ :
إذا وَصَلَتْنَا خُلَّةً كِي تُزِيلُنَا * أَيْبُنَا وَفَلْنَا الْحَاجِيَّةُ أَوَّلُ

- ١٥ (١) الظَّعَانُ : جمع ظليعة وهي المرأة في الهودج ، ثم قيل الهودج بلا امرأة وللا امرأة بلا هودج : ظليعة .
(٢) الأحْدَاجُ : جمع حدج وهو من مراكب النساء يشبه الخفّة . (٣) في الأصل : « فَنَضَب » .
(٤) هذا الموضع يسمى « إمرة » بكسر أوله وتشديد ثانيه كما في مجمع الأمثال الميداني (ج ٢ ص ٢٤ طبع بولاق) وفرائد الآكل (ج ٢ ص ٦٥ طبع بيروت) والذي في صحيح ما استعجم أنه موضع في ديار بني عبس .
(٥) في المحاسن والأضداد للجاحظ (ص ٢١١) وردت هذه العبارة هكذا : « وفي وقت دون ذلك ما تنكر المرأة صاحبها » وقد وردت هذه
٢٠ القصة في مجمع الأمثال مع اختلاف يسير . (٦) كذا في المحاسن والأضداد (ص ٢١١ طبع أوروبا) . وفي الأصل : « أضاح » بإلقاء المهملة وهو محذوف عن « أضاح » بالمعجمة وهي من قرى
الإسامة كما في ياقوت . (٧) كذا في الأصل « وفي مجمع الأمثال : « تزيلها » .

وقال آخر :

فدع العتاب فربَّ شرَّ هاج أوله العتابُ

وقال الجعدي :

وكان الخليل إذا راينى * فعاتبته ثم لم يُعتَبِ^(١)

هَوَاىَ له وهَوَى قَلْبِه * سواى وما ذاك بالأصوب

فإنى جرى على صُرْمِه * إذا ما القرينة لم تُصَحِبِ^(٢)

قال رجل لصديق له يعاتبه : ما أشكوك إلا إليك، ولا أستبطئك إلا لك،
ولا أستريدك إلا بك، فانا منتظر واحدة من آتئين : عتبي تكون منك، أو عتبي
الغنى عنك .

وقال آخر : قد حيت جانب الأمل فيك وقطعت الرجاء لك، وقد أسلمنى
اليأس منك الى العزاء عنك ، فإن نزع من الآن فصفح لا تريب فيه، وإن
تماديت فهجر لا وصل بعده .

وقال بعض الشعراء :

ولا خير فى قُربى لغيرك نفعها * ولا فى صديق لا تزال تُعَاتِبُه

يخونك ذو القربى مرارا وربما * وفى لك عند الجهد من لا تُناسِبُه

وقال آخر وهو أوس بن حجر :

وقد أُعْتِبُ ابنَ العمِّ إن كان ظالما : وأغفرُ عنه الجهلَ إن كان أجهلا

وكتب رجل الى صديق له : الحال بيننا تحتلُّ الدالة، وتوجبُ الأنس والثقة،

وتبسط اللسان بالاستراحة .

(١) أى لم يرضى، من أعجب الرجل صاحبه إذا أراءه . (٢) القرينة هنا : النفس،
وأصبحت : اتقادت .

وكتب رجل آخر إلى صديق له : قد جعلك الله ممن يحتمل الدالة الكبيرة
لدى الحرمة اليسيرة، ورفعك عن أن تبلغ استراحة المستريد بعنف الحجة .
والعرب تقول لمن عوتب فلم يعتب : « لك العتبى بأن لا رضيت »^(١) .

ونحوه قول بشر بن أبي خازم :

غَضِبْتَ تَمِيمٌ أَنْ تُقْتَلَ عَامِرٌ * يَوْمَ النَّسَارِ فَأَعْتَبُوا بِالصَّلِيمِ^(٢)

وقال أوس بن حارثة لأبيه : العتاب قبل العقاب . وهذا نحو قول الآخر :
ليكن إيقاعك بعد وعيدك ، ووعدك بعد وعدك .

وقال إياس بن معاوية : خرجت في سفر ومعي رجل من الأعراب ، فلما كان
ببعض المناهل لقيه ابن عم له فتعانقا وتعابا وإلى جانبهما شيخ من الحنابلة ، فقال لما
الشيخ : أنعماً عيشاً ، إن المعاتبة تبعث التجنى ، والتجنى يبعث الخاصمة ، والمخاصمة
تبعث العداوة ، ولا خير في شيء ثمرته العداوة ، فقلت للشيخ : من أنت ؟ قال :
أنا ابن تجربة الدهر ومن بلا تلوثه ، فقلت له : ما أفادك الدهر ؟ قال : العلم به ،
قلت : فماذا رأيت أحمد ؟ قال : أن يبقى المرء أحدونه حسنة بعده ، قال : فلم أبرح
ذلك الماء حتى هلك الشيخ وصليت عليه .

وقال رجل لصديق له : أنا أبقى على مودتك من عارض يغيره وعتاب يقدح^(٣)
فيه ، وأؤمل نائياً من رأيك يغني عن اقتضائك .

(١) أى أن إعتابى إياك بقولك : لا رضيت ، على وجه المساء أى لا رضيت أبداً .

(٢) يوم النصار : ذكره أبو عبيدة فقال : محاذت أسد رضى وغطقان فغزوا بنى عامر فقاتلوهم قتالا
شديداً فغضبت بنو تميم لقتل بنى عامر فتجمعوا وحلفاءهم يوم الفجار فقتلوا طيئاً أشد ما قتلت عامراً يوم

النصار . والصليم : السيف . (٣) لعله ذكر الضمير باعتبار أن مرجعه الود .

وقرأتُ في كتاب العتّابي : ثابِتُنا إفاقتك من سكر غفلتك ، وترقّبنا أنتباهك من
وسن رقدتك ، وصبرنا على تجزّع الغيظ فيك حتى بان لنا اليأس من خيرك ، وكشف
لنا الصبر عن وجه الغلظ فيك ، فها نحن قد عرفناك حقّ معرفتك في تعديك لطويل
حقّ من غلظ في اختيارك .

وقال الشاعر :

فأيُّهما يالَيْلَ إنْ تفعلي بنا * فأنحر مهجورٍ وأولَّ مُعْتَبِ

وكتب محمد بن عبد الملك الى الحسن بن وهب : يجب على المرء من اذا تجاوز به
الرئيس حقّ مرتبته بعمله ، وكان تفضيله إنما وقع له بخفته على القلب ومحلّه من
الأدب ، أن يقابل ذلك بمثله إن كان مُحامياً على محله ، وإلا فلن يؤمنَ عليه . معنى
بيت شريح :

فإني رأيتُ الحبَّ في الصدر والأذى * اذا اجتمعا لم يلبث الحبُّ يذهب

باب الوداع

قال حدثني محمد بن خالد بن خدّاش قال حدثنا مسم حدثنا سلم بن قتيبة عن
إبراهيم بن عبد الرحمن بن يزيد^(١) بن أمية عن نافع عن ابن عمر : أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يقول اذا ودّع رجلاً "أستودعُ الله دينك وأمانتك وخواتم
عملك وآخر عمرك"^(٢) .

قال وحدثني محمد بن عبد العزيز قال حدثنا مسلم بن إبراهيم عن سعيد بن
أبي كعب الأزدي عن موسى بن ميسرة عن أنس بن مالك : أن رجلاً أتى النبيّ

(١) كذا في تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني والخلاصة في أسماء الرجال المحذرين فيمن اسمه إبراهيم .

وفي الأصل : « إبراهيم بن عبد الرحمن عن زيد بن أمية » وهو تحريف . (٢) ذكر هذا الحديث
في الجامع الصغير ج ١ ص ١٠٠ ولم تذكر فيه هذه الجملة الأخيرة .

صلى الله عليه وسلم فقال : إني أريدُ سفرًا غدًا فقال " في حفظِ اللهِ وكَنِه زودك اللهُ
التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيثُ كنتَ " .

المعتمرُ عن إياس بن دَغْفِيل قال : رأيت الحسن ودَّع رجلا وعيناه تَهْمَلان
وهو يقول :

وما الدهرُ إلا هكنا فأصْطَرِه : رَزِيْشَةُ مالٍ أو فِرَاقُ حبيبٍ
قال وودَّع رَجُلٌ صديقاً له وهو يقول :

وَدَّاعُكَ مِثْلُ وداعِ الرِّيحِ * وَفَقْدُكَ مِثْلُ آفْتِقَادِ الدِّيمِ^(١)
عَلَيْكَ السَّلَامُ فَكَمْ مِنْ وِفَاءٍ * نُفَارِقُهُ مِنْكَ أَوْ مِنْ كَرَمٍ

وقال الطائي :

بَيْنَ الْبَيْنِ فَقَدْهَا، قَلَّمَا تَدَّ : رِفٌ فَقَدْ لِلشَّمْسِ حَتَّى تَغِيْبَا
وقال جرير :

يَا أُخْتَ نَاجِيَةِ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ * قَبْلَ الرِّجْلِ وَقَبْلَ لَوْنِ الْعُنْدَلِ
أَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهْدِكُمْ : يَوْمُ الرِّجْلِ فَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلِ
أَوْ كُنْتُ أَرْهَبُ وَشَكَّ بَيْنَ عَاجِلٍ * لَقِنْتُ أَوْ لَسَّالْتُ مَا لَمْ يُسَّالِ

وبلغني عن بكر المازني أنه قال : دخلتُ على الواثق حين أمر بحملِي ، فقال لي :
١٥ ما آسَمُكَ ؟ فقلت : بَكَرٌ ، قال : مَنْ خَلَّفْتَ وَرَاءَكَ ، قلتُ^(٢) : بُنْيَةٌ ، قال : ما قالت
عند وداعك ؟ قلتُ : قالت :

إِذَا غِيبَتْ عَنَّا وَخَلَّفَتْنَا * فَإِنَّا سَوَاءٌ وَمَنْ قَدْ يَمُّ

(١) الدِّيم : جمع دَيْمَةٍ وهي مطريدوم في سكون بلا رعد ولا برق . (٢) في الأصل : « قال » .

أَبَانَا فَلَارِمَتْ مِنْ عِنْدَنَا * فَإِنَّا بِخَيْرٍ إِذَا لَمْ تَرَمْ^(١)
أَبَانَا إِذَا أَضْمَرْتَكَ الْبِلَا * دُجُجَتِي وَتُقَطِّعُ مِنَّا الرَّحِمَ^(٢)

قال : فما قلتَ لها أنتَ ؟ قال : قلت ما قال جرير :

ثِقَى بِاللَّهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ * وَمِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ بِالنَّجَاحِ

كان لَبْنِي عُقَيْلٍ عَبْدٌ رَضِيعٌ بِلَبَّانٍ بَعْضُهُمْ فَبَاعُوهُ ، فَقَالَ حِينَ شَخَّصَ بِهِ مَوَالِيَهُ

شِعْرًا :

أَشُوقًا وَلَمَّا يَمْضُ بِي غَيْرَ لَيْلَةٍ * فَكَيْفَ إِذَا سَارَ الْمَطِيُّ بِنَا شَهْرًا^(٣)

وقال مسلمُ بنُ الوليد :

وَإِنِّي وَإِسْمَاعِيلَ عِنْدَ وَدَاعِهِ * لَكَالْفَيْدِ يَوْمَ الرَّوْعِ زَايِلَهُ النَّصْلُ

فَإِنْ أَغْشَى قَوْمًا بَعْدَهُمْ وَأَزْوَْرَهُمْ * فَكَالْوَحْشِ يُدْنِيهَا مِنَ الْإِنْسِ الْمَحْلُ^(٤)

وقال آخرُ عند توديعه :

عَجِبْتُ لِمُطَوِّحِ النَّوَى مَنْ يُجِبُّهُ * وَتَدْنُو بِمَنْ لَا يُسْتَلَذُّ لَهُ قُرْبُ

وقال آخر :

مَا لَتْ تُودِعْنِي وَالْقَلْبَ يَغْلِبُهَا * كَمَا يَمِيلُ نَسِيمُ الرِّيحِ بِالْفُصْنِ

ثُمَّ أَسْتَمَرَّتْ وَقَالَتْ وَهِيَ بَاكِئَةٌ : يَا لَيْتَ مَعْرِفَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَكُنْ

وقال آخرُ لرجل ودَّعه : بَقِيَ عَلَيْنَا أَنْ نَكُفَّ مِنْ غَرْبِ الشُّؤْنِ ، وَنَسْتَعِينَ عَلَى

فُرْقَةِ الْوَحْشَةِ بِالْكُتُبِ ، فَإِنَّا أَلْسُنُ نَاطِقَةٌ ، وَعَيُونُ رَاقِقَةٌ .

(١) يقال : مارمت من عند فلان أي ما برحت . (٢) الذي في اللسان مادة « ضمير » :

أَرَانَا إِذَا أَضْمَرْتَكَ الْحَ بَدَل « أَبَانَا » . وقال : وَأَضْمَرْتَهُ الْأَرْضُ : عَيْتَهُ إِتَابَهُ أَوْ سَفَرَهُ .

(٣) الرواية المشهورة : أَشُوقًا وَلَمْ يَمْضُ لِي غَيْرَ لَيْلَةٍ * فَكَيْفَ إِذَا خَبَّ الْمَطِيُّ بِنَا عَشْرًا

(٤) الْإِنْسُ : الْإِنْسَانُ . (٥) الْغَرْبُ : سَبِيلُ الدَّمْعِ ، وَالشُّؤْنُ : الدَّمْعُ .

وقال البُحرى :

اللهُ جَارُكَ فِي أَنْطِلَاقِكَ * تَلْقَاءَ شَامِكَ أَوْ عِرَاقِكَ
لَا تَعْدُلْنِي فِي مَسِيرِ * بَرِي يَوْمَ سِرْتُ وَلَمْ أَلِاقِكَ
إِنِّي خَشِيتُ مَوَاقِفًا * لِلْبَيْنِ تَسْفِيحُ غَرْبِ مَا فِكَ
وَعَلِمْتُ مَا يَلْقَى الْمَوَدُّعُ عِنْدَ ضَمِّكَ ^(١) وَأَعْتِنَاكَ
فَتَرَكْتُ ذَاكَ تَعَمُّدًا * وَخَرَجْتُ أَهْرَبُ مِنْ فِرَاقِكَ

الهدايا

قال حدثنا يزيد بن عمرو قال حدثنا عمير بن عمران قال حدثنا الحارث بن عتبة
عن العلاء بن كثير عن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تصالحوا
فإن المصافحة تذهب غل الصدور، وتهادوا فإن الهدية تذهب بالسخيمة" ^(٢) . ١٠

وحدثني أبو الخطاب قال حدثنا بشر بن المفضل عن يونس عن الحسن قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لو أهديت لى ذراعاً ^(٣) لقبلت، ولو دُعيت إلى كراع ^(٤)
لأجبت" .

وفي حديث آخر : "تهادوا تحابوا فإن الهدية تفتح الباب المصمت وتسل
سخيمة القلب" . ١٥

قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله عن الأصمى قال : سمعتُ نافعاً يحدث
قال : كان ابن عمر يقول : الهدايا من أمراء الفتنة .

(١) كذا في ديوان البُحرى . وفي الأصل : «نمك» . (٢) السخيمة : الضغينة والحقد .
(٣) كذا في الأصل والمحاسن والأضداد ص ٣٦٦ ؛ وقد ورد هذا الحديث في البخارى ج ٣ ص ١٥٤
هكذا : "ولو دُعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت ولو أهدى لى ذراعاً أو كراع لقبلت" . (٤) الكراع
بالضم : يد الشاة . (٥) المصمت : المغلق .

وروى الزبير بن بكار عن عمه قال : كان الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة
يجلس وعمرو بن عبيد الله بن صفوان ، ما يكادان يفترقان ، وكان عمرو يبعث^(١) الى
الحارث في كل يوم بقرية من ألبان إبله ، فاختلف ما بينهما فأتى عمرو أهله [قال] :
لا تبعثوا للحارث باللبن فإنا لا نأمن أن يرده علينا ؛ وأتقلب الحارث الى أهله فقال :
هل أتاكم اللبن ؟ قالوا : لا ؛ فلما راح الحارث بعمر^(٢) قال : يا هذا لا تجمع علينا الحجر^(٣)
وحبس اللبن ؛ فقال : أما اذ قلت هذا فلا يحملها إليك غيرة ، فحملها من ردم^(٤) بني جمع
الى أجباد^(٥) .

وبعث النضر بن الحارث الى صديق له يسكن عبادان^(٦) بنعلين مخصوفتين وكتب
إليه : بعثت إليك بهما وأنا أعلم أن بك عنهما غنى ، ولكنني أحبت أن تعلم أنك
منى على ذكر^(٧) .

١٠

وقال بعض الشعراء :

إِنَّ الْهَدِيَّةَ حُلُوةٌ * كَالسَّحَرِ تَجْتَلِبُ الْقُلُوبَا
تُدْنِي الْبَغِيضَ مِنَ الْهَوَى * حَتَّى تُصِيرَهُ قَرِيْبَا
وَتُعِيدُ مُضْطَظِنَ الْعَدَا * وَهِيَ بَعْدَ نُفُورِهِ حَيِيْبَا

أهدى رجل إلى صديق له عبدا أسود ، فكتب إليه : أما بعد ، فلو علمت
عددا أقل من واحد أو لونا شرا من الأسود لبعثت به إلى . وهذا نظير قول الآخر

(١) زيادة بقية السياق . (٢) في الأصل : «قال» . (٣) في الأصل :

« لا » . (٤) ردم بني جمع : موضع بمكة سمي بذلك لوقعة كانت فيه بين بني جمع بن عمرو

وبن محارب بن مهران فيه كثير من بني جمع . (٥) أجباد : موضع بمكة ، على الصفا ، واختلف

في سبب تسميته بهذا الاسم فقيل : سمي بذلك لأن تبعا لما قدم مكة ربط خيله فيه ، وقيل غير ذلك .

(٦) عبادان (هتج النعلين وتشد الباء) : جزيرة أحاط بها شعبتا دحلة ساكتين في بحر فارس .

وقد سُئِلَ كم لك من الولد؟ قال : خيْتُ قَليلاً ؛ قيل : وكيف؟ فقال : لا أَقل من واحد ولا أَخْبَت من بنت .

أهدى رجلٌ الى بعض الأمراء هديةً ، فكتب اليه الأميرُ : قد قبلتها بالموقع ورددتها بالإبقاء .

وكان ابن عباس يقول : مَنْ أَهْدَيْتَ اليه هديةً وعنده قومٌ فهم شركاؤه فيها ؛ فأهدى اليه صديقٌ ثياباً من ثياب مصر وعنده أقوام فأمر برفعها ، فقال له رجل : أَلَمْ تُخْبِرْنَا أَنَّ مَنْ أَهْدَيْتَ له هديةً وعنده قومٌ فهم شركاؤه فيها ! فقال : إنما ذلك فيما يؤكَلُ ويُشْرَبُ ويُشْمُ ، فأما في ثياب مصر فلا .

وقال خُلفُ الأحمر :

أناي أخٌ من غَيْبَةٍ كان غاباً ؛ وكنتُ اذا ما غاب أنشُدُهُ رَجُماً^(١)
 بقاءً بمعروفٍ كثيرٍ فدَسَّه * كجَدَسٍ راعى السَّوءَ في حِصْنِهِ الوَطْبَا^(٢)
 فقلت له هل جِئْتَنِي بِهَدِيَّةٍ * فقال بنفسى قلتُ أتخفُّ بها الكلبا^(٣)
 هي النفسُ لا أَرِي لها [من] بَلِيَّةٍ * ولا أتمنى أن رأيتُ لها قُرْبَا
 أهدى رجلٌ إلى صديقٍ له وكتبَ إليه : الأُنْسُ سَهْلٌ سَبِيلَ المَلاطِفَةِ ، فأهديتُ
 هديةً من لا يَحْتَشِمُ ، إلى من لا يَغْتَمُ .

وحثُّنا أحمد بن الحليل قال حثُّنا أبو سَلَمَةَ عن حُبَابَةَ بنتِ عَجْلان عن أمِّها
 أم حفص عن صفية بنت جرير عن أم حكيم بنت ودَّاع الخَزَاعِيَةِ قالت : قلت
 للنبي صلى الله عليه وسلم : ما جزاءُ الغنيِّ من الفقير؟ قال : ” النصيحة والدعاء ”

(١) نشده : نزهة ومآل عنه . (٢) التوخب : سقاء اللبن . (٣) تكملة يقتضيا

قلت : يَكْرَهُ رُدُّ اللَّطْفِ ^(١) ؟ قال : « ما أَقْبَحَهُ ، لو أُهْدِيَتْ إِلَى ذِرَاعٍ لَقِيلَتْ ، ولو دُعِيَتْ إِلَى كُرَاعٍ لَأُجِبْتُ ، تَهَادَوْا فَإِنَّهُ يُضَعِفُ ^(٢) الْحُبَّ وَيَذْهَبُ بِغَوَائِلِ الْقُلُوبِ » .

وحدثني محمد بن سلام الجُمَحِيُّ قال حدثني خلاد بن يزيد الباهلي قال :
أُهِدِيَتْ ليزيد بن عمر بن هُبَيْرَةَ في يومِ المِهْرَجَانِ هدايا وهو أمير العراق فصُفَّتْ بين يديه ، فقال خلف بن خليفة وكان حاضرا :

كَأَنَّ شَمَامِيْسَ في بَيْعَةٍ • تَسْبَحُ في بعض عِيْدَاتِهَا
وقد حضرتُ رَسْلُ المِهْرَجَا • نِ وَصَفُّوا كَرِيْمَ هَدِيَّاتِهَا
علوتُ برَأْسِي فوق الرُّؤُوسِ • فَأَشْخَصْتُهُ فوق هَامَاتِهَا ^(٣)
لَأَكْسِبَ صَاحِبَتِي صَحْفَةً • تَغِيْظُ بِهَا بعض جَارَاتِهَا ^(٤)

فامر له بجام من ذهب ، ثم أقبل يفرِّق بين جلسائه تلك الهدايا ، وينشد :

لا تَجْتَئِزْ بِدُنْيَا وهي مقبلة • فليس يَنْقُصُهَا التَّبَذِيرُ والسَّرْفُ
فإن تولتْ فَأَخْرَى أن تجودَ بها • فالخذُ منها إذا ما أدبرتْ خَلْفُ

كتب رجلٌ من أصحاب السلطان الى بعض العمال يستهديه بمهارة ^(٥) من ناحية

عمله . فكتب اليه العامل : أما المِهَارَةُ فإن أهل عملنا يصونونها صيانة الأعراض ،

ويسترونها سَتْرًا حَرَمًا ، ويسومون بها مهور العقائل ، وأنا مستخلص لك منها

ما يكون زينَ المَرْبُوطِ وحملانِ الصديق ^(٦) ، إن شاء الله .

(١) اللطف : اسم من لطفه بكذا إذا برده . (٢) يضعف الحب : يضعفه .

(٣) كذا في الشعر والشعراء . وفي الأصل : « فأشخصتها » والراس مذكور . (٤) كذا في الشعر

والشعراء . وفي الأصل « تفيض » : وهو تحريف . (٥) المهارة : جمع مهر بالضم ، وهو ولد

الفرس . (٦) الحملان : ما يوهب من الدواب كالفرس ونحوه لما يحمل عليه .

وقال بعضهم : الهدية اذا كانت من الصغير الى الكبير، فكلمها لطفً ودقت كان أبهى لها، واذا كانت من الكبير الى الصغير، فكلمها عظمً وجلت كان أوقع لها وأنبج .
وكتب أبو السَّمط :

بدولة جعفر حسن الزمان * لنا بك كل يوم مهرجان
ليوم المهرجان بك آخيل * وإشراق ونور يُستبان
جعلت هديتي لك فيه وثياً * وخير الوشي ما نسج اللسان

أهدى حسام بن مصك الى قتادة نعلًا رقيقة، بفعل قتادة يزنها بيده، وقال :
إنك تعرف تخفف عقل الرجل في مخف هديته .

وقال الشاعر :

سقى مجاجنا نوء الثريا * على ما كان من بخل ومطل
هم جمعوا النعال وأحرزوها * وسئدوا دونها باباً بقفل
فإن أهديت فاكهةً وجدياً * وعشر دجائج بعثوا ينعل
ومسوا كين طولها نراع * وعشر من ردى المقل^(١) حسل
فإن أهديت ذاك ليحملوني * على نعل فلدق الله رجل
أناس تائهون لهم رواء * تقيم سماؤهم من غير ويل
إذا أنتسبوا ففرع من قريش * ولكن الفعال فعال عكل^(٢)

كتب رجل الى صديق له : لولا أن البضاعة قصرت بي عن بلوغ المهمة
لأتعبت المسابحين الى بك . وكرهت أن تطوى صحيفة البر، وليس لي فيها ذكر،

(١) المقل : ثمر الدوم، وحسل : جمع حسل، والحسل : رذال الشيء . (٢) تائهون :

متكبرون، وصف من التيه . (٣) عكل : قبيلة فيهم غارة وقلة فهم، ولذلك يقال لكل من فيه غفلة ويستحق : عكل .

فبعثت إليك بالمتداً بمنه وبركته، والمختوم بطيه ورائحته : جراب ملح، وجراب
أثنان^(١) .

أهدى الطائي إلى الحسن بن وهب قلماً وكتب إليه :

قد بعثنا إليك أكرمك الله * به بشئ فكن له ذاك قبول

لا تقسه إلى ندى كفك الغد * رولا نيلك الكثير الجزيل

وأغفر قلة الهدية مني * إن جهد المقل غير قليل

وبعث أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع بنعل وكتب معها :

نعل بعثت بها لتلبسها * تسعى بها قدم إلى المجد

لو كان يمكن أن أشركها^(٢) * جلدي جعلت شراكها خدي

وقال بعض الشعراء في نحو ذلك :

أو ما رأيت السورد أمحفنا به * إنحاف من خطر الصديق بباله

لو كان يهدي لأمرئ ما لا يرى * يهدي لعظم فراقه وزباله

لرددت تحفته عليه وإن علت * عن ذاك وأستهديت بعض خصاله

وقال المهدي :

تفاحة من عند تفاحة * جاءت فماذا صنعت بالفؤاد

والله ما أدري أبصرتها * يقظان أم أبصرتها في الرقاد

قال : وكتب بعض العمال إلى صديق له : إنني تصفحت أحوال الأتباع الذين

يجب عليهم الهدايا إلى السادة في مثل هذا اليوم والتأسي بهم في الإهداء ، وإن

قصر الحال عن قدرك ، فأيتني إن أهديت نفسي فهي ملك لك لا حظ فيها لغيرك ،

(١) الأثنان : نبات وهو أجناس كثيرة ، وكلها من الحمض ، وتفضل به ثياب وغيرها .

(٢) أشركها : أبجل لها شراكاً ، والشراك : سبر النعل على ظهر القدم .

ورميت بطرفي الى كرائم مالي فوجدتُ أكثرها منك ، فكنت إن أهديتُ شيئاً منه
كالهدي مآلك إليك ومُنْفِقِي نَفَقَتِكَ عَلَيْكَ ؛ وفَرَعْتُ الى هودجتي وشكري فوجدتهما
خالصين لك قديمين غير مستحدثين ، ورأيتُ إن أنا جعلتهما هديتي لم أجدد لهذا
اليوم الجليل برّاً ولا أطفأ . ولم أقصُ منزلةً من شكري بمنزلةٍ من نعمتك إلا كان الشكر
مُقَصِّراً عن الحق ، وكانت النعمة زائدةً على ما تبلغه الطاقة ؛ ولم أسلك سبيلاً ألتبس
بها برّاً أعتد به أو أطفأ أتوصل إليه ، إلا وجدتُ رضاك قد سبقني اليه ، فجعلتُ
الاعتراف بالتقصير عن حَقِّكَ هديةً اليك ؛ وقد قلت في ذلك :

إِنْ أَهَدِ نَفْسِي فَهِيَ مِنْ مِلْكِهِ * أَوْ أَهَدِ مَالِي فَهُوَ مِنْ مَالِهِ

لما قَدِمَ معاويةُ المدينةُ مُنْصَرِفاً من مكة ، بعث إلى الحسن والحسين وعبد الله
ابن جعفر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن صفوان بن أمية بهدايا
من كُسَى وطيبٍ وصِلَاتٍ من المال ، ثم قال لرسله : ليحفظَ كُلُّ رجلٍ منكم ما يرى
ويسمع من الرّد . فلما خرج الرسل من عنده ، قال لمن حضر : إن شئتم أنبأناكم
بما يكون من القوم ؛ قالوا : أخبرنا يا أمير المؤمنين ؛ قال : أما الحسن فلهه يُنِيل
نساءه شيئاً من الطيب ويُهَب ما بقي من حصّره ولا ينتظر غائباً . وأما الحسين
فبيداً بأيتامٍ من قُتِل مع أبيه بِصَبْنٍ ، فإن بقي شيء ، فخر به الجُرُوسَى به الابن .
وأما عبد الله بن جعفر فيقول : يا بَدِيح ^(١) ! اقض به ديني ، فإن بقي شيء ، فأنفذ به
عدائي . وأما عبد الله بن عمر فيبدأ بفقراء عدي بن كعب ، فإن بقي شيء ، آذخره
لنفسه ومان به عياله . وأما عبد الله بن الزبير فيأتيه رسولٌ وهو يسبح فلا ينتفت إلى
ثم يعاوده الرسولُ فيقول ابعض كُفّاته : خذوا من رسول معاوية ما بعث به ، وصله
الله وجزاه خيراً ، لا ينتفت إليها وهي أعظم في عينه من أحدٍ ، ثم ينصرف إلى أهله

(١) بديح : اسم مولد كان لعبد الله بن جعفر .

فيعرضها على عينه ويقول: أرفعوا، لعل أن أعود بها على ابن هند يوما ما .
وأما عبد الله بن صفوان فيقول: قليل من كثير، وما كل رجل من قريش وصل إليه
هكذا، ردوا عليه؛ فإن رد قائلنا . فرجع رسله من عندهم بنحو مما قال معاوية؛
فقال معاوية: أنا ابن هند! أعلم بقريش من قريش .

قال يونس بن عبيد: أتيت ابن سيرين فدعوت الجارية، فسمعتة يقول: .
قولوا له: إني نائم — يريد: سنام —؛ فقلت: معي خبيص؛ فقال: مكانك حتى
أخرج إليك .

قال رجل لأبي الترداء: إن فلانا يقربك السلام؛ فقال: هدية حسنة
وتحمل خفيف .

وبعث رجل إلى جارية يقال لها «راح» براح، وكتب إليها: ١٠
قل لمن يملك الملو * لك وإن كان قد ملك
قد شربناك فأشربني * وبعثنا إليك بك
أهلى رجل إلى عبيد بن الأخطل شاة مهزولة، فكتب إليه عبيد: ٢٠
وهبت لنا يا أخا مقسر * وعجل وأكرمها أولا
عجوزا أضربها دهرها * وأزلها النل دار البلى ١٥

(١) الخبيص: نوع من الحلواء يصنع في الطناحية، وهو أنواع كثيرة ذكرها ووصف كيفية صنعها
صاحب كتاب الأظعمة فراجعها في نسخته المخطوطة المحفوظة بدار الكتب تحت رقم ٥٢ علوم معاشية .
(٢) نسب أبو الفرج هذا الشعر في الأغاني (ج ٢ ص ٢٢٧ طبع دار الكتب) لشارب بن برد، وروى أنه
بعث به إلى قتي من بني منقر أمه مجلية . وكان يعث إلى شارب في كل عام بأضحية من الأضاحي التي كان أهل
البصرة يسمونها سنة وأكثر للأضاحي . فمر ريكلة في بعض السنين أن يجريه على رصمه فأرسل إليه نعيمة
عبدية من نعايج عبد الله بن دارم وهو ناعج مرذول . فأرسل إليه بشار بهذه الأبيات . وقد وردت هذه
القصيدة في الأغاني باختلاف في بعض الأبيات والكلمات عما هنا .

سَلُوحًا حِسْبَتُ بَأَنَّ الرِّعَاءَ * سَقَوْهَا الْفَرِيقُونَ وَالْحَنْظَلَا^(١)
 وَأَجْدَبَ مِنْ ثَوْرٍ زَرَاةٍ * أَصَابَ عَلَى جُوعِهِ سُبُلًا^(٢)
 وَأَزْهَدَ مِنْ جِيْفَةٍ لَمْ تَدَّغْ * لَهَا الشَّحْسُ مِنْ مَفْصِلٍ مَفْصِلًا^(٣)
 فَاهْوَتْ يَمْنَى إِلَى جَنْبِهَا * نَفَلْتُ حَرَاقِفَهَا جَنْدَلًا^(٤)
 وَأَهْوَتْ يَسَارَى لِعُرْقُوبِهَا * نَفَلْتُ عَرَاقِيبَهَا مَفْزَلًا^(٥)
 قَلْتُ أَيْبَعُ فَلَا مَشْرِيًّا * تُؤَدِّي إِلَى وَلَا مَأْكَلًا^(٦)
 أَمْ أَجْعَلُ مِنْ جِلْدِهَا حَنْبَلًا * فَاقْذِرْ بِجَنْبِهَا حَنْبَلًا^(٧)
 إِذَا هِيَ مَرَّتْ عَلَى مَجْلِسٍ * مِنَ الْعُجْبِ كَبَرٍ أَوْ هَلَلًا
 رَأَوْا آيَةً خَلْفَهَا سَائِقٌ * يَحْتِ وَإِنْ هَرَوْتُ هَرَوَلًا
 فَكُنْتُ أَمَرْتُ بِهَا صَحْمَةً * بِشَحْمٍ وَلَحْمٍ قَدْ أَسْتَكَلَا
 وَلَكِنْ رَوْحًا عَدَا طَوْرَهُ * وَمَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنْ يَفْعَلَا
 فَخَضَّ الَّذِي خَانَنِي حَاجَتِي * بِأَسْتِ أَنَّهُ بَطَرَهَا الْأَغْرَلَا^(٨)
 فَلَوْلَا مَكَائِكَ خَضَبُهَا * وَعَلَقْتُ فِي جِيدِهَا جُلُجَلَا
 بِفَاءَتٍ لَكَيْمَا تَرَى حَالَهَا * قَتَعْلَمَ أَنِّي بِهَا مُتَبَلَى
 سَأَلْتُكَ لِمَا لَصِيبَانِنَا * فَقَدْ زِدْتَنِي فِيهِمْ عَيْلَا
 نَفَذُهَا وَأَنْتَ بِهَا مُحْسِنٌ * وَمَا زِلْتَ بِي مُحْسِنًا مُجْمَلَا

(١) سلوح : وصف من السلح ، وهو الطير والبهائم كالنمور للإنسان ، وقد يستعمل للإنسان تجوزاً
 (٢) الفريقون : تريقا للسموم مفتح سهل . (٣) الزراعة : موضع الزرع كاللحاة لموضع الملح .
 (٤) في الأصل : « من مفصل يفصلا » وهو تحريف . (٥) الحراقيف جمع حرقفة وهي رأس
 الورك . (٦) كنا في الأغاني اعتماداً على بعض أصوله المطبوعة . وفي الأصل : « فلا مشترى »
 وهو تحريف . (٧) الحنبل : القور . (٨) الأغزل : الذي لم يجتن .

وبعث رجل إلى دُعيل بأُخِيَّة، فكتب إليه :

بعثت إلى بأُخِيَّة * وكنت حرياً بأن تفعل

ولكنها خرجت غشاً * كأنك أُرعيها حرماً^(١)

فإن قيل الله قُربانها * فسبحان ربك ما أعدلاً

٥ قيل لرجل قديم من مكة : كيف أئمان النعال بمكة؟ قال : أئمان الجداء بالعراق .

وقال مُسلم بن الوليد :

جزى الله من أهدى الترنج تحية^(٢) * ومن بما يهوى عليه وعجلاً

أنتنا هدايا منه أشبهن ريحاً * وأشبه في الحسن الغزال المكحل

ولو أنه أهدى إلى وصاله * لكان إلى قبي الله وأوصلاً

١٠ وكتب رجل إلى صديق له شرب دواء :

تأتق في الهدية كل قوم * إليك غداة شربك للدواء

فلما أن هممت به مدلاً * لموضع حُرمتي بك والإخاء

رأيت كثير ما أهدى قليلاً * لعبك فأقتصرت على الدعاء

وكتب رجل إلى صديق له : وجدت المودة منقطعة ما كانت الحشمة عليها

١٥ متسلطة ، وليس يُزيل سلطان الحشمة إلا المؤانسة ، ولا تقع المؤانسة إلا بالبر والملاطفة .

العبادة

قال حنثا يزيد بن عمرو قال حنثا يزيد بن هارون قال حنثا شريك عن

أبي نُصير عن أنس بن مالك ، قال : عاد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من

٢٠ (١) الحرمل : حب نبات كالسهم يمتنع عن الأكله ، ولا يأكله إلا المعزى ، وقد يداوى به المحموم .

(٢) الجداء : جمع جدى . (٣) الترنج : ثمر شجرتان من جنس الليمون ناعم الورق والخطب .

الأنصار من رمده كان بعينه . ومن حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم :
 ”ثلاثة لا يُعَادُونَ صاحبُ الدَّمَلِ والرمَدِ والضرَس“ .

وحدثني القاسم بن الحسن عن ابن الأصبهاني عن إسماعيل بن عياش عن
 أرطاة بن المنذر : أن أبا الدرداء عاد جاراً له نصرانيا .

قال الشعبي : عيادةُ التَّوَكِّي أشدَّ على المريض من وجعه .

شيبان عن أبي هديّة عن أبي هلال قال : قال بكر بن عبد الله لقوم عادوه
 فاطالوا عنده : المريضُ يُعاد، والصحيحُ يُزار .

عاد قومٌ عليلاً فاطالوا عنده، فقال لهم : إن كان لكم في الدار حقٌّ نخذه
 وأنصرفوا .

عاد رجل رَقَبَةً، فنفى رجالاً آعتلوا مثلَ عِلته، فقال له رَقَبَةٌ : إذا دخلتَ على
 مريضٍ فلا تَمَّعْ إليه الموتى، وإنا نخرجتَ من عندنا فلا تَعُدُّ إلينا .

عاد أعرابيٌّ أعرابياً فقال : بأبي أنت ! بلغني أنك مريضٌ، فضاق واللهِ على
 الأمرِ العريضِ، وأردتُ إتيانَكَ فلم يكن بي نهوضٌ ؛ فلما حملتني رجلاًن، وليستا
 تَحِلَّانِ ؛ أتيتُكَ بِحِرْزَةٍ شَيْخٍ^(١) ما مستها عَرْنَيْنِ قَطْ، فأشبعُها وأذكرُ نَجْدًا، فهو الشفاء
 بإذن الله .

قال كثير :

أَلَا تَلِكِ عَزَّةٌ قَدْ أَقْبَلَتْ * تَقَلُّ لِلْبَيْنِ طَرَفًا غَضِيضًا
 تَقُولُ مَرِيضْتُ وَمَا عُدَّتَا * فَقُلْتُ لَهَا لَا أُطِيقُ النَّهْوضَا
 كَلَانَا مَرِيضَانِ فِي بَلَدَةٍ * وَكَيْفَ يَعُودُ مَرِيضٌ مَرِيضَا

٢٠ (١) الجرزة : الحزمة . (٢) العرنين : الأنف .

وقال آخر^(١):

إذا مَرَضْنَا أَتَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمْ * وَتُتَنَّبُونَ فَنَاتِيكُمْ فَنَعْتَسِرُ

وقال بشار:

لو كانت الفدية مقبولة * لقلتُ بي لا بك حمّاكا

وكتب آخر إلى عليل:

نُبِّئْتُ أَنَّكَ مَقْتُلٌ فَقُلْتُ لَهُم * تَقْسِي الْفِدَاءُ لَهُ مِنْ كُلِّ مَحْذُورٍ

يَالَيْتَ عَلَتْهُ بِي غَيْرَ أَنْتَ لَهُ * أَجْرَ الْعَلِيلِ وَأَنْتَ غَيْرُ مَا جُورٍ

وكتب آخر إلى عليل:

أَقُولُ بِحَقِّ وَاجِبٍ لَكَ لَا زِم * وَإِخْلَاصٍ شَكْرٍ لَا يَفِيهِ الدَّهْرُ

بِي السَّوْءُ وَالْمَكْرُوهُ لَا بَكَ كَلَّمَا * أَرَادَاكَ كَانَا بِي وَكَانَ لَكَ الْأَجْرُ

وقال آخر في مثله:

فَإِنْ تَكُ حُمَى الْغَيْبِ شَفَكَ^(٢) وَرَدُّهَا^(٣) * فَعُقْبَاكَ مِنْهَا أَنْ يَطْوَلَ لَكَ الْعَمْرُ

وَقَيْنَاكَ! لَوْ نُعْطِيَ الْمُنَى فَيْكَ وَالْمَوَى * لَكَانَ بِي الشُّكْوَى وَكَانَ لَكَ الْأَجْرُ

وفي الحديث المرفوع "حَصَّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ، وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ،

وَأَسْتَقْبِلُوا الْبَلَايَا بِالْإِنْفَاءِ". وفي حديث آخر أنه صلى الله عليه وسلم قال يوماً لأصحابه:

"مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ صَائِماً؟" قال عمر: أنا، قال: "فَمَنْ شَبِعَ جَنَازَةً؟" قال عمر: أنا؛

قال: "فَمَنْ عَادَ مَرِيضاً؟" قال عمر: أنا؛ قال: "فَمَنْ فَيَكُمُ تَصَلَّقَ بِصَدَقَةٍ؟" قال

عمر: أنا؛ فقال صلى الله عليه وسلم: "وَجِبْتُ وَجِبْتُ وَجِبْتُ". وفي حديث

(١) هو المومل بن أمييل (نهاية الأرب ج ٣ ص ٩٢ طبعة أول). (٢) حمى الغيب:

التي تنوب المريض يوماً بعد يوم. (٣) الورد من أسماء الحمى وقيل: هو يومها الذي تأخذ فيه صاحبها.

آخر: أنه صلى الله عليه وسلم قال: "إتمام عيادتكم المريض أن يضع أحدكم يده على جبهته أو على رأسه أو يده في يده ويسأله كيف هو، وتتمام تحياتكم المصافحة".

وقال الشاعر:

إن كنت في ترك العيادة تاركًا * حظي فإني في الداء لجاهد
فلربما ترك العيادة مشفق * وأتى على غل الضمير الحاسد

أبو حاتم قال حدثنا العتيبي عن أبيه قال: كان يقال: إذا اشتكى الرجل ثم عوفي ولم يحدث خيراً ولم يكف عن سوء، لقيت الملائكة بعضها بعضاً وقالت: إن فلاناً داوينا فلم ينفعه الدواء.

وقال أبو حاتم حدثنا القحذمي قال: أطلع معاوية^(١) في بئر بالأبواء^(٢) فأصابته لقوة^(٣)، فأعتم بعامة سوداء وسد لها على الشق الذي أصيب فيه، ثم أذن للناس فقال: أيها الناس، إن ابن آدم معرض بلاء: إما معاتب يُعْتَب، وإما مُعاقب بذنب، أو مبتلى ليؤجر، فإن عُوِّبْتُ فقد عُوِّب الصالحون قبلي، وإني لأرجو أن أكون منهم؛ وإن عُوِّبْتُ فقد عُوِّب الخطأءون قبلي، وما آمن أن أكون منهم؛ وإن مَرِضَ عضو مني فما أُحْصِيَ صحيحي ولمّا عُوِّفْتُ أكثر، ولو أن أمري إلى ما كان لي على ربي أكثر مما أعطاني. وإني وإن كنت عاتباً على خاص منكم فإني حبيب على جماعتكم، أحبّ صلاحكم. وقد أُصِبتُ بما ترون، فرحم الله أمراً دعا لي بعافية! فرفعوا أصواتهم بالبكاء والدعاء.

(١) أطلع: أشرف. (٢) الأبواء: قرية من أعمال القرع من المدينة بينها وبين الجلفة ما

يل المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً، وقيل: الأبواء: جبل عن يمين آرة ويمين الطريق للصعد إلى مكة.

(٣) القوة (بالفتح): داء يصيب الوجه يسوج منه الخدق إلى أحد جانبي العنق.

مَرِيضٌ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ مَرَضَةً، فَأَتَاهُ أَصْحَابُهُ وَأَبْطَأَ عِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَقَالَ:
مَا يُبْطِئُ بِكَ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَتَاهِرَكَ؛ قَالَ: أَنْتَ مُعَافٍ وَأَنَا مَبْتَلَى، فَالْعَافِيَةُ
لَا تَدْعُكَ تَسْهَرُ وَالْمَرِيضُ لَا يَدْعُنِي أَنَامُ، فَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَسُوقَ إِلَى أَهْلِ الْعَافِيَةِ الشُّكْرَ،
وَالِى أَهْلِ الْبَلَاءِ الصَّبْرَ وَالْأَجْرَ.

٥ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: اشْتَكَى رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ، بِفَعْلٍ
النَّاسُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ وَكَيْفَ كُنْتَ؟ فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ
قَالَ: كَمَا قُلْتُ لَصَاحِبِكَ.

١٠ قَالَ: وَقَعَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ قَوَيْتُ رِجْلَاهُ، بِفَعْلٍ النَّاسُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ
وَيَسْأَلُونَهُ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ وَأُضْجِرَ كَتَبَ قِصَّتَهُ فِي رُقْعَةٍ، فَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ [عَائِدٌ]^(٢)
وَسَالَهُ دَفَعَ إِلَيْهِ الرُّقْعَةَ.

١٥ الْحَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ مَجْهُودًا لَا يَقْصِدُ فِي شَيْءٍ
إِلَّا أَنْصَرَفَ عَنْهُ، فَغَابَ مَرَّةً فَاطَّالَ، فَلَمَّا قَدِمَ أَتَاهُ النَّاسُ بِفَعْلٍ يَسْأَلُونَهُ عَنْ
حَالِهِ وَمَا كَانَ فِيهِ، وَكَانَ فِيهِ بَرٌّ، فَأَخَذَ رُقْعَةً فَكَتَبَ فِيهَا:

وَمَا زِلْتُ أَقْطَعُ عَرْضَ الْفَلَاةِ * مِنَ الْمَشْرِقَيْنِ إِلَى الْمَغْرِبَيْنِ

١٥ وَأَطْوَى الْفَيَافِي أَرْضًا فَارِضًا * وَأَسْمَطَرُ الْجَدَى وَالْفَرْقَدَيْنِ

وَأَطْوَى وَأَنْشُرُ ثَوْبَ الْمَمُومِ * إِلَى أَنْ رَجَعْتُ بِجُفَى حَنِينِ

(١) وثبتت رجله أريده: أماها ومن لا يبلغ أن يكون كسرا. (٢) زيادة يقتضها السياق.

(٣) المجهود: هو الذى نكد عينه. وفى الأصل «مجدود» بالذال، والمجدود: المحظوظ،
والباق ياباه.

فقيراً وقيراً^(١) أخا عُسرة * بعيداً من الخير صفر اليدين
كثيب الصديق يبيع العدو * طويل الشقا زاني الوالدين

وطرحها في مجلسه، فكل من سأله عن حاله دفع إليه الرقعة .

قال حنثا عبد الرحمن عن عمه أن نبطياً وقع من موضع عال، فدخلوا يسألونه :
كيف وقعت ؟ فلما أكثروا عليه أخذ جرة وألقاها من يده وقال : حكنا وقعت .
أبو الخطاب قال : كان عندنا رجلٌ أُحْدَبُ فسقط في بئر فذهبت حَدَبَتُهُ
فصار آدر^(٢) ، فدخلوا يسألونه ويهتئون به ذهاب حَدَبَتِهِ ، فجعل يقول : الذي جاء
شر من الذي ذهب .

الملائني قال : سقط ابن شبرمة القاضي عن دابته فوثقت رجله ، فدخل يحيى
ابن نوفل الحميري عليه فقال :

أقول غداة أتاني الخير * فدرس أحاديثه الهينة^(٣)
لك الويل من غيرة ما تقول ؟ * أين لي وعد عن الجمجمة^(٤)
فقال خرجت وقاضي القضا * مشقة رجله مؤلمة
فقلت وضاعت على البلاد * وخفت المجللة المعظمة
فغزوان حر وأم الوليد * إن الله عافى أبا شبرمة
جزاء لمعرفه عندنا ، * وما عتق عبده أو أمه ؟

قال : وفي المجلس جار ليحيى بن نوفل يعرف مترله ، فلما خرج تبعه وقال :
يا أبا معمر، من غزوان وأم الوليد ؟ فضحك وقال : أو ما تعرفهما ؟ هما سنوران
في البيت .

٢٠ (١) الوعر: القليل المهان . (٢) الآدر: المصاب بانفخاخ في إحدى خصتيه .
(٣) الهينة : الصوت الخفي . (٤) الجمجمة : عدم الإبانة في الكلام .

قال حدثنا الرياشي عن أبي زيد قال دخلنا على أبي الدقيش وهو شاك ،
فقلنا له : كيف تجدك ؟ قال : أجدني أجده ما لا أشتي وأشتي ما لا أجده ،
ولقد أصبحت في شر زمان وشر أناس : من جاد لم يجده ومن وجد لم يجده .

قيل : لعمر بن العاص وقد مريض مرة : كيف تجدك ؟ قال أجدني أذوب
ولا أثوب ، وأجدنجوي^(١) أكثر من رزئي ، فما بقاء الشيخ على هذا ! .

سئل عليل عن حاله فقال : أنا مبل غير مستقل ، ومماثل غير متحامل .

وقيل لآخر : كيف تجدك ؟ قال أجدني لم أرض حياتي لموتى .

وقيل لرجل من العجم : ما حالك ؟ قال : ما حال من يريد سفرًا طويلاً
بلا زاد ! ويتزل منزلاً موحشاً بلا أنيس ! ويقدم على جبار قد قدم العذراء بلا حجة ! .

قيل لعكرمة : كيف حالك ؟ قال : بشر ، أصبحت أجرب مبسورا^(٢) .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : قيل لشيخ من العباد : كيف أنت ، وكيف
أحوالك ؟ فقال : ماكلها كما أشتي .

قيل لآخر : ما تشكى ؟ قال : تمام العدة وأنقضاء المدة .

وبلغني عن معاوية بن قرة قال : مريض أبو الدرداء ، فعاده صديق له فقال :

أى شيء تشكى ؟ قال : ذنوبي ؛ قال : فأى شيء تشكى ؟ قال : الجنة ؛ قال : ١٥

فندعوك بالطبيب ؟ قال : هو أمرضني .

سئل رجل عن حاله فقال :

كنا اذا نحن أردنا لم نجد * حتى اذا نحن وجدنا لم نرد

(١) النجو : ما يخرج من البطن من ريح أو غائط ، والزه : ما يتأله الانسان من الطعام .

(٢) مبسورا : به داء البواسير .

أَرْجَفَ النَّاسُ بَعْلَةَ مَعَاوِيَةَ وَضَعِفَهُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ مَصْقَلَةُ بْنُ هُبَيْرَةَ ، فَأَخَذَ مَعَاوِيَةَ
بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ يَا مَصْقَلُ :

أَبْقِ الْحَوَادِثُ مِنْ خَلِيئِكَ مِثْلَ جَنْدَلَةِ الْمَرَايِمِ
قَدْ رَامَنِي الْأَقْوَامُ قَبْلَكَ فَأَمْتَعْتُ مِنَ الْمَظَالِمِ

فَقَالَ مَصْقَلَةُ : أَمَّا قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : « أَبْقِ الْحَوَادِثُ مِنْ خَلِيئِكَ » ، فَقَدْ أَبْقَى اللَّهُ
مَنْكَ جَبَلًا رَاسِيًا وَكَلَّأَ مَرْعِيًّا لَصْدِيقِكَ وَسَمًّا نَاقِعًا لَعْدُوكَ . وَأَمَّا قَوْلُكَ : « قَدْ رَامَنِي
الْأَقْوَامُ قَبْلَكَ » ، فَمِنْ ذَا يَرُومُكَ أَوْ يَظْلِمُكَ ! فَقَدْ كَانَ النَّاسُ مُشْرِكِينَ فَكَانَ أَبُو سَفْيَانَ
سَيِّدَهُمْ ، وَأَصْبَحَ النَّاسُ مُسْلِمِينَ وَأَصْبَحَتْ أُمِيرَهُمْ ؛ فَأَعْطَاهُ مَعَاوِيَةُ نَفْرَجًا ؛ فَسُئِلَ عَنْهُ
فَقَالَ : وَاللَّهِ لَغَمَزَنِي غَمَزَةٌ كَادَ يَكْسِرُ مِنْهَا يَدِي وَأَنْتُمْ تَرْعُمُونَهُ مَرِيضًا .

وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ : دَخَلَ كَثِيرٌ عَزْرَةَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
لَوْلَا أَنْتَ سُرُورُكَ لَا يَتِمُّ بَأَن تَسْلَمَ وَأَسْقَمَ لِدَعْوَتِ اللَّهِ أَنْ يَصْرِفَ مَا بَكَ إِلَيَّ ،
وَلَكِنْ أَسْأَلُ اللَّهَ لَكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ الْعَافِيَةَ وَلِي فِي كَفِّكَ النِّعْمَةَ ؛ فَضَحِكَ وَأَمْرًا لَهُ
بِمَالٍ ؛ فَقَالَ :

وَنَعُودُ سَيِّدَنَا وَسَيِّدَ غَيْرِنَا * أَيْتَ التَّشَكَّى كَانَ بِالْعَوَادِ
لَوْ كَانَ يُقْبَلُ فِدْيَةٌ لِفَدْيَتِهِ * بِالْمُصْطَفَى مِنْ طَارِفِي وَتِلَادِي

وَقَالَ آخَرُ :

لَا تَشْكُونُ دَهْرًا صَحَّحَتْ بِهِ * إِنَّ الْغِنَى فِي صِحَّةِ الْجَسْمِ
هَبْكَ الْخَلِيفَةَ ، كُنْتَ مُتَفَعًّا * بِلَذَاذَةِ الدُّنْيَا مَعَ السُّقْمِ ؟

اعتل المسور بجاءه ابن عباس يعوده نصف النهار؛ فقال المسور: يا أبا عباس هلا^(١)
ساعة غير هذه ! قال ابن عباس : إن أحب الساعات إلي أن أؤدى فيها الحق
أشقها علي .

وكتب رجل إلى صديق له : كيف أنت ؟ بنفسى أنت ! وكيف كنت ؟ لازلت !
وكيف قوتك ونشاطك ؟ لا عديتهما ولا عدينا هما منك ، وأعادك الله إلى أحسن
ما عودك ! لولا عوائق يوجب العذر بها تفضلك لم أدع تعرف خبرك بالعين ، فإنها
أشفي للقلب وأتق للقليل وأشد تسكيناً للاعج الشوق .

وقرأت فصلاً في كتاب : لئن تخلفت عن عبادتك بالعدر الواضح من العلة لما أغفل
قلي ذكرك ولا لسانى فحسا عن خبرك في مُسَاك ومُصْبَحك وتقل الحال بك
تبعث من تقسم جوارحه وصبك وزاد في ألمها أملك ومن تتصل بك أحواله
في السراء والضراء . ولما بلغتني إفاقتك كتبت مهتاً بالعافية غبراً بالعدر ، معفياً
من الجواب إلا بنجر السلامة إرسالا .

وقال عبد بن الحساس :

تَجَمَّعْنَ مِنْ شَيْءٍ ثَلَاثٌ وَأَرْبَعٌ * وَرَاحِلَةٌ حَتَّى بَلَغَتْ ثَمَانِيَا
سُلَيْمَى وَسَلَمَى وَالرَّابُّ وَزَيْنَبُ * وَهَنْدٌ وَدَعْدٌ وَالْمُنَى وَقَطَامِيَا
وَأَقْبَلْنَ مِنْ بَعْضِ الْخِيَامِ بَعْدَتِي * أَلَّا إِنَّ بَعْضَ الْعَائِدَاتِ دَوَائِيَا

(١) أبو العباس : كنية عبد الله ابن عباس . (٢) كذا ورد هذا المصطلح بالأصل ، ولم يوثق
إليه في مصدر آخر سوى نقد الفريد (ج ٢ ص ٢٤١) وورد فيه هكذا : « لئن تخلفت عن عبادتك
بالعدر الواضح من العلة لما أغفل قلبي ذكرك ولا لسانى فحسا عن خبرك يجب أن تقسم جوارحه وصبك
وإن زاد في ألمها أملك رن تتصل به أحوالك في السراء والضراء . ولما بلغتني إفاقتك كتبت مهتاً بالعافية
معفياً من الجواب إلا بنجر السلامة إن شاء الله » . وظاهر أن رواية العقد أرفق من رواية الأصل غير أن
فيها كلمة « يجب » نافية . ولعل أصل العبارة : وكيف بمن يجب الخ أو نحو ذلك .

وقال عبد الله بن مُصعب الزُّبيري :
 ٥

ما لي مَرِضْتُ فلم يَعُدَّنِي عَائِدٌ * منكم ويمرّضُ كلِّكم فاعودُ
 فُسِّمِي «عائِدَ الكلب» ، ولئله الآن يسمون «بني عائِد الكلب» .

التعازي وما يتمثلُ به فيها

حدثني محمد بن داود عن غسان بن الفضل قال قال عبد الوهاب الثقفي : أتاني
 ابن جريح بمكة يعزِّي عن بعض أهل ، فقال : إنه من لم يسأل أهله إيماناً واحتساباً
 سلا كما تسألوا البهائم .

كتب إبراهيم بن يحيى الأسلمي إلى المهدي يعزّيه عن أبيه : أما بعد ،
 فإن أحقَّ من عرف حقَّ الله فيما أخذ منه من عظم حقَّ الله عليه فيما أتى له .
 ١٥ وأعلم أن الماضي قبلك هو الباقي بعدك ، وأن أجزال الصابرين فيما يُصابون به
 أعظم عليهم من النعمة فيما يُعاقون منه .

ونحوه قول سهل بن هارون : التهتة على أجل الثواب ، أولى من التعزية على
 عاجل المصيبة .

وقال بعض الشعراء :

كَمْ مِنْ يَدٍ لَا يُسْتَقَلُّ بِشُكْرِهَا * لِّلَّهِ فِي ظِلِّ الْمَكَارِهِ كَامِنَةٌ
 ١٥ وسقطت مقاديرُ فم معاوية فشقَّ ذلك عليه ، فقال له يزيد بن مَعمر السَّلمي :
 والله يا أمير المؤمنين ، ما بلغ أحدٌ سنك إلا أبغض بعضه بعضاً ، ففوك أهون علينا
 من سمك وبصرك .

وقال صالح المريُّ لرجلٍ يعزّيه : إن لم تكن مصيبتك أحدثت في نفسك موعظةً
فمصيبتك بنفسك أعظم . ونحوه : شرُّ من المرزبةِ سوءُ الخلف عنها . ومثله
قول الشاعر :

إن يكن ما به أُصِبتَ جليلاً * فلَقَقْتُ العزاء فيه أجلُّ

عزّى شبيبُ بن شَيْبَةَ المَهْدِيُّ ^(١) عن بانوقة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما عند الله
خير لها مما عندك ، وثوابُ الله خيرُ لك منها .

عزّى رجلٌ عبدَ الله بن طاهر عن آفته فقال : أيها الأمير ، مم تجزع ؟
* الموتُ أكرمُ نزالٍ على الحرِّم * .

وقال جرير :

وأهونُ مفقودٍ إذا الموتُ ناله * على المرءِ مِنْ أصحابِهِ من تَقَنَّأَ

وقال آخر :

ولم أرَ نعمةً شملتُ كريماً * كنعمة عورةٍ سُتِرَتْ بقبرٍ

وعزّى رجلٌ رجلاً فقال : لا أراك الله بعد هذه المصيبة ما يُنْسِيكَهَا .

وقال رجلٌ لعمر بن عبد العزيز :

تَعَزَّى أميرَ المؤمنين فإنه * لِمَا قد ترى يُغْدَى الصغِيرُ ويُولَدُ

هَلْ أَبْنُكَ إِلَّا مِنْ سُلَالَةِ آدَمِ * لِكُلِّ عَلَى حَوْضِ الْمَنِيَةِ مَوْرِدُ

عزّى أبو بكرٍ عمرَ رضى الله عنهما عن طفلٍ أُصِيبَ به ، فقال : عَوَضَكَ اللهُ
منه ما عَوَضَهُ مِنْكَ .

وقال محمودُ الوَزَّاقُ :

يُمَثِّلُ ذُو اللَّبِّ فِي نَفْسِهِ * مَصَابِيَهُ قَبْلَ أَنْ تَتَزَلَّ

(١) بانوقة : بنت كانت للمهدي .

فإن زلت بفتنة لم ترعه * لما كان في نفسه مثلاً
 رأى الهم يفيض إلى آخر * فصير آخره أولاً
 وذو الجهل يأمن أيامه * وينسى مصارع من قد خلا
 فإن بدته صروف الزمان * ببعض مصائبه أعولاً
 ولو قدم الحزم في أمره * لعلمه الصبر عند البلا

عزى موسى بن المهدي سليمان بن أبي جعفر عن ابن له، فقال : أيسرك وهو
 بليّة وفتنة، ويحزنك وهو صلاة ورحمة ! .

وعزى رجل موسى بن المهدي عن ابن له فقال : كان لك من زينة الحياة
 الدنيا، وهو اليوم من الباقيات الصالحات .

١٠ توفي مهيل بن عبد العزيز بن مروان ، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز بعض
 عماله وأظن في كتابه ؛ فكتب إليه عمر :

حسي حياة الله من كل ميت * وحسي بقاء الله من كل هالك^(١)
 إذا ما لقيت الله عني راضياً * فإن شفاء النفس فيما هنالك^(٢)

١٥ كتب ابن السماك إلى الرشيد يعزيه بآب له : أما بعد ، فإن استطعت أن يكون
 شكرك لله حين قبضه أكثر من شكره له حين وهبه ، فإنه حين قبضه أحرز لك
 هبته ، ولو سلم لم تسلم من فتنه ؛ أرايت حزنك على زهابه وتلفك لفراقه ! أراضيت
 الدار لنفسك فرضاها لأبنك ! أما هو فقد خلص من الكدر ، وبقيت أنت معلقاً
 بالخطر . وأعلم أن المصيبة مصيبتان إن جزعْتَ ، وإنما هي واحدة إن صبرت ،
 فلا تجمع الأمرين على نفسك .

٢٠ (١) دخله الحرم وهو حذف فاء فعول . (٢) كذا في الأصل ولعله « يعزيه عن ابن له » .
 (٣) حذف هنا الجواب وهو مفهوم من سياق الكلام .

كتب عبد الله بن طاهر إلى أبي دُلف : المصائب حالة لا بد منها ، فمنها ما يكون رحمة من الله ولطفًا بعبدِهِ ، وآيةٌ ذلك أن يوقَّفه للصبر ويُلهِمَهُ الرضا وَيُسِّطَ أمله فيما عنده من الثواب الآجل والخلف العاجل ، ومنها ما يكون سُخطًا وانتقامًا ، أوله حُزنٌ وأوسطه قُنوطٌ وآخره ندامة ، وهي المصيبة حقًا الجامعةُ لخسران الدنيا والآخرة . ولم تزل عادةُ الله عندك الإخلاف والإللاف . وإن يكُ ما نالك الآن أعظم مما أتى عليك في مواضي الأيام ، فالأجر المأمول على قدر ذلك .

وكتب أبو دُلف إليه : إن تكن المصيبة جلَّتْ ، فإن فيما أكرمني الله به من جميل رأيي الأمير وما وُضِعَ للناس من فضل عنايةه وأبتدأته إياي بكتبه ، ما عجل العوض من المفقود .

وفي كتاب آخر : لئن كانت المصيبة جلَّتْ ، إن فيما أبقي الله ببقاء الأمير عوضًا وإفيا وخلفًا كافيا . وحقيقٌ بمن عظمت النعمة عليه فيما أبقي الله أن يحسن عزاءه عما أخذ منه . وأحقُّ ما صير عليه ما لا يُستطاع دفعه .

وقرأت في كتاب لبعض الكتاب في تعزية : أسأل الله أن يسد بك ما ثلمت الأيام من مكانه ، ويعمر ما أخلت من مشاهده وأوطانه حتى لا يعقوا البائر ، وأن يستقبل لكم أيامكم بأحسن ما أمضاها لمن مضى منكم ، فيجعلكم الخلف الذي لا وحشة معه ولا وحشة عليه ، ويتولاكم ويتولانا فيكم بما هو أهله ووليُّه .

وقرأت في كتاب تعزية : لا لومَ على دمعٍ لا تملك أن تسفحها ، ولا على ألم في القلب لا يدفع أن يظهر فيك ، ولا عذر في سواهما مما أحبط أجرك وأشمت عدوك وضعف رأيك ، ولم يرجع إليك فائتًا ولا إلى شقيقك بمكانه روحًا ولا إلى من خلف

(١) في الأصل : « ... وما وُضِعَ للناس فإن فضل عنايةه وأبتدأته إياي ... » .

حفظاً . وأعلم أن فرق ما بين ذى العقل وذى الجهل في مصيبتيهما تعجل العاقل من الصبر ما يتأجل الجاهل .

وقرأت في كتاب تعزية : لو كانت التواب مدفوعة عن أحد بكثرة من يقيه ذلك من إخوانه ويقديه منه بالأخص من أعزته والأقرب من ماله ، سلمت من ألمها ، وكان سبقي الى ذلك أبرز سبق ، وحظي بالتقدم فيه أوفر حظ .

وقرأت في كتاب : مصيبتك لي مصيبة ، وما نالك من ألمها لي موجد . ولو كان في الوسع أن أعلم كنه ما خامر قلبك من ألمها لملت مثله على نفسي ، فإني أحب أن أكون أسوتك في كل سار وظام ، وألا أتمتع بأيام غمومك ، ولا أقصر فيها عن مقدار حالك .

وقرأت في كتاب : نسأل الله حسن الاستعداد لما نتوكله^(١) ونتوقع حلوله ، وألا يشغلنا بما يقل الانتفاع به وتعمم التبعة فيه عما نحتاج اليه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ، وأن يجعل ما وهب لنا من الصبر والعزاء إيماناً وإيقاناً ، ولا يجعله دُؤلاً ونسياناً .
قال أسماء بن خارجة إذا قدمت المصيبة تركت التعزية ، وإذا قدم الإخاء قبح الثناء .

قيل لأعرابية مات ابنها : ما أحسن عزاءك ! فقالت : إن قفدي إياه أمتني من المصيبة بعده . ونحوه قول الشاعر^(٢) :

وكنْتُ عليه أحذر الموت وحده * فلم يسبق لي شيء عليه أحذر

(١) نتوكله : نتوقعه . (٢) هو أبو نواس الحسن بن هاني ، وهذا البيت من أبيات قالها في عهد الأمين ، وقيل هذا البيت :

طوى الموت ما بيني وبين محمد * وليس لما طوى الميتة ناصر

ومثله :

وقد كنتُ أَسْتَغْفِرُ الإلهَ إِذَا اشْتَكَيْتُ * مِنَ الأَجْرِ لِي فِيهِ وَإِنْ سُرَّنِي الأَجْرُ

وقال أبو العتاهية :

وَمَا تَبَسَّلِي وَجْوهُ فِي النَّزَى * فَكُنَّا يَسْلَى عَلَيْنَا الحَزَنُ

وفي الحديث : "مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ"^(١).

ويقال : المصيبة المَوْجِعَةُ تُدْرِكُ ذِكْرَ اللهِ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ .

قال الأصمعي : مررتُ بأعرابيةٍ وبين يديها فتىٌ في السَّيَاقِ^(٢)، ثم رجعتُ ورأيتُ

في يدها قَدَحَ سَوِيْقٍ تشربه ، فقلتُ لها : ما فعل الشاب ؟ فقالت : واريته ؛

فقلت : فما هذا السَّوِيْقُ ؟ فقالت :

١٠ على كُلِّ حَالٍ يَا كُلَّ القَوْمِ زَادَهُمْ * على البؤسِ والبَلَوِ وفي الحَدَثَانِ

قيل لأعرابي : كيف حزُّكَ اليومَ على ولدك ؟ فقال : ما ترك حبُّ الغداءِ

والعشاءِ حرَّتَا .

وقال عمر بن عبد العزيز : إِنَّمَا الجَزَعُ قَبْلَ المَصِيبَةِ ، فَإِذَا وَقَعَتْ فَاللهُ عَمَّا أَصَابَكَ .

اشتكى بعضُ أهلِ محمد بن علي بن الحسين جَزَعاً عليه ، ثم أُخْبِرَ بموته فُسِّرِيَ

١٥ عنه ؛ فقليلُ له في ذلك ، فقال : نَدَعُو اللهَ فِيمَا نَحِبُّ ، فَإِذَا وَقَعَ مَا نَكْرَهُ لَمْ نَخَالِفِ اللهَ

فِيمَا أَحَبَّ .

لَمَّا مَاتَ عُتْبَةُ بْنُ مَسْعُودٍ قَالَ عَبْدُ اللهِ : إِذَا مَا قَضَى اللهُ فِيهِ مَا قَضَى فَمَا أَحَبُّ

أَنْتَى دَعْوَتُهُ فَأَجَابَنِي .

(١) يصب منه : ينظفه بالمصابغ ليشبه عليها . (٢) السباق : تزع الروح كأن روحه تساق

لتخرج من بدنه .

قال رجل من طي^(١) :

فلولا الأُمى ما عِثْتُ في الناس ساعة * ولكن إذا ما شئتُ أسعدني مثلي

وقال آخر :

إذا أنت لم تَسُلْ أصطباراً وحِسبة * سلوت على الأيام مثل البهائم

عزى محمد بن الوليد بن عتبة الوليد بن عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين، ليشغلك

ما أقبل من الموت اليك، عمن هو في شغل^(٢) مما دخل عليك، وأعددت لزوجك عدة تكون

لك حجاباً من الجزع ويستر من النار . فقال يا محمد، أرجو ألا تكون رأيت غفلة

تنبه عليها ولا جزعاً يستتر منه، وما توفيق إلا بالله . فقال محمد : يا أمير المؤمنين،

إنه لو استغنى أحد عن موعظة بفضل لكنته، ولكن الله يقول : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ

الذِّكْرَى تَفْعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

وقال الطائي :

ويفرح بالشيء المعاري بقاؤه * ويحزن لما صار وهو له ذخيرة

عليك بثوب الصبر إذ فيه ملبس * فإن أبك المحمود بعد أبك النبير

وقال أيضا :

أمالك إن الحزن أحلام نائم * ومهما يدم فالوجد ليس نائم

تأمل رؤيتنا هل تعدن سالماً * إلى آدم أم هل تعدن ابن سالم

وقال آخر :

إصبر لكل مصيبة وتجلد * وأعلم بأن الدهر غير مخلد

(١) الأُمى : جمع أسود (بالضم وبكسر) وهي ما يتعزى به الخزين . (٢) كذا في الأصل

أَوْ مَا تَرَى أَنَّ الْحَوَادِثَ جَمَّةٌ * وَتَرَى الْمَنِيَّةَ لِلْعِبَادِ بِمَرَصِدٍ
وَإِذَا أَثْنُكَ مُصِيبَةً تُشْجِي بِهَا * فَأَذْكَرُ مُصَابِكَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
عَزَّى رَجُلَ الرَّشِيدِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَانَ لَكَ الْإِجْرُ لَا بِكَ ، وَكَانَ الْعَزَاءُ
مِنْكَ لَا عَنْكَ .

يَعَزِّي أَهْلَ نَجْرَانَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِهَذَا الْكَلَامِ : لَا يُحْزِنُكُمْ اللَّهُ وَلَا يَفْتِنُكُمْ ، أَنَابَكُمْ
اللَّهُ ثَوَابَ الْمُتَّقِينَ وَأَوْجِبَ لَكُمْ الصَّلَاةَ وَالرَّحْمَةَ .
عَزَّى بَعْضُ الزُّبَيْرِيِّينَ رَجُلًا فَقَالَ : لَا يَصْفُرُ رَبُّكَ ، وَلَا يُوحِشُ يَتِّكَ ،
وَلَا يَضَعُ أَجْرُكَ ، رَحِمَ اللَّهُ مَتَوَفَّاكَ ، وَأَحْسَنَ الْخِلَافَةَ عَلَيْكَ .
قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

أَسْكَنَّ بَطْنَ الْأَرْضِ لَوْ يُقْبَلُ الْفِدَى * فَدَيْنَا وَأَعْطَيْنَا بِكُمْ مَا كُنَّ الظُّهْرُ
فِيَالَيْتَ مَنْ فِيهَا عَلَيْهَا وَلَيْتَ مَنْ * عَلَيْهَا ثَوَى فِيهَا مَقِيًّا إِلَى الْحَشْرِ
وَقَاسَمْنِي دَهْرِي نَبِيَّ بَشَطْرِهِ * فَلَمَّا تَوَفَّى شَطْرَهُ مَا لِي فِي شَطْرِي
فَصَارُوا دِيُونًا لِلنَّسَايَا وَمَنْ يَكُنْ * عَلَيْهِ لَهَا دَيْنٌ قَضَاءٌ عَلَى عُسْرِ
كَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفِ الْمَوْتَ غَيْرَهُمْ * فَشَكَّلُوا عَلَى نُكُلِي وَقَبْرًا عَلَى قَبْرِ
وَقَدْ كُنْتُ حَيًّا أَلْخُوفِ قَبْلَ وَفَاتِهِمْ * فَلَمَّا تَوَفَّوْا مَا تَخُوفِي مِنَ الدَّهْرِ
فَلِلَّهِ مَا أَعْطَى وَلِلَّهِ مَا جَزَى * وَلَيْسَ لِأَيَّامِ الرِّزْيَةِ كَالصَّبْرِ
فَحَسْبُكَ مِنْهُمْ مُوَحِّشًا قَدْ رَهِمَ * وَحَسْبُكَ مِنْهُمْ مُسْلِيًّا طَلَبُ الْأَجْرِ

عَزَّى شَيْبُ بْنُ شَيْبَةَ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ : أَعْطَاكَ اللَّهُ عَلَى مُصِيبَتِكَ أَفْضَلَ
مَا أَعْطَى أَحَدًا مِنْ أَهْلِ مِلَّتِكَ .

وقال العُتيّ :

ما طالج الحزن والحرارة في ألد * أحشاء من لم يمت له ولد
يُغتُ بآبئ ليس بينهما * إلا ليالٍ ليست لها عِدَّة
وكلُّ حزن يئلى على قدم الدهر وحزني يُجده الأبد

وقال أيضا :

ألا يزجر الدهر عنا المنونا * يبقى النبات ويَفنى البينا
وأنهى على بلا رحمة * فلم يبق لي في جفوني جفونا
وكنْتُ أبا سبعة كالبدور * أفق بهم أعين الحاسدين
فمروا على حادثات الزمان * كثر الدراهم بالناقلين
فأفنتهم واحداً واحداً * إلى أن أبادتهم أجمعينا
وألقيت ذاك إلى ضارج^(١) * وألقيت هذا إلى دافنين
وما زال ذلك ذأب الزما * ن يَفنى الأوائل فالأولين
وحتى بكى لي حسادهم * فقد أفرحوا بالدموع الجفونا
وحسبك من حادث بأمري * ترى حاسديه له راحينا
وكانوا على ظهرها أنجماً * فأضحوا إلى بطنها يُنقلونا
فمن كان يُسليه مرَّ السنين * فحزني يجده لي السنونا
ومما يسكن وجدي بهم * بأن المنون ستلقى المنونا

كان أبو بكر رضى الله عنه إذا عزى رجلا قال : ليس مع العزاء مصيبة ولا مع
الجزع فائدة؛ الموت أهون مما قبله وأشدُّ مما بعده؛ اذكروا فقد رسول الله صلى الله
عليه وسلم تصفّر مصيبتكم؛ وعظم الله أجركم .

(١) الضارج : وصف من ضرح لبت إذا حفر له .

وكان على رضى الله عنه إذا عزى رجلا يقول : إن تجزع فأهل ذلك الرحم،
وإن تصير ففى الله عوض من كل فائت؛ وصلى الله على محمد، وعظم الله أجرهم .

وقال أعرابي :

أَيْغسل رأسي أو تطيب مشاري * ووجهك مغفور وأنت سلب
• نسيك من أمسى يناجيك طرفه * وليس لمن وارى السراب نسيب
وإني لأستحي أنى وهو ميت * كما كنت أستحيه وهو قريب

وقال أعرابي :

وما نحن إلا مثلهم غير أننا * أقمنا قليلا يعلمهم وتقدموا

وقال آخر :

وقد كنت أستغنى الإله إذا اشتكى * من الأجر لي فيه وإن سرتني الأجر
• وأجزع أن يتأى به بين ليلة * فكيف بين صار ميماده الحشر

وقال آخر :

وإننا وإخواننا لنا قد تابعوا * لكالمغتدى والرائح المتجر

وقال سليمان الأعجمي :

• رب مغروس يعاش به * عديمته كف مغترية
وكذلك الدهر ماتمه * أقرب الأشياء من عرسه

وتغل معاوية بن أبي سفيان يوما فقال :

إذا سار من خلف أمري وأمامه * وأوحش من جيرانه فهو سائر

وقال آخر :

وإنا قيل مات يوماً فلان * راعنا ذاك ساعة ما يُحِيرُ
نذكر الموت عند ذاك وننسا * إنا غيبتُه عنا القبورُ

وقال آخر :

نُزاع من الجنائز قابلتنا * ونلهو حين تَنقُى ذاهبات
كَروعة ثَلَّةٍ لِمُغَارِ سِج * فلما غاب ظَلَّت راتعات

وقال أبو نواس :

سبقونا إلى الرحى * لي وإنا لبالأثر

وكتب رجل إلى بعض الأمراء في تعزية : الأمير أذكركه من أن يذكرَّ به ،
وأعلم بما قضاه على خلقه من أن يدلَّ عليه ، وأسلك لسبيل الراشدين في التسليم لأمره
والصبر على قدره والتجزل لوعده ، من أن ينبَّه من ذلك على حفظه ، أو أن يحتاج معزيه
عند حادث المصيبة إلى أكثر من الدعاء في قضاء حقه . فزاده الله توفيقاً إلى توفيقه ،
وأخضره رشده ، وسدّد للصواب غرضه ، وتولاه بالحسنى في جميع أموره ، إنه سميع
قريب . وقد كان من حادث قضاء الله في المتوفى ما أنقَضَ وأرْمَضَ^(٢) ، وبُغِمَ وأُوجِعَ ،
علما بما دخل على الأمير من النقص ، وعلى سروره من اللوعة ، وعلى أسفه من الوحشة ،
إلى ما خَصَّنِي منه بمأس الرِّحم وأوشج القرابة . فأعظم الله للأمير الأجر ، وأجزل له
الذَّخر ، وعصمه باليقين ، وأنجز له ما وعد الصابرين ؛ ورحم المتوفى ولقاه الأمن
والروح ، وفسح له في المَضْجَع^(٣) ، وجمعه وإياه بعد العمر الطويل في الدار التي لا خوف
عليهم فيها ولا هم يحزنون .

٢٠ (١) الثلثة (بالفتح) : جماعة الغنم الكثيرة ، والثلثة (بالضم) جماعة الناس . (٢) أنقض :
أقل وأرْمَضَ : أريج . (٣) في الأصل : « وجمع له وإياه » .

وفي كتاب : نحن نحمد الله أيها الأمير إذ أخذ على ما أتى منك، وإذ سلب على ما وهب بك؛ فانت العوض من كل فائت، والجار لكل مصيبة، والمؤنس من وحشة كل فقد؛ وحق لمن كنت له ولياً وعضداً أن يشغله حمد الله على النعمة بك عن الجزع على غيرك .

- وكتب سعيد بن حميد إلى محمد بن عبد الله : ليس المعزى على سلوك السبيل التي سلكها الناس قبله والمضى على السنة التي سنها صالحو السلف له؛ وقد بلغني ما حدث من قضاء الله في أم الأمير، فتألمني من ألم الرزية وفاجع المصيبة ما ينال خدمته الذين ينحصر ما خصه من النعم، ويتصرفون معه فيما تناوله الله به من المحن. فأعظم الله للأمر الأجر، وأجزل له المثوبة والذخر، ولا أراه في نعمة عنده تقصا، ووفقه عند النعم للشكر الموجب للزيد، وعند المحن للصبر المحرز للثواب، إنه هو الكريم الوهاب. ورحم الله الماضية رحمة من رضى سعيه وجزاه بأحسن عمله. ولو كانت السبيل إلى الشخص إلى باب الأمير سهلة، لكان الله قد أجل الأمير عن أن يعزیه مثلي بالرسول دون اللقاء، وبالكتاب دون الشفاء، ولكن الكتاب لقاء من لا سبيل له إلى الحركة، وقبول العذر عن حيل بينه وبين الواجب .

- ولأبن مكرم : ومما حركني للكتاب تعزيتك بمن لا ترميك الأيام بمثل الحادث فيه، ولا تعناض مما كان الله جمعه لك عنده من الميل إليك والصبر على مكروه جفائك، مع ما كان الله أعاره من قوة العقل وأصاله الرأي، ومد له من عنائه إلى قصوى الغايات، فإننا لله وإنا إليه راجعون على ما أفاقتنا الأيام منه حين تم واستوى، وغالى في المروءة وتناهى، وعند الله يحسب المصاب به؛ وعظم الله لك فيه الأجر، ومهل لك في العمر،

(١) في الأصل : « إذا » .

(٢) لله « عمن » .

وأجزل لك العوض واللُّحْر. فكل ما مضى من أهلك فانت سدادُ ثَمَتِهِ وجابر رزيتِهِ .
وقد خلف من أنت أحقُّ الناس به من عجوزٍ وليت تربيتك وحياطتك في طبقات
سِنِّكَ، وولَدِ رُبُوا في حُجْرِكَ ونبَتوا بين يديك، ليس لهم بعد الله مرجع سواك، ولا
مَقِيلٌ إلا في ذَرَاكَ؛ فَأَتَشُدُّكَ اللهُ فيهم فإنه أثرب أحوالهم بعمارة مروءته، وقطعهم
بصلة فضله، والله يَمْزِيهِ بِجَمِيلِ أثره وَيُخَلِّفُهُ فيهم بما هو أهله .

وفي فصل من كتاب : وقد جرى قضاء الله في هذه النازلة ما نطق عما نالك^(١)
وَأَبْقَى عندك، وهو حقٌ مِثْلُهَا وَقَدَّرُ مِثْلَهَا .

وفي فصل آخر: لو كان ما يَمْسُكُ من أذى يُشْتَرَى أو يُغْنَى، رجوتُ أن أكون
غيرَ باخِلٍ بما تَضَنُّ به النفوس، وأن أكون سِتْرًا بينك وبين كل مُلِمٍّ ومُحْذَرٍ .
فَأَعْظَمَ اللهُ أَجْرَكَ، وَأَجْزَلَ ذُنُوكَ، ولا خذل صبرك ولا فتك؛ ولا جعل للشيطان
حظًّا فيك ولا سيلا عليك .

المداثني قال : قَدِمَ رجل من عَمَّيسَ، ضَرِيرٌ مَحْطُومُ الوجه، على الوليد؛ فسأله
عن سبب ضَرِّهِ، فقال: بَتُّ لَيْلَةٍ في بطنٍ وادٍ ولا أعلم على الأرض عَسِيًّا يزيد ماله على
مالٍ، فطَرَقْنَا سَيْلٌ فَأَذْهَبَ ما كان لي من أَهْلٍ ومَالٍ وولَدٍ إلا صَبِيًّا رَضِيْعًا وبَعِيرًا صَعْبًا،
فَنَذَّ البَعِيرُ والصَّبِيُّ معي فوضعتُه وَأَتَّبَعْتُ البَعِيرَ لِأَحْبَسِهِ، فما جاوزتُ إلا ورأسُ^(٢)
الذئب في بطنه قد أَكَلَهُ، ففَرَكْتُه وَأَتَّبَعْتُ البَعِيرَ، فاستدار فرمحنى رَمْحَةً حَطَمَ بها وجهي
وأذهب عيني، فأصبحت لا ذا مالٍ ولا ذا ولد، فقال الوليد: أَذْهَبُوا به إلى عُرْوَةٍ
ليعلم أن في الناس من هو أعظمُ بلاءً منه؛ وكانت عُرْوَةُ بن الزُّبَيْرِ أُصِيبَ بآبِنٍ
له وأصابه الداء الخبيث في إحدى رجليه فقطعها، فكان يقول: كانوا أربعة —

٢٠ (١) لعله: «بما» . (٢) نَذَّ البَعِيرُ: شرد .

يعنى بنيه — فأبقيت ثلاثة وأخذت واحداً، وكُنَّ أربعة — يعنى يديه ورجليه —
فأخذت واحدة وأبقيت ثلاثاً^(١)، أحملك، لئن كنت أخذت لقد أبقيت، ولئن كنت
أبقيت لقد عاقبت. وشخص الى المدينة فأتاه الناس يسكنون ويتوجهون؛ فقال :
إن كنتم تُعدُّونى للسباق والصراع فقد أودى ، وإن كنتم تُعدُّونى للسان والجاء
فقد أبى الله خيراً كثيراً .

وقال على بن الجهم :

مَنْ سَبَقَ السَّلَوةَ بالصَّبْرِ * فاز بفضل الحميد والأجرِ
يا عَجَباً مَنْ هَلَعَ جازِع * يُصبح بين الِثَمِّ والِوزْرِ
مُصِيبَةُ الإنسان في دِينِهِ * أعظمُ من جائحةِ الدهْرِ

وقال بعضُ الشعراءِ :

لَيْتَ شِعْرِي ضَلَّ * أَيْ شَيْءٍ قَتَلَكَ
وَالْمَنَايَا رَصَدٌ * لِلْفَقَى حَيْثُ سَلَكَ
كُلُّ شَيْءٍ قَاتِلٌ * حِينَ تَلْقَى أَجَلَكَ
لَيْتَ نَفْسِي قُدِّمَتْ * لِلْمَنَايَا بِدَلَّكَ
أَيْ شَيْءٍ حَسَنٍ * لِلْفَقَى لَمْ يَكُ لَكَ

وقال آخر :

غُرِّ أَمْرُؤُ مَتَّهْ نَفْ * سَأَنْتَدُومَ لَهُ السَّلَامَةَ
هِيَهَاتَ ! أَعْيَا الْأَوَّلِي * نِ دَوَاءِ دَائِكَ يَدِيعَامَهُ

(١) فى الأصل : « ثلاثة » باثبات التاء . (٢) كذا بالأصل . وفى شرح أشعار الحماسة

(ص ١٤٤ طبعة أوروبا) أن هذه الأبيات لأم تابط شراً ، ويقال لأم السليك بن السليكة ، وأولها :

خاف ينى نجوة * من هلاك فهلك ورجح التبريزى فى نهاية الأبيات أنها لأم السليك
وذكر لهذا خيراً .

وقالت: صفة الباهلية في أختها :

كنا كفصين^(١) في جرنومة^(٢) سموا * حيناً بأحسن ما تسمو له الشجر
حتى إذا قيل قد طالت فروعهما * وطاب قنواهما^(٣) وأستنظر الثمر
أخى على واحد ريب الزمان ولا * يبقى الزمان على شيء ولا يذر
كنا كأنجم ليل وسطنا قمر * يجلو الدجى فهو من بيننا القمر

ومن هذا أخذ الطائي قوله :

كأن بنى نبهان يوم وفاته * نجوم سماء خر من بينها البدر

وقال آخر :

اكل أناس مقبر^(٤) بفنائهم * فهم ينقصون والقبور تزيد
وما إن زال رسم دار قد أخلقت * وبيت لميت بالفناء جديد
هم جيرة الأحياء أما جوارهم * فداين وأما الملقى فبعيد

وقال آخر :

لا يُبعد الله أقواماً لنا ذهبوا * أنفاهم حدان الدهر والأبد
نمّهم كل يوم من بقيتنا * ولا يؤوب إلينا منهم أحد

وقال النابغة :

حسب الخليلين أن الأرض بينهما * هذا عليها وهذا تحتها بالي

وقال آخر :

وقد كنت أرجو أن أملاك^(٥) حقة * فخال قضاء الله دون رجائيا
ألا ليئت من شاء بعدك إنما * عليك من الأقدار كان حذارياً

٢٠ (١) جرنومة الشيء : أصله . (٢) القنور : العنق وهو من النخل كالعنقود من العنب .
(٣) المقبر : موضع القبور . (٤) أملاك : أمتع بك ، يقال : ملاك الله حيييك أى متلك به
رأعاشك معه طويلاً .

وقال آخر:

لَعَمْرُكَ مَا وَارَى التُّرَابُ فِعَالَهُ * وَلَكِنَّهُ وَارَى ثِيَابًا وَأَعْظَامًا
فَضَالَهُ^(١) بِنَ شَرِيكَ :

رَمَى الْحِدْثَانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ * بِفَادِحَةٍ سَمَنَتْ^(٢) لَهَا سُمُودًا
فَرَدَّ شَعُورَهُنَّ السُّودَ بَيْضًا * وَرَدَّ وَجُوهَهُنَّ الْبَيْضَ سُودًا

وقال آخر :

أَمَّا الْقُبُورُ فَأَنْهَنَ أَوَانِسُ * بِجَوَارِقِ بَرَكٍ وَالْدِيَارُ قُبُورُ
عَمَّتْ مَصِيبَتُهُ فَمَهْلَاكُهُ * فَالْأَنْسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَأْجُورُ
رَدَّتْ صَنَائِعُهُ عَلَيْهِ حَيَاتَهُ^(٣) * فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ

منصور النمرى :

فَإِنْ يَكُ أَفْتَهُ اللَّيَالِي فَاشْكُتْ * فَإِنْ لَهُ ذِكْرًا سَيُفْنِي اللَّيَالِي

وقال طُفَيْلٌ يَذْكُرُ الْمَوْتَ :

مَضَوْا سَلَقًا قَصْدُ السَّبِيلِ عَلَيْهِمْ * وَصَرَفُ الْمَنَآيَا بِالرِّجَالِ تَقَلُّبُ

وقال هشام أخو ذى الرمة :

تَعَزَّيْتُ عَنْ أَوْقَى بَقِيلَانَ بَعْدَهُ * عِزَاءً وَجَفْنُ الْعَيْنِ مَلَانٌ مُتَرَعِّعٌ
وَلَمْ تُنْسِنِي أَوْقَى الْمَصِيبَاتِ بَعْدَهُ * وَلَكِنْ نَكَ^(٤) الْقَرْحَ بِالْقَرْحِ أَوْجَعُ

(١) نسب هذا الشعر في أمالي القالي (ج ٣ ص ١١٥ ضبعة دار الكتب) للكتيب بن معروف الأسدي .
ونسب في شرح أشعار الحماسة (ص ٢٧ طبعة أوروبا) وشرح القاموس مادة سمد لعبد الله بن الزبير الأسدي .
(٢) السمود : الغفلة وذهاب القلب ومنه قوله تعالى : (وَأَتَمَّ سَامِدُونَ) وهو تغير الوجه من الحزن كأنه
أصاها السواد . وقيل معناه ومنه رومن يخن . (٣) كذا في نهاية الأرب (ج ٥ ص ١٧٨ طبع
دار الكتب المصرية) وهو الذى يستقيم به معنى الشعر . وفي الأصل : «بلى» . (٤) النك : مصدر
نكأ القرحة اذا قشرها قبل أن تجأ فندبت .

وفي فصل من كتاب لبعض الكتاب : لست أحتاج مع علمك بما في الصبر عند نازل المصيبة من الفضيلة، وما في الشكر عن^(١) حادث النعمة من الحظ، إلى أكثر من الدماء في قضاء الحَقَّين، ولا إلى إخبارك عما أنا عليه من الارتماض^(٢) لضرائك والجَلَلِ بسرائك، لمعرفتك بشركتي لك واتصال حالك بي في الأمرين .

التسهياني

حدثني زيد بن أنحزم^(٣) قال حدثنا أبو قتيبة قال حدثنا ميمون [قال] حدثنا أبو عبد الله الناجي قال : كنت عند الحسن، فقال رجل : ليهبتك الفارسُ؛ فقال : لعله يكون بغالا، ولكن قل : شكرت الواهب، وبورك لك في الموهوب، وبلغ أشده، ورزقت بره . قال مجاهد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا لمتزوج قال : "على اليمن والسعادة والطير الصالح والرزق الواسع والمودة عند الرحمن" .

قال أبو الأسود لرجل يهتبه بترويح : باليمن والبركة، وشدة الحركة، والظفر في المعركة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى أن يقال : « بالرفاء والبنين » .

وكان يقال : إن أول من هنا وعزى في مقام واحد عطاء بن أبي سفيان الثقفى، عزى يزيد بن معاوية بأبيه وهناه بالخلافة، ففتح للناس باب الكلام، فقال : أصبحت رزيت خليفة وأعطيت خلافة الله، قضى معاوية نجيته، فغفر الله ذنبه؛ ووليت الرياسة، وكنت أحق بالسياسة؛ فأحتسب عند الله أعظم الرزية، وأشكر الله على أعظم العطية . وعظم الله في أمير المؤمنين أجرك، وأحسن على الخلافة عوتك .

وقالت أعرابية للنصور في طريق مكة بعد وفاة أبي العباس : أعظم الله أجرك في أخيك؛ لا مصيبة على الأمة أعظم من مصيبتك، ولا عوض لها أعظم من خلافتك .

(١) لعله : « عند » . (٢) الارتماض : الحزن . (٣) أنحزم بمعجمتين .

(٤) البغال : راكب البغال، والبغال تعجز عن شأ الأفراس .

قال المجتاج لأيوب بن القريّة: اخطب على هند بنت أسماء، ولا تزد على ثلاث كلمات. فأتاهم فقال: أتيتكم من عند من تعلمون، والأمر معطيكم ما تسألون، أفنضحون أم تردون^(١)؟ قالوا: بل أنكحنا وأنعمنا. فرجع ابن القريّة الى المجتاج فقال: أقر الله عينك، وجمع شملك، وأنبت ريعك، على الثبات والنبات، والغنى حتى الممات: جعلها الله ودودا ولودا، وجمع بينكما على البركة والخير.

كتب بعض الكتاب إلى رجل يهتبه بدار انتقل إليها: بخير متقل، وعلى أمين طائر، ولأحسن إبان، أنزلك الله عاجلاً وأجلاً خير منازل المفليحين.

وقال ابن الرقاع لمتزوج:

قُر السَّاءُ وشمسها آجتمعا * بالسَّعدِ ما غاباً وما طلعا
ما وارتِ الأستارُ مثلَهما * فيمن رأيناه ومن سُمِعَا
دام السرورُ له بها ولها * وتنهأ طولَ الحياةِ معا

وكتب رجل إلى صديق له يهتبه بالدخول على أهله: قد بلغني ما هيا الله لك من آجتماع السَّمَل، بضم الأهل، فشركتك في النعمة، وكنتُ أسوتك في السرور، وشاهدتك بقلبي، ومثلتُ ما أنت فيه لعيني، فخاللتُ بذلك محلَّ المعانِ للحال وزينتها، فهنيئاً هناك الله ما قَمَمَ لك، وبالرفاء والبنين، وعلى طول التعمير والسنين.

وكتب آخر من الكتاب إلى عامل: نحن من السرور، بما قد استفاض من جميل أثرك فيما تلي من أعمالك، وخطمك وزمك إياها بحزمك وعزمك. وأنتياشك أهلها من جور من وليهم قبلك، وسرورهم بتطاؤل أيامك والكون في ظل جناحك، في غاية من تخصه وتعمه نعمك، وتجوّل به الحال حيث جالت بك. فالحمد لله الذي جعل العاقبة لك، ولم يردّد علينا آمالنا منكوسةً فيك، كما ردها على غيرنا في غيرك. وهنيئاً هناك الله نعمه خاصها وعامها، وأوزعك شكرها، وأوجب لك بالشكر أحسن المزيّد فيها.

(١) في الأصل: «أو تردون» والمقام هنا يقتضي «أم» المتصلة.

وكتب رجلٌ من الكتاب إلى نصرانيٍّ قد أسلم بهتته : الحمد لله الذي أرشدَ
 أمرَكَ ، وخصَّ بالتوفيق عزَمَكَ ، وأوضح فضيلةَ عقلِكَ ، ورجاحةَ رأيِكَ ، فما كانت
 الآدابُ التي حوتها ، والمعرفةُ التي أوتيتها ، لتدوم بك على غوايةٍ وديانةٍ شائنةٍ لا تليقُ
 بلبكِ ، ولا يبرحُ ذوو الجحَا من موجي حَقِّكَ يُنكرون إبطاءَكَ عن حظِّكَ وترَكَّكَ البِدَارَ
 إلى الدينِ القيمِ الذي لا يقبلُ اللهَ غيره ولا يُشيبُ إلا به ، فقال : ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ
 الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ ، وقال : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ . والحمد لله الذي
 جعلَكَ في سابقِ علمه ممن هداه لدينه ، وجعله من أهلِ ولايته ، وشرفه بولاءِ خليفته .
 وهناك الله نعمته ، وأعطاك على شكره ؛ فقد أصبحتَ لنا أخاً ندينُ بمودته وموالاته
 بعد التأثُّم من خلطتك ومخالفةِ الحقِّ بمشايعتك ؛ فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول : ﴿ لَا تَجِدُ
 قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ
 أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ .

وكتب رجلٌ من الكتاب تهتةً بمحجٍّ : الحمد لله على تمامِ مُهاجرتِكَ ، وسلامةِ
 بدأتِكَ ورجعتِكَ ، وإعظامِهِ المِنَّةَ بأوبتِكَ ؛ وشكرِ اللَّهِ سعيكَ ، وبرِّحَتِكَ ، وتقبُّلِ
 نُسكِكَ ؛ وجعلَكَ ممن قلبه مُفْلِحاً مُنْجِحاً ، قد ربحَتْ صفقتهُ ، ولم تَبُرْ تجارتُهُ ،
 ولا أعدمَكَ نيةً تفضُّلِ عملِكَ ، وتوفيقاً يحوِّطُ دينَكَ ، وشكراً يرتبطُ نعمتكُ ؛ فهناكم
 الله النعمة ، وجمعكم في دارِ الخلافةِ ، وجعلكم ساسةَ الامةِ والمتقدمين عند الإِمام —
 أيده الله بالطاعة والنصيحة — فإنكم زِينُ السلطان ، وعمدةُ الإخوان ، وأضدادُ أكثرِ
 أهلِ الزمان .

وكتب إلى رجلٍ عن صديقٍ له بهتته بِفِطامِ مولود : أنا — أعزَّكَ الله — لما
 حمَلَنِي الله من أياديك ، وأودعني من إحسانك ، وألزمني من شكرِكَ ، آخذٌ نفسي بمراعاةِ
 أمورك ، وتفقدُ أحوالك ، وتعرِّفُ كلَّ ما يُحدثه الله عندك ، لأقابله بما يلزمني ، وأقضي

الحق فيه عني بمبلغ الوُسع ومقدار الطاقة، وإن كانا لا يبلغان واجبك، ولا يستقلان بثقل عارفتك . وكل ما نَقَلَ الله الفتى [و] بلغه من أحوال البلوغ ورقاه فيه من درجات النمو، فنعمة من الله حادثة تُلْزِمُ الشكر، وحقٌ يجب قضاؤه بالتهنئة . وكتب الى وكيل المقيم ببابك يذكر ما وهبه الله من سلامته عند الفِطَام ، وصَلاح جسمه عند الطعام، وسلوته عن أول الغذاء، وسرورك ومن يليك بما وهب الله في هذه الحال من عافيته وحسن المدافعة عنه ؛ فأكثرُ لله الحمد ، وأسهبْتُ في الدعاء والرغبة، وتصلقت عنه بما أرجو أن يتقبله ؛ وكتبت مهتًا بتجدد النعمة عندهم فيه . فالحمدُ لله المتطوِّل علينا قبله بما هو أهله ، والمجْرى لنا فيما يؤليكَ على حسن عادته . وهناك الله النعم، وصانها عندك من الغير، وحرسها بالشكر، وبلغ بالفتى أقصى مبالغ الشرف، وجعلك من الأمل فيه والرجاء له على العيان واليقين، بمنته وفضله .

١٠ . وكتب بعض الكتاب تهنئةً بجمع الى صاحبه : الحق للسادة عند ما يجدده الله لهم من نعمه في الدعاء، من جلائل حقوقهم على أوليائهم . وقد خصَّ الله حقك بما لا يسعني معه آذخارُ مجهود في تعظيمه وشكره . ولولا أن الطاعة من حدوده، لم أنتظر إذنك لي في تلقيك راجلاً بالأوبة، إذ كان الكتابُ بها دون السعي بالبلغ نصيب من التقصير . وأنا أسأل الله الذي أوفدك الى بيته الحرام، وعمرك مَشَاهِدَه العِظام؛ وأوردك حرمة سالماً، وأصدرك عنه غانماً . ومن بك على أوليائك وخدمك، أن يهتِك بما أنعم به عليك في بذاتك ورجعتك ؛ بتقبل السعي ونجح الطلبة وتعريف الإجابة .

وكتب بعض الكتاب تهنئةً بولاية : فإنه ليس من نعمة يجددها الله عندك ، والصنعُ الجميلُ تُحدثه لك الأيام، إلا كان آرتياحى له وأستبشارى به وأعتدادى .

٢٠ . بما يهب الله لك من ذلك، حسبَ حقك الذي توجه، وبرك الذي أشكره، وإخائك

الذى يَعْزَّ وَيَجِلُّ عندى موقعه؛ بفعل الله ذلك فيه وله، ووصله بتقواه وطاعته .
 وبلغنى خبرُ الولاية التى وَلَيْتَهَا، فَكُنْتُ شريكك فى السرور وعديلك فى الأرتياح،
 فسألت الله أن يُعَرِّفَكَ يُنَمِّهَا وبركتها، ويرزُقَكَ خيرها وعادتها، ويُحَسِّنَ معونتك على
 صالح نيتك فى الإحسان إلى أهل عملك والتألف لهم، واستعمال العبدِ فيهم،
 ويرزُقَكَ محبتهم وطاعتهم، ويجعلهم خير رعية .

وكتب رجلٌ الى معزول: ^(١) فإن أكثر الخير فيما يقع بكثرة العباد، لقول الله عز وجل:
 ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴾ . وقال
 أيضا: ﴿ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ . وعندك بمحمد الله من
 المعرفة بتصاريف الأمور، والاستدلال بما كان منها على ما يكون، منقًى عن الإثثار
 فى القول . وقد بلغنى أنصرفك عن العمل على الحال التى أنصرفت عليها من رضا رعيته
 ومحبتهم وحسن ثنائهم وقولهم، ^(٢) لما بقيت من الأثر الجليل عند صغيرهم وكبيرهم،
 وخلقك من عذلك وحسن سيرتك فى الدانى منهم والقاصى من بلدهم؛ فكانت
 نعمة الله عليك فى ذلك وعلينا، نعمة جل قدرها ووجب شكرها . فالحمد لله على
 ما أعطاك، ومنح فيك أوليائك وأرغم به أعداك، ومكن لك من الحال عند مَنْ
 وُلاكَ؛ فقد أصبحنا نعتد صرْفَكَ عن عملك منحا مجددا، يجب به تهنئتك، كما يجب
 التوجعُ لغيرك .

وكتب رجلٌ من الكتاب فى تهنيةٍ بحج: لولا أن عوائق أشغالٍ يوجب العذر
 بها تفضُّلك ويُسِّطه احتمالك، لكنك مكان كتابى هذا مهتئا لك بالأوبة، ومجددا

(١) فى الأصل: «الخيار» . (٢) فى الأصل: «ما بقيت» . (٣) بالأصل: «منحا»

بك عهدًا، ومُحيًا نفسي بالنظر اليك. وأنا أسأل الله أن يشكر سعيك، ويتقبل حجك،
ويثبت في عليين أثرك، ولا يجعله من الوفاة إليه آخر عهدك .

وكتب بعض الكتاب : لا مَهْنِيَّ أُولَى ما يكون مهنتًا، تعظيمًا لنعمه فيما جدد
الله لك يامولاي بالولاية، مني؛ إذ كنت أرجو بها أنضمام نثري، وتلافي الله بعنايتك
المتشئت من أمرى . فهناك الله تجدد النعم، وبارك لك في الولاية، وافتتحها لك
بالصنع الجميل، وختمها لك بالسلامة، إنه سميع قريب .

باب شرار الإخوان

ذكر خالد بن صفوان شبيب بن شيبة فقتل : ذاك رجل ليس له صديق^(١)
في السر ولا عدو في العلانية .

وقال الشاعر :

١٠

ولمّا من الخُلّان من تشحط النوى * به وهو داج للوصال أمين
ومنهم صديق العين أتا لقائه * خُلو وأتا غيبه فظنون^(٢)
أقبل عيّنة بن حصن الى المدينة قبل إسلامه : فلقبه ركبٌ خارجون منها ؛
فقال : أخبروني عن هذا الرجل (يعني النبي صلى الله عليه وسلم)، فقالوا : الناس فيه
ثلاثة رجال : رجل أسلم فهو معه يقاتل قريشًا وأفناء العرب^(٣) ، ورجل لم يُسلم
فهو يقاتله ، ورجل يُظهر الإسلام إذا لقي أصحابه ويُظهر لقريش أنه معهم
إذا لقيهم ؛ فقال : ما يسمى هؤلاء ؟ قالوا : المنافقون ؛ قال : فأشهدوا أنّي منهم ،
فأفيمن وصفتهم أحزم من هؤلاء .

(١) عبارة العقد الفريد (ج ١ ص ٢٢٨) : « وسئل شبيب بن شيبة عن خالد بن صفوان

فقال : ذاك رجل الخ » ، وهي تزيد الضبط الذي أبتناه . (٢) ظنون : لا يوثق به .

(٣) أفناء العرب : أخلاطهم الزاعون من هاهنا وهاهنا ولا يدري من أي القبائل هم .

وكان رجل يدعو فيقول: اللهم أكفني بوائق الثقات، وأحفظني من الصديق.
وكتب رجل على باب داره: جَزَى اللهُ مَنْ لَا يَعْرِفُنَا وَلَا نَعْرِفُهُ خَيْرًا، فَأَمَّا
أَصْدِقَاؤُنَا فَلَا جُزُؤَ ذَلِكَ، فَإِنَّا لَمْ نَوْتَ قَطُّ إِلَّا مِنْهُمْ.

وكتب إبراهيم بن العباس الى محمد بن عبد الملك الزيات:
وَكُنْتُ أَنَحَى بِإِخَاءِ الزَّمَانِ * فَلَمَّا نَبَا صِرْتَ حَرْبًا عَوَانَا
وَقَدْ كُنْتُ أَشْكُو إِلَيْكَ الزَّمَانَ * فَاصْبَحْتُ فِيكَ أَذْمُ الزَّمَانَا
وَكُنْتُ أُعِدُّكَ لِلنَّائِبَاتِ * فَهَآنَا أَطْلُبُ مِنْكَ الْأَمَانَا
وقال محمد بن مهدي:

كَانَ صَدِيقِي وَكَانَ خَالِصَتِي * أَيَّامَ نَجْرِي بِجَارِي السُّوقِ
حَتَّى إِذَا رَاحَ وَالْمُلُوكَ مَعَا * عَدَّ أَطْرَاجِي مِنْ صَالِحِ الْخُلُقِ
خَلَيْتُ ثُوبَ الْفِرَاقِ فِي يَدِهِ * وَقُلْتُ هَذَا الْوَدَاعُ فَاَنْطَلِقِ
لَيْسَتْهُ لَيْسَةُ الْجَدِيدِ عَلَى الْإِل * فَرَّقَتْ فُرْقَةً الْخَلْقِ

وقال آخر:

إِذَا رَأَيْتَ أَمْرًا فِي حَالِ عُسْرَتِهِ * مُوَاصِلًا لَكَ مَا فِي وُدِّهِ خَلَلُ
فَلَا تَمَنَّ لَهُ أَنْ يَسْتَفِيدَ غِنًى * فَإِنَّهُ بَاتَسْقَالِ الْحَالِ يَنْتَقِلُ

وكتب رجل الى صديق أعرض عنه: لَوْلَا أَنِّي أَشْفَقْتُ مِنْ أَشْتَاتِ ظَنِّي
[في] إِبْجَابَتِكَ إِلَى مَا يَعْلَمُ اللهُ بَرَاءَتِي مِنْهُ فَيَكُ لِمَعْجَبِكَ وَلِكَفَيْتِكَ مُؤَنِّي، ثَقَّةً بَأَنَّ
أَزْدِيَادَكَ مِنْ مَعْرِفَةِ النَّاسِ سَتَرْتُكَ إِلَيَّ؛ فَإِنْ رَجَعْتَ قَبِلْتُ وَتَمَسَّكْتُ وَأَغْبِطْتُ،
وَإِنْ أَصْرَرْتَ لَمْ أَتَّبِعْ مُوَلِّيَا، وَلَمْ آسَ عَلَى مُدِيرٍ، وَلَمْ أَسَاحِ نَفْسِي عَلَى تَعَلُّقِهَا بِكَ،

(١) كنا بالأصل ولم نوفق الى هذا الكتاب في مصدر آخر بعد طول البحث عنه في مظانّه.

ولم أساعدها على نزاعها اليك . فكم من زمان تركتك فيه وسؤمك ثم أبى قلبي ذلك ، فكررت وعطفتُ أسى على أيامي معك وما تَوَكَّدَ بيني وبينك . وما من كَرَّةٍ لي اليك إلا وهي داعيةٌ إلى ما أكرهه من استخفافك وتُفورك . ولو فهمت ما استحققتُ به عليك ما أشكوه لخلفَ عَمَلُ ما يكون منك عليّ ولا جئت في عتابك ورضاك .

وفي جواب كتابي : وقد وزعني ما ضربته لي من الأمثال في كتابك عن استبطائك . على أني لا أسترید إلا من أحتاج الى صلاحه وأرغب في بقيته ، وقد قيل :

يَا بَيْنَ إِلَّا جَفْسُ وَظَلَمًا * من كثرة الوصل تَجْنِي الجُرْمَا^(٢)

وفي كل ما أجبتي ظلمت في معارضي عن مسيخي جوابك بإيماشي ، وفي اعتدائك عليّ بما أنت جانيه وعليك الحجّة فيه . وما أنكر الخلاف بين الأب وابنه والأخ وشقيقه . اذا وقعت المعاملة ، ولذلك سبب لا أعرفه بيني وبينك قط ، فإني لم أخالفك ولم أشاححك ولم أنازعك ولم أعارض نَعَمَكَ بِلَا ولا أمرّك بنهي .

وقال الحسن بن وهب :

سَأَكْرِمُ نَفْسِي عَنْكَ حَسْبَ إِهَاتِي * لها فيك إِذْ قَرَّتْ وَكَفَ نِزَاعُهَا
هي النَّفْسُ مَا كَلَفَتْهَا قَطُّ خُطْبَةً * من الأمر إِلا قَلَّ مِنْهُ اتِّعَافُهَا
صَدَقْتَ لِعَمْرِي أَنْتَ أَكْبَرُ هُمَاهَا * فَأَجْهَدُهَا إِذْ قَلَّ مِنْكَ اتِّعَافُهَا
هَبْ أَيْ أَعْمَى فَاتَتْ الشَّمْسُ طَرَفَهُ * وَغَيَّبَ عَنْهُ نَوْرُهَا وَشُعَاعُهَا

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

رَأَيْتُ فُضَيْلًا كَانَ شَيْئًا مُلْقًا * فَكَشَفَهُ التَّحْيِصُ حَتَّى بَدَأَ لِيَا

(١) كذا بالأصل . (٢) أصله تلجني حذف إحدى ناهيه .

فانت أخى ما لم تكن لى حاجة * فإن عرضت أيقنت أن لا أخاليا
فلا زاد ما بينى وبينك بعد ما * بلوتك فى الحاجات إلا تماديا
فلمست براء عيب ذى الود كله * ولا بعض ما فيه إذا كنت راضيا
فعين الرضا عن كل عيب كيلة * ولكن عين السخط تبدى المساويا
كلانا غنى عن أخيه حياته * ونحن إذا متنا أشد تغانيا

وكتب أيضا الى بعض إخوانه : أما بعد ، فقد عاقبى الشك فىك عن عزيمة
الرأى فى أمرك ، ابتدأتنى بلطف عن غير خبرة ، ثم أعقبته جفاء من غير ذنب ،
فاطمعنى أولك فى إخطاك ، وآيسنى آخرك من وفائك ، فلا أنا فى غير الرجاء مُجمع لك
أطراخا ، ولا أنا فى غد وانتظاره منك على ثقة ، فسبحان من لو شاء كشف بإيضاح
الرأى فى أمرك عن عزيمة الرأى فىك ، فاقمنا على اتلاف ، أو أفرقنا على اختلاف .

وكتب رجل الى صديق له : نحن نستكثرك بأعتراك ، ونستديم صلتك
بجفائك ، ونرى الزيادة فى الغم أدوم ^(١) لجمل رأيك . ومثله قول كثير :
وإن شحطت يوما بكيت وإن دنت * تملكت وأستكثرها بأعتراكها
ونحوه قول الكُتبت :

وقد يخذل المولى دُعائى ويحتدى * أذاتى وإن يعدل به الضيم أغضب
فأؤنس من بعض الصديق ملالة ^(٢) الدنو - فأستبقهم - بالتجنب
وقال آخر :

إنك ما أعلم ذو ملة * يذهلك الأذى عن الأقدم

(١) كذا فى المحاسن والمساوى للبيق والمحاسن والأضداد لمجاظ . وفى الأصل : « ابتدأتنى بلطف

عن غير حمة » . (٢) كذا فى الأصل ولمعه : « نرى الزيادة فى الغم أدوم الخ » .

وقال عبد الرحمن بن حسان :

لا خير في الودّ ممن لا تزال له * مستشعراً أبداً من خيفة وجلا
إذا تغيّب لم تبرح تُسبى به * ظناً وتسأل عما قال أو فعلا

وقال مرة بن محمّان :

تري بيننا خلقاً ظاهراً * وصدرأ عدواً ووجهاً طليفاً

ونحوه قول المرّار :

كذبٌ تمخّضه على لقومه * سلم اللسان محاربُ الإسرار
وحدثني أبو حمزة الأنصاري قال : حدثنا العتيبي قال : قالت أعرابية لأبنها :
يا بني، إياك وصحبة من مودته يشره فإنه بمنزلة الريح .

وكان يقال : الإخوان ثلاثة : أخٌ يُخلص لك ودّه، ويُلج في محبتك جهده .
وأخٌ ذونيّة يقتصر بك على حسن نيته، دون رفده ومعاونته . وأخٌ يُلهو^(١) لك لسانه،
ويتشغل عنك بشانه، ويومئعك من كذبه وأيمانه .

وقال المثقّب العبدى :

فإما أن تكون أخى بصدق * فأعرف منك غثى من ثمينى
وإلا فأجتنبى واتخذنى * عدواً أتيقك وتتقبنى

١٥

وقال أوس بن حجر :

وليس أخوك الدائم العهد بالذى * يسوءك إن ولى ويرضيك مقبلاً
ولكن أخوك النسائى مادمت آمناً * وصاحبك الأدنى إذا الأمر أعضلا

(١) كذا في الأصل ولعله : « بلسانه » والهوى والظهور : أن يدعى الانسان غير ما في طبيعته ويترن

بما ليس فيه من خلق ومرورة وكرم .

وقال آخر :

لعمرك ما وُدَّ اللسان بنافع * إذا لم يكن أصل الموتة في القلب
وقال أبو حارثة المدني : ليس للملول صديق ، ولا للحسود غنى ، والنظر في العواقب
تلقيح العقول .

قال العباس بن الأحنف :

أشكو الذين أذاقوني موتهم * حتى إذا أيقظوني في الهوى رقدوا
وأستهضوني فلما قت متهمًا * ^(١)بثقل ما حملوني في الهوى قعدوا

ونحوه قول المجنون :

وأدنيقتي حتى إذا ما مبيتني * بقول يحل العضم سهل الأباطيح ^(٢)
تجافيت غنى حين لا لي حيلة * وخلفت ما خلفت بين الجوانح ^(٣)

وقال آخر :

ولا خير في ود إذا لم يكن له * على طول مرّ الحادثات بقاء

وأشدد ابن الأعرابي :

لما الله من لا ينفع الودُّ عنده * ومن حبله إن مدَّ غير متين
ومن هو إن يحدث له الغير نظرة * يُقطع بها أسباب كل قرين

(١) في الأصل : « لنقل » باللام وليس هذا مقامها ، ورواية الديوان :

واستهضوني فلما قت متعبًا * بنقل ما حلوا من ودهم قعدوا

(٢) العضم : جمع أعصم ، والأعصم من الظباء والوعول : ما في ذراعيه أو في أحدهما يضر رساؤه

أسود أو أحر . (٣) نسب القائل في أماليه (ج ٢ ص ٢٢٨ طبعة دار الكتب المصرية) هذين

البيتين لكثير ، وقد نسبهما أبو الفرج في الأغاني (ج ٢ ص ٩٠ طبعة دار الكتب) للمجنون .

ويقال : صاحب السوء جنوةٌ من النار .

وقال عليّ عليه السلام : " لا تواخ الفاجر فإنه يزين لك فعله ويحب لو أنك مثله ويزين لك أسوأ خصاله ، ومدخله عليك ويخرجك من عندك شين وعار . ولا الأحق فإنه يمتد بنفسه لك ولا ينفعك وربما أراد أن ينفعك فيضرك ، فسكوته خير من نطقه ، وبعدّه خير من قربه ، وموته خير من حياته . ولا الكذاب فإنه لا ينفعك معه عيش ، ينقل حديثك وينقل الحديث إليك حتى إنه ليحدث بالصدق فما يُصدق " .

قال أبو قبيل : أُمِرْتُ ببلاد الروم فأصبْتُ على ركن من أركانها :
ولا تصحب أخا الجهل * وإياك وإياه
فكم من جاهل أَرَدَى * حليماً حين آخاه
يُقاسُ المرءُ بالسوء * إذا ما هو ماشاه
وللشيء على الشيء * مقاييسٌ وأشباهُ
وللقلب على القلب * دليلٌ حين يقاه

وقال عديّ بن زيد :

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينته * فإن القرين بالمقارن مقتدي

وأنشد الراشدي :

إن كنت لا تصحب إلا قتي * مثلك لم تؤت بامثالكا

(١) ورد هذا البيت في حاسة البحري (ص ٣٠٧ ضعة أوروبا) بلفظ : « وسل عن قريه »
وكتب بهامشه : « خ : وأبصر قريه » إشارة إلى نسخة أخرى . وورد في ديوان طرفة بن العبد (ص ١٥٣ طبع مدينة شالون سنة ١٩٠٠ م) ضمن الأبيات المنسوبة إليه والراجح أنه لعديّ بن زيد ، من داليه المشهورة ، وهي من مجمرات أشعار العرب التي ذكرها أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي في كتابه « جهرة أشعار العرب » (ص ١٠٢ طبع بولاق) ومطلعها :

أعرف رسم الدار من أم عبد : نعم ورواك الشوق قبل التجلد

إِنَّ لَكَ الْفَضْلَ عَلَى صُحْبَتِي * وَالْمَسْكُ قَدْ يَسْتَصِحِبُ أَزْمَانًا^(١)
هَبْنِي أَمْرًا جِئْتُ أُرِيدُ الْهَدَى * بِخُذْ عَلَى ضَعْفِي بِإِسْلَامًا

وكتب يحيى بن خالد : أَحَبُّ أَنْ تَكُونَ عَلَى يَقِينٍ أَنِّي بِكَ ضَعِيفٌ ، أُرِيدُكَ
مَا أُرَدَّتَنِي ، وَأُرِيدُكَ أَنْ تَتُوبَ عَنِّي مَا كَانَ ذَلِكَ بِي وَبِكَ جَمِيلًا يَحْسُنُ عِنْدَ إِخْوَانِنَا ،
وَإِنْ وَقَعَتِ الْمَتَادِيرُ بِخِلَافِ ذَلِكَ لَمْ أَعُدْ مَا يَجِبُ . وَالَّذِي هَاجَنِي عَلَى الْكَتَابِ أَنَّ
أَبَا نُوحٍ مَعْرُوفَ بْنِ رَاشِدٍ سَأَلَنِي أَنْ أَبْرَحَ لَهُ بِمَا عِنْدِي ، وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنِّي مَا تَبَدَّلْتُ
وَمَا حُلْتُ عَنْ عَهْدِي ، بِجَمْعِنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ عَلَى طَاعَتِهِ وَمَحَبَّةِ خَلِيفَتِهِ .

وَقَرَأْتُ فِي كِتَابٍ لِلْهِنْدِ : ثِقْ بِذِي الْعَقْلِ وَالْكَرَمِ وَأَطْمَئِنَّ إِلَيْهِ ؛ وَوَاصِلُ الْعَاقِلِ
غَيْرُ ذِي الْكَرَمِ ، وَأَحْتَرَسُ مِنْ سَيِّئِ أَخْلَاقِهِ وَأَتَنَفَّعُ بِعَقْلِهِ ؛ وَوَاصِلُ الْكَرِيمِ غَيْرُ
ذِي الْعَقْلِ وَأَتَنَفَّعُ بِكَرَمِهِ وَأَفْعُهُ بِعَقْلِكَ ؛ وَأَهْرُبُ مِنَ اللَّئِيمِ الْأَحْمَقِ .

وَقَالَ حَمَادٌ عَجَّزْدُ :

كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ لَسْتَ تُشْكِرُهُ * مَا دُمْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فِي يُسْرِ
مُتَصَنِّعٍ لَكَ فِي مَسَوَدَتِهِ * يَلْقَاكَ بِالْتَّرْحِيبِ وَالْيُسْرِ^(٢)
يُطْرِي الْوَفَاءَ وَذَا الْوَفَاءَ وَيَذُ * حَيَّ الْغَدْرُ مَجْتَهِدًا وَذَا الْغَدْرُ
فَإِذَا عَدَا ، وَالْدهْرُ ذُو غَيْرٍ ، * دَهْرٌ عَلَيْكَ عَدَا مَعَ الدَّهْرِ
فَارْفُضْ بِإِجْمَالٍ أَخُوَّةَ مَنْ * يَقْلِي الْمَقِيلَ وَيَعْشُقُ الْمُثْرَى^(٣)
وَعَلَيْكَ مَنْ حَالَاهُ وَاحِدَةٌ * فِي الْعُسْرِ إِمَّا كُنْتَ وَالْيُسْرِ
لَا تَخْلُطُنَّهُمْ بِغَيْرِهِمْ * مِنْ يَخْلُطُ الْعِيقَانَ بِالْصُّفْرِ^(٤)

(١) الرامك : شئ ، أسود كالقار يخلط بالمسك . (٢) في الأصل : «العاقل» وهو

تحريف . (٣) كذا في الأغاني (ج ١٣ ص ٩٠) . وفي الأصل : «يطوى» وهو تحريكه .

(٤) في الأغاني (ج ١٣ ص ٩٠) : «مودّة» . (٥) الصفر : النحاس الأصفر .

وقال سويد بن الصامت :^(١)

أَلَا رَبِّ مَنْ تَدْعُو صَدِيقًا وَلَوْ تَرَى * مَقَالَتَهُ بِالْغَيْبِ سَاءَكَ مَا يَفْهَرُ
مَقَالَتُهُ كَالشَّحْمِ مَا كَانَ شَاهِدًا *^(٢) وَبِالْغَيْبِ مَا ثَوَّرَ عَلَى ثُقُورَةِ النَّحْرِ
تُبِينُ لَكَ الْعَيْنَانِ مَا هُوَ كَأَيْمٌ *^(٣) مِنَ الضُّغْنِ وَالشَّحَاءِ بِالنَّظَرِ الشَّرِّ
فَرَشَنِي بِخَيْرِ طَالَمَا قَدْ بَرَيْتَنِي * وَخَيْرُ الْمَوَالِي مَنْ يَرِيشُ وَلَا يَرِي

وقال آخر :

وَصَاحِبُ كَانٍ لِي وَكُنْتُ لَهُ * أَشْفَقَ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدٍ
كُنَّا كَسَاقٍ تَسْمَى بِهَا قَدَمٌ * أَوْ كَنَفَوَاجٍ نِيْطَتْ إِلَى عَضُدٍ
حَتَّى إِذَا دَانَتْ الْحَوَادِثُ مِنْ * خَطْوَى وَحَلَّ الزَّمَانُ مِنْ عُقْدِي
إِخْوَلٌ عَنِّي وَكَانَ يَنْظُرُ مِنْ * عَيْنِي وَيَرَى بِسَاعِدِي وَيَدِي
وَكَانَ لِي مُؤْنَسًا وَكُنْتُ لَهُ * لَيْسَتْ بِنَا وَخْشَةً إِلَى أَحَدٍ
حَتَّى إِذَا أَمْتَرَفَلَتْ يَدِي يَدَهُ * كُنْتُ كَسْتَرْفِيدَ يَدِ الْأَسَدِ

وقال بعض الأعراب :

إِخْوَانُ هَذَا الزَّمَانِ كُلُّهُمْ * إِخْوَانٌ غَدَرٍ عَلَيْهِ قَدْ جُيَلُوا
طَوَّرُوا ثِيَابَ الْوَفَاءِ بَيْنَهُمْ * وَصَارَ تَوْبُ الرِّيَاءِ يَتَنَذَلُ^(٥)
أَخُوهُمْ الْمُسْتَحِقُّ وَصَلَهُمْ * مَنْ شَرَبُوا عَنْدهُ وَمَنْ أَكَلُوا
وَلَيْسَ فِيمَا عَلِمْتُ بَيْنَهُمْ * وَبَيْنَ مَنْ كَانَ مُعْلِمًا عَمَلُ

(١) ذكر اللسان في مادة « نشر » هذه الأبيات مع أبيات أخرى من القصيدة ونسبها لمعمر بن حبيب .

(٢) كذا في اللسان ، والمأثور : الذي يؤثر عنه شر وسم ، وفي الأصل : « مأمون » وهو تحريف ؛

وثقرة النحر : ثقرة ؛ يريد أنه يطعمه في غيبته . (٣) كذا ورد هذا الشطر في اللسان . وفي الأصل

ورد هكذا : * ولاجن : البغضاء والنظر الشرير * (٤) دانت : قاربت . (٥) يخلد :

يلبس كثيرا ، ومنه البقلة والمبذلة من الثياب : ما يلبس ويمتنع ولا يصان .

قال رجل لآخر : بلغني عنك أمرٌ قبيح ، فقال : يا هذا ، إنَّ صُحبة الأشرار
ربما أورثت سوءَ ظنٍّ بالأخيار .

وقال دُعَيْل :

أبا مُسَلَّمٍ ^(١) كُتِّمَ حَلِيفِي مَوْدَّةً * هَوَانًا وَقَلْبَانًا جَمِيعًا مَعًا
أَحْوُطُكَ بِالْوَدِّ الَّذِي لَا تُحَوُّطُنِي * وَأَرَأْبُ مِنْكَ الشَّعْبَ أَنْ يَتَصَدَّعَا
فَلَا تَلْحِنِي لَمْ أَجِدْ فِيكَ حِيلَةً * تَحَرَّقَتْ حَتَّى لَمْ أَجِدْ فِيكَ مَرَقَعَا
فَهَبْكَ يَمِينِي آسَا كَلَّتْ فَأَحْتَسِبُهَا ^(٢) * وَجَشَمْتُ قَلْبِي قَطْعَهَا فَتَخَشَعَا ^(٣)

وقال يزيد بن الحكم التقي :

تَكَاشَرْنِي ^(٥) كُفْرُهَا كَأَنَّكَ نَاصِحٌ * وَعَيْنُكَ تُبْدِي أَنَّ قَلْبَكَ لِي دَوِي ^(٦)
لِسَانُكَ مَاذَى ^(٧) وَقَلْبُكَ عَلَمٌ * وَشَرُّكَ مَبْسُوطٌ وَخَيْرُكَ مَنْطَوِي ^(٨)
عَدُوُّكَ يَجْتَنِي صَوْلَتِي إِنْ لَقِيتُهُ * وَأَنْتَ عَدُوِّي لَيْسَ ذَاكَ بِمَسْتَوِي ^(٩)
أَرَاكَ إِذَا لَمْ أَهَوَ أَمْرًا هَوَيْتَهُ * وَلَسْتَ لِمَا أَهَوَى مِنَ الْأَمْرِ بِالْهَوَى

- (١) هذا بالأصل . وفي الأغاني (ج ١٨ ص ١٤٧) : « أبا مغلدة » . (٢) كذا
بالأصل ولم نجد هذه الصيغة في كتب اللغة إلا بمعنى استأكل الشيء . طلب منه أن يأكله ، والمساكلة :
الدين ياخذون أموال الضعفاء كاليتامى ويعيشون عنها ، والظاهر أن المراد هنا في الشعر تأكل يده ،
والصيغة الدالة على هذا المعنى في كتب اللغة هي ائكل وتأكل . (٣) في الأغاني طبع بولاق
ج ١٨ ص ٤٧ : « فقطعها » . (٤) في الأغاني : * وجشمت قلبي صبرة فتشجعا *
(٥) تكاشرنى : تضاكنى من قولهم : كثر عن أسنانه إذا كشف عنها . (٦) دو : مضطرب .
(٧) الماذى : العسل الأبيض . (٨) كذا في الأمالى ج ١ ص ٦٨ طبع دار الكتب
رواية البيت فيه : ٢٠

لسانك ماذى وعينك علم * وشرك مبسوط وخيرك منطوى

(٩) وفي الأصل : « ملوى » : روى هذا البيت في حاشية البحري :

تعدو عدوى ثم تزعم أنني * صدقك ليس الفعل منك بمستوى

أراك أَجْتَوَيْتَ الْخَيْرَ مِنِّي وَأَجْتَوَيْ * أَذَاكَ فَكُلُّ يَحْتَوِي قُرْبَ مَجْتَوِي^(١)
وَكَمْ مَوْطِنٍ لَوْلَايَ طَحَّتْ كَمَا هَوَى * بِأَجْرَائِهِ مِنْ قُلَّةِ النَّيْقِ مَتَّهَوَى^(٢)
ويقال : إِيَّاكَ وَمَنْ مَوَدُّهُ عَلَى قَدَرِ حَاجَتِهِ فَعِنْدَ ذَهَابِ الْحَاجَةِ ذَهَابَ الْمَوَدَّةِ .
وقال الحكميم : ثلاثة لَا يُعْرَفُونَ إِلَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ : لَا يُعْرَفُ الْحَلِيمُ إِلَّا عِنْدَ
الغضب ، وَلَا الشَّجَاعُ إِلَّا فِي الْحَرْبِ ، وَلَا الْأَخُ إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ .

قال جرير :

فَإِنِ عَرَضْتُ أَيْقَنْتُ أَنَّ لَا أَخِيَا^(٤)
تَعَرَّضْتُ فَاسْتَمَرَّرْتُ مِنْ دُونِ حَاجَتِي * فَخَالَكَ إِنِّي مُسْتَمِرٌّ لِحَالِيَا
وَأِنِّي لَتَغْرُورٌ أُعْلَلُ بِالْمُنَى * لِيَالِي أَرْجُو أَنْتَ مَالِكٌ مَا لِيَا
بِأَيِّ نِجَادٍ تَحْمِلُ السِّيفَ بَعْدَمَا * نَزَعْتَ سِنَانًا مِنْ قَنَاتِكَ مَاضِيَا^(٥)
أَلَا لَتَخَافَا نَبْشَتِي فِي مُلْبَسَةٍ * وَخَافَا الْمَنِيَا أَنْ تَفُوتَكُنَا يَسَا^(٦)

(١) المجتوى : الكاره . (٢) كذا في أمالي القالي . وفي الأصل : «لولاك» .

(٣) القلة : أعلى الجبل ، والنقيق : أرفع موضع فيه . (٤) روى هذا البيت في القناض
ص ١٧٧ طبع أوروبا :

فَإِنِ أَبِي مَا لَمْ تَكُنْ لِي حَاجَةٌ * فَإِنِ عَرَضْتُ فَإِنِّي لَا أَبَالِيَا
وهو من قصيدة طويلة مذكورة في القناض بين جرير والفرزدق مطلعها :

أَلَا حَيَّ رَهِي ثُمَّ حَيَّ الْمَلَالِيَا * فَقَدْ كَانَ مَانُوسًا فَاصْبِحْ خَالِيَا
وقد ذكر المؤلف هذا البيت فيما تقدم من هذا الجزء ، ص ٧٥ لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر كما
ذكر في كثير من كتب الأدب مثل الكامل للبرد والعقد الفريد رزهر الآداب ضمن شعر مطلعها :

رَأَيْتُ فَضِيلًا كَانَ شَيْئًا مَلْفَا * فَكَشَفَهُ التَّمْهِيمُ حَتَّى بَدَا لِيَا
(٥) النجاد : حامل السيف ، وقد ورد هذا الشعر في الأغاني (ج ٧ ص ٥٢) والقناض
(ص ١٧٧) هكذا :

بِأَيِّ نِجَادٍ تَحْمِلُ السِّيفَ بَعْدَمَا * قَطَعْتَ الْقَوَى مِنْ مَحْمِلٍ كَانَ بَاقِيَا
بِأَيِّ سَنَانٍ تَطْلُعُ الْقَوْمَ بَعْدَمَا * نَزَعْتَ سِنَانًا مِنْ قَنَاتِكَ مَاضِيَا
(٦) يقول : لا تخافا أن أنبوعكما إن أملت بكما مله ما عشت وخافا ذلك متى إذا مت (راجع كتاب
القناض ص ١٧٨) .

وقال أبو العتاهية :

أَنْتَ مَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ صَا * حَبِكَ النَّهْرَ أَخُوهُ
فَإِذَا أَحْتَجْتَ إِلَيْهِ * سَاعَةً بِحَبِّكَ فُوهُ

وقال آخر :

مَوَالِينَا إِذَا أَفْتَقَرُوا إِلَيْنَا * وَإِنْ أَثَرُوا فَلَيْسَ لَنَا مَوَالِي
وَالْعَرَبُ تَقُولُ فِيمَنْ شَرَّكَكَ فِي النِّعْمَةِ وَخَذَلَكَ عِنْدَ النَّائِبَةِ : يَرْبِضُ حَجْرَةً وَيَرْتَعُ
وَسَطًا .

قال المسدائي : لحن الججاج يوما ، فقال الناس : لحن الأمير ، فأخبره بعض
من حضر ، فتمثل بشعر قعنب بن أم صاحب :
صُمُّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذِكْرْتُ بِهِ * وَإِنْ ذِكْرْتُ بِسُوءٍ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا^(٢)
فَطَانَهُ فَطَنُوهَا لَوْ تَكُونُ لَهُمْ * مَرْوَةً أَوْ تُقَى لَهْ مَا فَطَنُوا
إِنْ يَسْمَعُوا سَيِّئًا طَارُوا بِهِ فَرَحًا * مَنَى وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا

١٠

باب القرايات والولد

حدثني زيد بن أنحزم قال حدثنا أبو داود قال حدثنا إسحاق بن سعيد القرشي
من ولد سعيد بن العاص قال أخبرني أبي قال : كنتُ عند ابن عباس ، فأثاه رجل
فَمَتَّ إِلَيْهِ بِرَحِمٍ بَعِيدَةٍ ، فَلَانَ لَهُ وَقَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " اِعْرِفُوا
أَنْسَابَكُمْ تَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ فَإِنَّهُ لَا قُرْبَ بِالرَّحِمِ إِذَا قُطِعَتْ وَإِنْ كَانَتْ قَرِيبَةً وَلَا بُعْدَ بِهَا
إِذَا وَصَلَتْ وَإِنْ كَانَتْ بَعِيدَةً " .

١٥

(١) في الأصل : « رَبِضْ » بالطاء والصاد المهملة وهو تحريف . (٢) الحجرة : الناحية .

٢٠ (٣) أذنوا : استمعوا .

حدثني شَيْبَانَةُ قَالَ حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ الْحَكَمِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ حَيَّاشٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ قَالَ : أَحَدُوا ثَلَاثًا ، فَإِنَّهُنَّ مَعْلَقَاتُ الْعَرْشِ : النِّعْمَةُ تَقُولُ يَا رَبِّ كُفِّرْتُ ، وَالْأَمَانَةُ تَقُولُ يَا رَبِّ أَكَلْتُ ، وَالرَّحْمَةُ تَقُولُ يَا رَبِّ قُطِعْتُ .

حدثني الزُّيَادِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ قَالَ قَالَ مُحَارِبُ بْنُ دِنَارٍ : إِنَّمَا سُمُّوا أِبْرَارًا لِأَنَّهُمْ بَرُّوا الْآبَاءَ وَالْأَبْنََاءَ ، وَكَأَنَّ لَوَالِدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، فَكَذَلِكَ لَوَالِدِكَ عَلَيْكَ حَقٌّ .

حدثني أَبُو سَفْيَانَ الْغَنَوِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ حَيَّوَةَ بْنِ شَرِيحٍ عَنْ الْوَلِيدِ بْنِ أَبِي الْوَلِيدِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍاءَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "أَبْرَأُ الرَّجُلُ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وَدِّ أَبِيهِ" .

حدثني الْقُومِيّ قَالَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ قَالَ حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "ابْنُ أُخْتِ الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمَوْلَى الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَحَايِفُ الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ" .

وحدثني أيضًا عَنْ خَالِدِ بْنِ تَخْلَدٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "الرَّحْمَةُ شَجَنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ قَالَ لَهَا مَنْ وَصَلَكَ وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَكَ قَطَعْتُهُ" .

حدثني الزُّيَادِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي سِيرِينَ قَالَ قَالَ عُمَانُ : كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَقْرَبَاءَهُ أَبْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ، وَأَنَا أُعْطِيَ قَرَابَاتِي لَوَجْهِ اللَّهِ ، وَلَنْ يُرَى مِثْلُ عُمَرَ .

(١) ورد في الجامع الصغير : « منهم » بدل « من أنفسهم » ولعلها رواية . (٢) الشجعة :

الشجعة من كل شيء ، يقال : بينهما شجعة رحيم .

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا إبراهيم بن موسى قال حدثنا محمد بن ثور^(١) عن معمر بن أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن عليّ عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمُرِهِ وَيُوسَعَ لَهُ فِي رِزْقِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ" .

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا أبو نعيم قال حدثنا سفيان عن عبد الله ابن عيسى عن عبيد بن أبي الجعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ وَلَا يَرُدُّ الْقَدْرَ إِلَّا الدُّعَاءُ وَإِنَّ الرَّحْلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ" .

حدثني محمد بن يحيى القطعي قال حدثنا عبد الأعلى قال حدثنا سعيد عن مطر عن الحكم بن حنيفة عن النخعي عن ابن عمر قال : أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إِنْ وَالِدِي يَأْخُذُ مِنِّي مَالِي وَأَنَا كَارِهِ ؛ فَقَالَ : "أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّكَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ" .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله عن الأصمعي قال : أخبرني بعض العرب : أن رجلاً كان في زمن عبد الملك بن مروان ، وكان له أب كبير ، وكان الشاب عاقاً بابه ، وكان يقال للشاب "مَنَازِلُ"^(٢) فقال الشيخ^(٣) :

جَزَتْ رَحِمُ بَنِي وَين مَنَازِلِ * جزاء كما يَسْتَنْجِزُ الدِّينَ طَالِبُهُ
تَرَبَّتْ حَتَّى صَارَ جَعْدًا شَمَرْدَلًا * إذا قام سَاوَى غَارِبَ الْفَحْلِ غَارِبُهُ^(٥)

١٥ (١) هو معمر بن راشد ، وهو الذي يروى عنه محمد بن ثور كما في التهذيب . (٢) كذا في الخلاصة في أسماء الرجال للزرجي وفي الأصل «عينة» وهو تحريف . (٣) هو منازل ابن فرعان ذكره في القاموس وقال شارحه هو بفتح الميم ومنهم من ضبطه بضمها . (٤) دو فرعان التميمي كما في لسان العرب مادة «جعد» . (٥) تَرَبَّتْ : تَرَبَّى . والجعد الطويل . والشردل : الفتى القوي ، وقد اختلف اللسان (في مادة جعد) عما هنا في إيراد هذا البيت ، وأورد معناه في بيتين وهما :

وربيتسه حتى إذا ما تركته * أذا القوم واستغنى عن المسح شاربه
وبالمحض حتى آض جعداً عنطناً * إذا قام ساوى غارب الفحل غاربه

تَظَلَّمَنِي مَالِي كَذَا وَلَوَى يَدِي * لَوَى يَسَدَهُ اللَّهُ الَّذِي لَا يَغَالِبُهُ
وَأَنَّى لَدَائِعِ دَعْوَةٍ لَوْ دَعَوْتُهَا * عَلَى جَبَلِ الرِّيَّانِ لَا تَقْضُ جَانِبُهُ
فبلغ ذلك أميراً كان عليهم ، فأرسل إلى الفقي ليأخذه ، فقال له الشيخ : أخرج من
خلف البيت ، فسبق رُسل الأمير ، ثم آتيتي الفقي بآبن عَقَه في آخر عمره فقال :

تَظَلَّمَنِي مَالِي خَلِيجٌ وَعَقْنِي * عَلَى حِينَ كَانَتْ كَالْحَنِي عَظَامِي
تَحْسِرَتُهُ وَأَزْدَدْتُهُ لِيَزِيدَنِي * وَمَا بَعْضُ مَا يَزِدَادُ غَيْرُ عُرَامٍ

(٢) وقال يحيى بن سعيد مولى تيم كوفي لأبيه :

غَدَوْتُكَ مَوْلُودًا وَعُطِّكَ بِإِفْعَا * تُعَلُّ بِمَا أَجْنِي عَلَيْكَ وَتَهْلُ
إِذَا لَيْلَةٌ نَالَتْكَ بِالشُّكْرِ لَمْ أَتِ * لَشُكْوَاكَ إِلَّا سَاهِرًا أَعْمَلُ
كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالذِّى * طُرِقْتَ بِهِ دُونِي وَعَيْنِي تَهْمِلُ
فَلَمَّا بَلَغْتَ الْوَقْتَ فِي الْعَدَّةِ الَّتِي * إِلَيْهَا جَرَى مَا أَبْتَغِيهِ وَأُمْلُ
جَعَلْتَ جَرَأِي مِنْكَ جَبْهًا وَغِلْظَةً * كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمَنْعَمُ الْمُنْفَضُّ
فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرَعْ حَقَّ أَبَوَيْ * كَمَا يَفْعَلُ الْجَارُ الْجَاوِرُ تَفْعَلُ

قال القاسم بن محمد : قد جعل الله في الصديق البارِ عوضاً من الرِّحْمِ المَدِيرَةِ

- (١) العرام : الشراة والأذى ، وفي الأصل : «غرام» بالعين المعجمة وهو تحريف .
(٢) هذا الشعر لأمية بن أبي الصلت النقي كما في الأغاني (ج ٣ ص ١٩١ طبعة بولاق) وأشعار
الحماسة (ص ٢٥٤ طبع أوروبا) ، وقيل : إنها تروى لابن عبد الأعلى ، وقيل : لأبي العباس الأعمى .
وليس ليحيى بن سعيد كما ذكر المؤلف لأنه أنشد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ عليه الصلاة والسلام
بتلايب الولد وسله لوالده قائلاً له : «أنت وما لك لأبيك» . (٣) في أشعار الحماسة
«أدنى اليك» . (٤) رواية هذا البيت في الحماسة :

فَلَمَّا بَلَغْتَ السَّنَ وَالنَّايَةَ الَّتِي * إِلَيْهَا مَدَى ١٠ كُنْتُ فَيْكَ أَوْمِلُ

(٥) في الحماسة : «ضلت كما الجار ... الخ» .

كتب عمر إلى أبي موسى : مَرُّ ذَوَى الْقَرَابَاتِ أَكَّ يَتَرَاوَرُوا وَلَا يَتَجَاوَرُوا .
 وقال أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ : تَبَاعَدُوا فِي الدِّيَارِ تَقَارَبُوا فِي الْمَوْتَةِ .
 قيل لأَعْرَابِيٍّ : مَا تَقُولُ فِي ابْنِ عَمِّكَ ؟ قَالَ : عَدُوُّكَ وَعَدُوُّ عَدُوِّكَ .
 وقال قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ :

شَفَّيْتُ النَّفْسَ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرٍ * وَسَيِّئِي مِنْ حُدَيْفَةٍ قَدْ شَفَانِي ٥
 قَتَلْتُ بِإِخْوَتِي سَادَاتِ قَوْمِي * وَقَدْ كَانُوا لَنَا حَلَى الزَّمَانِ
 فَإِنْ أَكُّ قَدْ بَرَدَتْ بِهِمْ غَلِيلِي * فَسَلِمَ أَقْطَعُ بِهِمْ إِلَّا بَنَانِي
 قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ، حِينَ تَصَفَّحَ الْقَتْلَى يَوْمَ الْجَمَلِ : شَفَّيْتُ
 نَفْسِي وَجَدَعْتُ أَنْفِي . وَفِي مِثْلِ ذَلِكَ قَوْلُ الْقَائِلِ :

قَوْمِي هُمُ قَتَلُوا أَسْمَ أَخِي * فَإِذَا رَمَيْتُ يُصَيِّبُنِي سَهْمِي ١٠
 وَلَئِنْ عَفَوْتُ لَأَعْفُونَ جَلًّا * وَلَئِنْ قَرَعْتُ لَأُوهِنَنَّ عَظْمِي
 قَتَلَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ ابْنَ أَخِيهِ فُدْفِعَ إِلَى أَخِيهِ لِقَيْدِهِ ، فَلَمَّا أَهْوَى بِالسَّيْفِ
 أُرْعِدَتْ يَدَاهُ ، فَالْقَى السَّيْفَ مِنْ يَدِهِ وَعَفَا عَنْهُ وَقَالَ :
 أَقُولُ لِلنَّفْسِ نَاسَاءً وَتَعْزِيَةً * إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابَتْنِي وَلَمْ تُرِدْ
 كَلَامَهُمَا خَلْفًا مِنْ فَقْدِ صَاحِبِهِ : هَذَا أَخِي حِينَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي ١٥
 وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

بُكَرُهُ سَرَاتِنَا يَا آلَ عَمْرٍو * تُفَادِيكُمْ بِمُرْهَفَةِ النَّصَالِ
 فَنُبْكِي حِينَ نَذْكُرْكُمْ عَلَيْكُمْ * وَتَقْتُلُكُمْ كَمَا نَا لَا نُبَالِي

وقال عدى بن زيد :
 وَظَلَمُ ذَوَى الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً * عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقْعِ الْحَسَامِ الْمُهَنْدِ ٢٠

(١) هو الحمارث بن وطة الدهلي كما في الحماسة . (٢) في الحماسة : «سوط» .
 (٣) في الأصل : «لابن أخيه» وهو تحريف .

وقال غيره :^(١)

سَأْخُذُ مِنْكُمْ آلَ حَزْنٍ لِحَوْشٍ * وَإِنْ كَانَ مَوْلَايَ وَكُنْتُمْ بَنِي أَبِي^(٢)
إِذَا كُنْتُ لَا أُرْمَى وَتُرْمَى عَشِيرَتِي * تُصِيبُ جَانِحَاتُ النَّبْلِ كَشِيحِي وَمَنْكِي^(٣)^(٤)

قال حدثنا أبو الخطاب قال حدثنا الوليد بن مسلم عن محمد بن السائب البكري

عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« حَقُّ كَبِيرِ الْإِخْوَةِ عَلَى صَغِيرِهِمْ حَقُّ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ » .

والعرب تقول في العطف على القرابة وإن لم يكن واداً : « أَفْكَ مِنْكَ وَإِنْ
ذَنْ »^(٦) . ومثله : « عِيْصُكَ مِنْكَ وَإِنْ كَانَ أَشْبَاهًا »^(٧) .

وقال النمر بن تولب :

إِذَا كُنْتُ مِنْ سَعْدٍ وَأَمْلَكَ فِيهِمْ * غَرِيْبًا فَلَا يَغُرُّكَ خُلُوكُ مِنْ سَعِدٍ
فَإِنْ أَبْنَى أَخِي الْقَوْمِ مُصْنًى^(٨) إِنْ أَوْه * إِذَا لَمْ يُزَاحِمْ خَالَه بِأَبٍ جَلْدُ
وَقَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي عَائِدٍ لِإِيَّاسَ بْنِ سَهْمٍ :

أَبْلَغُ إِيَّاسًا أَنْ عَرَضَ ابْنُ أُخْتِكَ * رِدَاؤُكَ فَاقْصُطْ حُسْنَهُ أَوْ تَبَدَّلْ^(٩)

(١) ذكر هذان البيتان في الحماسة ضمن أبيات يقال : إنها لجلد بن عمرو . (٢) كذا في ديوان

الحماسة ، وفي الأصل : « آل حريم » . وفيه بدل « لحوش » « بجوش » . (٣) في ديوان
الحماسة : « وإن كان لي مولى » . وقد أشار شارحه إلى رواية الأصل وقال : إنه بها دخله المكف وهو حذف
الساكن الساكن من مفاعيل ، وهو قبيح في غير الفخج . قال شارح الحماسة : « وليس في الحماسة بيت مكفوف
غيره » . ثم قال : « ويروى مولى » ، فعل هذا يسلم من الزحاف . والأولى أشبه بطريقة الشعراء ، ألا ترى أنهما
مرفقان مصانفان : مولاى وبني أبي » . (٤) في الحماسة : « كاشي » وقيل أراد بالكناية مولا .

(٥) في الحماسة : « جانحات » ، بلون أى كاسرات الجناح ، يقال : جنح إذا كسر جناحه . ويجوز أيضا
أن يكون جانحات من جنح إليه إذا مال . وأشار شارح الحماسة إلى الرواية التي وردت بالأصل ولكنه
استحسن الأولى لأنه لا يقال : رماه فأجناحه . (٦) ذن : سال غمظه وفي مجمع الأمل : « وإن كان
أذن » . (٧) العيص : الجماعة من الدر تجتمع في مكان واحد . والأشب : شدة الضفاف الشجر حتى
لا يجازيه . (٨) مصنى : إناءه : مقوم حقه ، يقال : أصنى فلان إناء فلان إذا أماله وقصمه
حظه . (٩) اصطن : صن واحفظ . أمر من اصطان . وهو الاتعال من صان . وتبدل : آتس .

فَإِنْ تَكُ ذَا طَوِيلٍ فَلْيَأْنِ أَخِيكَ * وَكُلُّ ابْنِ أَخِيٍّ مِنْ مَدَى الْخَالِ مُعْتَلٍ^(٢)
فَكُنْ أَسَدًا أَوْ ثَعْلَبًا أَوْ شَيْهَةً * فَهَمَّا تَكُنْ أَتُسَبُّ إِلَيْكَ وَأُشْكَلُ^(٣)
وَمَا ثَعْلَبٌ إِلَّا ابْنُ أَخِي ثَعَالٍ * وَإِنْ ابْنُ أَخِي اللَّيْثِ رِثَالُ أَشْبَلٍ
وَكُتِبَ لِشَرِّ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ إِلَى عَمَّةٍ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ :

جَفَانِي الْأَمِيرُ وَالْمَغِيرَةُ قَدْ جَفَا * وَأَمْسَى يَزِيدُ لِي قَدْ آزَوْرَ جَانِبُهُ
وَكُلُّهُمْ قَدْ نَالَ شِبْعًا لِبَطْنِهِ * وَشَبَّعُ الْفَقَى لَوْمْ إِذَا جَاعَ صَاحِبُهُ
فِيَا عَمَّ مَهْلًا وَاتَّخِذْنِي لِنُوبَةٍ * تَتُوبُ ، فَإِنَّ الدَّهْرَ جَمٌّ عَجَائِبُهُ
أَنَا السِّيفُ إِلَّا أَنْ لِلسِّيفِ نُبُوءَةٌ * وَمِثْلِي لَا تَنْبُوءُ عَلَيْكَ مَضَارِبُهُ

دخل رجل من أشرف العرب على بعض الملوك ، فسأله عن أخيه ، فأوقع به
يعيبه ويشتمه ، وفي المجلس رجل يستؤه فشرع معه في القول ؛ فقال له : مهلا ! إني
لأكل لحمي ولا أدعه لأكل .

ويقال : القرابة محتاجة إلى المودة ، والمودة أقرب الأنساب ، والبيت المشهور في هذا :

فَإِذَا الْقَرَابَةُ لَا تُقَرَّبُ قَاطِعًا * وَإِذَا الْمَوَدَّةُ أَقْرَبُ الْأَنْسَابِ

وقيل لبزرجهمر : أخوك أحب إليك أم صديقك ؟ فقال : إنما أحب أخى إذا
كان صديقا .

وقال خنساء بن زهير :

رَأَيْتُ ابْنَ عَمِّي بَادِيًا لِي ضِغْنُهُ * وَوَاعِيَهُ فِي الصَّدْرِ لَيْسَ بِذَاهِبٍ
وَأَنْشَدَنَا الرَّيَّاشِيُّ :

حَيَاءُ أَبِي السَّيَّارِ خَيْرٌ لِقَوْمِهِ * لِمَنْ كَانَ قَدْ سَاسَ الْأُمُورَ وَجَرَّبَا
وَتَعَتَّبُ أَحْيَانًا عَلَيْهِ وَلَوْ مَضَى * لَكَا عَلَى الْبَاقِي مِنَ النَّاسِ أَعْتَبَا

(١) كذا في كتاب أشعار الهذليين ، وهو الذي يتفق مع السياق بعده ، وفي الأصل : « فان أك » ...
(٢) في كتاب أشعار الهذليين : « مقتل » بالفتح المعجمة ، واعتلى : ارتفع . (٣) كذا في أشعار
الهذليين . وفي الأصل : « إليه » .

وقال الشاعر :

ولم أرَ عِزًّا لآمرئٍ كعشيره ^(١) * ولم أرَ ذُلًّا مثلَ نُأيٍ عن الأهلِ
ولم أرَ مثلَ الفقرِ أَوْضَعَ للفتى * ولم أرَ مثلَ المالِ أَدْفَعَ للرَّذلِ
ولم أرَ منَ عُدِمَ أضَرَ على الفتى * إذا عاشَ وسطَ الناسِ منَ عَدَمِ العقلِ
كانَ مُهْلِكُ صَارَ إلى قَبِيلَةٍ منَ اليَمَنِ يقالُ لهُم جَنْبٌ، نَخْطِبُوا إِلَيْهِ فَنُزَوِّجُهُمْ وَهُوَ
كَارُهُ لَأَعْتَرَابِهِ عَنْ قَوْمِهِ، وَمَهَرُوا أَبْنَتَهُ أَدَمًا؛ فَقَالَ : ^(٢)

أَنكِحْهَا فَقَدْهَا الْأَرَاقِمُ فِي ^(٣) * جَنْبٍ وَكَانَ الْحَبَاءُ مِنْ أَدَمَ
لِسَوَابَاتَيْنِ جَاءَ يَخْطُبُهَا ^(٤) * رَمَلٌ مَا أَتَى خَاطِبٌ بِدَمِ ^(٥)

وقال الأعشى :

وَمَنْ يَفْتَرِبُ عَنْ قَوْمِهِ لَا يَزَلْ يَرَى * مَصَارِعَ مَظْلُومٍ مَجْرًا وَمَسَجَا ^(٦)
وَتَدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ وَإِنْ يُبَيَّنْ * يَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارُ فِي رَأْسِ كَبْكَأ ^(٧)
وَرَبَّ بَقِيْعٍ لَوْ هَتَفْتُ بِجَمَوِهِ * أَتَانِي كَرِيمٌ يَنْفِضُ الرَّأْسَ مُغْضَبًا ^(٨)

وقال رجل من غطفان :

إِنَّا أَنْتَ لَمْ تَسْتَبِقِ وَدَّ صَحَابِي * عَلَى دَخْنٍ أَكْثَرَتْ بَثُّ الْمَعَابِ ^(٩)

- ١٥ (١) عشيره : قبيله . (٢) الأدم : اسم جمع للأديم ، والأديم : الجلد ما كان ، وقيل :
الأحمر ، وقيل : اللدبوع . (٣) الأراقم : حتى من تظلم وهي قبيله . (٤) أباين :
ثنية أباين ، وهما جبلان يقال لأحدهما : أباين الأبيض ، وللآخر : أباين الأسود . (٥) رمل :
خضب بالدم . وفي الأغانى (ج ٤ ص ١٤٦ طبع بولاق) ومعجم البلدان : « خرج » .
(٦) كبكب : جبل خلف عرفات مشرف عليها . (٧) ينفض الرأس : يحترقه كالمسحوق عما
يقال له . (٨) على دخن : على كدورة . وأصل الدخن (بالحرير) : مصدر دخنت النار إذا ألق
عليها حطب رطب وكثرت دخانها ، وأن يكون لون الدابة أو الثوب كدرا إلى سواد .

وَأَتَى لِأَسْتَبْقَى أَمْرًا السَّوْءَ عُدَّةً * لَعَنُوا عِرِّيضَ مِنَ النَّاسِ عَائِبٌ^(١)
 أَخَافُ كَلَابَ الْأَبْعَدِينَ وَنَجَّهَا * إِذَا لَمْ تُجَاوِبْهَا كَلَابُ الْأَقَارِبِ
 قَالَ رَجُلٌ لِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ : مَا تَقُولُ فِي مَوْتِ الْوَالِدِ ؟ قَالَ : مَلِكٌ حَادِثٌ ؛
 قَالَ : لِمَوْتِ الزَّوْجِ ؟ قَالَ : عُرْسٌ جَدِيدٌ ؛ قَالَ : لِمَوْتِ الْأَخِ ؟ قَالَ : قَصٌّ
 الْجَنَاحِ ؛ قَالَ : لِمَوْتِ الْوَلَدِ ؟ قَالَ : صَدْعٌ فِي الْفَوَادِ لَا يُجْبَرُ .

وَكَانَ يُقَالُ : الْعُقُوقُ تُكَلُّ مِنْ لَمْ يَشْكَلُ .

شَكَا عُمَانُ عَلِيًّا إِلَى الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ؛ فَقَالَ : أَنَا مِنْهُ كَأَبِي الْعَاقِ ، إِنْ عَاشَ
 عَقَهُ وَإِنْ مَاتَ بَقَعَهُ .

وَقَالَ رَجُلٌ لِأَبِيهِ : يَا أَبَتِي ، إِنْ عَظِيمَ حَقِّكَ عَلَيَّ لَا يُنْهَبُ صَغِيرَ حَقِّي عَلَيْكَ ،
 وَالَّذِي تَمَّتْ بِهِ إِلَيَّ أُمْتُ بِمَثَلِهِ إِلَيْكَ ، وَلَسْتُ أَزْعِمُ أَنَا عَلَى سَوَاءٍ .

وَقَالَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ لِأَبْنِهِ يَحْيَى : إِنْ اللَّهُ لَمْ يَرْضَكَ لِي فَأَوْصَاكَ بِي ، وَرِضْنِي
 لَكَ قَلَمٌ يُورِصُنِي بِكَ .

غَضِبَ مَعَاوِيَةُ عَلَى زَيْدِ بْنِ أَبِيهِ فَهَجَرَهُ ؛ فَقَالَ لَهُ الْأَحْنَفُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
 أَوْلَادُنَا ثِمَارُ قُلُوبِنَا وَعِمَادُ ظُهُورِنَا ، وَنَحْنُ لَهُمْ سَمَاءٌ ظَلِيلَةٌ ، وَأَرْضٌ ذَلِيلَةٌ ، فَإِنْ غَضِبُوا
 فَأَرْضِهِمْ ، وَإِنْ سَالُوا فَأَعْطَاهُمْ ، وَلَا تَكُنْ عَلَيْهِمْ قُتْلًا فَيَمْلُؤُوا حَيَاتَكَ وَيَتَمَتُّوا مَوْتَكَ .

قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : كَيْفَ أَبْنُوكَ ؟ — وَكَانَ عَاقًا — فَقَالَ : عَذَابٌ رَعِيفٌ^(٢) بِهِ النَّهْرُ ،
 فَلَيْتَنِي قَدْ أَوْدَعْتُهُ الْقَبْرَ ، فَإِنَّهُ بَلَاءٌ لَا يُقَاوِمُهُ الصَّبْرُ ، وَفَائِدَةٌ لَا يَحِبُّ فِيهَا الشُّكْرُ .

قِيلَ لِبَعْضِهِمْ : أَيُّ وَلَدِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : صَغِيرُهُمْ حَتَّى يَكْبُرَ ، وَسَرِيضُهُمْ
 حَتَّى يَبْرَأَ ، وَغَائِبُهُمْ حَتَّى يَقْدَمَ .

٢٠ (١) الرِّضِضُ : الَّذِي يَتَرَضَّضُ لِلنَّاسِ بِالْكَرِّ . (٢) رَعِيفٌ (بِكسر عينه) : سَبَقَ وَتَقَدَّمَ .

ناول عمر بن الخطاب رجلاً شيئاً، فقال له : خدمك بنوك ؛ فقال عمر : بل أغنانا الله عنهم .

وولد للحسن غلام، فقال له بعض جلسائه : بارك الله لك في هبته، وزادك من أحسن نعمته ؛ فقال الحسن : الحمد لله على كل حسنة ، ونسال الله الزيادة في كل نعمة ، ولا مرجحاً بمن إن كنت عائلاً أنصيني، وإن كنت غنياً أنعلني، لا أرضى بسعيي له سعيًا، ولا بكدي له في الحياة كدًا، حتى أشفق له من الفاقة بعد وفاتي، وأنا في حال لا يصل إلى من غمه حزن ولا من فرحه سرور .

قال الأصمعي : عاتب أعرابي ابنه في شرب النبيذ، فلم يعتب^(١) وقال :
أمن شربة من ماء ككريم شربتها * غضبت علي ! الآن طاب لي الخمر
سأشرب فأغضب لا رصيت، كلاهما * إلى لذيت : أن أعفك والسكر

وقال الطير تاح لابنه صمصامة :
أصمصام إن تشفع لأتمك تلقها * لها شافع في الصدر لم يبرج
هل الحب إلا أنها لو تعرضت * لنبحك يا صمصام قلت لها أذبحي
أحاذر يا صمصام إن يث أن يلى * ترائي وإياك أمرؤ غير مصلح^(٢)
إذا صلت وسط القوم رأسك صكة * يقول له الناهي ملكك فاصبح

وأنشد ابن الأعرابي :

أحب بنتي ووددت أني * دفنت بنتي في قبر الحيد
وما بي أن تهون علي لكن * مخافة أن تنوق البؤس بعدي

(١) لم يعتب : لم يرضه ولم يرجع عن الشراب الذي غضب عليه من أجله . (٢) أجمع :

اعف وأصفح .

ونحوه قول الآخر :

لولا أُمِّيَّةٌ لم أجزع من العَدَمِ * ولم أجُبْ في الليالي حِنْدَسَ الظُّلَمِ
وزادني رغبةً في العيش معرقتي * ذُلُّ اليتيمة يحفوها ذوو الرِّحِمِ
أحاذر الفقر يوما أن يُلمَ بها * فيهلك السَّتر من الحِمِّ على وَضَمِ
تهوى حياتي وأهوى موتها شغفًا * والموتُ أكرمُ نَزَالٍ على الحُرَمِ

وقال أعرابي في أخته :

يا شِقَّةَ النَّفْسِ إن النفس والهمة * حَرَى عَلَيْكِ ودمعُ العين مُنْسِجِمُ
قد كنتُ أخشى عليها أن تُفقدني * إلى الحمام فيُبدى وجهها العَدَمُ
فآلآن نمتُ فلا همٌّ يُورقني * تهذا العيونُ إذا ما أودتِ الحُرَمِ

وقال أعشى سليم :

نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ وَاقِدٍ * إذا ما البيوتُ لبسن الجليدا
كفيت الذي كنتُ أرجى له * فصرتُ أبالي وصرْتُ الوليدا

وقال أعشى همدان في خالد [بن عتاب] بن ورقاء :

فإن بكُ عتابُ مضى لسبيله * فما مات من يبقى له مثلُ خالدٍ

وفي الحديث المرفوع : ”ريحُ الولد من ریح الجنة“ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد أبني بنته : ”إنكم لتُجبنون وإنكم لتُبخلون وإنكم لمن ریحان الله“ .

وقالت أعرابية :

يا حبذا ریحُ الولد * ریحُ الخُزّامي بالبَلَدِ

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : هذا يدلُّك على تفضيلهم الخُزّامي .

وكان يقال : ابنُك ریحانُك مَبْعاءٌ ، وخادمُك مَبْعاءٌ ، ثم عدوُّ أو صديق .

مرّ أعرابيٌّ ينشدُ أبنا له بقوم، فقالوا : صفه ؛ فقال : دُتَيْبِرٌ، قالوا : لم نره ؛ فلم يلبث القومُ أن جاء على عُنقه يَجْعَلُ، فقالوا : ما وجدتَ أبناك يا أعرابي ؟ قال : نعم هو هذا، قالوا : لو سألتَ عن هذا لأخبرناك، ما زال منذُ اليوم بين أيدينا .
قال الشاعر في امرأة :

نعمَ ضَجِيعُ الفتى إذا برد ال * ليلٌ سُخِيرًا وقرقفُ الصرد^(١)
زيناها الله في العيون كما * زين في عين والدٍ ولد
وفي الحديث : "من كان له صبيٌ فليستصب له" .
وقال الزبير وهو يرقص أبنا له :

أبيضُ من آل أبي عتيق * مباركٌ من ولد الصديق
* الله كما اللدريقي *

وقال أعرابي :

لولا بُنَيَاتُ كزُغِبِ القَطَا * حُطِطُن من بعض إلى بعض^(٢)
لكان لي مُضْطَرَبٌ واسعٌ * في الأرض ذاتِ الطُولِ والعَرْضِ
وانما أولادُنا بيننا * أكبادُنا تمشي على الأرض
لو هبتِ الرِّيحُ على بعضهم * لامتعتُ عيني من الغمضِ
أزلى الدهرُ على حكمه * من مرَّ قِبَالي إلى خَفِضِ
وأبترنى الدهرُ ثيابَ الغنى * فليس لي مالٌ سوى عِرْضِي

قال بعض النساء : إنما قيل : سعدُ العشيرة ، لأنه كان يركب في عشرة من ولده ، فكانهم عشيرة .

(١) قرقف : أرعد من البرد . والصرد : الرجل القوي على البرد . (٢) رويت هذه الأبيات في الأمل ج ٢ ص ١٨٩ طبع دار الكتب المصرية ببعض مخالفة عما هنا ، وذكرت أيضا في الخامسة بشرح التبريزي طبع أوروبا ص ١٤١ وفيها اختلاف في الرواية وتقديم وتأخير في ترتيب الأبيات ، ونسبت إلى حطّان بن المعل .

وقال ضرار بن عمرو الضبيّ، وقد رُئي له ثلاثة عشر ذكرا قد بلغوا : من سره
بنوه ساءتة نفسه .

قال بشر بن أبي خازم :

إذا ما علّوا قالوا أبونا وأمتنا * وليس لهم عَالِينَ أمٌّ ولا أبٌ^(١)

وقال آخر :

أنا أبٌ عمك إن نابتك نائبةٌ * وليس منك إذا ما كعبك اعتدلا

وأشدنا الرياشي :

الرحم بلّها بخير البُلان^(٢) * فإن فيها للديار العمران

وأمر المال وبنت الصفران^(٣) * وإنما اشتقت من اسم الرحمن

وقال المعلّوط :

ومن يلق ما ألقى وإن كان سيّدا * ويخش الذي أخشى يسر سير هارب
غفّة سلطانٍ على أظنه * ورهطى ، وما عاداك مثل الأقارب

دخل عثمان بن عفان على أخته وهي عند عبد الله بن خالد بن أسيد، فقال :

يا بنية : مالي أراك مهزولة ؟ لعلّ بعلّك^(٤) يُغيرك ؟ فقالت : لا ، ما يُغيرني ؛ فقال

لزوجها : لعلّك تُغيرها ! قال : فافعل ، فلعلّك يزيدك الله في بني أمية أحبّ اليّ منها .

(١) عالين : حال من الضمير في « لهم » . (٢) بلّ الرحم يلها (بضم الباء) بلا وبلا :
وصلها وتداها . والبُلان : قال ابن سيده : « يجوز أن يكون البُلان اسما واحدا كالنفران والرجان وأن

يكون جمع بل » . (٣) كذا بالأصل ولم نوفق إليه في مصدر آخر، وقد أورد في اللسان مادة بلل هذا
الشعر مقتصرا فيه على صدر البيت الأول وبجزاليت الثاني . (٤) أغار الرجل امرأته : تزوّج من

أخرى فأحدث عندها الفيرة .

قال النعمان بن بشير :

وإني لأعطي المال من ليس سائلا * وأدرك للولي المانيد بالظلم
وإني متى ما يلقني صارما له * فما بيننا عند الشدائد من صرم
فلا تعدد المولى شريكك في الغنى * ولكننا المولى شريكك في العدم
إذا مت ذو القربى إليك برحمه * وغشك وأستغنى فليس بذى رحم
ولكن ذا القربى الذي يستخفه * أذاك ومن يرى العدو الذي تربى

وقال بعض الشعراء :

لقد زاد الحياة الى حبا * بناتي أنهن من الضعاف
مخافة أن يرين البؤس بعدى * وأن يشرن رقبا بعد صافي
وأن يعرزن إن كسى الجوارى * فتنبو العين عن كرم عجاف^(١)
قيل لعل بن الحسين : أنت من أبر الناس ولا نراك تواكل أمك ؛ قال :
أخاف أن يسير يدي الى ما قد سبقت عينها اليه فأكون قد عققته .
قيل لعمر بن قز : كيف كان ير أبناك بك ؟ قال : ما مشيت نهرا قط إلا مشى
خلفي ، ولا ليلا إلا مشى أمامي ، ولا رقي سطحا وأنا تحته .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن زائدة عن عطاء بن السائب عن
عثمان بن أبي العاص قال : كنت عند عمر فأتاه رجل فأنشده :

تركت أباك مرعشة يده * وأمك ما تسبغ لها شرا
إذا غنت حمامة بطن وج * على بيضاتها ذكرت كلابا

فقال عمر : مم ذاك ؟ قال : هاجر الى الشام وترك أبوين له كبيرين ، فبكى عمر
وكتب الى يزيد بن أبي سفيان في أن يرسله ، فقدم عليه ، فقال : ير أبويك وكن معها
(١) كرم : كريمات : وإذا وصف بالمصدر التزم فيه الإفراد والتذكير .

حتى يموتا . قال أبو اليقظان : مَرَبَّةٌ كِلَابٌ بالبصرة اليه تنسب ، والعوام تقول مَرَبَّةُ الكلاب .

قال أبو علي الضرير :

أَتَيْتُكَ جَدْلَانِ مُسْتَبْشِرًا * لبُشْرَاكِ لَمَّا أَتَانِي الْخَبْرُ
أَتَانِي الْبَشِيرُ بَانَ قَدْ رُزِقْتَ * غَلَامًا فَأَهْجَنِي مَا ذَكَرُ
وَأَنْتَ ، وَالرَّشْدُ فِيمَا فَعَلَا * تَ ، أَسْمِيَّتَهُ بِأَسْمِ خَيْرِ الْبَشَرِ
وَطَهَّرْتَهُ يَوْمَ أُسْبُوعِهِ * وَمَنْ قَبْلُ فِي الذِّكْرِ مَا قَدْ طَهَّرُ^(١)
فَعَمَّرَكَ اللَّهُ حَتَّى تَرَا * هَ قَدْ قَارَبَ الْخَطُومَ مِنَ الْكِبَرِ
وَحَتَّى تَرَى حَوْلَهُ مِنْ بَقِيَّةِ * وَإِخْوَتِهِ وَبَيْنِهِمْ زُمَرُ
وَحَتَّى يَرُومَ الْأُمُورَ الْجَسَامَ * وَيُوجِّي لِنَفْعٍ وَيُجَنِّى لُضْرُ^(٢)
وَأَوْزَعَكَ اللَّهُ شُكْرَ الْعَطَاءِ * فَإِنَّ الْمَزِيدَ لِعَبْدٍ شَكْرُ^(٣)
وَصَلَّى عَلَى السَّلَفِ الصَّالِحِ * نَ مِنْكُمْ وَبَارَكَ فِيمَنْ غَبَرُ^(٤)

١٠

وهذا قد وقع في باب التهانئ أيضا .

قال المأمون : لم أر أحدا أبر من الفضل بن يحيى بآبيه ، بلغ من بره به أن يحيى كان لا يتوضأ إلا بماء مسخن وهما في السجن ، ففتحهما السجنان من إدخال الحطب في ليلة باردة ، فقام الفضل حين أخذ يحيى مضجعه إلى قفم^(١) كان يسخن فيه الماء ، فلاه ثم أدناه من نار المصباح ، فلم يزل قائما وهو في يده حتى أصبح .

١٥

(١) ما هنا زائدة . ولعل المهمل من آل البيت ، فأشار بطهارته في الذكر إلى قول الله تعالى : (إِنَّمَا

يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) . (٢) أوزعك : أهلك ، وفي الأصل :

«أودعك» . (٣) غبر : بقى ، ويستعمل كذلك بمعنى مضى وذهب فهو من الأضداد .

٢٠

(٤) قفم : إناء من نحاس .

رقص أعرابي أبته وقال :

أَجِبْه حَبَّ الشَّحِيجِ مَالَهُ * قَدْ كَانَ ذَاقَ الْفَقْرِ ثُمَّ نَالَهُ
* إِذَا يُرِيدُ بَدَلَهُ * *

دخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده أبنته عائشة ، فقال : من هذه يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذه تُفَاحَةُ الْقَلْبِ ؛ فقال : أَيْنِهَا عَنْكَ ؛ قال : ولم ؟ قال : لِأَنَّهُنَّ يَلِدْنَ الْأَعْدَاءَ ، وَيُقَرِّبْنَ الْبُعْدَاءَ ، وَيُورِثْنَ الضَّغَائِنَ ؛ فقال : لَا تَقُلْ ذَاكَ يَا عَمْرُو ، فَوَاللَّهِ مَا مَرَضَ الْمَرْضَى وَلَا تَدَبَّ الْمَوْتُ وَلَا أَعَانَ عَلَى الْأَحْزَانِ مِثْلُهُنَّ ، وَلَئِنْكَ لَوَاجِدٌ خَلَا قَدْ نَفَعَهُ بَنُو أُخْتِهِ ؛ فقال له عمرو : مَا أَعْلَمُكَ إِلَّا حَبِيبَتَيْنِ إِلَى .

الاعتذار

كان يقال : الْإِعْتِرَافُ يَهْدِمُ الْإِقْرَافَ .

كتب بعض الكتّاب إلى بعض العمال : لَوْ قَابَلْتُ حَقِّكَ عَلَى بَمْتَقَدِّمِ الْمَوَدَّةِ وَمُؤَكَّدِ الْحُرْمَةِ إِلَى مَا جَنَّدَهُ اللَّهُ لَكَ بِالسُّلْطَانِ وَالْوِلَايَةِ ، لَمْ أَرْضَ فِي قَضَائِهِ بِالْكِتَابِ دُونَ تَجَسُّمِ الرَّحَلَةِ وَمُعَانَاةِ السَّفَرِ إِلَيْكَ ، لَا سِيَّمَا مَعَ قُرْبِ الدَّارِ مِنْكَ ؛ غَيْرَ أَنَّ الشَّغْلَ بِمَا أَلْفَيْتُ عَلَيْهِ أُمُورِي مِنَ الْإِنْتِشَارِ وَعِلَاقِ الْخَرَاجِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا خِيَارَ مَعَهُ ، أَحَلَّنِي فِي الظَّاهِرِ مَحَلَّ الْمُقْصِرِينَ ؛ وَإِنْ وَهَبَ اللَّهُ فُرْجَةً مِنَ الشَّغْلِ وَسَهَّلَ سَبِيلًا إِلَيْكَ ، لَمْ أَتَخَلَّفْ عَمَّا لِي فِيهِ الْحِظُّ مِنْ مَجَاوِرَتِكَ وَالتَّنَسُّمِ بِرِيحِكَ وَالتَّيَمُّنِ بِالنَّظَرِ إِلَيْكَ ، غَادِيَا وَرَائِحَا عَلَيْكَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) كتب ابن الجهم إلى نجاح من الحبس :

إِنْ تَعَفَّ عَنْ عَبْدِكَ الْمُسَيَّرِ فَقِي * فَضْلِكَ مَا أَوْى لِلصَّنْجِ وَالْمَنَنِ
أَتَيْتُ مَا أَسْتَحِقُّ مِنْ خَطَا * فَعُدُّ لِمَا تَسْتَحِقُّ مِنْ حَسَنِ

(١) فِي الْأَصْلِ : «أَبُو الْجَهْمِ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وكتب الحسن بن وهب :

ما أحسنَ العفو من القادر * لا سيما عن غير ذى ناصر
إن كان لي ذنبٌ، ولا ذنبَ لي، * فماله غيرك من غافر
أعوذ بالود الذى بيننا * أن يفسد الأول بالآخر

كتب رجل إلى جعفر بن يحيى يستبطله، فوقع في ظهر كتابه : أحتج عليك
بغالب القضاء، وأعتذر اليك بصادق النية .

قال بعض الشعراء :

وتعذر نفسك إما أسأت * وغيرك بالعذر لا تعذر
وتبصر في العين منه القذى ^(١) * وفي عينك الخدع لا تبصر

وقال بعض الشعراء :

يا ذا المميز للإخاء ولا * إخوان في التفضيل والقدر
لا يقيضتك عن معاشرتي * بالأنس أن قصرت في برى
إني إذا ضاق أمرؤ ^(٢) يجدا * عني استعنت عليه بالعذر

وفي الحديث المرفوع : " من لم يقبل من معذرة صادقاً كان أوكاذباً لم يرد

على الخوض " . وفيه : " أقبلوا ذوى الهنات عثراتهم " .

اعتذر رجل إلى أبي عبيد الله الكاتب فقال : ما رأيتُ عذراً أشبه باستئناف
ذنب من عذرك .

وكان يقال : أعجل الذنوب عقوبة العذر، واليمين الفاجرة، وردّ التائب وهو
يسأل العفو خائباً .

(١) في الأصل : « وتبصر في غير منك القذى » . وفي الحديث : « يبصر أحدكم القذى في عين
أخيه ولا يبصر الجذل في عيه » . والجذل : ما عظم من أصول الشجر، وقيل : هو من العيدان ما كان على
مثال شماريخ النخل . (٢) الجدا (وزان قى) : العطية .

وقال مطرف : ^(١) المَعَاذِرُ مَكَاذِبُ .

اعتذر رجل الى إبراهيم فقال له : ^(٢) قد عذرتك غير معتذر، إن المَعَاذِرَ يَشُوْهُهَا الكذب .

ويقال . ما أعتذر مذنب إلا أزداد ذنباً .

وقال الشاعر :

٥

لا تَرْجُ رَجْعَةَ مَذْنِبٍ * خلطَ احتجاجاً باعتذار

اعتذر رجل الى سلم بن قتيبة، فقبل منه وقال : لا يدعوتك أمر تخلصت منه الى أمر لعلك لا تتخلص منه .

وقال الشاعر :

١٠ فلا تَعْدِرَانِي فِي الْإِسَاءَةِ إِنَّهُ * يَشْرَارُ الرِّجَالُ مَنْ يُسِيءُ فَيَعْدِرُ
وقال ابن الطَّيْرِيَّة :

هَبْنِي أَمْرًا إِمَّا بَرِيئًا ظَلَمْتِهِ * وإِمَّا مُسِيئًا تَابَ بَعْدُ وَأَعْتَبَا

وَكُنْتُ كَذِي دَاءٍ تَبَغَى لِدَاءِهِ * طَبِيْبًا فَلَمَّا لَمْ يَجِدْهُ تَطَبَّيَا

كتب بعض الكتاب معتذرا : توهمت، أعزك الله، نفرتك عند نظرتك الى

١٥ عنوان كتابي هذا بأسمى، لما تضمنته من السخيمة على، فأخليت منه، وانتظرت

باستعطافك من طوييتك في عاقبة امتداد العهد، وأمنت أضطغانك لغنى الدين

الحقد، واختصرت من الاحتجاج المنسب الى الإصرار، والاعتذار المتعاقدين

النظراء، والإقرار المثبت للأقدام، الاستسلام لك . على أنك إن حرمتني رضاك

آتسعت بعفوك، وإن أعدمتنيهما توغر صدرك لم تضق من الرقة على من مصيبة

٢٠ (١) هو مطرف بن الشخير. والمعاذر : جمع مذرعة بمعنى العذر، والمكاذب : جمع الكذب كالحااسن

والمقايح، وهركة ولم : ان المَعَاذِرَ يَشُوْهُهَا الكذب . (٢) هو إبراهيم النخعي .

(٣) في الأصل : « سالم » وهو تحريف .

الحِرمَانُ ؛ وإِن قسوتَ رجعتَ بك عواطفُ من أياديكَ عندى نازعةٌ بك الى
استِقامها لدى . ومن حدود فضائل الرؤساء مقابلةُ سوء من حُولوا بالإحسان .
ولا نعمة على مجرم اليه أجزلُ من الظفر ، ولا عقوبة لمجرم أبلغ من الندم ؛ وقد
ظفِرتَ وندمتُ . كتبتُ وأنا على ما تُحبُّ^(١) إشراً إن تغمدت زلتى ، وكما تُحبُّ ضراً
إن تركتَ إقالنى ، وبخير في كلتا الحالتين ما بقيت .

وكتبتُ فى كتاب اعتذار واستعطاف : كم عسى أن يكون أنتظارى لعطفك !
وكم عسى أن يكون تماديك فى عتبك ؛ لولا أنى مضطراً الى وصلك وأنت مطبوع
على هجرى . لقد استحييتُ واستحييت من ذلِّ وعِزِّك ، وخَفَضِى جَنَاحِى ونَأَيْ
بجانبك .

وفى كتاب آخر : قد أودعنى الله من نِعَمِكَ ما بَسَطَنِى فى القول مُدلاً به عليك ،
وَوَكَّدَ من حُرْمَتِى بك ما شَفَعَ لى فى الذنوب اليك ، وأَعْلَقَنِى من أسبابك ما لا أخاف
معه نوبات الزمان على فِىكَ ، وأَمْتَنَتِى بحلمك وأَنَانَتِكَ بادرَةَ غضبك ؛ فاقدمتُ ثقةً
بإِقَالَتِكَ إن عَثَرْتُ ، وبتقويمك إن زُغْتُ ، وبأخذك بالفضل إن زَلَلْتُ .

وفى كتاب اعتذار : أنا عليلٌ منذ فارقْتُكَ ؛ فإن تَجَمَّعَ على العلةِ وعَتَبَكَ أَفْدَحُ^(٢) .
على أن ألم الشوق قد بلغ بك فى عقوبتى ؛ وحضرنى هذا البيتُ على ارتجالٍ فوصلتُ
به قولى :

لك الحقُّ إن تَعَتَبَ على لَأَتْنِ * جَفَوْتُ وإِما تَغْتَفِرْ فلك الفضلُ
أنهيتُ عذرى لأتَهَى الى تَفَضُّلك بقبوله وإن أَبْلَكَ بِمَعِ إفراطى فى البرِّ بك
تفريطى فيه ، والى ذلك ما أسألك تعريضى خيرَكَ لأراحِ اليه ، وأستريدُ الله فى أمره لك .

٢٠ (١) فى الأصل : «شرا» . (٢) أفدح : أبهت وأثقل . (٣) من هنا الى آخر الكتاب
غير واضح فى الأصل وقد ابتدأناه هكذا جهداً وصلى اليه الطاقة ، على أننا لم نثر على هذا الكتاب فى مصدر آخر .

وفي فصل آخر:

أنا المُقَرَّبُ بقصوري عن حَقِّكَ، وأستحقاق جفائك؛ وبفضلِكَ من عَنَّاكَ أعوذ،
فوالله لئن تأخر كتابي عنك، ما أستر يد نفسي في شكر مودَّتِكَ، واطيف عنايتِكَ. وكيف
يَسْلَاكَ أو ينساكَ أخٌ مُفَرِّمٌ بك يراك زينةً مشهده ومغييه! .
وكيف أنساكَ لا أيديكَ واحدةٌ * عندي ولا بالذي أوليت من نعم .

وفي آخر الكتاب :

إذا أعتذر الصديقُ اليك يوما * من التقصير عذراً أخٍ مُقَرِّ
فُصْنَه عن عتابك وأعف عنه * فإن الصفع شِمةٌ كُلُّ حَرٍّ

وقال الخليل بن أحمد :

لو كنتَ تعلم ما أقول عذرتني * أو كنتَ أجهل ما تقول عذلتُكَ^(١)
لكن جَهِلْتَ مقالتي فعذلتني * وعلمتُ أنك جاهلٌ فعذرتُكَ
قيل لبرِّد جِهر : ما بالكم لا تُعَاتِبُونَ الجَهْلَةَ ، قال : لأننا لا نريد من العُميان
أن يُبْصِرُوا .

وقال ابن الدُّمَيْنَةِ :

بنفسي وأهلي مَنْ إذا عَرَضُوا له * ببعض الأذى لم يَدْرِ كيف يُجِيبُ
ولم يعتذر عذر البريء ولم تزل * به ضَعْفَةٌ^(٢) حتى يقال مُرِيبٌ
وكتب رجلٌ الى صديق له يعتذر : أنا من لا يُحَاجُّكَ عن نفسه، ولا يُغَالِطُكَ
عن جُرْمِهِ، ولا يَلْتَمِسُ رضاكَ إلا من جِهَتِهِ ، ولا يَسْتَعْطِفُكَ إلا بالإقرار بالذنب،
ولا يَسْتَمِيلُكَ إلا بالاعتراف بالزَّلَّةِ .

(١) في الأصل : « أو كنت أعلم ما أقول عذلتُكَ » وهو خطأ من النسخ . (٢) في حاشية
أبي تمام : « سكتة » . وفي بعض كتب الأدب : « بطة » .

وقرأت في كتاب: لست أدري بأى شيء استجزت تصديق ظنك حتى أنفذت على به حكم قطيعتك ، فوالله ما صدق على ولا كاد ، ولا استجزت ما توهمته فيمن لا يلزمني حقه . وأعينك بالله من يدار إلى حكم يوجب الاعتذار ، فإن الأناة سبيل أهل التقى والنهى ، والظن والإسراع إلى ذوى الإخاء يُنتجان الجفاء ، ويُميلان عن الوفاء إلى اللفاء^(١) .

قال إسماعيل بن عبد الله وهو يعتذر إلى رجل في آخر يوم من شعبان : والله فإني في غير يوم عظيم ، وتلقاء ليلة تفتّر عن أيام عظيم ، ما كان ما بلغك .

وقرأت في كتاب معتذر : إنك تُحسِن مجاورتك للنعمة ، وأستدامتك لها ، واجتلابك ما بعد منها بشكر ما قرب ، واستعمالك الصنح لما في عاقبته من جميل عادة الله عندك ؛ متقبل العذر على معرفة منك بشناعة الذنب ، وتُثِيل العثرة وإن لم تكن على يقين من صدق النية ، وتدفع السيئة بالتي هي أحسن .

اعتذر رجل إلى جعفر بن يحيى البرمكي ، فقال له جعفر : قد أغناك الله بالعذر منا عن الاعتذار ، وأغنانا بالموذة لك عن سوء الظن بك .

وقال بعض الشعراء :

إذا ما أمرؤ من ذنبه جاء تائباً * إليك فلم تَغْفِر له فلك الذنبُ ١٥

كان الحسن بن زيد بن الحسن والياً للنصور على المدينة ، فهجاه ورد بن عاصم المبرسم فقال :

له حق وليس عليه حق * ومهما قال فالحسن الجميلُ

وقد كان الرسول يرى حقوقاً * عليه لأهلها وهو الرسولُ

٢٠ (١) اللفاء : اليسير الحقير ، يقال : رضى فلان من الوفاء بالفاء ، أى رضى من حقه الوافى بالقليل .

(٢) غير يوم : بواقية ، جمع غابر .

فطلبه الحسن فهرب منه، ثم لم يشعر إلا وهو مائل بين يديه يقول :
 سيأتي عذري الحسن بن زيد * وتشهد لي بصفين القبور
 قبور لو بأحمد أو علي * يلوذ مجيرها بحفظ الحجير
 هما أبواك من وضعا تضعه * وأنت برفع مارقا جدير

فاستخف الحسن كرمه، فقام إليه فبسط له رداءه وأجلسه عليه .

وفي كتاب لعنير : علو الرتبة واتساع القدرة وأنساط اليد بالسطوة ، ربما
 أنست ذا الحق المحقق من الأحرار فضيلة العفو وعائلة الصفح وما في إقالة المذنب
 وأستبقائه من حسن السماع وجميل الأحذوثة ، فبعثته على شفاء غيظه، وحركته
 على تبريد غلته ، وأسرعت به إلى مجانبه طباعه وركوب ما ليس من عادته . وهمتك
 تجل عن دناءة الحقد، وترتفع عن لوم الظفر .

وفي فصل : نبت بي عنك غيرة الحدائث فردتني إليك الحنكة ، وواعدتني عنك
 الثقة بالأيام فادنتني إليك الضرورة ، ثقة بإسراعك إلى وإن كنت أبطأت منك ،
 وقبولك العذر وإن كانت ذنوبي قد سدت عليك مسالك الصفح ، فأى موقف هو
 أدنى من هذا الموقف لولا أن المخاطبة فيه لك ! وأى خطة هي أودى بصاحبها من
 خطة أنا راكبها لولا أنها في رضاك ! .

أوقع التجاج يوما بخالد بن يزيد يعيه وينقصه^(١) وعنده عمرو بن عبدة : فقال
 عمرو : إن خالدا أدرك من قبله وأتعب من بعده بتقديم غلب عليه وحديث لم يسبق
 إليه ، فقال التجاج معتبرا : يا بن عبدة ، إنا لنسترضيكم بأن نقضب عليكم ، ونستعطفكم

(١) الذي في كتب اللغة : « وقع فيه : أغناه » .

بأن نزال منكم ، وقد غلبتم على الحلم ، فوثقنا لكم به ، وعلمنا أنكم تحبون أن تحلموا ،
فتعرضنا للذي تحبون .

قال المنصور لرجل أتاها تائباً معذيراً من ذنب : عهدي بك خطيباً فما هذا
السكوت ! فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لسنا وفدٌ مباحاة وإنما نحن وفد توبة ، والتوبة
تُتلق بالامسكانة . ٥

وقع بين أبي مسلم وبين قائد له كلام ، فأرَبى عليه القائد إلى أن قال له :
يا لقيط ! فاطرق أبو مسلم ، فلما سكنت عنه فورة الغضب ندم وعلم أنه قد أخطأ
 واعتذر وقال : أيها الأمير ، والله ما أنيسطُ حتى بسطتني ولا نطقُ حتى أنطقني
 فاغفر لي ؛ قال : قد فعلت ؛ فقال : إني أحب أن أستوثق لنفسى ؛ فقال أبو مسلم :
 سبحان الله ! كنتُ سيئاً وأحسِن ، فلما أحسنتُ سيئاً ! . ١٠

قال الطائي :

وكم ناكث للعهد قد نكثت به * أمانيه وأستخدي بحقك باطله
 غاظه له الإقرار بالذنب روحه * وجثمانه اذ لم تحطه قبائله

وقال آخر :

حتى متى لا تزال معذراً * من زلة منك ما تُجانيها ١٥
 لا تشق عيبها عليك ولا * ينهاك عن مثلها عواقبها
 لترصك الذنب لا تقارفه * أيسر من توبة تقاربها
 قال أعرابي لأبن عم له : سأتحطى ذنبك إلى عذرك ، وإن كنت من أحدهما
 على يقين ومن الآخر على شك ؛ ليتم المعروف مني إليك ، ولتقوم المجرة مني
 عليك . ٢٠

عَنْبُ الإخوان والتباغُض والعداوة

حدَّثني الزَّيَادِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْقَاسِمِ عَنْ مُعَاذَةَ أَنَّهَا سَمِعَتْ هِشَامَ بْنَ عَامِرٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "لَا يَجِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُصَارِمَ مُسْلِمًا فَوْقَ ثَلَاثٍ، وَأَيُّهُمَا فَعَلَ فَإِنَّهُمَا نَاكِثَانِ عَنِ الْحَقِّ مَا دَامَا عَلَى صُرْمِهِمَا وَإِنْ مَاتَا لَمْ يَدْخُلَا الْجَنَّةَ".

قال بعض الشعراء :

سَنَ الضَّغَائِنِ آبَاءُ لَنَا سَلَقُوا * فَلَنْ تَبِيدَ وَالْآبَاءُ أَبْنَاءُ

هذا مثل قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه : العداوة تُتَوَارَثُ .

وقرأت في كتاب للهند : إذا كانت المَوْجِدَةُ عن علة كان الرضا مرجوًّا ، وإذا

كانت عن غير علة كان الرضا معدوماً . ومن العجب أن يطلب الرجل رضا أخيه
فلا يَرْضَى ، وأعجب من ذلك أن يُسَخِّطَهُ عليه طلبه رضا .

قال بعض المحذنين :

فَلَا تَلْهُ عَنْ كَسْبِ وَدِّ الْعَدُوِّ * وَلَا تَجْمَلَنَّ صَدِيقًا عَدُوًّا

وَلَا تَغْتَرِّزْ بِهُدُوِّ أَمْرِي * إِذَا هَبَّجَ فَارِقُ ذَلِكَ الْهُدُوًّا

وقال آخر :

احْذَرْ مَوَدَّةَ مَا ذِيقَ^(١) * شَابَ الْمَرَارَةَ بِالْحَلَاوَةِ
يُحْصِي الْعُيُوبَ عَلَيْكَ أَيَّامُ الصَّدَاقَةِ وَالْعِدَاوَةِ

وقال أبو الأسود الدؤلي :

إِذَا الْمَرْءُ ذَوُّ الْقُرْبَى وَذَوُّ الضَّغْنِ أَجْحَفَتْ * بِهِ سَنَةٌ حَلَّتْ مُصِيبَتُهُ حَقِيدِي

(١) المذاق : الذي يشوب الود بكدر ولا يخلصه .

وقال محمد بن أبان الأحمق لأخيه إسماعيل :

تلوم على القطيعة من أناها * وأنت ستنها في الناس قبلي

وقال آخر :

ورؤعت حتى ما أراع من النوى * وإن بان جيرات على كرام
فقد جعلت نفسي على اليأس تنطوي * وعيني على هجر الصديق تنام

قال أحمد بن يوسف الكاتب :

ما على ذا تكا أفرقنا بسندا^(١) * دولا بيننا عقدا الإخاء
نظعن الناس بالثقة السم * بر على غدرهم ونسى الوفاء

قيل لأفلاطون : بماذا ينتقم الإنسان من عدوه ؟ قال : بأن يزداد فضلا

١٠ في نفسه .

وكان يقال : احذر معاودة الذليل ، فربما شرق بالذباب العزيز .

كتب رجل من الكتاب الى صديق له تجي عليه :

عبت على ولا ذنب لي * بما الذنب فيه ولا شك لك
وحاذرت لومي فبادرتني * الى اللوم من قبل أن أبذرك
فكنا كما قيل فيما مضى * خذ اللص من قبل أن يأخذك

١٥

وقال آخر :

رأيتك لما نلت مالا، ومنا^(٢) * زمان ترى في حد أنيابه شغبا
جعلت لنا ذنبا لتمنع نائلا * فأمسك ولا تجعل غناك لنا ذنبا

(١) سنداد : اسم موضع . (٢) الذنب : تهيج الشر ، وفي الأصل : « شعبا » .

وقال آخر :

تُرِيدِينَ أَنْ أَرْضَى وَأَنْتِ بَخِيلَةٌ * وَمَنْ ذَا الَّذِي يُرِضِي الْأَخْلَاءَ بِالْبَخْلِ
وَجَلَّتْ لَا يَرْضَى ^(١) إِذَا كَانَ عَاتِبًا * خَلِيلُكَ إِلَّا بِالْمَوَدَّةِ وَالْبَذْلِ
مَتَى تَجْعَلِي مَتَا كَثِيرًا وَنَائِلًا * قَلِيلًا يَقْطَعُ ذَاكَ بَاقِيَةَ الْوَصْلِ

كتب رجل الى صديق له :

لئن ساءني أن نلتني بمساءة * لقد سرتني أني خطرتُ ببالك ^(٢)

وقال آخر :

إِذَا رَأَيْتُ أَزْوَارًا مِنْ أَخِي ثِقَةٍ * ضَاقَتْ عَلَى بَرْحِ الْأَرْضِ أَوْطَانِي
فَإِنْ صَدْتُ بِوَجْهِهِ كَى أَكْفَأَهُ * فَالْعَيْنُ غَضَبِي وَقَلْبِي غَيْرُ غَضْبَانِ

وقال إبراهيم بن العباس :

وَقَدْ غَضِبْتُ فَمَا بَالِيَّ غَضَبِي * حَتَّى أَنْصَرَفْتُ بِقَلْبٍ مَخْطِ رَاضِي
وقال زهير :

وَمَا يَكُ فِي عَدُوٍّ أَوْ صَدِيقٍ * تُخَبِّرُكَ الْعَيُونُ عَنِ الْقُلُوبِ

وقال دريد :

وَمَا تَخْفَى الضَّغِينَةُ حَيْثُ كَانَتْ * وَلَا النَّظَرُ الصَّحِيحُ مِنَ السَّقِيمِ

وقال ابن أبي خازم :

خُذْ مِنَ الدَّهْرِ مَا كَفَى * وَمِنَ الْعَيْشِ مَا صَفَا
لَا تُلَحِّنْ بِالْبَسْكَ * عَلَى مِثْلِ عَفَا

(١) في الأصل : «وجدتك لا ترضى» . (٢) هذا البيت من قصيدة لابن الدببة مطلعها :

قضى يا أمير القلب تقضى لبانة * ونشك الموى ثم افعل ما بدا لك

خَلَّ عَنْكَ الْعَتَابُ إِنْ * خَانَ ذُو الْوُدِّ أَوْ هَفَا
عَيْنٌ مِنْ لَا يُحِبُّ وَصَد * لَكَ تُبْدَى لَكَ الْخَفَا

وقال أعرابي يذكر أعداءه :

يَزْمَلُونَ جَنِينَ الضَّغْنِ بَيْنَهُمْ * وَالضَّغْنُ أَشْوَهُ أَوْفَى وَجْهِهِ كَلْفٌ^(٢)
إِنْ كَاتَمْنَا الْقَلَى نَمَتَ عَيُونُهُمْ * وَالْعَيْنُ تُظْهِرُ مَا فِي الْقَلْبِ أَوْ تَصِفُ

وقال ابن أبي أمية :

كَمْ فَرَحَةٌ كَانَتْ وَكَمْ تَرَحَةٌ تَخْزِصُهَا لِي فِيكَ الظُّنُونُ
إِذَا قُلُوبٌ أَظْهَرَتْ غَيْرَهَا * تُضْمِرُهُ أَتْبَكَ عَنْهَا الْعَيُونُ

وقال آخر :

أَمَا تُبْصِرُ فِي عَيْنِي عُتُوبَ الَّذِي أَبْدَى

وقال آخر :

وَمَوْلَى كَأَنَّ الشَّمْسَ بَنِي وَبَيْنَهُ * إِذَا مَا آلتَقَيْنَا لَيْسَ مَتْنٍ أَعَاتِبُهُ
يَقُولُ : لَا أَقْدِرُ [أَنْ] أَنْظُرَ إِلَيْهِ ، فَكَأَنَّ الشَّمْسَ بَنِي وَبَيْنَهُ . وَمِثْلُهُ :
إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَعْرَضْتَ عَنِّي * كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ

وقال التمر بن تَوَلَّب في الإعراض :

فَصَنَنْتُ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَحْتَ قِنَاءِهَا * بَدَأَ حَاجِبٌ مِنْهَا وَضَلَّتْ بِحَاجِبِ
أَخَذَهُ أَبُو فَوَاسٍ فَقَالَ :

يَا قَمْرًا لِلنَّصِيفِ مِنْ شَهْرِهِ * أَبْدَى ضِيَاءَ لُثْمَانٍ بَقِيَرٍ
يُرِيدُ أَنَّهُ أَعْرَضَ بِوَجْهِهِ فَبَدَأَ لَهُ نَصْفُهُ .

٢٠ (١) زمل الشيء : أخفاه . (٢) الكلف : شيء يطو الوجه كالسهم ويعرف بالتمش .

وقال آخر في الضغينة :

وفينا وإن قيل أصطلحنا تَصَاغُنْ * كما طَرَأَ أوبارُ الجِرَابِ عَلَى النَّشْرِ^(١)

وقال آخر في نحوه :

وقد نَبَتُ المَرْعى عَلَى دِمَنِ الثَّرى * وَتَقَى حَزَازَاتُ النُّفُوسِ كَمَا هَيَا

وقال الأخطل :

إِنَّ الضَّغِينَةَ تَلْقَاهَا وَإِنْ قَدِمْتُ * كَالْعَرِيكُنَّ حِينَ تَنْتَشِرُ^(٢)

شُمْسُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ * وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَهْلَامًا إِذَا قَدَّرُوا

وَقَرَأْتُ فِي كِتَابٍ لِلْهِنْدِ : لَيْسَ بَيْنَ عَدَاوَةِ الْجَوْهَرِيَّةِ صَلَاحٌ إِلَّا رِيثًا يَنْتَكُثُ،

كَلِمَاءُ إِنْ أُطِيلَ إِسْخَانُهُ فَانْه لَا يَتَمَنَعُ مِنْ إِطْفَاءِ النَّارِ إِذَا صُبَّ عَلَيْهَا .

١٠ قال سعد بن أبي وقاص لعمار بن ياسر : إِنْ كُنَّا لَنَعْلَمُكَ مِنْ أَكْبَرِ أَصْحَابِ

عِمْدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْ عَمْرِكَ إِلَّا ظِمٌّ^(٣) الْحَارِ فَعَلْتَ وَفَعَلْتَ ؛

قَالَ : أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ : مَوْتَةٌ عَلَى دَخَلٍ أَوْ مُصَارَمَةٌ جَمِيلَةٌ ؟ قَالَ : مُصَارَمَةٌ جَمِيلَةٌ ؛

قَالَ : اللَّهُ عَلَى آلَا أَكَلَمَكَ أَبَدًا .

وقال بعض الشعراء في صديق له تغير :

١٥ إِحْوَلُ عَنِّي وَكَانَ يَنْظُرُ مِنْ * عَيْنِي وَيَرْمِي بِسَاعِدِي وَيَدِي^(٤)

(١) النشر: الكلاء يهيج أعلاه وأسفله ندى أخضر تدق منه الابل (بكثر وبرها وشحمها) اذ ريعته ؛

كذا ذكره صاحب اللسان في مادة (نشر) ، وقد ساق هذا البيت في أبيات لمعمر بن جباب ، وقال في تحصيله :

يقول : ظاهرنا في الصلح حسن في مرآة العين وباطنا فاسد كما تحسن أوبار الجرب عن كل النشر وتجنب داء

منه في أجوافها . قال أبو منصور : وقيل النشر في هذا البيت : نشر الجرب بعد ذهابه ونبات وير عليه

حتى يخفى . قال : وهذا هو الصواب . يقال : نشر الجرب يفثر نشرًا ونشورًا إذا حي بعد ذهابه . هـ .

٢٠ (٢) العز : الجرب . (٣) يقال : ما بق منه إلا قدر ظم الحار أى لم يبق من عمره إلا يسير

لأنه يقال : إنه ليس شيء من الدواب أقصر ظمًا من الحار وهو أقل الدواب صبرًا على العطش يذ لماء

كل يوم في الصيف مرتين . (٤) احولت عنه بمعنى حولت ، والمراد الإعراض والانصراف .

وقال المُثَقَّب العبدى :

ولا تَعِدِى مَوَاعِدَ كَذِبَاتٍ * تَمْرِبُهَا رِيَّاحُ الصَّيْفِ دُونِى
فَإِنِ لَوْ تُعَانِدُنِى شِمَالِى * عِنَاكَ مَا وَصَلْتُ بِهَا يَمِينِى
أَذَا لَقَطَعْتُهَا وَلَقَلْتُ بِبَنِي * كَذَلِكَ أُجْتَوِى مَنْ يَحْتَوِينِى

وقال الكُمَيْت :

ولَكِنْ صَبْرًا عَنْ أَخٍ عَنْكَ صَابِرٌ ^(١) * عَزَاءٌ أَذَا مَا النَّفْسُ حَنَّ طَرَوُهَا
رَأَيْتُ عَذَابَ الْمَاءِ إِنْ حِيلَ دُونَهَا * كَفَاكَ لِمَا لَا بُدَّ مِنْهُ شَرُّوهُهَا ^(٢)
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْأَيْسَّةُ مَرْكَبٌ * فَلَا رَأَى لِلجَّهْدِ إِلَّا رُكُوبُهَا ^(٣)

وقرأت فى كتاب للهند : العدو إذا أحدث صداقة لعله ألبأته إليها فمع ذهاب

١٠ العلة رجوع العداوة، كالماء يسخن فإذا رُفِعَ عاد باردا .

قال محمد بن يزيد الكاتب : إذا لم تستطع أن تقطع يدَ عدوك فقبّلها .

قال الشاعر :

لَقَدْ زَادَنِى حُبًّا لِنَفْسِي أَتَنِي * بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ طَائِلِ
أَذَا مَا رَأَانِى قَطَعَ الطَّرْفَ دُونَهُ * وَدُونِى فَصَلَ الْعَارِفَ الْمُتَجَاهِلِ
مَلَأْتُ عَلَيْهِ الْأَرْضَ حَتَّى كَأَنَّهَا * مِنْ الضِّيقِ فِي عَيْنِهِ كِفَّةٌ حَائِلِ

١٥

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : اعْتَرِلْ عَدُوَّكَ وَأَحْذَرْ صَدِيقَكَ إِلَّا الْأَمِينَ،

وَلَا أَمِينَ إِلَّا مَنْ خَشِيَ اللَّهَ .

الهيثم عن ابن عيَّاش قال : أَخْبَرَنِى رَجُلٌ مِنَ الْأَزْدِ قَالَ : كُنَّا مَعَ أُسْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

بِجُرَاسَانَ، فَبَيْنَا نَخْنُ نَسِيرُ مَعَهُ وَقَدْ مَدَّ نَهْرُ جَاءَ بِأَمْرِ عَظِيمٍ لَا يُوصَفُ، وَإِذَا رَجُلٌ

(١) كذا فى كتاب الشعر والشعراء (ص ٣٧١ طبع أوروبا) . وفى الأصل : «ك» .

(٢) الشروب والشريب : الماء بين المنب والملح وليس يشربه الناس إلا للضرورة . (٣) فى كتاب

الشعر والشعراء : « للضطر » وهى الرواية المشهورة .

٢٠

يضر به الموج وهو ينادى : الفريقَ الفريقَ ! فوقف أسد وقال : هل من ساجم ؟
 فقلت : نعم ، فقال : ويحك ! الحق الرجل ! فوثبُ عن فرسي وألقيتُ عنى ثيابي
 ثم رميتُ بنفسى فى الماء ، فما زلتُ أسبحُ حتى إذا كنت قريبا منه قلت : ممن
 الرجلُ ؟ قال : من بنى تميم ، قلت : امض راشدا ، فوالله ما تانحرتُ عنه ذراعا حتى
 غرق : فقال ابن عياش : فقلت له : ويحك ! أما آتيت الله ! غرقت رجلا
 مسلما ! فقال : والله لو كانت معى لبنة ل ضربتُ بها رأسه .

طاف رجلٌ من الأزد باليت وجعل يدعو لأبيه ؛ ف قيل له : ألا تدعولأثك ؟
 فقال : إنها تيمية .

وقرأت فى كتاب للهند : جانب الموتور^(١) وكن أحذر ما تكون له ألطف ما يكون^(٢)
 بك ، فإن السلامة بين الأعداء توخش بعضهم من بعض ، ومن الأتس والثقة حضور أجالهم .
 أراد الملك قتل بزرجهر وأن يترج آبنه بعد قتله ؛ فقال : لو كان ملككم
 حازما ما جعل بينه وبين شعاره موتورة .

قال أبو حازم : لا تتأصبن رجلا حتى تنظر الى سيرته ؛ فإن تكن له سريرة
 حسنة فإن الله لم يكن ينخله بعداوتك إياه ، وإن كانت سيرته رديئة فقد كفاك
 مساويه ، لو أردت أن تعمل بأكثر من معاصى الله لم تقدر .

قال رجل : انى لأغتم فى عدوى أن ألقى عليه النملة وهو لا يشعر بأثديه .
 وقال الأفوه الأودى :

بلوتُ الناسَ قرنا بعد قرن * فلم أر غيرَ خلّابٍ وقالي
 ودقّت مرارة الأشياءِ جمعا * فما طعمُ أمرٍ من السؤالِ
 ولم أرفى الخطوب أشدَّ هولاً * وأصعبَ من مُعاداة الرجالِ

(١) فى الأصل : « توحشة » . (٢) رويت هذه الحكاية برواية أخرى فى العقد الفريد ج ١ ص ٧٩

وقال آخر :

بلاءٌ ليس يشبهه بلاءٌ * عداوةٌ غير ذى حسبٍ ودينٍ
يُبيحك منه عِرْضا لم يصنه * ويرتفعُ منك في عِرْضِ مصونٍ

شماتة الأعداء

بلغ عمرو بن عتبة شماتة قوم به في مصائب؛ فقال : والله، لئن عظم مصابنا
بموت رجالنا لقد عظمَت النعمة علينا بما أبى الله لنا : شُبَّانًا يَشُبُّونَ الحروبَ، وسَانَةً
يُسَلُّونَ المعروفَ، وما خُلِقْنَا وَمَنْ شِئْتَ بنا إلا للوت .

قال لأيوب النبي عليه السلام : أى شيء كان أشدَّ عليك في بلاك ؟ قال :
شماتة الأعداء .

١٠ اشكى يزيد بن عبد الملك شكاة شديدة وبلغه أن هشاما سُرَّ بذلك ، فكتب
الى هشام يعاتبه، وكتب في آخر الكتاب :

تَمَنَّى رَجُلٌ أَنْ أَمُوتَ، وَإِنْ أَمُتَ * فَتَكُ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحِدٍ
وَقَدْ عَلِمُوا، لَوْ يَنْفَعُ الْعِلْمُ عَنْهُمْ ، * مَتَى مِتُّ مَا الدَّاعِي عَلَى بَعْثِلِدٍ
مَنْيَتُهُ تَجْرِي لَوْ قَتِ وَحْتُهُ * يَصَادِفُهُ يَوْمًا عَلَى غَيْرِ مَوْعِدٍ
١٥ فَقُلْ لِلَّذِي يَبْنِي خِلَافَ الَّذِي مَضَى * تَهَيَّأْ لِأُخْرَى مِثْلَهَا فَكُنْ قَدْ
وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :

اِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أَنَاسٍ * حَوَادِثُهُ أَنَاخَ بَأَحْرِينَا

فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بَنَى أَفِيقُوا * سِلْقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا

أُغِيرَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَعْرَابِ فَذُهِبَ بِإِبِلِهِ فَقَالَ :

٢٠ لَا وَالَّذِي أَنَا عَبْدٌ فِي عِبَادَتِهِ * لَوْلَا شِمَاتُهُ أَعْدَاءُ ذِي الْحَنِ

مَا سَرَّيَ أَنْ أَيْلَى فِي مَبَارِكِهَا * وَأَنْ شَيْئًا قَضَاهُ اللَّهُ لَمْ يَكُنْ

وقال عدى بن زيد العبادي :

- أرواحٌ مُودَعٌ أم بُكُورٌ * لك فأنظر لأئي حلٍ تصيرُ
 وأبيضاض السوادِ من تُدرِ المو * ت فهل بعده لإيس نذيرُ
 أيها الشامتُ المعيرُ بالله * ير أنت المبرأ الموفورُ
 أم لديك العهدُ الوثيقُ من الأيام أم أنت جاهلٌ مغرورُ
 من رأيت المنونَ خلدن أم من * ذا عليه من أن يضامَ مجيرُ
 أين كسرى كسرى الملوك أنوشير * وإن أم أين قبله سابور^(١)
 وأخو الحضرة إذ بناه وإذ دج * له تُجبي إليه والخابور^(٢)
 شادهُ مرمرًا وجلَّله كل * سا فلطير في ذراه وكور^(٣)
 لم يهيه ريبُ المنون فبادل * ملك عنه فباه مهجورُ
 وتبين رب الخورق إذ أش * رف يوما وللهدي تفكيرُ
 سره حاله وكثرة ما يد * ملك والبخر معرضا والسدير^(٤)
 فارعوى قلبه فقال وما غب * طة حتى إلى الممات يصيرُ
 ثم بعد الفلاح والمُلك والنعم * حة وارثهم هناك القبور^(٥)
 ثم اصنحوا كأنهم ورقٌ جفَّ فالوت به الصبا والدبور^(٦)

(١) سابور الجنود وهو ابن أردشير، وسابور ذوالأكاف وهو سابور بن هرمز، وكلاهما من ملوك

الجم قبل كسرى أنوشروان . (٢) الحضرة : قصر بيجال تكريت بين دجلة والفرات، ويعني بإخيه

الضيز بن معاوية بن العبد، وخبر قصرى الحضرة والخورق مذكور في الأغاني ج ٢ ص ١٤٠ - ١٤٦

طبع دار الكتب المصرية . (٣) الخابور : اسم نهر كبير بين رأس عين والفرات من

أرض الجزيرة . (٤) الكس : الصاروخ وهو النورة التي تطلقها المنازل . (٥) معرضا :

متسما، ومنه أعرض الثوب أى اتسع وعرض . (٦) في الأغاني ج ٢ ص ١٣٩ : «والإتة»

وهو بمنزلة .

قال ابن الكلبي : لما قُبِضَ النبي صلى الله عليه وسلم سمع بموته نساءً من كِنْدَةَ وحضرموت نخَضِبْنَ أيديهنَّ وضربنَّ بالدُفوفِ، فقال رجلٌ منهم :

أَبْلِغْ أَبَا بَكْرٍ إِذَا مَا جِئْتَهُ * أَنْتَ الْبَغَايَا رُفْنُ أَيَّةِ مَرَامٍ
أَظْهَرْنَ مِنْ مَوْتِ النَّبِيِّ شِمَاتُهُ * وَخَضِبْنَ أَيْدِيَهُنَّ بِالْعُلَامِ^(١)
فَأَقَطَّعْنَ، هُدَيْتَ، أَكْفَهْنَ بِصَارِمٍ * كَالْبَرْقِ أَوْمَضْنَ مِنْ مَتُونِ غَمَامٍ

فكتب أبو بكر إلى المهاجر عاتله ، فأخذهنَّ وقطَعَ أيديهنَّ .

وقرأت في كتاب ذكر فيه عدو : فإنه يتربص بك الدوائر، ويَتَنَّى لَكَ الْغَوَائِلُ،
ولا يؤتمل صلاحاً إلا في فسادك، ولا رِفْعَةً إلا في سقوط حالك والسلام .

(١) العلام بالتشديد : الحنا، عن ابن الأعرابي .

وجد بالأصل في آخر هذا الكتاب ما نصه :

آخر كتاب الإخوان، وهو الكتاب السابع من عيون الأخبار، تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري رحمة الله عليه . وكتبه الفقير إلى الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الجزري، وذلك في شهر سنة أربع وتسعين وخمسة . وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين .

وفي هذه الصفحة عينها وجد ما يأتي — وهو من زيادة النسخ — :
 قيل قدم المهدي أمير المؤمنين، وقيل الرشيد، فلقاه الناس، ولقاه أبو دلامة^(١) في جملة الناس، فأنشده :

إني نذرتُ لئن رأيتُك سالماً * بقرى العراق وأنت ذو وفير
 لتصلين على النبي محمد * وتملأن دراهماً حجري
 فقال له أمير المؤمنين : أما الأولى فنعم . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد،
 وأما الأخرى فليست أفعل، فقال أبو دلامة : يا أمير المؤمنين ما نذرت إلا الآتين،
 فضحك وأمر حتى ملثوا حجره دراهم .

شاعر^(٢) :

ولقد تنسمتُ الرياحَ لحاجتي * فإذا لها من راحتِكَ نسيمُ
 ولربما استياستُ ثم أقول لا * إن الذي ضمن النجاحَ كريمُ

(١) لم يدرك أبو دلامة خلافة الرشيد إذ أنه توفي سنة إحدى وستين ومائة، وتولى الرشيد الخلافة

سنة سبعين ومائة، ثم قال ابن خلكان : ويقال إنه عاش إلى أيام الرشيد . (٢) هو أبو الناهبة .

كتاب الحوائج

استنجاح الحوائج^(١)

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا محمد بن الحَصِيب قال حدثني أوس بن عبد الله بن بُرَيْدَةَ عن أخيه سهل بن عبد الله بن بُرَيْدَةَ عن بُرَيْدَةَ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” اسْتَعِينُوا عَلَى الْحَوَائِجِ بِالْكَتَمِ فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ “ .

قال خالد بن صفوان : لا تَطْلُبُوا الْحَوَائِجَ فِي غَيْرِ حِينِهَا ، وَلَا تَطْلُبُوهَا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا ، وَلَا تَطْلُبُوا مَا لَسْتُمْ لَهُ بِأَهْلٍ فَتَكُونُوا لِلنَّعْيِ خُلَفَاءَ .

قال شبيب بن شَيْبَةَ : إِنِّي لَا أَعْرِفُ أَمْرًا لَا يَتَلَقَّى بِهِ آثَانٍ إِلَّا وَجِبَ النَّجْحُ بَيْنَهُمَا ؛ فَقَالَ لَهُ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : [الْعَقْلُ ، فَإِنَّ] الْعَاقِلَ لَا يَسْأَلُ مَا لَا يَحُوزُ وَلَا يُرَدُّ عَمَّا يُمَكِّنُ ، فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ : نَعَيْتَ إِلَى نَفْسِي ! إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ لَا يَمُوتُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى يَرَى خَلْفَهُ .

(١) الحوائج : جمع حاجة على غير قياس ، وجمعها القياسى : حاج وحاجات ، وقد أنكر الأصمى حوائج وقال هو مولد . قال الجوهرى : وإنما أنكره لثروجه عن القياس وإلا فهو كثير في كلام العرب ، ثم استشهد بكثير من الشعراء بأحاديث ذكرها المؤلف هنا . والنحويون يزعمون أنه جمع لواحد لم ينطق به وهو حائجة . وذكر بعضهم أنه سمع حائجة لغة في الحاجة . (٢) التكلفة من المقد الفريد ج ١ ص ٩٠ طبع بولاق .

أبو اليقظان قال : كان بنو ربيعة - وهم من بني عسيل بن عمرو بن يربوع -
يُوصون أولادهم فيقولون : استعينوا على الناس في حوائجكم بالثقل عليهم ، فذاك
أنجح لكم .

قال الشاعر :

هَيْبَةُ الْإِخْوَانِ مَقْطَعَةٌ * لِأَنِّي الْحَاجَاتِ عَنْ طَلْبِهِ
فَإِذَا مَا هَيْبَتَ ذَا أَمَلٍ * مَاتَ مَا أَتَمَّتْ مِنْ سَبِيلِهِ

وقال أبو نؤاس :

وَمَا طَالِبُ الْحَاجَاتِ مِمَّنْ يَرُومُهَا * مِنَ النَّاسِ إِلَّا الْمُصِيحُونَ عَلَى رِجْلِ
ثَاثَ مَوَاعِيدَ الْكِرَامِ فَرَبَّمَا * أَصَبَتْ مِنَ الْإِلْحَاحِ تَتَمَحَّا عَلَى بُحْلِ

والبيت المشهور في هذا :

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا آتَسْتِ مَسَالِكُهَا * قَالَصَبْرٌ يَفْتَحُ مِنْهَا كُلَّ مَا أَرْتَجِبَا
أَخْلَقَ بَذَى الصَّبْرِ أَنْ يَحْطَى بِحَاجَتِهِ * وَمُدِينِ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يُلْجَا
لَا تِيَأَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالِبُهُ * إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرْجَا

وقال آخر :

إِنِّي رَأَيْتُ ، وَلِلْآيَامِ تَجْرِبَةً ، * لِلصَّبْرِ عَاقِبَةً مَجْدُودَةَ الْأَثَرِ
وَقُلَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرِ يُطَالِبُهُ * وَأَسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلَّا فَازَ بِالْظَّفَرِ

(١) ورد هذا الاسم بالأصل محرفاً هكذا : « غان » وصوابه كما أثبتناه (انظر القاموس

وشرحه مادة عسل) . (٢) روى هذا في اللسان مادة رجل هكذا :

* وَلَا يَدْرِكُ الْحَاجَاتِ مِنْ حَيْثُ تَجْنَى *

(٣) في العقد الفريد ج ١ ص ٨٩ : « يحاوله » .

والعرب تقول : «رُبَّ عَجَلَةٍ تَهْبُ رَيْتًا» . يريدون أن الرجل قد يَحْرَقُ وَيَسْجَلُ في حاجته فتتأخر أو تبطل بذلك . وتقول : «الرَّشْفُ أَقْعُ» . يريدون أن الشراب الذي يُرَشَّفُ رُوِيْدًا رُوِيْدًا أَقْطَعُ للعطش وإن طال على صاحبه .

وقال عامر بن خالد بن جعفر ليزيد بن الصَّعِقِ :

إنك إن كَلَّفْتَنِي ما لم أَطِقْ * ساءَكَ ما سَرَّكَ مِنِّي من خُلُقٍ

وكانوا يَسْتَنْجِحُونَ حوائجهم بركتين يقولون بعدهما : اللهم إني بك أَسْتَفْتِحُ، وبك أَسْتَجِجُ، وبمحمد نبيك إليك أتوجه، اللهم ذلِّلْ لي صَعوبَتَهُ، وسَهِّلْ لي حُرُوتَهُ، وأَرْزُقْني من الخير أكثر مما أَرْجُو، وأَصْرِفْ عَنِّي من الشر أكثر مما أَخاف .

وقال القَطايمِيُّ :

قد يُدْرِكُ المَتَانِي بعضَ حاجَتِهِ ^(١) * وقد يكونُ معَ المستعِجِلِ الزَّلَلُ

عمرو بن بحر عن إبراهيم بن السَّندِيِّ قال : قلت في أيام ولايتي الكوفة لرجل من وجوهها، كان لا يَجِيفُ لِبْدُهُ ولا يَسْتَرِجِ قَلْبُهُ ولا تَسْكُنُ حركته في طلب حوائج الرجال وإدخال المرافق على الضعفاء وكان رجلاً مُفَوِّهاً، خَبَّرَنِي عن الشيء الذي هَوِّنَ عليك النَّصَبَ وقَوَّاهُ على التعب ما هو؟ قال : قد والله سمعتُ تغريدَ الطير بالأشجار، في أفنان الأشجار، وسمعتُ خَفَقَ أوتارِ العيدان، وترجيعَ أصواتِ القِيانِ الحسان، ما طَرِبْتُ من صوتٍ قطُّ طَرِبَ من ثناء سِنِّ بِلْسَانِ حَسَنِ على رجلٍ قد أحسن، ومن شكرٍ حرَّ لمُنعمٍ حرٍّ، ومن شفاعَةِ مُحْتَسِبٍ لطالِبٍ شاكر . قال إبراهيم : فقلتُ : لله أبوك لقد حُشِيتَ كرماً فزادَكَ اللهُ كرماً ، فبأي شيء سَهَّلْتَ عليك المعاودةَ والطلبُ؟

(١) كذا في دِيوانِ القَطايمِيِّ وهي الرواية المشهورة في كتب الأدب . وفي الأصل :

* قد يدرك المتاني بعد حاجته * وهي رواية جيدة . (٢) كذا في العقد الفريد ج ١

ص ٨٦، وفي الأصل : «قلبه» .

قال : لأني لا أبلغ المجهود ولا أسأل مالا يجوز، وليس صدقُ العذر أكره إلى من
إنجاز الوعد، ولست لإكداء السائل أكره متى للإجفاف بالمسئول ، ولا أرى الراغب
أوجب على حقاً للذي قتم من حسن ظنه من المرغوب إليه الذي احتمل من كُله^(١) .
قال إبراهيم : ما سمعتُ كلاماً قط أشد موافقة لموضعه ولا أليق بمكانه من هذا
الكلام .

وقال مُصعب :

في القوم مُعْتَصِمٌ بِقُوَّةِ أَمْرِهِ * وَمُقَصِّرٌ أَوْ دَيُّ بِهِ التَّقْصِيرُ
لَا تَرْضَ مِثْلَةَ الذَّلِيلِ وَلَا تُقِمُ * فِي دَارِ مَعْجَزَةٍ وَأَنْتَ خَبِيرُ
وَإِذَا هَمِمْتَ فَأَمِضْ هَمَّكَ إِنَّمَا * طَلَبُ الْحَوَائِجِ كُلُّهُ تَغْرِيرُ

وكان يقال : إذا أحببت أن تطاع ، فلا تسأل مالا يستطاع .

ويقال : الحوائج تُطلب بالرجاء ، وتُدرَك بالقضاء .

الاستنجاح بالرشوة والهدية

حدثني زيد بن أنحزم عن عبد الله بن داود قال : سمعتُ سفيان الثوري يقول :
إذا أردت أن تتزوج فأهدِ للأُم . والعرب تقول : « من صانع^(٢) لم يحتشم من طلب
الحاجة » .

قال ميمون بن ميمون : إذا كانت حاجتك إلى كاتبٍ فليكن رسولك الطمع .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : نعم الشيء الهدية أمام الحاجة .

(١) الكل بالفتح : العيال والتقل من كل ما يتكافى . (٢) صانع : هادي .

وقال رؤبة :

لما رأيتُ الشُّفَعَاءَ بَلَّوْا ^(١) * وسألوا أميرهم فأنكدوا ^(٢)
نامستهم برشوةٍ فأقرَدوا ^(٣) * وسهلَّ الله بها ما شددوا ^(٤)

وقال آخر ^(٥) :

- وكنتُ اذا خاصمتُ خصماً كَبُتُّه * على الوجه حتى خاصمتني الدراهمُ
فلما تنازعنا الخصومةَ غُلِبْتُ ^(٦) * على وقالوا قم فإنك ظالمٌ
والعرب تقول في مثل هذا المعنى : «مَنْ يَخْطُبُ الْحَسَنَاءَ يُعْطِ مَهْرًا» يريدون
مَنْ طلب حاجةً مُهِمَّةً بذل فيها .

وقال بعضُ المُحدِّثين :

- ما من صديقٍ وإن تمت صداقته ^(٧) * يوماً بأنجحَ في الحاجات من طَبِقٍ
إذا تَلَّمَّ ^(٨) بالْمِنْدِيلِ مُنْطَلِقًا * لم يَخْشِ نَبْوَةَ بَوَابٍ وَلَا غَلَقِي ^(٩)
لَا تُكْذِبُنَّ فَإِنَّ النَّاسَ مُذْخِلُوقًا * لرغبة يكرمون الناس أو يفرقون

وقال آخر :

- ما أرسل الأقوامُ في حاجةٍ * أمضى ولا أنجحَ من درهمٍ
يأتيك عفوًا بالذي تشتهى * نِعَمَ رَسُولِ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ ^(١٠)

- (١) يقال : بلد الرجل إذا لم ينجحه لشيء ، وبلد إذا نكس في العمل وضعف . (٢) أي منعوا الحاجة ولم يعطوا . (٣) يقال : نامس الرجل صاحبه مئسة ونماسة إذا ساروه . (٤) يقال : أترد الرجل وترد إذا ذل وخضع . (٥) هو رجل من ولد طلبة (ضبط في الكامل بالقلم بفتح الطاء وسكون اللام وكسر الهمزة على كسر اللام) بن قيس بن عاصم (انظر الكامل للبردج ١ ص ٨٤ طبع أوروبا) . (٦) يقال : غلب الرجل على صاحبه إذا حكم له عليه باللبة . (٧) في المحاسن والأضداد لملاحظ ص ٣٦٧ طبع أوروبا : «أبدى مودته» . (٨) في المحاسن والأضداد : «تقنع» . (٩) في المحاسن والأضداد : «لا تكثرن» .

الاستنجاح بلطيف الكلام

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : دخل أبو بكر المَجْرِيّ على المنصور فقال : يا أمير المؤمنين نَفَضَ^(١) فِي وَأَتَمَّ أَهْلُ بَيْتِ بَرَكَةٍ ، فَلَوْ أَذِنْتَ لِي فَقَبَّلْتُ رَأْسَكَ لَعَلَّ اللَّهَ يُسَدِّدُ لِي مِنْهُ ! فقال أبو جعفر : اخْتَرْمَهَا وَمِنْ الْجَائِزَةِ ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ ذَهَابِ دِرْهَمٍ مِنَ الْجَائِزَةِ أَلَّا تَبْقَى فِيَّ فِي حَاكَّةٍ^(٢) .

قال أبو حاتم : وَحَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ عَنْ خَلْفٍ قَالَ : كُنْتُ أَرَى أَنَّهُ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا رُقِيَّةٌ إِلَّا رُقِيَّةُ الْحَيَاتِ ، فَإِذَا رُقِيَّةُ الْخَبْرِ أَسْهَلُ . يَعْنِي مَا يَتَكَلَّفُهُ النَّاسُ مِنَ الْكَلَامِ لَطَلَبِ الْحِيلَةِ .

قال رجلٌ للفضل بن سهل يسأله : الْأَجَلُ آفَةُ الْأَمَلِ ، وَالْمَعْرُوفُ ذَخِيرَةُ الْأَبَدِ ، وَالرِّغِيمَةُ الْحَازِمُ ، وَالتَّفْرِيطُ مَصِيبَةُ أُخَى الْفَدْرَةِ ؛ فَأَمَرَ وَهْبًا كَاتِبَهُ أَنْ يَكْتُبَ الْكَلِمَاتِ . وَرَفَعَ إِلَيْهِ رُقِيَّةً^(٣) فِيهَا : يَا حَافِظُ مَنْ يُضَيِّعُ نَفْسَهُ عِنْدَهُ ، وَيَا ذَاكَرَ مَنْ يَنْسَى نَصِيئَةَ مِنْهُ ، لَيْسَ كِتَابِي إِذَا كُتِبْتُ أَسْبَطَاءً ، وَلَا إِسَاكِي إِذَا أُمِسْتُ أَسْتِغْنَاءً ؛ لَكِنَّ كِتَابِي إِذَا كُتِبْتُ تَذَكُّرٌ لَكَ ، وَإِسَاكِي إِذَا أُمِسْتُ ثِقَةٌ بِكَ .

وقال رجل لآخر : مَا قَصَّرْتُ بِي هِمَّةٌ صَيَّرَتْكَ إِلَيْكَ ، وَلَا أَتْرَفْتُكَ أَرْتِيَادُ دَلَّتْكَ عَلَيْكَ ، وَلَا قَعْدُ بِي رَجَاءٌ حَدَانِي إِلَى بَابِكَ . وَتَحْسِبُ مَعْتَصِمًا بِكَ ظَفَرٌ بِفَائِدَةٍ وَغَنِيمَةٍ ، وَلَجَّ إِلَى مَوْتٍ وَمَسَدٍ .

دخل الهذيل بن زفر على يزيد بن المهلب في حَمَالَاتٍ^(٤) لَزِمَتْهُ ، فَقَالَ لَهُ : قَدْ عَظُمَ شَأْنُكَ عَنْ أَنْ يَسْتَعَانَ بِكَ أَوْ يَسْتَعَانَ عَلَيْكَ ، وَلَسْتَ تَصْنَعُ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ إِلَّا وَأَنْتَ أَكْثَرُ مِنْهُ ، وَلَيْسَ الْعَجَبُ أَنْ تَفْعَلَ ، وَإِنَّمَا الْعَجَبُ مِنْ أَلَّا تَفْعَلَ .

(١) يقال : نَفَضْتُ أَسْنَانَهُ أَيْ قَلَقْتُ وَتَحَوَّزْتُ . (٢) الحَاكَّةُ : السِّنُّ لِأَنَّهَا تَحْكُ صَاحِبَهَا أَوْ تَحْكُ مَا تَأْكُلُهُ ، صِفَةُ ثَائِلَةٍ . (٣) فِي الْأَصْلِ : « رُقِيَّةٌ » . (٤) الْحَمَالَاتُ جَمْعُ حَمَالَةٍ (بِالْفَتْحِ) وَهِيَ : مَا يَحْمِلُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ دِيَةٍ أَوْ غَرَامَةٍ .

قال الحمْدُونِيّ في الحسين بن أيوب والي البصرة :

قُلْ لَأَبْنِ أَيُّوبَ قَدْ أَصْبَحَتْ مَأْمُولًا * لَا زَالُ بِأَبْكَ مَغْشِيًا وَمَا حَسُولًا
إِنْ كُنْتَ فِي عُظْلَةٍ فَالْعَذْرُ مُتَّصِلٌ * وَصِلْ إِذَا كُنْتَ بِالْسلْطَانِ مَوْصُولًا
شَرُّ الْأَخْلَاءِ مَنْ وَلَّى قَفَاهُ إِذَا * كَانَ الْمُؤَلَّى وَأَعْطَى الْبِشْرَ مَعْزُولًا
مَنْ لَمْ يُسَمِّنْ جَوَادًا كَانَ يَرْكَبُهُ * فِي الْخَصْبِ قَامَ بِهِ فِي الْجَدْبِ مَهْزُولًا
إِفْرُغْ لِحَاجَاتِنَا مَا دَمْتَ مَشْغُولًا * لَوْ قَدْ فَرَّغْتَ لَقَدْ أُفِيَتْ مَبْذُولًا

وقال آخر :

وَلَا تَعْتَذِرْ بِالشُّغْلِ عَنَّا فَإِنَّمَا * تَتَاطَبَرُ بِكَ الْأَمَالُ مَا اتَّصَلَ الشُّغْلُ
وَأَتَى رَجُلٌ بَعْضَ الْوَلَاةِ، وَكَانَ صَدِيقَهُ، قَتَاغَلَّ عَنْهُ، قَرَأَ لِي لَهُ يَوْمًا، فَقَالَ :

اعِذْرْنِي فَإِنِّي مَشْغُولٌ، فَقَالَ : لَوْلَا الشُّغْلُ مَا أَتَيْتُكَ .

وكتب رجلٌ إلى صديق له : قد عَرَضَتْ قَبْلَكَ حَاجَةٌ، فَإِنْ تَجَحَّثَ بِكَ
فَالْفَائِي مِنْهَا حَظِّي وَالْبَاقِي حَظُّكَ، وَإِنْ تَعْتَذَرَ فَالْخَيْرُ مَظْنُونٌ بِكَ وَالْعَذْرُ مُقَدَّمٌ لَكَ .
وفي فصل آخر : قد عَذَرَكَ الشُّغْلُ فِي إِغْفَالِ الْحَاجَةِ وَعَذَرَنِي فِي إِنْكَارِكَ .
وفي فصل آخر : قد كَانَ يَجِبُ أَلَّا أَشْكُوَ حَالِي مَعَ عِلْمِكَ بِهَا، وَلَا أَقْتَضِيكَ عِمَارَتَهَا
بِأَكْثَرِ مِنْ قُدْرَتِكَ عَلَيْهَا، فَلَرَبَّمَا نِيلَ الْغِنَى عَلَى يَدَيَّ مَنْ هُوَ دُونَكَ بِأَدْنَى مِنْ حُرْمَتِي .
وما أَسْتَصْغِرُ مَا كَانَ مِنْكَ إِلَّا عَنْكَ، وَلَا أَسْتَقِلُّهُ إِلَّا لَكَ .

وقال آخر : إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُصَفِّدَ يَدَا بِصَنِيْعَةٍ بَاقٍ ذِكْرُهَا جَمِيلٌ فِي الدَّهْرِ أَثَرُهَا،
تَقْتَنِمُ غِرَّةَ الزَّمَانِ فِيهَا وَتُبَادِرُ قُوَّتَ الْإِمْكَانِ بِهَا، فَافْعَلْ .

قَدِمَ عَلَى زِيَادٍ نَفَرٌ مِنَ الْأَعْرَابِ فَقَامَ خُطْبِيهِمْ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ! نَحْنُ،
وَإِنْ كَانَتْ تَرَعَتْ بَنَا أَنْفُسُنَا إِلَيْكَ وَأَنْضَيْنَا رَكَائِبَنَا نَحْوَكَ ^(١) أَلْتَمَسْنَا لِفَضْلِ عَطَاكَ،

(١) أَنْضَيْنَا : أَمْرَلْنَا .

علمون بأنه لا مانع لما أعطى الله ولا معطى لما منع ؛ وإنما أنت أيها الأمير خازنٌ ونحن رائدون ، فإن أُذِنَ لك فاعطيتَ حمداً لله وشكراً ، وإن لم يُؤذَنَ لك فمنعتَ حمداً لله وعذراً ، ثم جلس ؛ فقال زياد بلسائه : تالله ما رأيتُ كلاماً أبلغ ولا أوجز ولا أنفع عاجلةً منه ، ثم أمر لهم بما يصلحهم .

دخل العتّابي على المأمون ، فقال له المأمون : خبرتُ بوفاتِكَ ففمتني ، ثم جاءني وفادتُكَ فسرتني ؛ فقال العتّابي : لو قُسمتْ هذه الكلماتُ على أهل الأرض لوسعتهم ؛ وذلك أنه لا دينَ إلا بك ولا دنياً إلا معك ؛ قال : سَلِّني ، قال : يَدَاكَ بالعطية أطلق من لساني .

قال نصيب لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ، كثرتْ مِنِّي ورقٌ عظيمٌ ، ولبيتُ بينياتٍ نَفَضْتُ عليهنَّ من لوني فكسدتُ علي ؛ فرّقْ له عمر ووصله .

سأل رجلٌ أسد بن عبد الله فاعتلَّ عليه ؛ فقال : إني سألتُ الأميرَ من غير حاجة ؛ قال : وما حملك على ذلك ؟ قال : رأيتُكَ تُحِبُّ مَنْ لَكَ عنده حسنٌ بلاءٌ ، فأحببتُ أَنْ أتعلّقَ منك بحبلِ مَوْتَةٍ .

لزم بعضُ الحكماءِ بابَ بعضِ ملوكِ العجمِ دهرًا فلم يصلِ إليه ، فتَلَطَّفَ للمعجب ١٥ في إيصالِ رُقعةٍ ففعل ، وكان فيها أربعةُ أسطر :

السطرُ الأوَّلُ "الأملُ والضرورةُ أقدماني عليك" .

والسطرُ الثاني "والعلمُ لا يكونُ معه صبرٌ على المطالبة" .

والسطرُ الثالثُ "الانصرافُ بلا فائدةٍ شِمْامةٌ للأعداءِ" .

(١) في العقد الفريد (ج ١ ص ٩٥ طبع بولاق) «سأل رجل خالد القسري حاجة الخ» .

والسطر الرابع "فَاتَا نَعَمَ شِمْرَةً ، وَإِنَّمَا لَا مُرِيحَةً" . فلما قرأها وقع في كل سطر : زه ؛ فَأُعْطِيَ مِئَةَ عَشَرَ أَلْفٍ مِثْقَالٍ فِضَّةً .^(١)

دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم ، فقال له : أتيتك في حاجة رفعتها إلى الله فبلك ، فإن تقضها حمدنا الله وشكرناك ، وإن لم تقضها حمدنا الله وعذرتناك ؛ فأمر له بحاجته . وقال له أيضا في حاجة أخرى : إني أتيتك في حاجة ، فإن شئت قضيتها .^(٢) وكنا جميعا كريمين ، وإن شئت منعتها وكنا جميعا لثيمين .

أتى رجل خالد بن عبد الله في حاجة ، فقال له : أتكلم بجرأة اليأس أم بهيبة الأمل ؟ قال : بل بهيبة الأمل ؛ فسأله حاجته فقضاها .

وقال أبو سميكة لرجل : لم أضن وجهي عن الطلب إليك ، فضن وجهك عن ردّي ، وضعتني من كريمك بحيث وضعت نفسي من رجائك .^{١٠}

قال المنصور لرجل : ما مأك ؟ قال : ما يكف وجهي ويغجز عن ر الصديق فقال : لقد تلطفت للسؤال ، ووصله .

وقال المنصور لرجل أحمد منه أمرا : سل حاجتك فقال : يبقيك الله يا أمير المؤمنين ؛ قال : سل ، فليس يمكثك ذلك في كل وقت ؛ فقال : ولم يا أمير المؤمنين !

(١) كلمة « زه » في لغة الفرس معناها أحسنت . وفي العقد الفريد ج ١ ص ١٠٠ « فلما قرأها وقع تحت كل سطر منها ألف مِثْقَالٍ وأمر له بها » . (٢) في العقد الفريد (ج ١ ص ٩٠) بعد هذا الكلام تفسير لهذه الجملة هذا نصه : « أراد إن قضيتها كنت أنت كريما بغضائها وكنت أنا كريما ببقائك إياها لأنني وضعت الطلب في موضعها ، فإن لم تقضها كنت أنت لثيما بمنعك وكنت أنا لثيما بسوء البقاء لك » والجزء الأخير من هذا الشرح يشبه قول أبي تمام :

عياش إنك لثيم وإني * مذمرت موضع حاجتي لثيم^{٢٠}

فوالله لا أستقصر عمرك ولا أزهبُ بِمُحَلِّكَ ولا أَغْنِمُ مَالَكَ وإِنَّ سؤَالَكَ لَزَيْنٌ، وإِنَّ عَطَاءَكَ لَشَرَفٌ، وما على أَحَدٍ بَنَى وَجْهَهُ إِلَيْكَ قَصٌّ ولا شَيْنٌ، فَأَمَرَ حَتَّى مَلَأَ قُوَّةً دُرًّا .

- قال أبو العباس لأبي دَلَامَةَ : سَلْ حاجَتَكَ . قال : كَلْبٌ ؛ قال : لك كلب .
 قال : ودابةٌ أتصيد عليها ؛ قال : ودابة . قال : وغلّامٌ يركب الدابة ويصيد ؛ قال :
 وغلّام . قال : وجارية تُصَلِّحُ لَنَا الصَّيْدَ وتُطْعِمُنَا مِنْهُ ؛ قال : وجارية . قال :
 يا أمير المؤمنين، هؤلاء عِيَالٌ ولا بَدٌّ مِنْ دَارٍ ؛ قال : ودار . قال : ولا بَدٌّ مِنْ ضَيْعَةٍ
 لَهُؤُلَاءِ ؛ قال : قد أَقْطَعْتُكَ مائةَ جَرِيْبٍ عامرة ومائةَ جَرِيْبٍ غامرة . قال : وأى
 شَيْءٍ النامرة ؟ قال : ليس فيها نباتٌ . قال : فَأَنَا أَقْطَعُكَ أَلْفًا وخمسمائةَ جَرِيْبٍ مِنْ
 فَيَافَى بَنَى أَسَدٍ ؛ قال : قد جَعَلْتُهَا [كُلُّهَا لَكَ] ^(١) عامرة . قال : أَقْبَلْ بِدَكَ ؛ قال :
 أَمَا هَذِهِ فَدَعْنَهَا . قال : ما مَنَعْتَ عِيَالِي شَيْئًا أَهْوَنَ عَلَيْهِمْ فَقَدْأَ مِنْهَا ^(٢) .
 قال عبد الملك لرجل : مَالِي أَرَاكَ وَاجِمًا لَا تَنْطِقُ ؟ ^(٣) قال : أَشْكُو إِلَيْكَ ثِقَلَ
 الشَّرَفِ ؛ قال : أَعَيْنُوهُ عَلَى حَمْلِهِ .

- رَأَى زِيَادَ عَلَى مَائِدَتِهِ رَجُلًا قَبِيحَ الْوَجْهِ كَثِيرَ الْأَكْلِ ، فَقَالَ لَهُ : كَمْ عِيَالُكَ ؟
 قال : تسع بنات ؛ قال : أَيْنَ هُنَّ مِنْكَ ؟ قال : أَنَا أَجْمَلُ مِنْهُنَّ وَهِنَّ أَكْلُنَّ مِنِّي ؛
 قال : مَا أَحْسَنَ مَا تَلَطَّفْتَ فِي السُّؤَالِ وَفَرَضَ لَهُ وَأَعْطَاهُ .

(١) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٩٨ طبع بولاق، وقد ذكر هذه الحكاية صاحب الأغاني
 في أخبار أبي دلامة بتوسع عما هنا بالجزء التاسع ص ١٢١ طبع بولاق . (٢) في الأصل :
 « قدأ منه » وفي الأغاني : « ما منعت عيالي شيئاً أقل ضرراً عليهم منها » . (٣) الواجم :
 التي اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام ، وقد ساق صاحب العقد الفريد (ج ١ ص ٩٥) هذه
 الحكاية بأوسع مما هنا .

وقفت عجوز على قيس بن سعد فقالت : أشكو اليك قلة الجردان ؛ قال :
ما أحسن هذه الكناية ! امكثوا بيتها خبزاً ولحماً وسمناً وتمراً .

وقال بعض القصاص في قصصه : اللهم أقل صبياننا وأكثر جرداننا .

كان سليمان بن عبد الملك يأخذ الولي بالولي والجار بالجار؛ فدخل عليه رجل
وعلى رأسه وصيفة روقة^(١)، فنظر إليها فقال سليمان : أعجبتك؟ قال : بارك الله لأمر
المؤمنين فيها ! قال : حات سبعة أمثال في الأسى وخُذها ؛ فقال : « صر عليه الغزو^(٢)
آسته » . قال : واحد . قال : « آستُ البائن أعلم^(٣) » ؛ قال : آستان . قال : « آست^(٤)
لم تُعود الجمر تحترق^(٥) » ؛ قال : ثلاثة . قال : الحر يُعطى والعبد يُبجج^(٦) بآسته ؛ قال :
أربعة . قال : « آستى أخشى^(٧) » ؛ قال : خمسة . قال : « عاد سلاها في آستها^(٨) » ؛

- ١٠ (١) الوصفة : الجارية ، والروقة (بالضم) : الحساء الجيلة . (٢) يضرب لمن ضيق عليه
تصرفه أمره . (٣) البائن : الذي يكون عند حلب الناقة من جانبها الأيسر ويقال الذي من الجانب
الآخر : الحلى أو المستل ، وهو الذي يعمل العلة إلى الضرع . وأصل المثل أن رجلاً أضل إبله ووجدها في مرة
فاستنجد بالحارث بن ظالم المزني فردّها عليه إلا ناقة كانت عند رجلين يحلبانها ، فقال لها الحارث : خبا
عنها فليست لك ، وأهوى إليها بالسيف فضرط البائن وقال الحلى : والله ما هي لك ، فقال الحارث :
« آست البائن أعلم » فأرسلها مثلاً : يضرب لمن ولّى أمراً وصلّى به فهو أعلم به ممن لم يمارسه ولم يصلّ به ، وقيل :
١٥ يضرب لكل ما ينكر وشاهده حاضر . (٤) يضرب لمن حصل في نعمة لم يعدها . وأصله أن مارية
بنت عفر كانت ملكة وكانت تزوج من أرادت ، وربما بعث غلمانها ليأتوها بأوسم من يجدونه بالحيرة ،
فقاموها بحاتم الطائي ؛ فقالت له : أستقدم إلى الفرائس ؛ فقال هذه الجملة . أراد : إلى أعرابي متجهل
(يابس الجلد متخشف) لم أعود الطيب والترف . (٥) الذي في الأمثال ليداني : « الحر يعطى
والعبد يالم قلبه » وقال : بني أن التيم يكره ما يجود به الكريم . وقال في فرائد اللاك : يضرب لمن
٢٠ ينجل ويأمر غيره بالخل . (٦) لم يذكر هذا المثل الميسداني ، وذكره الزنجشري في كتابه
المستقصى في أمثال العرب ومنه نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤٢٣ أدب ؛
وقال في شرحه : « يضرب في وضع الشيء في غير موضعه » ، وأصله أن سعد بن زيد مناة زوج أخاه
مالك التواري بنت حل بن عدي رجلاً ، أن يولد له ، وكان محمقاً ، فانطلق به إلى بيت البروس فأبى أن يلج البيت ،
فقال له : « لج مال وبلت التريجم » (أي القبر) ؛ حتى ولى ونعلاه معلقان في ذراعيه ، فقال له : ضع
٢٥ نعليك ، فقال : ساعداني أحرز لهما ، ثم أتى بطيب فجعل يجعله في آسته ، فقالوا له في ذلك ، فقال : « آستى
أخشى » . (٧) النسل : الجلالة التي يكون فيها الولد ، من الناس والمواشي .

قال : ستة . قال : « لا مائك أبقيت ولا حرك أبقيت » ؛ قال : ليس هذا من ذلك ؛ قال : أخذت الجارَ بالجارِ كما يفعلُ أمير المؤمنين ! قال : خذها .

قال يزيد بن المهلب لسيان^(٢) في حَمالةٍ كلمه فيها : يا أمير المؤمنين ، والله لحمدُها خيرُ منها ، ولذِكُّها أحسنُ من بجمعِها ، ويدي مهسوطةٌ بيدك فأبسطها لسؤالها .

قطع عبدُ الملك بن مروان عن آل أبي سفيان أشياء كان يُعْجِزُها عليهم ، لئلا يُعَدَّ كان يئنه وبين خالد بن يزيد بن معاوية ؛ فدخل عليه عمرو بن عُتبة فقال : يا أمير المؤمنين ، أدنى حقك مُتَعَبٌ وتَقْصِيهِ فادحٌ ، ولنا مع حقك علينا حقُّ عليك ، لقربنا منك وإكرام سافنا لك ؛ فأنظر إلينا بالعين التي نظروا بها إليك ، وضعتنا بحيث وضعتنا الرِّحْمُ منك ، وزدنا بقدر ما زدك الله ؛ فقال : أفعل ، وإنما يستحق عطيتي من أستعطاها ، فأما من ظن أنه يستغنى بنفسه فسَنَكُهُ إليها ، يعرض بخاله ؛ فبلغ ذلك خالدًا ، فقال : أما عمرو فقد أعطى من نفسه أكثر مما أخذ ، أو بالحرمان يتهدنى ! يد الله فوق يده مانعةٌ ، وعطاؤه دونه مبدول .

أتى رجل يزيد بن أبي مسلم برُقعةٍ يسأله أن يرفعها إلى الحجاج ؛ فنظر فيها يزيد فقال : ليست هذه من الخواجج التي تُرفع إلى الأمير ؛ فقال له الرجل : فإني أسالك أن ترفعها ، فلعلها توافق قَدَرًا فيقضيتها وهو كاره ؛ فأدخلها وأخبره بمقالة الرجل ؛ فنظر الحجاج في الرُقعة ، وقال ليزيد : قل للرجل : إنها وافقت قَدَرًا وقد قضيتها ونحن كارهون .

(١) أصله أن رجلاً كان في سفر معه امرأته ، وكانت عاركا (حائضا) فظهرت ، وكان معها ماء يسير فغسلت ، فلم يكفها لئسها وأتقت الماء فبقيا عطشانين ، فقال لها ذلك .

(٢) الحَمالة (بالفتح) : ما يحملة الإنسان عن غيره من دية أو غرامة .

(١)

دخل بعض الشعراء على بشر بن مروان فأنشده :

أَغْفَيْتُ عِنْدَ الصُّبْحِ نَوْمَ مُسَهَّدٍ * فِي سَاعَةٍ مَا كُنْتُ قَبْلُ أَنَامُهَا

فَرَأَيْتُ أَنَّكَ رُعْتَنِي بُولِيدَةٍ * مَغْنُوجَةٍ خَسَنٍ عَلَى قِيَامُهَا ^(٢)

وَبَيْدَرَةٍ حُمِلَتْ إِلَى وَبْغَلَةٍ * دَهْمَاءُ مُشْرِفَةٍ يَصِلُ لِحَامُهَا ^(٣)

فَدَعَوْتُ رَبِّي أَنْ يُثَبِّتَ جَنَّةً * عِوَضًا يُصَيِّدُكَ بِرَدِّهَا وَسَلَامُهَا ^(٤)

فَقَالَ لَهُ بَشَرٌ : فِي كُلِّ شَيْءٍ أَصَبْتُ إِلَّا فِي الْبَغْلَةِ فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا شُبُهًا : فَقَالَ :

إِنِّي وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ إِلَّا شُبُهًا .

قال رجل لمعاوية : أَقْطِعْنِي الْبَحْرَيْنِ ، قَالَ : إِنِّي لَا أَصِلُ إِلَى ذَلِكَ . قَالَ :

فَأَسْتَعْمِلْنِي عَلَى الْبَصْرَةِ ؛ قَالَ : مَا أُرِيدُ عَزْلَ عَامِلِهَا . قَالَ : تَأْمُرُنِي بِالْقَيْنِ ؛ قَالَ :

ذَلِكَ لَكَ . فَقِيلَ لَهُ : وَيَمْحُكُ ! أَرْضَيْتَ بَعْدَ الْأَوَّلَيْنِ بِهَذَا ! قَالَ : آسَكْتُوَا لَوْلَا الْأَوَّلَانِ

مَا أُعْطِيتُ هَذِهِ .

جاء أعرابي إلى بعض الكتاب فسأله ، فأمر الكاتب غلامه يمينه أن يعطيه

عشرة دراهم وقبصًا من قمصه ؛ فقال الأعرابي :

حَوْلَ الْعَقْدِ بِالشَّمَالِ أَبَا الْأَصْدِ * بَنَجْ وَأَضْمُ إِلَى الْقَمِيصِ قَبِصًا

إِنْ عَقَدَ الْيَمِينُ يَقْصُرْ عَنِّي * وَأَرَى فِي قَمِيصِكَ تَقْلِيصًا ^(٥)

١٥

يقول : حَوْلَ عَقْدِ الْيَمِينِ وَهُوَ عَشْرَةٌ إِلَى عَقْدِ الشَّمَالِ وَهُوَ مِائَةٌ .

(١) هو الحكم بن عبدل كما في الأغاني (ج ٢ ص ٤٠٧ طبع دار الكتب المصرية) . (٢) لم نثر

على هذه الصيغة في معاجم اللغة ، والذي بها : امرأة متناج وغنبة : حنة الدل ؛ ووجد هذا الشعر منسوبًا

إلى حمزة بن بيش في الأغاني (ج ١٥ ص ٢٣ طبع بولاق) وروايته مختلفة عن روايتي الأغاني الأول وهذا

الكتاب ؛ وفيه مرسومة بدل مغنوجة . وفي العقد الفريد (ج ١ ص ١٠٣) «مفلوجة» . (٣) مشقة :

سريعة العدو ، والمشرقة أيضا : العالية المرتفعة . (٤) يصل : يصوت . (٥) كان للعرب

حساب غير ما هو معروف اليوم وهم في ذلك اصطلاحات في أصابع اليد ، فالعشرة يدل عليها بجعل السبابة

في اليد اليمنى حلقة فاذا أريد المائة جعلت السبابة اليسرى حلقة وغير ذلك (انظره بتفصيل في الجزء الثالث

من كتاب بلوغ الأرب للآلوسي ص ٣٩٦ — ٤٠٢ طبع بغداد) .

٢٠

سأل أعرابي فقال في مسأله : لقد جُعْتُ حتى أكلتُ النوى المحرَّق ولقد
مَشَيْتُ حتى أَنتَعَلْتُ الدَّمَ وحتى سقط من رجلى بَحْصٌ^(١) لحم وحتى تَمَنَّيتُ أَنْ وجهى
هَذَا لِقَدَمِي^(٢)، فهل من أخٍ يرحمنا ؟ .

وسأل آخر قوماً فقال : رَحِمَ الله امرأاً لم تَمُجِّجْ أذناه كلامي، وقَدِمَ لنفسه مَعَاذًا
من سوء مُقَامِي، فإن البلاد مُجْدِبَةٌ، والحال مُضْهِبَةٌ^(٣)، والحياء زاجِرٌ يمنع من كلامكم ،
والعلم عاذِرٌ يدعو إلى إخباركم، والدعاء أحدُ الصَّدَقَاتَيْنِ فَرَحِمَ الله امرأاً أمرَ بِمِيرٍ^(٤) ودعا
بِخَيْرٍ، فقال له رجل من القوم : يَمَنَّ الرجل ؟ فقال : اللهم غَفِّرا مَن لا تَضُرُّكَ
جهالته، ولا تنفعك معرفته، ذُلَّ الاكتساب، يمنع من عِزِّ الانتساب .

سأل أعرابي رجلاً فخرمه؛ فقال : عَلَامَ تَحْرِمُنِي ! فوالله ما زِلْتَ قِبْلَةً لَأُمْلَى
لا تَلْفِتْنِي عَنْكَ المطامعُ ، فإن قلتَ : قد أحسنتُ بدءاً، فما يُنْكِرُ لِمَثْلِكَ أَنْ يُحْسِنَ
عَوْدًا ! .

قال ابنُ أبي عمير : دخلتُ على أشعبَ وعنده متاعٌ حسن وأثاثٌ، فقلتُ له :
ويحك ! أما تستحي أن تسألَ وعندك ما أرى ! فقال : يا فدَيْتُكَ ! معي والله من
لطيفِ السؤالِ مالا تطيبُ نفسي بِتَرْكِهِ .

قال الصَّلْتَانُ العَبْدِيُّ : ١٥

نَروح ونفقدو لحاجاتنا * وحاجةٌ منَّ عاش لا تنقضي
تموت مع المرء حاجاته * وتبقى له حاجةٌ ما بقي
إذا ليلةٌ هَرَمَتْ يومها * أتى بعد ذلك يومٌ بقي

(١) البحص بالتحريك : اللحم القدم . (٢) في الأصل : « هذا لدمي » . (٣) في المحاسن
والمسارى للبيهق طبع أوروبا ص ٦٣١ : « مضغية » وقد رويت هذه الحكاية فيه باختلاف عما هنا .
(٤) كذا في المحاسن والمسارى . وفي الأصل : « عار » : (٥) المير : الطعام . ٢٠

وقال آخر :

وحاجة دون أخرى قد سَنَحْتُ بها ^(١) * جعلتها للتي أخفيتُ عنواناً
كتب دِجِلُّ الى بعض الأمراء :

جُئْتُكَ مستشفِئاً بلا سبب ^(٢) * اليك إلا بُجْرمة الأدب
فأَقِضْ ذِمَامِي فَأَتْنِي رَجُلٌ * غير مُلَحٍّ عليك في الطلبِ

من يَعْتَمِدُ في الحاجة وَيُسْتَسْعَى فيها

روى هُشَيْمٌ عن عبد الحميد بن جعفر عن محمد بن عبد الرحمن عن أبي مُصْعَبٍ ^(٣)

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اطلبوا الحوائج الى حسان الوجوه » ^(٤) .

وفي حديث آخر : « اعتمد لحوائجك الصباح الوجوه ، فإن حسن الصورة أولُ

سمة تتلقاتك من الرجل » .

قالت امرأة من ولد حسان بن ثابت :

سَلِ الخَيْرَ أَهْلَ الخَيْرِ قَدْماً وَلَا تَسَلْ * فَنِي ذَا قِ طَعَمَ العَيْشِ مِنْذُ قَرِيبِ

ومن المشهور قولُ بعض المحدثين :

حَسَنُ ظَنِّي إِلَيْكَ أَوْ كَرَمَكَ اللَّهُ دَعَانِي فَلَا عَدِمْتَ الصَّلَاحَا

ودعاني إِلَيْكَ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ إِذْ قَالَ مُفَضِّصَا إِفْصَا حَا

إِنْ أَرَدْتُمْ حَوَائِجًا عِنْدَ قَوْمٍ * فَتَقَفُّوا لَهَا الْوُجُوهَ الصَّبَاحَا

(١) سحت بكذا : عَرَضْتُ وَلَحَنْتُ ، وقد أورد صاحب اللسان هذا البيت في مادة « سح »

ونسبه لسوار بن المضرب . (٢) في العقد الفريد (ج ١ ص ٨٩ طبع بولاق) : « مستشفدا » .

(٣) كذا في تهذيب التهذيب . وفي الأصل : « جعيفر » وهو تحريف . (٤) في الجامع الصغير :

« اطلبوا الخير الى حسان الوجوه » .

وقال آخر :

إنا سألنا قومنا نغيارهم * من كان أفضلهم أبوه الأول
أعطى الذى أعطى أبوه قبله * وتبخت أبناء من يتبخل
وقال خالد بن صفوان : فوت الحاجة خير من طلبها الى غير أهلها ، وأشد
من المصيبة سوء الخلف منها .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : قال مسلم بن قتيبة : لا تطلبن حاجتك الى
كذاب فإنه يقربها وهي بعيدة ويبعدا وهي قريب ، ولا الى أحمق فإنه يريد أن
ينفعك فيضررك ، ولا الى رجل له عند من تسأله الحاجة مأكلة ، فإنه لا يؤثرك على نفسه .
أنشدنا الرياشي لأبي عيون :

ولست بسائل الأعراب شيئاً * حصدت الله إذ لم يأكلوني
وقال ميمون بن ميمون : لا تطلبن الى لئيم حاجة ، فإن طلبت فأجله حتى
يروض نفسه .

هارون بن معروف عن خنصرة عن عثمان بن عطاء ، قال : عطاء الحوائج عند
الشباب أسهل منها عند الشيوخ ؛ ثم قرأ قول يوسف : (لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ
اللهُ لَكُمْ) وقول يعقوب (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) .
وقال بشار :

إذا أيقظتك حروب العدا * فنبه لها غمراً ثم ثم
فقي لا يبيت على دمنية * ولا يشرب الماء إلا يدم
يلد العطاء وسفك الدماء * فيغدو على نعم أو هم

(١) بعيد وقريب يوصف بهما الذكر والأنثى والمفرد والجمع ومنه قوله تعالى : (إن رحمة الله قريب
من المحسنين) . (٢) في الأغاني (ج ٣ ص ٦٦ طبع بولاق) : * إذا دهمك عظام الأمور *

وقال أبو عباد الكاتب : لا تُتْرَلْ مُهِمَّ حَوَائِجِكَ بِالْجِدِّ اللِّسَانِ ، وَلَا الْمَتَسَرَّعِ إِلَى الضَّمَانِ ، فَإِنَّ الْعَجْزَ مَقْصُورٌ عَلَى الْمَتَسَرَّعِ ؛ وَمَنْ وَعَدَ مَا يَعِجْزُ عَنْهُ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَأَسَاءَ إِلَى غَيْرِهِ ؛ وَمَنْ وَثِقَ بِجَوْدَةِ لِسَانِهِ ظَنَّ أَنَّ فِي فَصْلِ بَيَانِهِ مَا يَنْوِبُ عَنْ عِذْرِهِ وَأَنْ وَعَدَهُ يَقُومُ مَقَامَ إِنْجَازِهِ . وقال أيضا : عَلَيْكَ بِذِي الْحَصْرِ الْبَكِيِّ^(١) ، وَبِذِي الْحَلِيمِ الرِّضِيِّ^(٢) ، فَإِنْ مَثَقَلَا مِنْ شِدَّةِ الْحَيَاءِ وَالْعِيْ ، أَنْفَعُ فِي الْحَاجَةِ مِنْ قِنْطَارٍ مِنْ لِسَانٍ سَلِيْطٍ وَعَقْلٍ ذَكِيٍّ ؛ وَعَلَيْكَ بِالشَّهْمِ النَّدْبِ الَّذِي إِنْ عَجَزَ أَيَّاسُكَ ، وَإِنْ قَدَّرَ أَطْمَعُكَ .

قال بعضُ الشعراء :

لَا تَطْلُبَنَّ إِلَى لَيْمٍ حَاجَةً * وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ قَائِمًا كَالْتِقَاعِدِ

يَا خَادِعَ الْبُخْلَاءِ عَنْ أَمْوَالِهِمْ * هِيَهَاتَ ! تَضْرِبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدِ

وقال آخر :

إِذَا الشَّافِعُ اسْتَقْصَى لَكَ الْجُهْدَ كُلَّهُ * وَإِنْ لَمْ تَلَّ نُجْحًا فَقَدْ وَجَبَ الشُّكْرُ

وقال آخر :

وَإِذَا أَمْرُؤُ اسْدَى إِلَيْكَ صَانِعَةً^(٥) * مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّمَا مِنْ مَالِهِ

ذكر أعرابي رجلا ، فقال : كَانَ وَاللَّهِ إِذَا زَلَّتْ بِهِ الْحَوَائِجُ قَامَ إِلَيْهَا ثُمَّ قَامَ بِهَا ،

وَلَمْ تَقْعُدْ بِهِ عِلَاتُ النُّفُوسِ .

قال الشاعر :

مَا إِنْ مَدَحْتُكَ إِلَّا قَلَّتْ تَحَدُّعُنِي * وَلَا اسْتَعْتُكَ إِلَّا قَلَّتْ مَشْفُؤُنِي

ابْنُ عَائِشَةَ قَالَ : كَانَ شَيْبُ بْنُ شَيْبَةَ رَجُلًا شَرِيفًا يَفْرَعُ إِلَيْهِ أَهْلُ الْبَصْرَةِ

فِي حَوَائِجِهِمْ ، فَكَانَ إِذَا أَرَادَ الرُّكُوبَ تَأَوَّلَ مِنَ الطَّعَامِ شَيْئًا ثُمَّ رَكِبَ ؛ فَقِيلَ لَهُ :

٢٠ (١) الْبَكِيُّ : الْقَلِيلُ الْكَلَامِ . (٢) الْحَلِيمُ : السَّجِيَّةُ وَالطَّيْعَةُ . (٣) النَّدْبُ : الْخَلِيفُ

فِي الْحَاجَةِ . (٤) هُوَ أَبُو تَمَامٍ الطَّائِي . (٥) كَذَا فِي دِيْوَانِهِ . وَفِي الْأَصْلِ : «أَهْدَى إِلَيَّ» .

إِنَّكَ تُبَاكِرُ الْغَدَاءَ! فَقَالَ: أَجَلْ! أَطْفِقُ بِهِ قَوْرَةَ جَوْعِي، وَأَقْطَعُ بِهِ خُلُوفَ فَمِي^(١)، وَأَبْلُغُ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِي، نَحْذُ مِنْ الطَّعَامِ مَا يُذْهِبُ عَنْكَ النَّهَمَ؛ وَيُدَاوِي مِنْ الْخَوَى .

قال بعضُ المحدثين :

لَعَمْرُكَ مَا أَخْلَقْتُ وَجْهًا بِذَلِكَ * إِلَيْكَ وَلَا عَرَضَتْهُ لِلْعَايِرِ
فَتَى وَقَرْتُ أَيْدِي الْمَحَامِدِ عِرْضَهُ * وَخَلَّتْ^(٢) لَدَيْهِ مَالَهُ غَيْرَ وَافِرِ

وقال آخرُ :

أَتَيْتُكَ لَا أُدِلُّ بِقُرْبِي وَلَا يَدِ * إِلَيْكَ سَوَى أَنِّي يُجُودُكَ وَائِقُ
فَإِنْ تَوَلَّيْتُ عُرْفًا أَكُنْ لَكَ شَاكِرًا * وَإِنْ قَلَّتْ لِي عِذْرًا أَقُلْ أَنْتَ صَادِقُ

وقال رجلٌ لآخر في كلامه : أَيْدِينَا مَمْدُودَةٌ إِلَيْكَ بِالرَّغْبَةِ، وَأَعْنَاقُنَا خَاضِعَةٌ لَكَ بِاللَّزَّةِ، وَأَبْصَارُنَا شَاخِصَةٌ إِلَيْكَ بِالشُّكْرِ؛ فَافْعَلْ فِي أُمُورِنَا حَسَبَ أَمَلِنَا فِيكَ، وَالسَّلَامَ . ١٠

الإجابة الى الحاجة والرد عنها

قال رجل للعباس بن محمد : إِنِّي أَتَيْتُكَ فِي حَاجَةٍ صَغِيرَةٍ؛ قَالَ : أَطْلُبُ لَهَا رَجُلًا صَغِيرًا . وَهَذَا خِلَافُ قَوْلِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ لِرَجُلٍ قَالَ لَهُ : إِنِّي أَتَيْتُكَ فِي حَاجَةٍ صَغِيرَةٍ، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : هَاتَهَا، إِنَّ الرِّجْلَ لَا يَصْغُرُ عَنْ كَبِيرِ أَخِيهِ وَلَا يَكْبُرُ عَنْ صَغِيرِهِ . ١٥

قال رجل للأحنف : أَتَيْتُكَ فِي حَاجَةٍ لَا تَشْكُكَ وَلَا تَرَزُّوكَ^(٣)، قَالَ : إِذَا لَا تُقْضَى !
أَمْثَلِي يَوْئِي فِي حَاجَةٍ لَا تَشْكِي وَلَا تَرَزُّأُ ! .

(١) الخلوف : رائحة الفم . (٢) في العقد الفريد : (ج ١ ص ٩٠) :

* عَلَيْهِ وَخَلَّتْ مَالَهُ غَيْرَ وَافِر * (٣) لَا تَشْكُكَ : لَا تَتَلَمَّزُكَ، مِنْ تَكِي الْعَدُوِّ نَكَايَةً :

٢٠ . أَصَابَ مَتَهُ . وَلَا تَرَزُّوكَ : لَا تُصِيبُ مِنْ مَالِكَ شَيْئًا .

جاء قومٌ الى رجل يُكلمونه في حاجةٍ لهم ومعهم رَقَبَةٌ، فقال لِرَقَبَةٍ : تَضْمَنُونَهَا؟
فقال له رَقَبَةٌ : جِئْتُكَ نَطْلُبُ مِنْكَ فَضْلَ التَّوَسُّعِ فَأَدْخَلْتَ عَلَيْنَا هُمُ الضَّيَّانَ .
أتى عمرو بن عُيَيْدٍ حَفْصَ بنِ سالمٍ، فلم يسأله أَحَدٌ مِنْ حَشَمِهِ شَيْئًا إِلَّا قَالَ :
لَا، فقال عمرو : أَقِلَّ مِنْ قَوْلِ : «لَا» فَإِنَّ «لَا» لَيْسَتْ فِي الْجَنَّةِ .
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُئِلَ مَا يَجِدُ أُعْطِيَ، وَإِذَا سُئِلَ مَا لَا يَجِدُ
قَالَ : «يَصْنَعُ اللَّهُ» .

قال عمر بن أبي ربيعة :

إِنَّ لِي حَاجَةً إِلَيْكَ فَقَالَتْ * بَيْنَ أُذُنِي وَعَاتِقِي مَا تُرِيدُ
أَيُّ قَدْ تَضَمَّنْتُهُ لَكَ فَهُوَ فِي عُنُقِي .

١٠ . سأل رجلٌ قومًا، فقال له رجلٌ منهم : اللَّهُمَّ هَذَا سَائِلُنَا وَنَحْنُ سُؤَالُكَ، وَأَنْتَ
بِالْمَغْفِرَةِ أَجْوَدُ مِنَّا بِالْعَطَاءِ، ثُمَّ أَعْطَاهُ .

سأل رجلٌ رجلاً حَاجَةً، فقال : اذْهَبْ بِسَلَامٍ، قَالَ السَّائِلُ : أَنْصَفْنَا مِنْ
رَدِّنَا فِي حَوَائِجِنَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

قال رجلٌ ثُمَامَةً : إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، قَالَ ثُمَامَةُ : وَلِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ، قَالَ :

١٥ . وَمَا هِيَ؟ قَالَ : لَا أَذْكُرُهَا حَتَّى تَتَضَمَّنَ قَضَاءَهَا، قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ، قَالَ : حَاجَتِي
أَلَّا تَسْأَلَنِي هَذِهِ الْحَاجَةَ، قَالَ : رَجَعْتُ عَمَّا أُعْطِيتُكَ، قَالَ ثُمَامَةُ : لَكِنِّي لَا أَرَدُ
مَا أَخَذْتُ .

قال الجاحظ : تَمَشَّى قَوْمٌ إِلَى الْأَصْمَعِيِّ مَعَ رَجُلٍ اشْتَرَى مِنْهُ ثَمَرَةَ نَخْلَةٍ، فَنَالَهُ
فِيهَا خُسْرَانٌ وَسَأَلُوهُ حَسَنَ النَّظَرِ لَهُ، فَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : أَسَمِعْتُمْ بِالْقِسْمَةِ الضَّرْبِيَّ^(١) ! هِيَ

(١) القسمة الضري : الناقصة الجائزة .

ما تُريدونَ شيخَكم عليه، اشترى متى على أن يكون الخسرانُ مليّ والربحُ له ! إذهبوا فاشتروا لي طعامَ السَّوادِ^(١) على هذا الوجه والشرط . ثم قال : ها هنا واحدةٌ هي لكم دوفى ، ولا بدّ من الاحتمال لكم اذ لم تحتملوا لي ، هذا ما مشيتم معه إلا وأتم توجبون حقه وتُحبّون رِفده، ولو كنتُ أوجبُ له مثل الذى توجبون لقد كنتُ أغنيته عنكم، ولكن لا أعيرُفه ولا يضرتنى بحق، فهلمّ فلتوزّع هذا الخسران بيننا بالسواء، فقاموا ولم يعودوا، وأيس التاجرُ نخرج له من حقه .

قال يزيدُ بن عُمير الأُسَيْدِي لبيته : يا بني، تعلّموا الرّد فإنه أشدّ من الإعطاء، ولأن يعلم بنو تميم أن عند أحدكم مائة ألف درهم أعظمُ له في أعينهم من أن يقسمها فيهم، ولأن يقال لأحدكم : بخيلٌ وهو غنيٌّ خيرٌ له من أن يقال : سخيٌّ وهو فقير .

وقال إسحاق بن إبراهيم :

النصرُ يقرئك السلام وإنما * أحدى السلامَ تعرّضًا للطمعِ
فأقطعُ لباتته بياضَ عاجلٍ * وأريحُ فؤادك من تفاضِ الأضاحِ
ذكر ثمامةُ محمد بن الجهم فقال : لم يُطعم أحدًا قطّ في ماله إلا ليشغله بالطمع فيه عن غيره، ولا شفّع لصديق ولا تكلم في حاجة متعزّيم به، إلا ليُلَقِّنَ المسئولَ حجةً منع، وليفتح على السائل بابَ حرمان .

كتب سهلُ بن هارون الى موسى بن عمران :

إنّ الضميرَ اذا سألتك حاجةً * لأبي الهذيل^(٢) خلاف ما أبدى
فأمنعه رَوْحَ اليأس ثم أمدد له * حبيلَ الرجاء لتُخلف الوعدِ

(١) السواد : الريف . (٢) في الأصل : « عمر » والتصويب عن السعافى .

(٣) هو أبو الهذيل الخفاف أحد رموز المعتزلة، وكان يميل، (انظر البغلاوي ج ٦٩ : ١٤٧ ، ١٤٨ طبع أررب)

وَالرَّبُّ لَهُ كَنْفًا لِيَحْسُنَ ظَنُّهُ * فِي غَيْرِ مَنَفَعَةٍ وَلَا رِفْدٍ
حَتَّى إِذَا طَالَتْ شَقَاوَةُ جَدِّهِ * وَعَنَاءُهُ فَأَجَبَّهُ بِالرَّدِّ
قِيلَ لِحُبِّي الْمَدِينِيَّةِ : مَا الْجُرْحُ الَّذِي لَا يَنْدِمُ ؟ قَالَتْ : حَاجَةُ الْكَرِيمِ إِلَى الْكَرَمِ
ثُمَّ يَرُدُّهُ . قِيلَ لَهَا : فَمَا النَّالُ ؟ قَالَتْ : وَقُوفُ الشَّرِيفِ بِيَابِ الدُّنْيَا ثُمَّ لَا يُؤَدِّنَ
لَهُ . قِيلَ : فَمَا الشَّرْفُ ؟ قَالَتْ : اعْتِقَادُ الْمَنِّ فِي رِقَابِ الرِّجَالِ .

قَالَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ : مَا سَأَلَنِي قَطُّ أَحَدٌ حَاجَةً فَرَدَدْتُه إِلَّا رَأَيْتُ الْغَنَى فِي قَفَاهُ .
رَوَى عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
أَعْلَمْتُ أَنَّ الطَّمَعَ فَقْرٌ ، وَأَنَّ الْيَأْسَ غِنًى ، وَأَنَّ الْمَرْءَ إِذَا يَتَشَمَّى مِنْ شَيْءٍ أَسْتَفْنَى عَنْهُ .
وَقَالَ آخَرُ فِي كَلَامِهِ لَهُ : كُلُّ مُنْتَوَجٍ مُسْتَفْنَى عَنْهُ بِغَيْرِهِ ، وَكُلُّ مَانِعٍ مَا عِنْدَهُ فَفَى
الْأَرْضِ غِنًى عَنْهُ .

١٠

وَقَدْ قِيلَ : أَرْخَصَ مَا يَكُونُ الشَّيْءُ عِنْدَ غَلَاثِهِ .
وَقَالَ بَشَارٌ : * وَالْدَّرُّ يُتْرَكُ مِنْ غَلَاثِهِ *

قَالَ شَرِيحٌ : مَنْ سَأَلَ حَاجَةً فَقَدْ عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الرَّقِّ ، فَإِنْ قَضَاهَا الْمَسْئُولُ
أَسْتَعْبَدَهَا ، وَإِنْ رَدَّهَا عَنْهَا رَجَعَ حُرًّا وَهِيَ ذَلِيلَانِ : هَذَا بِذَلِّ الْبُخْلِ ، وَهَذَا بِذَلِّ الرَّدِّ .
وَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَنْ سَأَلَكَ لَمْ يُكْرَمْ وَجْهَهُ عَنْ مَسْأَلَتِكَ ، فَالْكَرِيمُ وَجْهَكَ عَنْ رَدِّهِ .
وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَرُدُّ ذَا حَاجَةٍ إِلَّا بِهَا أَوْ بِمِيسُورٍ مِنَ الْقَوْلِ .
وَقَالَ أَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةَ : مَا أُحِبُّ أَنْ أَرُدَّ أَحَدًا عَنْ حَاجَةٍ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَخْلُو مِنْ
أَنْ يَكُونَ كَرِيمًا فَاصُونَهُ ، أَوْ لَثِيمًا فَاصُونُ مِنْهُ نَفْسِي .

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ سَأَلَ حَاجَةً فَرُدَّ عَنْهَا :
مَا يَمْنَعُ النَّاسَ شَيْئًا كُنْتُ أَطْلُبُهُ * إِلَّا أَرَى اللَّهَ يَكْفِي فَقَدْ مَا مَنَعُوا

٢٠

أتى رجلُ الحسن بن علي رضي الله عنهما يسأله ؛ فقال الحسن : إن المسألة لا تصلح إلا في غريمٍ فادحٍ أو فقيرٍ مذقٍ أو حَمالةٍ مُقْطِعةٍ ؛ فقال الرجل : ما جئتُ إلا في إحداهن ، فأمر له بمائة دينار . ثم أتى الرجلُ الحسين بن علي رضي الله عنهما فسأله ، فقال له مثل مقالة أخيه ، فردَّ عليه كما ردَّ على الحسن ؛ فقال : كم أعطاك ؟ قال : مائة دينار ، فنقصه ديناراً ، كره أن يساوي أخاه . ثم أتى الرجلُ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فسأله فأعطاه سبعةً دنانير ولم يسأله عن شيء ؛ فقال الرجل له : إني أتيتُ الحسن والحسين ، واقتصصتُ كلامهما عليه وفعلهما به ؛ فقال عبد الله : ويحك ! وأني تجعلني مثلهما ! إنهما غرَّا العلمَ غرَّا المالَ .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : جاء شيخٌ من بني عقيل إلى عمر بن هبيرة ، فمَّتْ بقرابةٍ وسأله فلم يعطه شيئاً ؛ فعاد إليه بعد أيام فقال : أنا العَقِيلُ الذي سألك منذ أيام ؛ فقال عمر : وأنا الفَزَارِيُّ الذي منعك منذ أيام ؛ فقال : معذرةً إلى الله ! إني سألتك وأنا أظنك يزيد بن هبيرة المحاربي ؛ فقال : ذاك الأُمُّ لك ، وأهونُ بك عليّ ، نشأ في قومك مثلي ولم تعلم به ، ومات مثلُ يزيد ولا تعلم به ! يا حَرَسِي اسْفَعْ بيده .
أتى عبد الله بن الزبير أعرابيٌ يسأله ، فشكا إليه ثَقْبَ ناقته واستحمله ؛ فقال له ابنُ الزبير : اِرْقَعْها بِسِدِّ^(٤) وأخِصِّفْها بِهَلِيبٍ وأفعل وأفعل ... ؛ فقال الأعرابي : إني أتيتُكَ مُستوصلاً ولم آتِكَ مُستوصفاً ، فلا حملتُ ناقَةً حملتني إليك ! فقال : إنَّ وصاحبها .

(١) في الأمل : « وأمر ... » . (٢) غرَّ العلم : القهء ، يقال : غرَّ الطائر فرخه إذا زقه ، ومنه حديث معارية : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يتزعلوا بالعلم » . (٣) سفع بناصيته أو ييده : قبضها وجذبها . (٤) هو عبد الله بن فضالة بن شريك الوالي الأسدي كما في الأغاني ج ١ ص ١٥ طبع دار الكتب المصرية ، وقد رويت فيه هذه الحكاية باختلاف عما هنا . (٥) الثقب : رقة وثقب في خف البعير . (٦) استعمله : حمله حواجج يقضيها له . (٧) السبت (بالكسر) : جلد البقر المدبوغ بالقرض تحذى منه النعال السنية . وانخسف : ان يظاهر الجلدين ببعضهما إلى بعض ويخرزهما ولذلك قيل للخرز : الخصف . والهلِب (بالضم) : شعر الخنزير الذي يخرز به . (٨) إن بمعنى نعم .

والعربُ تقول لمن جاء خائباً ولم يظفر بحاجته : « جاء على غيراء الظهر »^(١) .
وتقول هي والعوام : « جاء بخفي حنين » و « جاء على حاجبه صوفة » .
وقال أبو عطاء السَّدي في عمر بن هبيرة :

ثلاث حُكْمَنَ لقرم قيس^(٢) * طلبتُ بها الأخوة والنساء

رجعتُ على حواجبه صوف * فعند الله احتسبُ الجزاء

والأصل في قولهم : « جاء بخفي حنين » أن إسكافاً من أهل الحيرة ساومه
أعرابي بخفين ، فأختلفا حتى أغضبه ، فأزاد غيظ الأعرابي ؛ فلما ارتحل أخذ
حنين أحد خفيه فالتفاه على طريقه ثم ألقى الآخر في موضع آخر ؛ فلما مر الأعرابي
بأحدهما قال : ما أشبه هذا بخفي حنين ! ولو كان معه الآخر لأخذه ، ومضى ؛ فلما
أتى إلى الآخر ندم على تركه الأول ، وأناخ راحلته فأخذه ورجع إلى الأول ، وقد
كن له حنين فعمد إلى راحلته وما عليها فذهب به ؛ وأقبل الأعرابي ليس معه
غير الخفين ؛ فقال له قومه : ما الذي أتيت به ؟ قال : بخفي حنين .

قالوا : فإن جاء وقد قضيت حاجته قيل : « جاء ثانياً من عنانه » . فإن جاء
ولمّا تقضى حاجته وقد أصيب ببعض ما معه ، قالوا : « ذهب يتننى قرناً فلم يرجع
بأذنين » . يقول بشار :

فكنتُ كالعير غداً يتننى * قرناً فلم يرجع بأذنين^(٤)

(١) غيراء الظهر : الأرض ، تمغير الثبراء . ويرى : جاء على ظهر الثبراء ، أي جاء لاصحابه
غير أرضه التي يحب . ويذهب فيها . (انظر ما يقول عليه في المضاف والمضاف إليه ، انسخة المخطوطة
المحفظة بدار الكتب المصرية رقم ٧٨ أدب م) . (٢) كذا في الشعر والشعراء للزلف
والقرم من الرجال السيد العظيم وفي الأصل : « قوم » . (٣) في الأصل : « فلما جاء ... »
وهو غير مستقيم . (٤) رواية هذا البيت في الأغاني ج ٣ ص ٢٠٦ طبع دار الكتب :

فصرت كالعير غدا طالبا * قرناً فلم يرجع بأذنين

وقد روى أبو الفرج أن عتبة بن سفيان دعا بشاراً وحماًد بن عيسى بذهلة ، وطلب إليهم أن يضمنوا هذا
المثل في شعر ، وعين لخرجه جائزة ، وهددهم إن لم يفعلوا ، فضمت بشار على البديهة وأخذ جائزته .

سأل أعرابي قوما، فقيل له : بورك فيك ! فقال : وكلّكم الله الى دعوة لا تحضرها نية .

أرسل الوليد خيلاً في حلبة^(١)، فأرسل أعرابي رسالة فرساً له فسبقت الخيل، فقال له الوليد : آحملي عليها، فقال : إن لها حرمة، ولكنني أحملك على مهر لها سبق الخيل عام أول وهو رابض .

وتقول العرب فيمن يشغله شأنه عن الحاجة يسأله : « شغل الحلي أهله أن يعار » ينصب الحلي ، ويمار : من العارية . فأما قولهم : « أحق الخيل بالركض الممار » ، فإن الممار^(٢) : المتشوف الذنب وهو المهلوب؛ يريدون أنه أخف من الذيال الذنب^(٣)، يقال : أعرت الفرس إذا نتفته .

وتقول العرب لمن سئل وهو لا يقدر فرد : « بيتي يتحل لا أنا » ، يريدون أنه ليس عنده ما يعطى .

ووعد رجل رجلاً فلم يقدر على الوفاء بما وعده، فقال له : كذبتني، قال : لا ، ولكن كذبتك مالي .

وتقول العرب فيمن اعتذر بالمنع بالعمى وعنده ما سئل : « أبي الحقيق العذرة^(٤) » . قال أبو زيد : وأصله أن رجلاً ضاف قوما فاستسقام لبناً، وعندهم لبن قد حققوه في وطيب ، فاعتذروا أنه لا لبن عندهم ، فقال : « أبي الحقيق العذرة » . ويقال : « العذرة طرف البخل » .

(١) في الأصل : « من حلبة » . (٢) ما ذكره المؤلف هنا هو أحد ما فسرت به هذه الكلمة ، وقيل : الممار : المسن ، يقال : أعرت الفرس إذا سمته ، وقيل : الممار : المضمر ، من عار الفرس إذا أخذ يذهب ويحيى . مرحاً ونشاطاً ، فالممار : ما ردد القهاب به والحجى حتى ضمير ، ويرى : الممار — بكسر الميم — وهو الفرس الذي يجيد براجه عن الضريق ، وكذلك يرى : الممار — بالنون المعجمة — أى المضمر من أغرت الخيل إذا فلتته . (٣) الذيال الذنب : الطويلة . (٤) الحقيق : اللبن المحقون . والعذرة (بكسر العين) : العذر .

وقال الطائي يذكر المثل :

وكان المثل في بدءٍ وعودٍ * دُخَانًا للصنيعة وهي نارُ
نسيبُ البخلِ مذكَانًا وإن لم * يحسن نسبٌ فينبهما جوارُ
لذلك قيل بعضُ المنعِ أدنى * إلى جودٍ وبعضُ الجودِ عارُ

قال إسماعيل القرايطي^(١) في الفضل بن الربيع :

لئن أخطأتُ في مدحك ما أخطأتُ في مني^(٢) *
لقد أحلتُ حاجاتي * بوادٍ غيرِ ذِي زَرْعٍ

غزى المنذرُ بن الزبير [في] البحر ومعه ثلاثون رجلاً من بني أسد بن عبد العزى ؛
فقال له حكيم بن حزام : يابن أحمى ، إني قد جعلت طائفةً من مالي لله عز وجل ،
وإني قد صنعتُ أمراً ودعوتكم له ، فأقسمتُ عليك لا يردّه عليّ أحدٌ منكم ؛ فقال
المنذر : لاها الله إذا ، بل نأخذ ما تُعطى ، فإن نَحْتَجُّ إليه نَسْتَعِينُ به ولا نكره أن
يأجرَك الله ، وإن نستغني عنه نُعطيه من يأجرنا الله فيه كما أجرَك .

سأل أعرابيُّ رجلاً يقال له : الغمر فأعطاه درهماين ، فردّهما وقال :

جعلتُ لغمرِ درهمنيه ولم يكن * ليُغْنِي عني فقتي درهما غمير
وقلت لغمرِ خذهما فأصطرفهما * سريعين في تقضِ المروءة والأجرِ
أتمنعُ سؤالَ العشيرةِ بعد ما * تسميتُ غمراً وأكتنيت أبا بجرِ

(١) نسبها ابن حجة في خزانته ص ٤٠ طبع بولاق لابن الرومي . وذكر صاحب معاهد التنصيص
في الكلام عليهما ص ٦٤ طبع بولاق أنهما ينسبان لابن الرومي ولكنه قال : ورأيت في الأغاني نسبتهما
إلى إسماعيل القرايطي . وقد ذكرنا في ترجمته في الأغاني ج ٢٠ ص ٨٨ - ٨٩ ولم يذكرنا في ديوان
ابن الرومي . (٢) فيه الكف وهو حذف السابغ الكز ، والكف حزن في هذا البحر وهو
المرج . وفي الأغاني (ج ٢٠ ص ٨٩ طبع بولاق) : « في مدحك » وهذه الرواية لا كف فيه .
(٣) أي لا يردّه عليك أحد والله إذا ، فكلمة «ها» حذفت . ويجوز فيها مع كلمة الجلالة ، بعد حذف
همزة الوصل ، إثبات ألفها — وينطق بهما كما ينطق بدابة — وحذفها .

اختلف أبو العتاهية الى الفضل بن الربيع في حاجة له زماناً فلم يقضها له ،
فكتب :

أكلُ طُولِ الزمانِ أنتَ اذا * جئتُكَ في حاجةٍ تقولُ غداً!
لا جعلَ اللهُ لي اليك ولا * عندك ما عشتُ حاجةً أبداً!

وقال آخر :

إن كنتَ لم تُوفِيا قلتَ لي صِلَةً * فما آتفأكَ من حَبْسِي وترِيدِي
فالمنعُ أجملُهُ ما كانَ أمَجَلُهُ * والمَطْلُ من غيرِ عُسرٍ آفةُ الجودِ

وقال آخر :

بسطتَ لسانِي ثم أوثقتَ نصفَهُ * فنِصفُ لسانِي في امتداحك مُطْلَقُ
فإن أنتَ لم تُخِزْ عِدَاتِي تركتَنِي * وباقِي لسانِ الشكرِ باليأسِ مُوثِقُ

وقال آخر :

يا جوادَ اللسانِ من غيرِ فعلٍ * ليتَ جودَ اللسانِ في راحتيكَ

المواعيدُ وتُجزّرها

ذكر جبار بن مسلم^(١) عامر بن الطفيل فقال : كان والله اذا وعد الخير وفي ،
واذا أوعد بالشرّ أخلف وعفا .

وأشدُّ أبو عمرو بن العلاء في مثل هذا المعنى :

ولا يَرَهْبُ ابنُ العَمِّ ما عشتُ صَوْلِي * وبأَمْنٍ مِنِّي صَوْلَةُ المتهدِّدِ
والأنيّ إنْ أوعدته أو وعدته * ليَكْذِبُ إِمَادِي وَيَصْدُقُ مَوْعِدِي

(١) في الإمامة : « بضم السين وقيل بفتحها » .

وكان يقال : وَعْدُ الْكَرِيمِ نَقْدٌ ، وَعْدُ اللَّئِيمِ تَسْوِيفٌ ،
وقال عبد الصمد بن الفضل الرقاشي (أبو الفضل والعباس الرقاشيين
البغداديين) لخالد بن ديسم عامل الرّي :
أخالدُ إن الرّيّ قد أجحفت بنا * وضاق علينا رَحْبُها ومَعاشُها
وقد أطمعتنا منك يوما سِجَابَةً * أضياء لنا برقٌ وكَفَّ رِشاشُها
فلا غيمُها يصحوقُ قِيَّسَ طامِعٍ * ولا مأوئها يأتي قُتُورَى عِطاشُها
وقال رجل في الحجاج :

كَأَنَّ فُؤَادِي بَيْنَ أَظْفَارِ طَائِرٍ * مِنَ الْخَوْفِ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مُحَلَّقٍ
حِذَارُ أَمْرِي قَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ * مَتَى مَا يَبْعُدُ مِنْ نَفْسِهِ الشَّرُّ يَصْدُقُ
قال عمرو بن الحارث : كُنْتُ مَتَى شِئْتُ أَجِدُ مِنْ يَبْعَدُ وَيُجِزُ ، قَدْ أَعْيَانِي
مَنْ يَبْعَدُ وَلَا يُجِزُ . قال : وَكَانُوا يَفْعَلُونَ وَلَا يَقُولُونَ ، فَقَدْ صَارُوا يَقُولُونَ وَيَفْعَلُونَ ،
ثُمَّ صَارُوا يَقُولُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ ، ثُمَّ صَارُوا لَا يَقُولُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ .

قال بشار :
وَعْدَتِي ثُمَّ لَمْ تُوفِ بِمَوْعِدَتِي * فَكُنْتُ كَالْمُزْنِ لَمْ يُمِطَرْ وَقَدْ رَعَدَا
هذا مثل قول العرب لِمَنْ يَبْعُدُ وَلَا يَفِي : « بَرَقَ خُلْبٌ » .

وقال آخر :

قَدْ بَلَوْنَاكَ بِحَمْدِ اللَّهِ إِنْ أَغْنَى الْبَلَاءُ
فَإِذَا جُلَّ مَوَاعِيِدُكَ * يَلِكُ وَالْمُجْدُ سَوَاءُ

وقال آخر :

لَمَّا كُلُّ عَامٍ مَوْعِدٌ غَيْرُ نَاجِزٍ * وَوَقْتُ إِذَا مَارَأْسُ حَوْلِ تَجْرِمَا^(١)
فَإِنْ أَوْعَدْتُ شَرًّا أَتَى دُونَ وَقْتِهِ * وَإِنْ وَعَدْتُ خَيْرًا أَرَاثَ وَأَعْتَمَا^(٢)

(١) تجزم : مضى وانقضى . (٢) أراث وأعم كلاهما بمعنى أبلا .

وعد عبد الله بن عمر رجلاً من قريش أن يزوجه ابنته ؛ فلما كان عند موته أرسل إليه فزوجه إياها ، وقال : كَرِهْتُ أَنْ أَلْقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِثُلُثِ آتِفَاقٍ .
وقال الطائي :

تَقُولُ قَوْلَ الَّذِي لَيْسَ الْوَفَاءُ لَهُ * خُلُقًا وَتُحْجِزُ إِنْجَازَ الَّذِي حَلَفًا
وَأَخِي اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ إِسْمَاعِيلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَالَ : ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ
الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ .

وقال بشار يمدح :

إِذَا قَالَ تَمَّ عَلَى قَوْلِهِ * وَمَاتَ الْعَنَاءُ بِلَا أَوْ نَعَمْ
وَبَعْضُ الرِّجَالِ يَمُوعُودُهُ * قَرِيبٌ وَبِالْفِعْلِ تَحْتَ الرَّجْمِ^(١)
بِكَارِي السَّرَابِ تَرَى لَمَعَهُ * وَلَسْتَ بِوَاكِدٍ عِنْدَ كَرَمِ
وقال العباس بن الأحنف :

مَاضِرٌ مَنْ قَطَعَ الرَّجَاءَ يَخْلُهُ * لَوْ كَانَ عَلَانِيًّ بُوْعْدٍ كَاذِبِ

وقال آخر :

عَسَى مِنْكَ خَيْرٌ مِنْ نَعَمِ أَلْفِ مَرَّةٍ * مِنْ آخِرِ غَالِ الصَّدَقِ مِنْهُ غَوَائِلُهُ
وقال نصيب :

يَقُولُ فَيُحَسِّنُ الْقَوْلَ أَبْنُ لَيْلَى * وَيَفْعَلُ فَوْقَ أَحْسَنِ مَا يَقُولُ
وقال زياد الأعجم :

لَهُ دُرٌّ مِنْ فَتَى * لَوْ كُنْتَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ
لَا خَيْرَ فِي كَذِبِ الْجُحَا * دِ وَحَبْنًا صِدْقِ الْبَخِيلِ

٢٠ (١) الرجم (بالحرريك) : القبر والحجارة التي توضع عليه ، وبضمتين أربضم ففتح : الحجارة التي توضع على القبر ، يريد أنه في تحقيق وعده كالميت .

والعرب تضرب المثل في الخلف بـعُرقوب . قال ابن الكلبي عن أبيه : كان عُرقوب رجلاً من العالقي ؛ فأتاه أخ له فسأله شيئاً ؛ فقال له عُرقوب : إذا أطلع^(١) نخلي . فلما أطلع أناه ، قال : إذا أبلح . فلما أبلح أناه ، فقال : إذا أزهى^(٢) . فلما أزهى أناه ، قال : إذا أرطب . فلما أرطب أناه ، قال : إذا صار تمراً . فلما صار تمراً جدّه من الليل ولم يعط أخاه شيئاً .

قال كعب بن زهير :

كانت مواعيد عُرقوب لها مثلاً * وما مواعيدُها إلا الأباطيل
وقال الأتجمي :

وعدت وكان الخلف منك سجيّة * مواعيد عُرقوب أخاه يترّب^(٣)

هكذا قرأته على البصريين في كتاب سيويه بالياء وفتح الراء .

وقال الشاعر :

متى ما أقل يوماً لطالب حاجة * نعم ، أقضها قُدمًا وذلك من شكي
وإن قلت لا ، يبتئها من مكانها * ولم أؤذِه منها يجسر ولا مطيل
وللبخلة الأولى أقل ملامة * من الجود بئها ثم يُتبع بالبخل

وقال أبو نؤاس لامرأة :

أنضيت أحرف لا مما لهجت بها * فحولت رحلتها عنها إلى نعم
أو حولتها إلى «لا» فهي تعدل^(٤) * إن كنت حاولت في ذاقلة الكلم
قسم علينا فعارضنا قيامكم * يا من تناهى إليه غاية الكرم

(١) أطلع النخل : خرج طلع . (٢) أزهى : تكون ثمرة بالحمرة والصفرة . (٣) يترّب

بالياء المثناة : موضع قريب من الإمامة . (٤) كذا في الأصول ، وفي ديوانه «أحولها إليها فهي تعدلها» . والظاهر أنه يريد أن يقول : أو حولها إلى «ها» التي بمعنى «خذ» فكنت موصولة ليدل ظاهرها على غير باطنها ، و«ها» تعدل «لا» في قياسها لفظاً . وبين ما في الأصل وما في الديوان تغيير طفيف في هذه الأبيات .

وفي هذا معنى لطيف .

كتب رجل الى صديق له : قد أفردتك برباطى بعد الله ، وتعجلت راحة
الياس ممن يهود بالوعد ويضن بالإنجاز ، ويحسد أن يفضل ، ويزهّد أن يفضل ،
ويعيب الكذب ولا يصدق .

وقال آخر :

وذى ثقة تبدّل حين أترى * ومن شيمى مراقبة الثقات
فقلت له عتبت على إثمى * فرأى من مؤونات العدا
فعد لمودتى وعلى تذر * سألتك حاجة حتى المات

وقال آخر فى أصحاب النبذ :

مواعينهم ربح لمن يعدونه * بها قطعوا برد الشتاء وقاظوا

وقال مسلم :

لسانك أحلى من جنى النحل موعداً * وكفك بالمعروف أضيّق من قفل
نمى الذى يأتىك حتى اذا انتهى * الى أجل ناولته طرف الجبل

وسأل خلف بن خليفة أبان بن الوليد أن يهب له جارية ، فوعده وأبطأ عليه ،

فكتب اليه :

أرى حاجتى عند الأمير كأنما * تهّم زماناً عنده بمقام
وأحصر من إذ كاره إن لقيته * وصدق الجباء ملجئ بلجام
أراها اذا كان النهار نسيئة * وبالليل تقضى عند كل منام
فيارب أخرجها فإنك تخرج * من الميت حياً مفصلاً بكلام

(١) الكلام على تقدير «لا» الثانية ، أى لا سالك .

فَتَعْلَمَ مَا تُشْكِرِي إِذَا مَا قَضَيْتَهَا ^(١) * وَكَيْفَ صَلَّاتِي عِنْدَهَا وَصِيَامِي
وَإِنْ حَاجَتِي مِنْ بَعْدِ هَذَا تَأْتُرْتُ * خَشِيتُ لِمَا بِي أَنْ أَزُورَ غُلَامِي
وَالْعَرَبُ يَقُولُ : «أَنْجِزْ حُرْمًا وَعَدَةً» .

وَقَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ :

أَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي * حَيَاؤُكَ إِنِّي شَيْمَتُكَ الْحَيَاءُ
إِذَا أَتَيْتُكَ الْمَرْءُ يَوْمًا * كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الشَّاءُ
وَقَالَ الطَّائِي :

وَإِذَا الْمَجْدُ كَانَ عَوْنِي عَلَى الْمَرْءِ * تَقَاضَيْتُهُ بِتَرْكِ التَّقَاضِي
وَقَالَ الرَّهْزَرِيُّ ^(٢) : حَقِيقٌ عَلَى مَنْ أُوْرَقَ بوعْدٍ، أَنْ يُجْرِبَ فَعْل .
وَقَالَ الْمُغِيرَةُ : مِنْ أَنْتَرِ حَاجَةَ رَجُلٍ فَقَدْ تَضَمَّنَ قَضَاءَهَا .

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

كَفَاكَ مَدَّكَرًا وَجْهِي بِأَمْرِي * وَحَسْبِي أَنْ أُرَاكَ وَأَنْ تَرَانِي
وَكَيْفَ أَحُتَّ مِنْ يُعْنَى بِشَأْنِي * وَيَعْرِفُ حَاجَتِي وَيَرَى مَكَانِي
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

يَا صَاحِبَ قُلُوبٍ فِي حَاجَتِي * أَذْكُرْتُهَا فِيمَا ذَكَرْتَنَا
إِنَّ السَّرَاحَ مِنَ النَّجَا ^(٣) * إِذَا شَقِيتُ ^(٤) بِمَا طَلَبْتَا

(١) فِي الشَّعْرِ وَالشَّعْرَاءِ (ص ٤٩٩ طبعه أرويا) : «قَبَضْتُهَا» ، وَرُودُ فِيهِ بَعْدَ ذِكْرِ الْآيَاتِ :
«فَضَحَكَ أَبَانٌ وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِجَارِيَةٍ» . (٢) كَذَا فِي الْقَدِّ الْقَرِيدِ (ج ١ ص ٩٠ و ٩١ طبع بولاق)
وَفِي الْأَصْلِ : «نَحْصَهُ مِنْ أَزْهَرِ النَّخْلِ...» وَظَاهِرٌ أَنَّهُ تَحْرِيفٌ . (٣) قَالَ فِي اللِّسَانِ مَادَّةُ
(سَرَح) : «وَفِي الْمَثَلِ : السَّرَاحُ مِنَ النَّجَاحِ ، أَيْ إِذَا لَمْ تَقْدِرْ عَلَى قَضَاءِ حَاجَةِ الرَّجُلِ فَأَيُّهُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ عِنْدَهُ
بِمَنْزِلَةِ الْإِسْعَافِ» . وَقَالَ الْمُبْدِئِيُّ بَعْدَ ذِكْرِ هَذَا الْمَثَلِ : «يَضْرِبُ لِمَنْ لَا يَرِيدُ قَضَاءَ الْحَاجَةِ ، أَيْ يَنْبَغِي أَنْ
تُؤَيِّسَهُ مِنْهَا إِذَا لَمْ تَقْضِ حَاجَتَهُ» . (٤) فِي الْأَصْلِ : «شَقِيتُ» بِالْقَاءِ .

وقال آخر :

فِي تَصَدِّيكَ لِلطَّلَبِ إِذْكَ * رُبُّوعِدٍ جَرَى بِهِ الْقِسْدَارُ
وَكُتِبَ بَعْضُ الْكُتَابِ إِلَى صَدِيقِي لَهُ : إِنْ مِنْ الْعَجَبِ إِذْ كَارَ مَعْنِيَّ، وَحَثَّ
مُنِيقَظًا، وَأَسْتَبْطَاءَ ذَاكِرٍ، إِلَّا أَنْ ذَا الْحَاجَةِ لَا يَدْعُ أَنْ يَقُولَ فِي حَاجَتِهِ، حَلَّ بِذَلِكَ
مِنْهَا أَوْ عَقَلَ . وَكَأَنِّي تَذَكُّرُهُ وَالسَّلَامُ .

وقال الطَّيْرَمَاحُ :

أَلْحَسَنِ مَسْتَرِلِي تُؤَخِّرُ حَاجَتِي * أَمْ لَيْسَ عِنْدَكَ لِي بِخَيْرٍ مَطْمَعُ
وقال حمزة بن بَيْضٍ لِمَخْلَدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ :
أَتَيْنَاكَ فِي حَاجَةٍ فَاقْضِهَا * وَقُلْ مَرْحَبًا يَجِبُ الْمَرْحَبُ
وَلَا تَكُنَّا إِلَى مَعْتَسِرٍ * مَتَى يَعْلَمُوا عِدَّةً يَكْذِبُوا

وقال بعض المحدثين :

حَوَائِجُ النَّاسِ كُلُّهَا قُضِيَتْ * وَحَاجَتِي لَا أَرَاكَ تَقْضِيهَا
أَنَاقَةُ اللَّهِ حَاجَتِي عُفِرَتْ * أَمْ نَبَتْ الْحَرْفُ^(٢) فِي نَوَاحِيهَا

وقال جرير لعمر بن عبد العزيز :

أَذْكُرُ الضَّرَّ وَالْبَلَوَى الَّتِي نَزَلَتْ * أَمْ تَكْتَفِي بِالَّذِي بُلِّغْتَ مِنْ خَبَرِي

وقال آخر :

أَرْوَحُ لِتَسْلِيمِ عَلَيْكَ وَأَغْنِي * وَحَسْبُكَ بِاتِّسْلِيمِ مَنِي تَقَاضِيَا
كَفَى بِطِلَابِ الْمَرْءِ مَا لَا يَنْأَلُهُ * عَنَاءٌ وَبِالْيَاسِ الْمَصْرَجِ^(٣) نَاهِيَا

(١) يعني بئاقة الله هنا ناقة صاح التي عقرتها ثمود . (٢) الحرف : حب الرشاد أو الخردل .
ولعله يريد : أم أهملت ، فكأن بئبات الحرف في نواحيها عن الإهمال ، كما يعمل كريم النبات فينبت حوله
أردفه . (٣) اليأس المصريح : الخالص الذي ليس للإنسان معه أمل في شيء ، يقال : صرح الشيء .
تصريحاً إذا صار خالصاً .

وقال آخر :

ما أنت بالسبب الضعيف وإنما * نُجِّحُ الأمور بقوة الأسباب
فاليوم حاجتنا اليك ^(١) وإنما * يُدعى الطبيب لكثرة الأوصاب

- كتب بعض الكتاب الى بعض السطان : أنا أتزهك عن التجمل لي
بوعد يطول به المدى ويعتله الوفاء، وأحب أن يتقرر عندك أن أملي فيك أبعد من
أن أختلس الأمور منك اختلاس من يرى في طاجلك عوضاً من أجلك، وفي الراهن
من يومك بدلا من المأمول في غدك، وألا تكون منزلي في قسك منزلة من يُصرف
الطرف عنه وتُسكده النفس عليه ويتكف ما فوق العفولة، وأن تختار ^(٢) بين العذر
والشكر؛ فالله يعلم أن أثر الحظين عندي أحقهما عليك، وأصوبهما لحالي عندك .
- وفي كتاب : ذو الحرمة ملوم على فرط الدالة، كما أن المتحرم به مذموم على
التناسي والإزالة . ومن مذهبي الوقوف بنفسى دون الغاية التي يُقطنى إليها حق،
لأمرين : أحدهما ألا أرضى بدون الحق أزيد في الحق . والثانى أن أرى النفس
من الحظ زهيدا اذا أتى من جهة الإرهاق . ولى ذمام المودة الصادقة التي كل حُرمة
تبع لها، وحق الشكر الذى جعله الله وفاءً بالنعمة وإن جل قدرها؛ وأنت مُراعى
المعالى وحافظ بقية الكرم؛ فأى سبيل للعذر، بل أى موضع للإكداء بين حُرمتي
ورعايتك، وذمائي وكرمك ! .

قال أحمد بن يوسف : أول المعروف مُستخف، وآخره مُستثقل؛ يكاد
أوله يكون للهوى دون الرأى، وآخره للرأى دون الهوى . ولذلك قيل : رب ^(٣)
الصنعة أشد من ابتدائها .

(١) فى الأصل : «إليه» وما أثبتناه يتفق مع الباق . (٢) فى الأصل : «ينحدر» بـ «ن» .
المثناة من تحت . (٣) رب الصنعة رباً : تعهدا ونماها .

قال أبو عطاء السُّنْدِيُّ في يزيد بن عمر [بن هُبيرة] :

ثَلَاثٌ حُكْمُهُنَّ لِقَرْمٍ فَيْسٍ * رَجَعْنَ إِلَى صِفْرًا خَائِبَاتٍ^(١)
أَقَامَ عَلَى الْفُرَاتِ يَزِيدُ شَهْرًا * فَقَالَ النَّاسُ أَيُّهُمَا الْفُرَاتُ^(٢)
فِيَا عَجَبًا لِبَحْرِ فَاظٍ يَسْقِي * جَمِيعَ النَّاسِ لَمْ يَلُلْ لَهَا^(٣)

حال المستول عند السؤال

قال الشاعر^(٥) :

سَأَلَنَاهُ الْجَزِيلَ فَمَا تَلَكَّا * وَأَعْطَى فَوْقَ مُنْتَبَا وَزَادَا^(٦)
مِرَارًا مَا أَعُودَ إِلَيْهِ إِلَّا * تَبَسَّمَ ضَاحِكًا وَثْنَى الْوَسَادَا^(٧)

وقال آخر :

قَوْمٌ إِذَا تَزَلَّ الْغَرِيبُ بِدَارِهِمْ * تَرَكُوهُ رَبَّ صَوَاهِلٍ وَفِيَانٍ^(٨)
وَإِذَا دَعَوْهُمْ لِيَوْمٍ كَرِيهَةٍ * سَدُّوا شُعَاعَ الشَّمْسِ بِالْفُرْسَانِ
لَا يَنْقُرُونَ الْأَرْضَ عِنْدَ سُؤْلِهِمْ * لِتَلْمِيسِ الْعِلَاتِ بِالْعِيدَانِ
بَلْ يَسْطُونُ وَجُوهَهُمْ فَتَرَى لَهَا * عِنْدَ السُّؤَالِ كَأَحْسَنِ الْأَلْوَانِ

وقال آخر :

يَحْصَلُ الْمَعْرُوفُ وَالْبَرُّ ذُنْحًا * وَيُعَدُّ الْحَمْدُ خَيْرَ التَّجَارَةِ

- (١) يعني ثلاث قصائد . (٢) كذا في الشعر والشعراء، مؤلف ، وفي الأصل : «لقوم» .
(٣) في هذا البيت إقواء ، وهو اختلاف حركة الراء ، وقد تقدم هذا الشعر فرسيا برواية أخرى يمدح به أباه في ص ١٤١ وليس فيه هذا العيب . (٤) اللهاة : الهمة المشرقة على الحق في أقصى مقف النعم . (٥) هو زياد الأعجم يمدح عمر بن عبد الله . (٦) في الأغاني (ج) ١٤ ص ١٠٢ طبع بولاق «تأني» . (٧) في الأغاني : «ما دنوت» . (٨) كذا في العقد الفريد .
والصواهل : جمع صاهل وهو القوس والتبعية الذي ينجذب برجله ويده الأرض ولا يرغب ، وفي الأصل : «صياهل» ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا صيغة هذا الجمع .

وإذا ما جتته تجتديه * خلت به بشرته بشاره
فترى في الطرف منه حياة * وترى في الوجه منه استناره

وقال آخر :

إذا غدا المهدي في جنده * أوراخ في آل الرسول الفضا^(١)
بدالك المعروف في وجهه * كالضوء يجري في شيا الكهاب

وأنشدني العتي :

له في ذرى المعروف نغمى كأنها * مواقع ماء المزن في البلد القفر
إذا ما أتاه السائلون توقدت * عليه مصابيح الطلاق والبشر

والمشهور في هذا قول زهير :

١٠ تراه إذا ما جتته متهللاً * كأنك تعطيه الذي أنت سائله

وسأل رجل من الأعراب رجلاً [فلم يعطه] شيئاً ، فقال :

كدحت باظفاري وأعملت معول * فصادت جلوداً من الصخر أملسا
تساغل لما جئت في وجه حاجتي * وأطرق حتى قلت قد مات أوعسى
وأجمعت أن أنعاه حين رأيته * يفوق فراق [الموت] ثم تنفسا^(٢)
فقلت له لا بأس ، لست بعائذ * فأفرخ^(٣) تعلوه الكابة ملبسا^(٤)
١٥

وقال مسلم :

أطرق لما أتيت متسليحاً * فلم يقل "لا" فضلاً على "نعم"

(١) الكاب : جمع كاعب ، والكاعب : الجارية الناهد . والثنايا : أربع أسنان في مقدم

الفم : تتان في الفك الأعلى وتتان في الأسفل . (٢) زيادة يستقيم بها المعنى والوزن .

(٣) العائد : اللنجي . وفي الأصل : « بعائد » بالبدال المهملة . (٤) فأفرخ : ذهب روعه ،

وفي الأصل : « فأفرج » بالجيم . ومبلسا : حزينا مفكرا .

نَخَفْتُ إِنْ مَاتَ أَنْ أَقَادَ بِهِ * فَقَمْتُ أَبْنَى النَّجَاءِ مِنْ أُمِّ^(١)
لَوْ أَنَّ كَثَرَ الْبِلَادِ فِي يَدِهِ * لَمْ يَدْعِ الْإِعْتِلَالَ بِالْعَدَمِ

وقال الحارث الكِنْدِيُّ :

فَلَمَّا أَنْ أَيْتَانَاهُ وَقَلْنَا * بِحَاجَتِنَا تَلَوْنَ لَوْنَ وَرَسِ^(٢)
وَأَضُّ بِكَفِّهِ يَحْتَكُ ضَرْبًا * يُرِينَا أَنَّهُ وَجِعُ بَضْرَسِ^(٣)
فَقَمْتُ لِمُصَاحِبِي أَبِي كِرَازٍ * وَقَلْتُ أُسْرُهُ أَتْرَاهُ يُمَسِي^(٤)
وَقَمْنَا هَارِيَيْنِ مَعًا جَمِيعًا * نُحَازِرُ أَنْ تُزَنَّ بِقَتْلِ نَفْسِ^(٥)

قال الأصمعي :

دخل أعرابي على المَسَاوِرِ الضَّيِّ وهو بُدَارُ الرَّيِّ^(٦) ، فسأله فلم يُعْطِهِ شَيْئًا ،

فأَنشأ يقول :

أَتَيْتُ الْمَسَاوِرَ فِي حَاجَةٍ * فَمَا زَالَ يَسْعُلُ حَتَّى ضَرَطُ^(٧)
وَحَكَّ قَفَاهُ بِكُرْسُوعِهِ * وَمَسَحَ عُثْنُونَهُ وَأَمْتَخَطُ^(٨)
فَامْسَكْتُ عَنْ حَاجَتِي خِيفَةً * لِأُخْرَى تُقَطِّعُ شَرْجَ السَّفَطِ^(٩)
فَأَقْسِمُ لَوْ عُدْتُ فِي حَاجَتِي * لِلطَّيْخِ بِالسَّلْجِ وَشَى النَّمَطِ^(١٠)
وَقَالَ غَلِظْنَا حِسَابَ الْخِرَاجِ * قَلْتُ مِنَ الضَّرْطِ جَاءَ الْغَلَطُ

قال : فكان العامل كلما ركب صاح به الصبيان : « من الضرط جاء الغلط »

فهرب من غير عزل الى بلاد أصهان .

- (١) من أم : من قريب . (٢) الورس : نبات أصفر ينبت باليمن . (٣) أض : صار وعاد . (٤) الكِرَاز : داء يحصل من شدة البرد أو رعدة . (٥) زن : تهم . (٦) البدار : الحافظ . (٧) الكرسوع : طرف الزند الذي يلي الخنصر . (٨) الشرج : التحريك : أنعمى ، وسكن للضرورة . والسفط : يوعاء كالقفعة ، وشرح السفط هنا نكابة عن الآست . (٩) السلج : النجر . (١٠) النمط : الفراش .

وقال نهار بن تَوْسَعَة في قُتَيْبَة بن مسلم :

كَانَتْ تُعْرَاسَانُ أَرْضًا إِذْ يَزِيدُ بِهَا * وَكُلُّ بَابٍ مِنَ الْخِيَرَاتِ مَفْتُوحُ
فَبَدَّلْتُ بَعْدَهُ قِرْدًا نُطِيفُ بِهِ * كَأَنَّمَا وَجْهُهُ بِالْخَلِّ مَنْضُوحُ

(١١) وقال جرير :

يَزِيدُ يُغْضُ الطَّرْفَ دُونِي كَأَنَّمَا * زَوَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَلَى الْمُحَاجِمِ
فَلَا يَنْبَسِطُ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ مَا أَتَزَوَى * وَلَا تَلْقَنِي إِلَّا وَأَنْفُكَ رَاغِمُ

وقال آخر :

لَا تَسْأَلِ الْمَرْءَ عَنْ خِلَاقِهِ * فِي وَجْهِهِ شَاهِدٌ مِنَ الْخَبَرِ

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن الأبيج عن النبي قال قال محمد بن واسع :

إنك لتعرف فجور الفاجر في وجهه .

قال أبو العتاهية :

مَالِي أَرَى النَّاسَ قَدْ أَبْرَقُوا * بُلُومِ الْفِعَالِ وَقَدْ أَرَعَدُوا

إِذَا جِئْتَ أَفْضَلَهُمْ لِلْسَّلَا * م رَدَّ وَأَحْشَاؤُهُ تُرْعَدُ

كَأَنَّكَ، مِنْ خَشْيَةِ لَلْسَا * ل، فِي عَيْنِهِ الْحَيَّةُ الْأَسْوَدُ

- (١) نسب المبرد في الكامل (ج ١ ص ٣٩٦ طبع أوردبا) هذا الشعر للأعشى يعاتب به يزيد بن مسهر الشيباني ، وورد في الأغاني في ترجمة الأعشى (ج ٨ ص ٨٦ طبع بولاق) ولسان العرب مادة «زوى» ما يؤيد ذلك . (٢) المحاجم : جمع محجم ، وهو قارورة الجمام . (٣) ورد هذا الاسم في الأصل هكذا «الأبيج» بإلواء الخاء من تحت ، ولم نضف في الرواة على من تسمى بهذا الاسم . وقد ورد في تهذيب التهذيب حماد بن يحيى الأبيج ، قلعه محترف عنه . (٤) دخل هذا البيت الخرم وهو حذف الحرف الأول من «فعلن» وفي هذه الحالة يسمى «أظم» . وقد ورد في ديوانه طبع المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين هكذا : نرى الناس طرا وقد أبرقوا ... الخ .
- (٥) كذا في ديوانه ، وفي الأصل : «الأسد الأسود» .

وقال آخر:

إذا ما الترزق أحجم عن كريم * فألجأه الزمانُ إلى زيادٍ
تلقاه بوجهٍ مُكْفَهَرٍ * كأنَّ عليه أرزاقَ العبادِ

وقال آخر:

ولى خليلٌ ما مسنىَ عَدَمٌ * مذ نظرتُ عينه إلى عَدَمِي
بشرى بالنسي تَهْلُلهُ * وقبل هذا تهللُ الخَدَمِ
ومحنةُ الزائرِينَ بَيْنَهُ * تُعرَفُ قبل اللقاء في الحَسَمِ

العادةُ من المعروف تُقَطَّعُ

كان يقال : إِتْرَاعُ العادةِ ذَنْبٌ مُحْسُوبٌ .

وقال أبو الأسود [الدُّوْلِي] :

ليت شعري عن أميري ما الذي * غاله في الودِّ حتى ودَّعَهُ^(١)
لا تُتْنِي بعد إذ أكرمَتني ، * وشديدٌ عادةٌ مُنْتَرَعَةٌ
أذكرِ البلوى التي ألبيتني * وكلاماً قلتهُ في المَجْمَعَةِ^(٢)
لا يَكُنْ بِرُقِّكَ برِّقاً خُلِّبَا * إن خيرَ البرِّ ما النيثُ معَهُ

والمشهورُ في هذا قولُ الأعشى :

عَوَدَتْ كِنْدَةَ عَادَةٍ فَاصْبِرْ لَهَا * وَأَغْفِرْ لِمَآهْلِهَا وَرَوِّ سِجَالَهَا

(١) وردت هذه الأبيات في حاشية البعري (ص ٣٧٣ طبعة أوروبا) برواية أخرى منسوبة لأنس ابن أبي أنس التي هي :

سل أميري ما الذي غيَّر لي * رَدَّه والنفع حتى ودَّعَهُ
ما الذي أنكر مني فأتقني * وهو يدي لأمور أشنعهُ
لا تنهني بعد إكرامك لي * وشديدٌ عادةٌ مُنْتَرَعُهُ
وأذكر العهد الذي عاهدتني * وحديثاً قلتهُ في المَجْمَعِ
ليت من يسعى بسوءٍ بيننا * جنة الليل بأرضٍ مبعهُ

(٢) المَجْمَعَةُ : مجلس الاجتماع ، قال الشاعر : وتوقد فاركم شرراً ويرفع * لكم في كل جمعة لواء

سال أعرابي قوماً، فرَّق له رجلٌ منهم فضمته إليه وأجرى له رزقاً أياماً ثم قطع عنه؛ فقال الأعرابي :

تَسْرَى^(١) فلماً حاسبَ المرءُ نفسه * رأى أنه لا يستقيم له السُّرُ
وقديم أبو زياد الكلابي مع أعراب سنة الفحمة^(٢)، فأجرى عليهم رجلٌ رغيفاً لكل رجلٍ ثم قَطَعَهُ؛ فقال أبو زياد :

إن يقطع العباسُ عنا رَغيفَهُ * فما يَأْتِنِي من نِعْمَةِ الله أَكْثَرُ^(٣)
والحكماء تقول : «العادة طبيعة ثانية» .

وفي الحديث : «الخير عادةٌ والشرُّ حاجةٌ» .

وقال بعضُ الشعراء لرجلٍ من الأشراف :

ولقد ضَرَبْنَا في البلاد فلم نَجِدْ * أحداً مِوَاكٍ الى المكارم يُنْسَبُ
فَأَصْبِرْ لعادتِكَ التي عَوَّدَتْنَا * أَوْ لَا فَارِشِدُنَا الى مَنْ نَذْهَبُ
وتقولُ العربُ فيمن أَصْطَنَعَ معروفًا ثم أَفْسَدَهُ بالمرءِ أو قَطَعَهُ حينَ كَادَ يَتَمَّ :
«شَوَى أَخَوَكَ حَتَّى إِذَا أَنْضَجَ رَمْدٌ»^(٤) .

قال أبو كعب القاص : كان رجلٌ يُجْرِي على رَغِيفَا في كلِّ يومٍ، وكان يقول إذا أَتَاهُ الرَغِيفُ : لعنك الله ولعن من بعث بك، ولعني إن تركتك حتى أُصِيبَ خيراً منك .
والعربُ تقولُ في مثل هذا : «خَذْ من الرُّضْفَةِ ما عليها»^(٥) .

(١) تَسْرَى : تكلف السرور، والسرو: السخاء . (٢) الفحمة : القحط . (٣) دخل على هذا البيت الخرم وقد تقدّم شرحه في صفحة ١٥٥ حاشية رقم ٤ (٤) كذا في مجمع الأمثال للبدائي . ورمد : ألقى الشيء في الرماد . وفي الأصل : « رقل » باللام وهو يصح به المعنى أيضاً . (٥) هذا المثل يضرب في اغتنام الشيء من البخل وإن كان نزرًا ، والرضفة : الحجارة المحمأة يوغر (يُسَنَّن) بها اللبن ، وهي إذا أُلْقِيَتْ في اللبن لَوَّحَ بها شيء منه .

وقال الشاعر :

وَحُذِّ الْقَلِيلَ مِنَ اللَّثِيمِ وَذُمَّهُ * إِنَّ اللَّثِيمَ بِمَا أَتَى مَعذُورُ

ومعذور : موسوم في موضع العذار، وليس هو من العذر .

الشكر والثناء

٥ حَدَّثَنِي شَيْخٌ لَنَا عَنْ وَكَيْعٍ عَنْ سَفْيَانَ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ هَلَالِ بْنِ أَسَافٍ قَالَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيُذِّنْ عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْسِمُ الثَّنَاءَ كَمَا يَقْسِمُ الرِّزْقَ » .

وَحَدَّثَنِي أَيْضًا عَنْ وَكَيْعٍ عَنْ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ قَالَ أَبُو ذَرٍّ : قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الرَّجُلُ يَعْمَلُ الْعَمَلَ وَيُحِبُّهُ النَّاسُ ؟ قَالَ : « تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ » ، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَعْلَمُوا مَا لِلْعَبْدِ عِنْدَ اللَّهِ فَانظُرُوا مَاذَا يَتَّبِعُهُ مِنَ الثَّنَاءِ » .

وَحَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : كَانَ يُقَالُ : الثَّنَاءُ يُضَاعَفُ كَمَا تُضَاعَفُ الْحَسَنَاتُ ؛ يَكُونُ الرَّجُلُ سَخِيًّا فَيَزِيدُ اللَّهُ فِي سَخَائِهِ ، وَيَكُونُ شُجَاعًا فَيَزِيدُ اللَّهُ فِي شَجَاعَتِهِ .

وَحَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ الْعُمَرِيِّ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنْ فَلَانًا رَجُلٌ صَدِيقٌ ؟ قَالَ : سَافَرْتُ مَعَهُ ؟ قَالَ لَا . قَالَ : فَكَانَتْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ خُصُومَةٌ ؟ قَالَ لَا . قَالَ : فَهَلْ أَتَمَّتْهُ عَلَى شَيْءٍ ؟ قَالَ لَا . قَالَ : فَأَنْتَ الَّذِي لَا عِلْمَ لَكَ بِهِ ، أَرَأَيْكَ رَأَيْتَهُ يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَيُخَفِّضُهُ فِي الْمَسْجِدِ ! .

(١) ترجم له في الخلاصة ، وتهذيب التهذيب تحت اسم هلال بن أساف بإياه المثناة وقال في التهذيب :

« ويقال ابن أساف » . (٢) ورد هذا الحديث في الجامع الصغير هكذا : « إذا صلى أحدكم

فليصل إلى ستره وليدن من ستره لا يقطع الشيطان عليه صلاته » .

قال بعض الحكماء : إذا قصرت بك عن المكافاة فليطّل لسانك بالشكر .
وقال آخر : حق النعمة أن تحسّن لباسها ، وتنسبها إلى وليها ، وتذكر ما تناسى
عندك منها .

وقال بعض الحارثيين :

عَمَّاكَ يَمْلِكُ أَنَّ الْحَمْدَ ذُو ثَمَنِ * لَكِنَّهُ يَسْتَهِي حَمْدًا يَجْآنُ
وَالنَّاسُ أَكْبَسُ مَنْ أَنْ يَحْمَدُوا أَحَدًا * حَتَّى يَرَوْا قَبْلَهُ آثَارَ إِحْسَانٍ

وقال حمادُ بن عَجْرَدٍ :

قَدْ يَنْقِضِي كُلُّ مَا أُؤَلِّتَ مِنْ حَسَنِ * إِذَا أَتَى دُونَ مَا أُؤَلِّتَ يَوْمَانِ
تَتَأَيُّ بُودَكَ مَا اسْتَفْنَيْتَ عَنْ أَحَدٍ * وَإِنْ طَمِعْتَ فَأَنْتَ الْوَاصِلُ لِلثَّانِي
الشَّهْدُ أَنْتَ إِذَا مَا حَاجَةٌ عَرَضَتْ * وَحَنَظَلُ كَلَّمَا اسْتَفْنَيْتَ خُطْبَانُ^(١)

وقال عمرانُ بن حِطَّانٍ :

وَقَدْ عَرَضَتْ لِي حَاجَةٌ وَأَطْنَنِي * بَأَنِّي إِذَا أَنْزَلْتُهَا بِكَ مُنْجِحُ
فَإِنْ أَكُ فِي أَخْذِ الْعَطِيَّةِ مُرِيحًا * فَإِنَّكَ فِي بَذْلِ الْعَطِيَّةِ أَرْجُ
لَأَنَّ لَكَ الْعُقْبَى مِنَ الْأَجْرِ خَالِصًا * وَشُكْرِي فِي الدُّنْيَا ، فَخُظُّكَ أَرْجُ

وقال معاويةُ بن أبي سُفْيَانَ يَعاثُ قُرَيْشًا :

إِذَا أَنَا أُعْطِيتُ الْقَلِيلَ شُكْرُكُمْ * وَإِن أَنَا أُعْطِيتُ الْكَثِيرَ فَلَا شُكْرُ
وَمَا لِمْتُ نَفْسِي فِي قَضَاءِ حَقِّكُمْ * وَقَدْ كَانَ لِي فِيهَا أَعْتَذَرْتُ بِهِ عُذْرُ
وَأَمِنْكُمْ مَالِي وَتُكْفِرُ نِعْمَتِي * وَتَشْتِمُ غَيْرِي فِي مَجَالِسِهَا فَهَسْرُ

(١) أخطب الحنظلي : أمفر ومار خطباءه وهو أن يصغر وتصغر فيه خطوط خضر . وفي الأصل :

« حطبان » بالحاء المهملة وهو تحريف . وفي هذا البيت إقراء وهو اختلاف حركة الروي .

إذا العذر لم يُقبل ولم ينفع الأسى * وضاعت قلوبهم حشوها الغمر^(١)
فكيف أداوى داءكم ودواؤكم * يزيدكم غيا ! فقد عظم الأمر
سأخريكم حتى ينزل صعايبكم ، * وأبلغ شيء في صلاحكم الفقر
وقال طريح الثقى :

سَعَيْتُ ابْتِغَاءَ الشُّكْرِ فَمَا صَنَعَتْ بِي * فَقَصَصْتُ مَغْلُوبًا وَإِنِّي لَشَاكِرُ
ومثله قول الخريجي :

لِأَنَّكَ تُعْطِينِي الْجَزِيلَ بَدَاهَةً * وَأَنْتَ لِمَا اسْتَكْثَرْتُ مِنْ ذَاكَ حَاقِرُ
ومثله قوله أيضا :

زاد معروفك عندي عظمًا * أنه عندك محقور صغير
تناساه كأن لم تأت به * وهو عند الناس مشهور كبير

قال رجل لبعض السلاطين : المواجهة بالشكر ضرب من الملقى ، منسوب
من عُرف بها إلى التخلي^(٢) : وأنت تمنعني من ذلك وترفع الحال بيننا عنه ، ولذلك
تركْتُ لقاءك به . غير أني من الاعتراف بمرورك ونشر ما تطوى منه والإشادة
بذكره عند إخوانك والانتساب إلى التقصير مع الإطناب في وصفه ، على ما أرجو
أن أكون قد بلغت به حال المحتمل للصنيعة ، الناهض بحق النعمة .

قال ابن علقمة الفزاري :

رَأَيْتُ عَلَى مَا بِي عَمِيلَةً فَاسْتَكَيْتُ * إِلَى مَا لِي أَسْرًا كَمَا جَهَرْتُ
دُعَانِي فَاسَانِي وَلَوْ صَدَّ لَمْ أَلَمْ * عَلَى حِينٍ لَا يَدُوُّ رَجِيًّا وَلَا حَضَرْتُ
فَقُلْتُ لَهُ خَيْرًا وَأَشْنَيْتُ فَعَلَهُ * وَأَوْفَاكَ مَا أَسْدَيْتَ مِنْ دَمٍّ أَوْ شَكَرْتُ

٢٠ (١) الغمر (بالكسر) : الحقد . (٢) تخلى الرجل : أظهر في خلقه خلاف ما في نفسه .
(٣) في ديوان الحماسة لأبي تمام ص ٦٩٦ طبع أردب : «ضن» . (٤) أثبت فعله أي
على فعله ، لحذف حرف الجزاء ، ويجوز أن يكون على أنه لأنه بمعنى مدح (انظر شرح الحماسة للبريزي) .

وقال آخر^(١) :

ساشر عمراً إن تراخت متقى * أيادي لم تمنّ وانت هي جلت
فتى غير محبوب الغنى عن صديقه * ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت
رأى خلتي من حيث يخفى مكانها * فكانت قدى عينيه حتى تجلت
وقرأت في كتاب للهند : أربعة ليست لأعمالهم ثمرة : مسار الأسم ، والبازر
في السبحة ، والمسرج في الشمس ، وواضع المعروف عند من لا شكر له .

وقال بعض الشعراء المحدثين ، وقيل : إنه للبحرئى ، فبعثت إليه أسأله عنه
فاعلمنى أنه ليس له :

فلو كان للشكر شخص يبين * إذا ما تأمله الناظر
ليتسه لك حتى تراه * فعلم أنى أمرؤ شاكر
ولكنه ساكن في الضمير * يحزكه الحكيم السائر
وقال آخر :

فلو كان يستغنى عن الشكر سيد * ليرة ملك أو علو مكان
لما أمر الله الجليل بشكره * فقال أشكرونى أيها الثقلان
وقال آخر :

فأثسوا علينا لا أبا لأبيكم * بإحساننا إن الثناء هو الخلد
وقال رجل من غنى :

فإذا بلغتكم أهلكم فتحدثوا * ومن الثناء مهالك وخلود

(١) يقال : إنه محمد بن سعيد الكاتب (انظر ديوان الحامسة لأبي تمام ص ٦٩٧ طبع أوروبا) .

(٢) الخلة (بالفتح) : الفقر والحاجة .

وكانت عائشة رضى الله عنها تَمَثَّلُ بقول الشاعر :

يَعْزِيكَ أَوْ يُثْنِي عَلَيْكَ وَإِنْ مَنْ * أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ كَنْ جَزَى

وقال الحارث بن شداد فى على بن الربيع الحارثي :

النَّاسُ تَحْتَكَ أَقْدَامُ وَأَنْتَ لَمْ * رَأْسٌ وَكَيْفَ يُسَوِّى الرَّأْسُ وَالْقَدَمُ
فَحَسْبُنَا مَنْ ثَنَاءَ الْمَادِحِينَ إِذَا * أَثْنَوْا عَلَيْكَ بَأَن يُثْنُوا بِمَا عَلِمُوا

وقال آخر :

بَايَ الْخَصَمَيْنِ عَلَيْكَ أَثْنَى * فَإِنِ عِنْدَ مَنْصَرَفِي مَسْوُولُ
أَبَا الْحُسَيْنِ وَلَيْسَ لَهَا ضِيَاءُ * عَلَى مَنْ يُصَدِّقُ مَا أَقُولُ
أُمِ الْآخَرَى وَلَسَتْ لَهَا بِأَهْلٍ * وَأَنْتَ الْبَحْرُ مِنْ ذَهَبٍ يَسِيلُ

وقال بشار :

أَنْتَ عَلَيْكَ وَلِيَّ حَالٍ تُكَذِّبُنِي * فَمَا أَقُولُ فَاسْتَجِي مِنْ النَّاسِ
قَدْ قُلْتُ إِنَّ أَبَا حَفِصٍ لَا كَرَمَ مِنْ * يَمْشِي نَخَاصَتِي فِي ذَاكَ إِفْلَاسِي

وكتب بعض الكتاب إلى وزير : لست تُشبهه حالنا في الحرمة ، ولا تُشبهه
حالك في الجاه والقدرة ، ولا ظاهر ما نحن عليه الباطن . وليس بعد حرمتي حرمة ،
ولا فوق سببي سبب ، ولا بعد حالك حال يُرْتَجَى ، ولا بعد منزلتك منزلة تُحْتَمَى ،
ولا تنتظر شيئا ولا أنتظره ؛ ولا أتوقع حقا أزيد في حقوقى ، ولا أنتوقع فائدة تزيدها
في ذات يدك . وكفى تحتال بالألفاظ ، وتُمَوِّه بالمعاني ، والناس يحتجون بالعمل
ويَقْضُونَ بِالْعِيَانِ .

وقال بعض الشعراء :

وزهدنى فى كل خير صنعتُه * إلى الناس ما جربت من قلة الشكر

وقال أبو الفول في أبي المراء عتبة بن عاصم :

إذا فاحرَّتْنا من معدَّ عِصَابَةٍ * نخرنا عليها بأبن عتبة عاصم

يَجْزِي رِيَاظَ الخَمْدِ في دار قومهِ * ويختال في عِرْضٍ من الذمِّ سالم

وقال رجل لبعض السلطان : مثلك أوجب حقاً لا يجب عليه ، وسمع بحق

يجب له ، وقيل واضح العذر ، واستكثر قليل الشكر . لا زالت أيديك فوق شكر أوليائك ، ونعمة الله عليك فوق آمالهم فيك .

وكتب آخر :

ما أتتهى الى غاية من شكرك ، إلا وجدت وراءها غاية من معروفك يحسرنى^(١)

بلوغها . وما عجز الناس عنه فإله من ورائه . فلا زالت أيامك ممدودة بين أمل [لك]

تبلغه ، وأمل فيك تحقُّقه ، حتى تَمَلَّى من الأعمار أطولها ، وتال من الهبات أفضلها .

ونحو هذا قول آخر :

كان لى فيك أملان : أحدهما لك ، والآخر بك . فأما الأمل لك فقد بَلَغته ،

وأما الأمل بك فارجو أن يُحقِّقه الله ويؤشِّكه .

وفي كتاب آخر :

أيامُ القدرة وإن طالَّت قصيرة ، والمتعة بها وإن كثرت قليلة ، والمعروف وإن

أُسِدَى الى من يكفره مشكورٌ بلسان غيره .

وفي كتاب بعض الكتاب :

وما ذكرت — أعزك الله — من ذلك قديماً ولا جَدَدَت منه حديثاً ، إلا

وأصغرُ أَمَلٍ فيك فوقه وإن كان استحقاقى دونه . فإن أفيض واجب حق الله على

(١) يحسرنى (من باب نصر، ويجوز فيه أحسر أيضاً) : يعينى ويعينى .

في شكر نِعَمِكَ فبتوفيقه وعونه ، وإن أقصر عن كُنْهه فمن غير تقصير في بلوغ
الجهْد فيه .

وفي هذا الكتاب :

أما ما بَدَّلَ الأميرُ من ماله ، فذلك ما قد سَبَقَ الرجاءُ بل اليقينُ إليه ، مَعْرِفَةً مِنِّي
بطَوْلِهِ وكرمه ، وليس يُنْكِرُ أياديهِ ولا يَدْعُ صِنَائِعِهِ . وما يُرْشِدُنِي أُمْلِي بِسَدِّ اللَّهِ
إِلَّا إِلَيْهِ ، ولا أَفْرَعُ لِحَادِثَةٍ إِلَى غَيْرِهِ ، ولا أَتَضَاعَلُ لِنَائِبَةٍ مَعَهُ . ولو عَجَزْتُ عن التَّهَضُّعِ
لَمَّا حَاولْتُ الاستقلالَ والاعتاشَ إِلَّا بِهِ . ومَالُ الأميرِ الكثيرُ المذخورُ عندَ انقطاعِ
الحِيلِ ، لا مَعْتَفٍ طَالِبُهُ . ولا مُخَوِّفٍ على الرَّدِّ عنه وَاجِبُهُ . ولا عَائِقٍ مَنِّعٍ دُونَهُ ، ولا
تَغْيِصَ من ورائِهِ ؛ ولا كَثْرَ أَوْلَى بالصَّوْنِ وَأَنْ يُجْعَلَ وَقْفًا عَلَى النَوَائِبِ والعَوَاقِبِ
مِنْ كَثَرِ مَنْ هَذِهِ حَالُهُ .

قالت بنو تميم لِسَلَامَةَ بْنِ جَنْدَلٍ^(١) : مَجْدُنَا بِشِعْرِكَ ؛ فَقَالَ : افْعَلُوا حَتَّى أَتِيَّ .
وَنَحْوُهُ قَوْلُ عَمْرِو بْنِ مَعْدِيكَرَبَ :

فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقَتْنِي رِمَاحُهُمْ * نَطَقْتُ وَلَكِنْ الرِّمَاحُ أَجْرَتْ^(٢)

قال رجل من قريش لأشعب : والله ما شكرتَ معروفَ عندك ؛ فقال : إِنَّ
مَعْرُوفَكَ كَانَ مِنْ غَيْرِ مُحْتَسِبٍ ، فَوَقَعَ عِنْدَ غَيْرِ شَاكِرٍ .

وقال أبو نُوَّاس :

أَنْتَ أَمْرٌ أَوْلَيْتَنِي نِعْمًا * أَوْهَتْ قُوَى شَكْرِي فَقَدْ ضَعُفَا

(١) كذا في الشعر والنساء (ص ١٤٧ س ٤) ونزاة الأدب لبغدادى (ج ٢ ص ٨٦ س ٢٢)

وفي الأصل : « جندب » بالباء وهو تحريف . (٢) أجرت : قطعت ، يقول : لو قاتل

قوى أو أبلوا لذكرت ذلك ونفرت بهم ، ولكن رماحهم أجرتنى أى قطعت لسانى عن الكلام بفرارهم .

فإليك بعد اليوم تَقْلِيمَةٌ * وَأَتَّكُ^(١) بِالتَّصْرِيحِ مُنْكَشِفًا
لَا تُحْدِثَنَّ إِلَى عَارِفَةٍ * حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرٍ مَا سَلَفًا
وقال أبو نُحَيْلَةَ :

شُكْرُكَ إِنْ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِنَ التَّقَى * وَمَا كُلُّ مَنْ أَقْرَضَتْهُ نِعْمَةً يَقْبِضِي
فَاحِيَتَ مَنْ ذَكَرِي وَمَا كَانَ مِثْنًا^(٢) * وَلَكِنْ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ
آخر :

لَأَشْكُرَنَّكَ مَعْرُوفًا هَمَّتْ بِهِ * إِنْ أَهْتَمَّكَ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرُوفُ
وَلَا أَلُومُكَ إِنْ لَمْ يُنْمِضِهِ قَدَرٌ * فَالْشَّيْءُ بِالْقَدْرِ الْمُحْتَوِي مَصْرُوفُ
وقال رجل لسعيد بن جبيرة : المَجُوسِيُّ يُؤَلِّينِي خَيْرًا فَاشْكُرْهُ ، وَيُسَلِّمُ عَلَيَّ فَأَرُدُّ
عليه ؛ فقال سعيد : سَأَلْتُ أَبْنَ عَبَّاسٍ عَنْ نَحْوِ هَذَا ، فَقَالَ لِي : لَوْ قَالَ لِي فِرْعَوْنُ
خَيْرًا لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ مِثْلَهُ .
أَنشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ :

أَهْلَكْتَنِي بِفُلَانٍ ثِقَتِي * وَظُنُونُ^٣ بِفُلَانٍ حَسَنَةً
لَيْسَ يَسْتَوْجِبُ شُكْرًا رَجُلٌ * نِلْتُ خَيْرًا مِنْهُ مِنْ بَعْدِ سَنَةٍ
وقال بعضهم : لَا يَتَّقِ بِشُكْرٍ مَنْ تُعْطِيهِ حَتَّى تَمْنَعَهُ ؛ فَإِنَّ الصَّابِرَ هُوَ الشَّاكِرُ ،
وَالْجَازِعَ هُوَ الْكَافِرُ .

وقال أَوْسُ بْنُ حَجَرَ :

سَأَجْزِيكَ أَوْ يَجْزِيكَ عَنِّي مُثَوَّبٌ^(٤) * وَقَصْدُكَ أَنْ يُنْتَنَى عَلَيْكَ وَتُحْدَى

(١) والظن : تلمعك ، وفي ديوانه المصروع : فأليك قبل اليوم مقدمة * لا تفك بالتصريح منكشفا
(٢) في نهاية الأرب : * ونهت لي ذكرى وما كان خاملا * (٣) كذا في ديوانه طبع أربعة
والأعاني (ج ١٠ ص ٧ طبع بولاق) ، وفي الأصل :
... .. مني متوب * وحبك مني أن أرد وأحمد وروى القصيدة بالكسر .

والعربُ تقول : فلانٌ « أَشْكُرُّ مِنَ الْهَرَقِ » وهو نبت ضعيف ينبتُ بالسحاب
إذا نشأ وبأدنى مطر .

وقال الشاعر :

لئن طَبَّتْ نَفْسًا عَنْ شَأْنِي فَإِنِّي * لَا طَيْبُ نَفْسًا عَنْ نَدَاكَ عَلَى عُسْرِي
فَلَسْتُ إِلَى جَدِّوَاكَ أَعْظَمَ حَاجَةً * عَلَى شِدَّةِ الْإِعْسَارِ مِنْكَ إِلَى شُكْرِي

وقال آخر :

حَسْبُ أَمْرِي إِنْ فَانِي غَرَضٌ * مِنْ بَرِّهِ أَنْ فَاتَهُ شُكْرِي
إِنِّي إِذَا ضَاقَ أَمْرُؤُ يُجَدُّ * عَنِّي آتَسَعْتُ عَلَيْهِ بِالْعُسْرِ

وقال الطائي لإسحاق بن إبراهيم :

وَمَحَجَّبٍ حَاولُهُ فوجدته * نَجَمًا عَنِ الرِّكَبِ الْعُفَاةِ شَسُوعًا
أَعْدَمْتُهُ لَمَّا عِدِمْتُ نَوَالَهُ * شُكْرِي فَرُحْنَا مُعْدِمِينَ جَمِيعًا

وقال :

فَإِنْ يَكُ أَرْبَى عَفْوُ شُكْرِي عَلَى نَدَى * أَنَّاسٍ فَقَدْ أَرْبَى نَدَاهُ عَلَى جُهْدِي

وقال :

وَكَيْفَ يَجُورُ عَنْ قَصْدٍ لِسَانِي * وَقَلْبِي رَائِحٌ بِرِضَاكَ غَايِي^(١)
وَمَا كَانَتْ الْعِلْمَاءُ قَالَتْ * لِسَانُ الْمَرْءِ مِنْ خَدَمِ الْقَوَادِ

وقال :

أَبَا سَعِيدٍ وَمَا وَصَفَنِي بِمَتَّيْمٍ * عَلَى الثَّنَاءِ وَمَا شُكْرِي بِمُخْتَرَمٍ^(٢)

(١) الجدا : العطية . (٢) كذا في ديوان أبي تمام ، وفي الأصل : « أدنى » وهو تحريف .

(٣) كذا في ديوان أبي تمام وهو الذي يناسب البيت الذي بعده ، وفي الأصل : « بتذاك » .

(٤) في الديوان : « على الحال » .

لئن بَحَّدْتُكَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ * إِنِّي لَفِي الشُّكْرِ أَحْطَى مِنْكَ فِي النَّعَمِ^(١)
أَنْسَى أَبْتَسَامُكَ وَالْأَلْوَانُ كَالسِّفَةِ * تَبَسُّمُ الصَّبَحِ فِي دَاخِ مِنَ الظُّلَمِ
رَدَدْتَ رَوْنَقَ وَجْهِهِ فِي صَفِيحَتِهِ * رَدَّ الصَّقَالِ بَهَاءَ الْأَصَارِمِ الْحَذَمِ
وَمَا أَبَالِي، وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ، * حَقَّقْتُ لِي مَا وَجَّهِي أَمْ حَقَّقْتَ دَمِي

وقال :

فَلَا تَكْدُرْ حَيَاضُكَ لِي فَإِنِّي * أَمْتُ إِلَيْكَ أَمَالًا طَوِيلًا
وَفِرْ جَانِبِي عَلَى قَاتٍ جَاهِي * إِذَا مَا غَبَّ يَوْمٌ كَانَ مَالًا^(٢)

وقال :

يَا مِنَّةً لَكَ لَوْلَا مَا أَخَفَّتْهَا * بِهِ مِنَ الشُّكْرِ لَمْ تُحْمَلْ وَلَمْ تُطَقِ
بِاللهِ أَدْفَعُ عَنِّي ثِقَلُ فَادِحِهَا * فَإِنِّي خَائِفٌ مِنْهُ عَلَى عُقْبِي^(٣)

وقال بشار بن العلاء :

دَعَانِي إِلَى عُمَيْرٍ جُودُهُ * وَقَوْلُ الْعَشِيرَةِ بَحْرٌ خَضَمٌ
وَلَوْلَا الَّذِي زَعَمُوا لَمْ أَكُنْ * لِأَمْدَحَ رَيْحَانَةَ قَبْلَ شَمٍّ

ويقال : الشكر ثلاث منازل : لمن فوقك بالطاعة ، ولينظيرك بالمكافأة ، ولن

دونك بالإفضال عليه .

(١) كذا ورد هذا الشطر في الأصل ، وهو غير واضح المعنى ، وقد ورد البيت في الديوان هكذا :

لئن بَحَّدْتُكَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ * إِنِّي لَفِي الثُّمِّ أَحْطَى مِنْكَ فِي الْكَرَمِ

(٢) فِرَ : فعل أمر من قولهم : وفر عرسه ووفره له لم يشتمه كأنه أبقاه له ضياء لم ينقصه بستم

قال الشاعر :

إِنِّي وَفِرَ لَابْنُ الْغُرَيْرَةِ عَرْسَهُ * إِلَى خَالِدٍ مِنْ آلِ سُلَيْمٍ بَنِ جَنْدَلٍ

(٣) ق الديوان « منها » .

قال إبراهيم بن المهدي يشكر المأمون^(١) :

رَدَدْتَ مَالِي وَلَمْ تُنَنْ عَلَيَّ بِهِ * وَقَبْلَ رَدِّكَ مَالِي قَدْ حَقَّنْتُ دَمِي^(٢)
فَأَبْتُ مِنْكَ وَقَدْ جَلَّتْ نِيَمًا * هِيَ الْحَيَاتَانِ مِنْ مَوْتٍ وَمِنْ عَدَمِ
فَلَوْ بَذَلْتُ دَمِي أَبْنِي رِضَاكَ بِهِ * وَالْمَالُ حَتَّى أُسَلَّ النَّعْلَ مِنْ قَدَمِي
مَا كَانَ ذَاكَ سِوَى عَارِيَّةٍ رَجَعَتْ * إِلَيْكَ لَوْلَمْ تُعْرِهَا كُنْتُ لَمْ تُلِمَّ
وَقَامَ عَلَيْكَ بِي فَاحْتَجَّ عِنْدَكَ بِي * مَتَّامَ شَاهِدٍ حَلِيلٍ غَيْرِ مُتَّهِمِ

وقال آخر، وبلغني أنه انلثعني :

فَأَذْهَبَا بِي إِنْ لَمْ يَكُنْ لِكَمَا عَقَّدَ * رَأَى جَنْبَ قَبْرِهَ فَأَعْقِرَانِي
وَأَنْضَحَا مِنْ دَمِي عَلَيْهِ فَقَدْ كَا * نَ دَمِي مِنْ نَدَاهُ لَوْ تَعْلَمَانِ

١٠ وفد رجل على سليمان بن عبد الملك في خلافته ، فقال له : ما أقدمك ؟ قال :
ما أقدمني عليك رغبة ولا رهبة ، قال : وكيف ذاك ؟ قال : أما الرغبة فقد وصلت
إلينا وفاضت في رجالنا وتناولها الأقصى والأدنى منا ، وأما الرهبة فقد أمنا بعدل
أمير المؤمنين علينا وحسن سيرته فينا من الظلم ، فنحن وفد الشكر .

وقال الفرزدق في عمرو بن عبدة :

١٥ لَوْلَا ابْنُ عُتْبَةَ عَمْرُو وَالرَّجَاءُ لَهُ * مَا كَانَتْ الْبَصْرَةُ الْحَمَاءُ لِي وَطَنًا
أَعْطَانِي الْمَالَ حَتَّى قُلْتُ يُودِعُنِي * أَوْ قُلْتُ أُودِعَ لِي مَالًا رَأَاهُ لَنَا

(١) راجع استغاث إبراهيم بن المهدي وشكره لأُمون وعفوه عنه وردَّ ماله رضاءه إليه في أمالي القالي
(ج ١ ص ١٩٩ ضيع دار الكتب) . (٢) في أمالي القالي : « ولم تجل » . (٣) كذا
في أمالي القالي والعقد الفرید (ج ٢ ص ٢٣٩) وفي الأصل : « ما حقنت دمي » . وهي هنا مصدرية .

بِفُؤْدِهِ مُتَعِبٌ شَكْرِي وَمِثُّهُ * وَكَلَّمَا زِدْتُ شُكْرًا زَادَنِي مِثَّتَا
يَرِي بِهَيْتِهِ أَقْصَى مَسَاقِيهَا * وَلَا يُرِيدُ عَلَى مَعْرُوفِهِ ثَمَنًا
هَذَا مِثْلُ قَوْلِ الْأَعْرَابِيِّ : مَا زَالَ فَلَانٌ يُعْطِينِي حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ يُؤَدِّعُنِي
مَالَهُ . وَمَا ضَاعَ مَالٌ أَوْرَثَ الْحَامِدَ .

وَيُقَالُ : خَمْسَةُ أَشْيَاءَ ضَائِعَةٌ : سِرَاجٌ يُوقَدُ فِي شَمْسٍ ، وَمَطَرٌ جَوْدٌ فِي سَبَّخَةٍ ،
وَحَسَنَاءُ تُزْفُّ إِلَى عَيْنَيْنِ ، وَطَعَامٌ أَسْتَجِيدَ وَقُدِّمَ إِلَى سَكَرَانَ ، وَمَعْرُوفٌ صُنِعَ إِلَى
مَنْ لَا شُكْرَ لَهُ .

وَكَانَ يُقَالُ : الشُّكْرُ زِيَادَةٌ فِي النِّعَمِ وَأَمَانٌ مِنَ الْغَيْرِ .

وَقَالَ أَسْمَاءُ بِنْتُ خَارِجَةَ : إِذَا قُلِمَتِ الْمَصِيئَةُ تَرَكَّتِ التَّعْزِيَةُ ، وَإِذَا قُدِّمَ الْإِخَاءُ
قَبِحَ الثَّنَاءُ .

١٠

بَعَثَ رَوْحُ بْنُ حَاتِمٍ إِلَى كَاتِبٍ لَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ : قَدْ بَعَثْتُ
بِهَا إِلَيْكَ ، وَلَا أَقَلِّلُهَا تَكْبَرًا ، وَلَا أَكْثَرُهَا تَمَنُّنًا ، وَلَا أَسْتَيْبِكُ عَلَيْهَا ثَنَاءً ، وَلَا أَقْطَعُ عَنْكَ
بِهَا رَجَاءً .

وَفِي كِتَابِ لِلْهِنْدِ : لِاثْنَاءٍ مَعَ كِبَرٍ . وَفِيهِ سِتَّةُ أَشْيَاءَ لَأَثَبَاتٍ لَهَا : ظِلُّ الْغَيْمِ ،
وَحُلَّةُ الْأَشْرَارِ ، وَعِشْقُ النِّسَاءِ ، وَالْمَالُ الْكَثِيرُ ، وَالسُّلْطَانُ الْجَائِرُ ، وَالثَّنَاءُ الْكَاذِبُ .

١٥

وَالْعَرَبُ يَقُولُ : « لَا تَهْرِفْ قَبْلَ أَنْ تَعْرِفَ » أَيْ لَا تُطَيِّنَنَّ فِي الثَّنَاءِ قَبْلَ
الْأَخْتِبَارِ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « نَكْتُبُ إِلَيْهِ » . (٢) هَذِهِ الرَّايَةُ أَشَارَ إِلَيْهَا صَاحِبُ اللِّسَانِ فِي مَادَّةِ

« هَرَفَ » وَفِي جَمْعِ الْأَمْثَالِ لِلدَّانِي : « لَا تَهْرِفْ بِمَا لَا تَعْرِفُ » وَهِيَ الرَّايَةُ الْمَشْهُورَةُ .

وكتب أبو نؤاس من الحبس الى الفضل بن الربيع :

ما من يدٍ في الناس واحدة * كيد أبو العباس مولاها
نام الثقات على مضاجعهم * وسرى الى نفسى فأحيانا
قد كنت خفتك ثم آمنى * من أن أخافك خوفاً الله
ف عفوت عني عفواً مقتديراً * وجبت له نعم فأنفاه
والبيت المشهور في هذا قول النجاشي :

لا تحمدن أمراً حتى تجربته * ولا تدينن من لم يبله الخبر

وقال آخر في الاختبار :

إن الرجال إذا اختبرت طباعهم * ألفتهم شتى على الأخبار
لا تعجلن الى شريعة مؤيد * حتى تبين خطة الإصدار

وقال الرياشي : أنشدني أبو العالية :

إذا أنا لم أشكر على الخير أهله * ولم أذم الحبس اللئيم المذم^(١)
فقيم عرفته الخير والشربا به * وشق لي الله المسامع والفأ

قال ابن التوام : كل من كان ، جوده يرجع اليه ؛ ولولا رجوعه اليه لما جاد
عليك ، ولو تها له ذلك المعنى في سواك لما قصد اليك ، فليس يجب له عليك شكر^(٢) .
وإنما يوصف بالجود في الحقيقة ويشكر على النفع في حجة العقل ، الذي إن جاد عليك
فلك جاد ، ونفعك أراد ، من غير أن يرجع اليه جوده بشيء من المنافع على جهة
من الجهات ، وهو الله وحده لا شريك له . فإن شكرنا الناس على بعض ما جرى لنا على

(١) في زهر الآداب للعصري (ج ١ ص ٢٥٠) : « إذا أنا لم أمدح » . (٢) الحبس :

أيديهم، فلا مَرَيْنِ : أحدهما اتَّعَبْتُ ؛ وقد أَسَرَ اللهُ تعالى بتعظيم الوالدين وإن كانا شيطانين وتعظيم مَنْ هو أَسْنُ مِنَّا وإن كنا أفضل منه . والآخَرُ : لأن النفس مالا تُحَصِّلُ الأمورَ وتُمَيِّزُ المعاني، فالسابقُ إليها حُبٌّ مَنْ جَرَى لها على يديه الخير وإن كان لم يُرِدْها ولم يَقْصِدْ إليها . ألا ترى أن عطية الرجل صاحبه لا تَخْلُو أن تكون لله أو لغير الله ؛ فإن كانت لله فنوابه على الله ؛ وكيف يَحِبُّ في حجة العقل شكره وهو لو صادف ابن سبيل غيبي لما أعطاني ؛ وإما أن يكون إعطاؤه إياي للذكر ؛ فإن كان كذلك فإنما جعلني سُلْماً إلى حاجته وسبباً إلى بُغْيَتِهِ ؛ أو يكون إعطاؤه إياي طلباً للكفاة ؛ فإنما ذلك تجارة ؛ أو يكون إعطاؤه لخوف يدي أو لِسَانِي أو آجَتَارٍ مُعَوَّنِي ونصرتي، وسبيلُ هذا معروف ؛ أو يكون إعطاؤه للرحمة والرفقة ولما يَحْدُ في قُوَايِهِ من العصر والألم، فإنما داوَى بتلك العطية من دائه ورفقه من خنائه .

١٠

وكان محمد بن الجهم يقول : نحو هذا قول الشاعر :

لَعَمْرُكَ مَا النَّاسُ أَثَنُوا عَلَيْكَ * وَلَا عَظُمُوكَ وَلَا عَظَّمُوا^(٢)
وَلَا شَايَعُوكَ عَلَى مَا بَلَّغْتَ * سَتَ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَلَا قَدَّمُوا
وَلَوْ وَجَدُوا لَهْمُ مَطْعَمًا * إِلَى أَنْ يَصِيُوكَ مَا جَمَعُوا
وَلَكِنْ صَبَرْتَ لِمَا أَلْزَمُوكَ * وَجُدْتَ بِمَا لَمْ يَكُنْ يُلْزَمُ
وَكَانَ قِرَاكَ إِذَا مَا لَقُوكَ * لِسَانًا بِمَا مَرَّمُ يُنْعِمُ
وَنَخَفُضَ الْجَنَاحَ وَوَشَكَ النَّجَاحَ * وَتَصَغِيرَ مَا عَظُمَ الْمُنْعِمُ
فَأَنْتَ بِفَضْلِكَ أَلْجَأْتَهُمْ * إِلَى أَنْ يُجَلُّوا وَأَنْ يُنْعَمُوا

١٥

وقال خلف بن خليفة الأقطع :

وَفِي الْيَاسِ مَنْ أَنْ تَسْأَلَ النَّاسَ رَاحَةً * تُمَيِّتُ بِهَا عُمَرًا وَتُحْيِي بِهَا يَسْرًا

٢٠

(١) في الأصل : « وكيف يجب على حجة العقل » . (٢) كذا بالأصل ، والتكرار هنا غير مستساغ ، ولعل فيه تحريفا من النسخ في الكلمة الأول بأن يكون أصلها « بجلوك » مثلا ، أو في الكلمة الثانية بأن يكون أصلها « قظموا » أي أكثروا من قضم المدايح فيك .

وليس يدُّ أوليتها بغنيمة * اذا كنت تبغى أن يعد لها شكرا
غنى النفس يكفى النفس ما سد فاقة * فإن زاد شيئا عاد ذلك الغنى فقرا
قال ابن عائشة : باغنى أن عبد الرحمن بن حسان سأل بعض الولاة حاجة فلم
يقضها له ، فسألها آخر فقضاها له ؛ فقال :^(١)

ذممت ولم تحمد وأدركت حاجتى * تولى سواكم أجرها وأصطناعها
أبى لك كسب الحمد رأى مقصر * ونفس أضاق الله بالخير باعها
اذا هى حنته على الخير مرة * عصاها وإن همت بشر أطاعها
وقال ابن عائشة : قال رجل يوما لابن عيينة : ما شئ تُحدثونه يا أبا محمد؟
قال : ما هو؟ قال : يقولون إن الله تعالى يقول : أئما عبد كانت له الى حاجة
فشغله الشئ على عن سؤال حاجته ، أعطيته فوق أمنته ؛ فقال له : يابن أنى ،
وما تُكرمين هذا ! أما سمعت قول أمية بن أبى الصلت فى عبد الله بن جُدعان :
اذا أثنى عليه المرء يوما * كفاه من تعرضه الشئ
فكيف يا كرم الأكرمين !

وكان يقال : فى طلب الرجل الحاجة الى أخيه فتنة : إن هو أعطاه حمد غير
الذى أعطاه ، وإن منعه ذم غير الذى منعه .

حلتنا الرياشى قال : أنشدنا كيسان لدكين الراجز :
اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل^(٢)
اذا المرء لم يصرع عن اللؤم نفسه * فليس الى حسن الشئ سبيل

(١) كذا فى أمالى القالى (ج ٢ ص ٢٢١ طبع دار الكتب المصرية) : وهو المناسب لشعر ، وفى الأصل :
« فشفع رجل قضيت حاجته » . (٢) المعروف أن هذا البيت هو مطلع قصيدة لسموئل بن عاديا ،
اليهودى ، كما فى أمالى القالى وديوان الحماسة لأبى تمام وغيرهما ، والبيت الثانى يروى فى الحماسة هكذا :
وإن هو لم يحمل على النفس ضيها * فليس الى حسن الشئ سبيل
ويروى فى أمالى القالى هكذا : اذا المرء لم يحمل على النفس ضيها * فليس الى حسن الشئ سبيل

وكان يقال : أول منازل الحمد السلامة من الذم .

قال عروة بن أذينة^(١) اللبي :

لا تتركن ، إن صنيعةً ملقت * منك وإن كنت لا تصفرها
 إلى امرئ ، أن تقول إن ذكرت * عندك في الحد لست أذكرها
 فإن إحياءها إيمانها * وإن منّا بها يكدرها
 وإن تولّى امرؤ بشكر يد * فالله يحزى بها ويتكرها

ويقال : أحيوا المعروف بإمانته .

أبو سفيان الحميري قال : كان مسعدة الكاتب أبو عمرو بن مسعدة مؤلفاً
 لخالد القسيري ، وكان في ديوان الرسائل بواسط ، وكان موجزاً في كتبه ، فكتب
 إلى صديق له : أما بعد ، فإنه لن يعدّك من معروفك عندنا أمران : أجز من الله
 وشكرنا . وخير مواضع المعروف ما جمع الأجر والشكر . والسلام .

وكتب بعض الكتاب إلى بعض العمال : وما أتاؤك في وقت من الأوقات ولا يوم
 من الأيام آثاراً بأيدك لدى ، ومواقع معروفك عندي ، إلا تنهني التأمل على ما يحسر
 الشكر ويثقل الظهر ، لأنك أنفست من عثرة ، وأنهضت من سقطة ، وتلاقت
 نعمة كانت على شفا زوال ودروس ، وتلقيت ما ألقى عليك من الكل بوجه
 طليق وباع رحيب^(٢) . والسلام .

(١) أذينة : لقب لأبيه . واسمه يحيى بن مالك بن الحارث اللبي . وكان عروة شاعراً غزلاً من شعراء
 أهل المدينة وثقة ثباتاً ، روى عنه مالك وغيره من الأئمة رضي الله عنهم (راجع كتاب التنبيه على أوهام أبي علي
 في أماليه ص ٢٦ طبع دار الكتب المصرية) وترجمته في كتاب الأغاني (ج ٢١ ص ١٦٢ طبع نوري) .

(٢) في الأصل : «دبال» .

الترغيب في قضاء الحاجة وأصطناع المعروف

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا داود بن الحُبَّار عن محمد بن الحسن الحمَداني عن أبي حمزة عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مَنْ تَرَكَ مَعُونَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ وَالسَّعَى مَعَهُ فِي حَاجَتِهِ قُضِيََتْ أَوْ لَمْ تُقْضَ كُلَّفَ أَنْ يَسْعَى فِي حَاجَةٍ مَنْ لَا يُؤْجَرُ فِي حَاجَتِهِ . وَمَنْ تَرَكَ الْجَلَّالَةَ عَرَضَتْ لَهُ لَمْ تُقْضَ حَاجَتُهُ حَتَّى يَرَى رِءُوسَ الْمُحَلِّقِينَ " .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا ابن عيينة عن يزيد بن عبد الله بن أبي بردة عن أبيه عن جده عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اِسْتَفْعُوا إِلَى وَاقِضِي اللَّهِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكُمْ مَا شَاءَ " .

بلغني عن جعفر بن أبي جعفر المازني عن ابن أبي السري عن إبراهيم بن أدهم عن منصور بن المعتمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ يُجِبَّكَ اللَّهُ فَأَزْهَدْ فِي الدُّنْيَا وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ يُجِبَّكَ النَّاسُ فَلَا يَقَعْ فِي يَدِكَ مِنْ حُطَامِهَا شَيْءٌ إِلَّا نَبَذَتْهُ إِلَيْهِمْ " .

حدثني محمد بن داود عن محمد بن جابر قال : قال ابن عيينة : ليس أقول لكم إِلَّا مَا سَمِعْتُ : قِيلَ لِابْنِ الْمُنْكَدَرِ : أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِ . وَقِيلَ : أَيُّ الدُّنْيَا أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الْإِفْضَالُ عَلَى الْإِخْوَانِ .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : حدثنا زهير العطاردی^(١) قال : صَلَّى بِنَا أَبُو رَجَاءٍ الْعُطَارِدِيُّ الْعَتَمَةَ ثُمَّ أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ ، فَأَتَتْهُ أَمْرَأَةٌ فَقَالَتْ : أبا رَجَاءٍ ، إِنَّ

(١) ورد هذا الاسم بالأصل هكذا : « زريك » بالكاف وهو تحريف ، فقد جاء في القاموس

وشرح مادة زدر : « سلم بن زدير يكرير من تابعي التابعين طاردي بصرى سمع أبا رجاء الطاردي » .

لطارق الليل حقاً، وإنّ بني فلان خرجوا الى سفوان وتركوا كتبهم وشيئا من متاعهم؛
فانتعل أبو رجاء وأخذ الكتب وأذاها وصلى بنا الفجر، وهو مسيرة ليلة للإبل،
والناس يقولون : إنها أربعة فراسخ .

حدثني أحمد بن الخليل عن محمد بن سعيد قال حدثنا ابن المبارك عن حميد
عن الحسن قال : لأنّ أفضى حاجة لأخ أحبّ إلىّ من أن أعتكف سنة .

قال ابن عائشة : كان عمرو بن معاوية العنبي يقول : اللهم بلّثني غرات
الكرام .

قال المأمون لمحمد بن عباد المهلب : أنت متلاف؛ فقال : يا أمير المؤمنين ،
منع الموجود سوء ظنّ بالله ، يقول الله تعالى : (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ
خَيْرُ الرَّازِقِينَ) .

وكان ابن عباس يقول : صاحب المعروف لا يقع ، فإن وقع وجد متكافئ . هذا
نحو قول النبي صلى الله عليه وسلم : " المعروف يقي مصارع السوء " .

وكان ابن عباس يقول أيضا : ما رأيت رجلا أوليته معروفا إلا أضاع ما بيني
وبينه ، ولا رأيت رجلا أوليته سوءا إلا أظلم ما بيني وبينه .

قال جعفر بن محمد : إن الحاجة تعرض للرجل قبل فأبادر بقضائها مخافة أن
يستغني عنها أو تأتية وقد استبطأها فلا يكون لها عنده موقع .

وقال الشاعر :

وبادر بسلطان إذا كنت قادراً * زوال اقتدار أو غنى عنك يعقب

(١) سفوان : ماء على قدر مرحلة من باب المربد بالبصرة وبه ماء كثير الساق (التراب) .

وقال آخر في مثله :

بدا حين أترى بإخوانه * ففككت عنهم شباة العدم^(١)

وذكروه الحزم غيب الأمور * فبادر قبل انتقال النعم^(٢)

وقرأت في كتاب للهند : من صنع المعروف لعاجل الجزاء ، فهو ككفى الحب ليصيد به الطير لا لينفعه .

قال ابن عباس : ثلاثة لا أكافهم : رجل بدأني بالسلام ، ورجل وسع لي في المجلس ، ورجل أغبرت قدماه في المشي إلى إرادة التسليم عليّ ؛ فأما الرابع فلا يكافئه عني إلا الله جل وعز ؛ قيل : ومن هو ؟ قال : رجل نزل به أمر فبات ليلته يفكر بمن يترله ، ثم رآني أهلاً لحاجته فأنزلها بي .

وقال سلم بن قتيبة : رب^(٤) المعروف أشد من ابتدائه^(٥) .

ويقال : الإبتداء بالمعروف نافلة ، وربّه فريضة .

قيل لبرزجمهر : هل يستطيع أحد أن يفعل المعروف من غير أن يرزأ شيئاً ؟ قال : نعم ، من أحببت له الخير وبذلت له الود ، فقد أصاب نصيباً من معروفك . قال جعفر بن محمد : ما توصل إلى أحد بوسيلة هي أقرب به إلى ما يحب من يد سلفت مني إليه ، أتبعتهأ أختها لأحسن ربهأ وحفظها ؛ لأن منع الأواخر يقطع شكر الأوائل .

قام رجل من مجلس خالد بن عبد الله القسري ؛ فقال خالد : إني لأبغض هذا الرجل وماله إلى ذنب^(٦) ، فقال رجل من القوم : أوله أيها الأمير معروفاً ففعل ، فما لبث أن خف على قلبه وصار أحد جلسائه .

(١) بدا بمعنى بدأ بالهز وسهل لضرورة الشعر . (٢) لله : « قلل » . (٣) الشباة : طرف السيف وحده ، وشباة العقرب : إبرتها ، والظاهر أن المراد هنا أذى العدم وشدة وحدته . (٤) في الأصل « سالم » وما أثبتناه هو الصواب . (٥) رب الشيء : ربه رباً : تعهده وأمنه . (٦) في الأصل : « ومال إليه ذنب » وهي لا تنفق والسياق .

قال ابن عباس : لا يَتَمَّ المعروف إلا بثلاث : تعجيله وتصغيره وسره ، فإنه إذا عجله هنا ، وإذا صغره عظمه ، وإذا سره ثَمَّه .

وقال الحرَّبي في نحو هذا :

زاد معروفك عندي عَظَمًا * أنه عندك محقورٌ صغير
تَنَسَّاهُ كَأَنَّهُ لَمْ تَأْتِهِ * وهو عند الناس مشهورٌ كبير

وقال الطائي :

حودٌ مشيت به الضراءُ تواضعًا ^(١) * وعظمت عن ذكراه وهو عظيم ^(٢)
أخفيتَه نَفَقَتَه وطويته ^(٣) * فنشرتَه والشخصُ منه عَمِيم ^(٤)
وكان يقال : سَرَّ رجلٌ ما أُولَى ، ونَشَرَ رجلٌ ما أُولَى .

وقال رجل لبنيه : إذا اتخذتم عند رجل يدًا فأنسوها . وقالوا : المنة تهديم

الصنعة . قال الشاعر :

أفسدت بالمرء ما أسديت من حسنٍ * ليس الكريم إذا أسدى يمان
قال رجل لابن شبرمة : فعلتُ بفلان كذا وفعلتُ به كذا ، فقال : لا خير في المعروف إذا أُحصِيَ .

وفي بعض الحديث : ”كُلُّ معروفٍ صدقةٌ وما أنفقَ الرجلُ على أهله ونفسه وولده صدقةٌ وما وقي المرء به عِرْضُه فهو صدقة وكلُّ نفقةٍ أنفقها فعل الله خلقها مثلها إلا في معصية أو بَيَانٍ“ ^(٥) . وفي الحديث المرفوع ”فَضْلُ جَاهِك تَعَوُّدُ بِهِ

(١) هكذا ريد هذا الشعر في ديوان أبي تمام الطائي (ص ١٥١ طبع مصر) والضراء (فتح الضاد وتخفيف

الراء) : ما راواك من الشجر وغيره وهو أيضا : الاستخفاف والمشي فيما يواريك عن تكيده وتخله ، قال :

لأُمْنِي له الضراء ولا تخزني أجاره ولا أخاطله . (٢) خفيته : أظهرته . (٣) العميم :

الطويل التام . (٤) قال العزيزي في شرحه لهذا الحديث : إنه البَيَان الذي لم يقصده وجه الله تعالى .

عَلَى أَخِيكَ صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَيْهِ وَلِسَانُكَ تُعَبِّرُ بِهِ عَنْ أَخِيكَ صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَيْهِ وَإِمَاطَتُكَ
الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى أَهْلِهِ .
وَكَانَ يُقَالُ : بِذَلِكَ الْجَاهِ زَكَاةُ الشَّرَفِ .

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

وَلَيْسَ فِتَى الْفِتْيَانِ مَنْ رَاحَ وَأَغْتَدَى * لِشُرْبِ صَبُوحٍ^(١) أَوْ لَشُرْبِ غَبُوقٍ
وَلَكِنْ فِتَى الْفِتْيَانِ مَنْ رَاحَ وَأَغْتَدَى * لِضَرْرٍ عَدُوٍّ أَوْ لِنَفْعِ صَدِيقٍ
قَالَ أَبُو عَبَّاسٍ : لَا يُزْهَدُكَ فِي الْمَعْرُوفِ كُفْرٌ مِنْ كُفْرِهِ ، فَإِنَّهُ يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مِنْ
لَمْ تَصْطِنِعْهُ إِلَيْهِ .

وَقَالَ حَمَادٌ عَجْرَدٌ :

إِنَّ الْكَرِيمَ لَيُخْفِي عَنْكَ عُسْرَتَهُ * حَتَّى تَرَاهُ غَنِيًّا وَهُوَ مُجْهَدٌ
إِذَا تَكْرَمْتَ أَنْ تُعْطِيَ الْقَلِيلَ وَلَمْ * تَقْدِرْ عَلَى سَعَةٍ لَمْ يَظْهَرْ الْجُودُ
وَلِلْبَخِيلِ عَلَى أَمْوَالِهِ عِلٌّ * زُرُقُ الْعَيُونِ عَلَيْهَا أَوْجُهُ سُودُ
أَوْ رِقَ بَخِيرٍ تُرْجَى لِلنَّوَالِ فَمَا * تُرْجَى أَلْتَأَرُ إِذَا لَمْ يُورِقِ الْعُودُ
بَثَّ النَّوَالِ وَلَا تَمْنَعُكَ قِلَّتُهُ * فَكُلْ مَا سَدَّ فَقْرًا فَهُوَ مَحْمُودُ
وَالْعَرَبُ تَقُولُ : « مِنْ حَقَّرَ حَرَمًا^(٢) » .

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ عَمِّهِ قَالَ : قَالَ سَلَمٌ بْنُ قَتِيْبَةٍ : أَحَدُهُمْ يَحْقِرُ الشَّيْءَ فَيَأْتِي
مَا هُوَ شَرُّ مِنْهُ ، يَعْنِي الْمَنْعَ .

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

(١) الصُّبُوحُ : مَا شَرِبَ مِنَ اللَّبَنِ بِالْفَدَاءِ فَإِذَا دَرَنَ الْفَائِلَةُ ، وَالْغَبُوقُ : مَا شَرِبَ بِالْعَشِيِّ . (٢) هَذَا
مِثْلُ ذِكْرِ الْمُبْدَأِ وَشَرْحِهِ بِقَوْلِهِ : يُقَالُ : حَقَّرَهُ وَاحْقَرْتَهُ إِذَا عَدَدْتَهُ حَقِيرًا أَوْ مِنْ حَقَرِ سِيرًا مَا يَقْدِرُ
عَلَيْهِ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْكَثِيرِ ضَاعَتْ لَدَيْهِ الْحَقُوقُ . رَفِيَ الْحَدِيثُ : « لَا تَرَكُوا السَّائِقَ وَلَوْ بَطْلَفَ مَحْرَقٍ » .

وما أبالي إذا ضيِّفَ تضيِّفني * ما كان عندي إذا أعطيتُ مجهودي
جُهدُ المِقْل إذا أعطاك مُصْطِراً * ومُكثِرٌ من غنيِّ مَيَّانٍ في الجودِ
وفي الحديث المرفوع "أفضلُ الصَّدقةِ جُهدُ المِقْل".

وقال البريق الهذلي :

أبو مالكٍ قاصِرُ فقره * على نفسه ومُشيعُ غناه

وكان خالد بن عبد الله يقول على المنبر : أيها الناس عليكم بالمعروف ، فإن فاعل
المعروف لا يَعدَم جَوازِيه ، وما ضَعُفَ الناسُ عن أدائه قَوِيَ اللهُ على جَوازِيه ، والبيت
المشهور في هذا قول الخطيئة :

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعدَمُ جَوازِيه ^(١) * لَا يَنْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

ويقال : إنه في بعض كتب الله عز وجل .

قال وهب بن منبه : إن أحسنَ الناسَ عيشاً من حَسَنَ عيشُ الناسِ في عَيْشه ،
وإن من أَلَدَّ اللَّذَّةِ الْإِفْضَالَ على الإِخوان . وفي الحديث المرفوع "إِنَّمَا لَكَ مِنْ
مَالِكَ مَا أَكَلْتَ فَأَنْتِ أَوْ لَيْسَتْ فَأَبْلَيْتَ أَوْ أُعْطِيتَ فَأَمْضَيْتَ وَمَا سِوَى ذَلِكَ
فَهُوَ مِلْكُ الْوَارِثِ" .

وقال بشار :

أَنْفِقِ الْمَالَ وَلَا تَتَّقِ بِهِ * خَيْرُ دِينَارِكَ دِينَارُ نَفَقِ ^(٢)

قال بُرْزُ جِهمَر : إذا أَقْبَلْتَ عَلَيْكَ الدُّنْيَا فَأَنْفِقْ فَإِنَّهَا لَا تَقْفَى وَإِذَا أَدْبَرْتَ عَنْكَ

فَأَنْفِقْ فَإِنَّهَا لَا تَقْفَى . أَخَذَهُ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ فَقَالَ :

(١) قال ابن جني : ظاهر هذا أن تكون جوازيه جمع جاز أي لا يعدم جزاء عليه ، جزام على جواز

لمشابهة اسم الفاعل المصدر ، فكأن جمع سبل على سوائل ، كذلك يجوز أن يكون جوازيه جمع جزاء (انظر
اللسان مادة جزي) . (٢) يروي : « ليس لك من مالك إلا ما أكلت أنت » . (٣) نفقت
الدرهم (فتح عين الفعل وكسرهما) : فنيته وذهبت .

فَنَفِقْ إِذَا أَنْفَقْتَ إِنْ كُنْتَ مُوسِرًا * وَأَنْفِقْ عَلَى مَا خِلْتَ حِينَ تَعْسِرُ^(١)
فَلَا جُودُ يُفْنِي الْمَالَ وَالْجَدُّ مَقِيلٌ = وَلَا الْبَخْلُ يُبْقِي الْمَالَ وَالْجَدُّ مُدِيرٌ
وفي "كتاب كيلة" : لَا يُعَدُّ عَائِشًا مَنْ لَا يُشَارِكُ فِي غِنَاهُ .

مر الحسنُ برجلٍ يقلبُ درهماً : فقال له : أَتُحِبُّ دِرْهَمَكَ هَذَا؟ قال : نعم ،
قال : أأنا إنه ليس لك حتى يخرج من يدك .

قال الربيعُ بن خنيمٍ لأخيه : كن وصيَّ نفسك ولا تجعل أوصاءك الرِّحَالَ .
وقال بعضُ الشعراء :

سَأَحْبِسُ مَالِي عَلَى حَاجَتِي = وَأَوْثِرُ نَفْسِي عَلَى الْوَارِثِ
أَعَانِلُ عَاجِلٌ مَا أَشْتَبِي * أَحَبُّ مِنَ الْمُبِطِيِّ الرَّائِثِ

قال عبيد الله بن عكرِّاش : زَمَنْ خُؤُونٌ : وَوَارِثٌ شَفُونٌ^(٢) ؛ فَلَا تَأْمِنِ الْخُؤُونَ
وَكُنْ وَارِثَ الشَّفُونِ .

وقال أبو ذرٍّ : لَكَ فِي مَالِكَ شَرِيكَانِ إِذَا جَاءَا أَخَذَا وَلَمْ يُؤَامِرَاكَ : الْحَدَثَانِ
وَالْقَدَرُ ، كِلَاهُمَا يَتَرَعَى الْفَتْ وَالسَّمِينُ ، وَالْوَرِثَةُ يَنْتَظِرُونَ مَتَى تَمُوتَ فَيَأْخُذُونَ مَا تَحْتَ
يَدَيْكَ وَأَنْتَ لَمْ تَقْدَمْ لِنَفْسِكَ ؛ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا تَكُونَ أَحْسَنَ الثَّلَاثَةِ نَصِيحًا فَافْعَلْ .

وقال سعيد بن العاص في خطبة له : مِنْ رَزَقِهِ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا فَلْيَكُنْ أَسْعَدَ^(٣)
النَّاسِ بِهِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَتْرُكُ لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ : إِمَّا مُصْلِحٍ فَلَا يَقْلُ عَلَيْهِ شَيْءٌ ، وَإِمَّا مُفْسِدٍ
فَلَا يَبْقَى لَهُ شَيْءٌ . فقال معاوية : جمع أبو عثمان طَرْفِي الْكَلَامَ .

(١) على ما خيلت أي شئت ولوت ، ومعناه على أي حاز . (٢) الشفون : الذي ينتظر

الك كاللار أو المنقصر . (٣) في نهاية الأوب (ج ٣ ص ٢٠٦) والعقد الثريد (ج ١ ص ٨٤) :

« فليفق منه سرًا وجهرا حتى يكون أسعد الناس به » .

وقال حُطَّائطُ بْنُ يَعْفَرٍ :

ذَرِّبْنِي أَكُنْ لِلْمَالِ رَبًّا وَلَا يَكُنْ * لِی الْمَالُ رَبًّا تَحْمَدِي غِبَّهُ غَدَا
أَرِيبِي جَوَادَا مَاتَ هَزْلًا لِعَلَّتِي * أَرَى مَا تَرَيْنَ أَوْ بَخِيلًا غَلْدَا
وَقُلْتُ وَلَمْ أَغْنِ الْجِسَابَ تَبَيَّنِي * أَكَا نَ الْهَزْلَ حَتْفَ زَيْدٍ وَأَرْبَدَا

قال أعرابي : الدراهم ميسم تسم حنذاً أو ذماً ؛ فمن حبسها كان لها ، ومن
أنفقها كانت له ، وما كل من أعطى مالا أعطى حنذاً ، ولا كل عديم ذمياً .
وقال بعضُ المُحدِّثين :

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَمْسَكَتَهُ * فَإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَالْمَالُ لَكَ

حدثني يزيد بن عمرو عن يزيد بن مروان قال : حدثنا النعمان بن هلال عن عبد الله
ابن دينار عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قَتَرُ
الْمُعُونَةُ عَلَى قَدْرِ الْمُؤُونَةِ " .

قال معاوية لوردان مولى عمرو بن العاص : ما بقي من الدنيا تَلَدَه ؟ قال :
العريض الطويل ؛ قال : وما هو ؟ قال : الحديث الحسن أو القى أخا قد نكبه
الدهر فاجبره ؛ قال : نحن أحق بهما منك ؛ قال : إن أحق بهما منك من سبقك
اليهما .

١٥

وقال أعرابي :

وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مَعَارَةٌ * فَمَا أَسْطَعَتْ مِنْ مَعْرِفَتِهَا فَتَزُودُ
فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي بَابُهَا بِلَدَةٍ * تَمُوتُ وَلَا مَا يُحَدِّثُ اللَّهُ فِي غَدٍ
يَقُولُونَ لَا تَتَّبَعْنِي وَمَنْ يَكُ بَعْدُ * ذِرَاعَيْنِ مِنْ قُرْبِ الْأَحْبَةِ يَتَّبَعُ

٢٠

وقال آخر :

إِنْ كُنْتَ لَا تَبْذُلُ أَوْ تَأُلُّ * أَفْسَدْتَ مَا تُعْطَى بِمَا تَفْعَلُ

قال بعضهم : مضى لنا سلف أهل تواصل، اعتقدوا ميتاً، واتخذوا أيادي ذخيرة لمن بعدهم : كانوا يرون أصطناع المعروف عليهم فرضاً، وإظهار البرِّ حقاً واجبا، ثم حال الزمان بنشئ اتخذوا منهم صناعةً، وبرهم مباحةً، وأيديهم تجارةً وأصطناع المعروف مقارضةً كنقد السوق خذ مني وهات .

قال العُتبي : وقع ميراث بين ناس من آل أبي سفيان وبني مروان، قشاحوا فيه، فلما أنصرفوا أقبل عمرو بن عُتبة على ولده، فقال لهم : إن لقريش درجا تزلق عنها أقدام الرجال، وأفعالا تخشع لها رقابُ الأموال، وألسناً تكلُّ معها الشِّفار المشحوذة، وغاياتٍ تقصر عنها الجيادُ المنسوبة ؛ ولو كانت الدنيا لهم ضاقت عن سعة أحلامهم، ولو احتفلت ما تزينت إلا بهم . ثم إن ناساً منهم تخلَّقوا بأخلاق العوام، فصار لهم رفق باللؤم ونُرق في الحرص، لو أمكنهم قاسموا الطير أَرْزاقها؛ إن خافوا مكروها تعجلوا له الفقر، وإن عُجِّلَتْ لهم نعمة أخرّوا عليها الشكر، أولئك أنضاء فكر الفقر ونجزة حملة الشكر^(١) .

قال بعض المجازين :

فلو كنت تطلب شأوا الكرام * فعلت ككفيل أبي البختري
تُبَع إخوانه في البلاد * فاعنى المُثِلَّ عن المُكثِرِ

القناعة والاستعفاف

حدثني شيخنا عن وكيع عن ابن أبي ذئب عن محمد بن قيس عن عبد الرحمن ابن يزيد عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من يتقبل^(٢) لي بواحدة

(١) في العقد الفريد : «فكرة الفقر» . (٢) في تهذيب التهذيب للعقلاء في الكلام على عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية، أورد هذا الحديث بغامش هكذا : "من يتقبل لي بواحدة أتقبل له بالجنة" قلت : ما هي ؟ قال "لا تسأل الناس شيئاً" .

وَأَتَقَبَّلُ لَهُ بِالْحَنَّةِ“ فَقَالَ ثَوْبَانُ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ : ”لَا تَسْأَلِ النَّاسَ شَيْئًا“
فَكَانَ ثَوْبَانُ إِذَا سَقَطَ سَوْطُهُ مِنْ يَدِهِ نَزَلَ فَأَخَذَهُ وَلَمْ يَسْأَلْ أَحَدًا أَنْ يُنَآوِلَهُ إِيَّاهُ .
وَحَدَّثَنِي أَيْضًا عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَارِثِيِّ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : قَالَ عُمَرُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ رِزْقِهِ حِجَابٌ، فَإِنْ أَقْتَصَدَ أَتَاهُ رِزْقُهُ
وَإِنْ أَقْتَحَمَ هَتَكَ الْحِجَابَ وَلَمْ يُزِدْ فِي رِزْقِهِ .

وَحَدَّثَنِي أَيْضًا عَنْ وَكَيْعٍ عَنْ سَفْيَانَ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِي مَعْنٍ الْإِسْكَنْدَرَانِيِّ
قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ”إِنَّ الصِّفَا الزَّلَالَ^(١) الَّذِي لَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ
أَقْدَامُ الْعُلَمَاءِ الطَّمْعُ“ . وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ”إِنْ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ
نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ رِزْقَهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ“ .

قال ابن حازم :
لِلنَّاسِ مَالٌ وَلِي مَالَانِ مَا لَمْ يَكُنْ إِذَا تَحَارَسَ أَهْلُ الْمَالِ أَحْرَاسُ
مَالِي الرِّضَا بِالَّذِي أَصْبَحْتُ أَمْلِكُهُ * وَمَالِي الْيَأْسُ مِمَّا يَمْلِكُ النَّاسُ
أَخَذَ هَذَا مِنْ قَوْلِ أَبِي حَازِمٍ الْمَدَنِيِّ ، وَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْمُلُوكِ : مَا مَالُكَ ؟ قَالَ :
الرِّضَا عَنْ اللَّهِ ، وَالْغِنَى عَنِ النَّاسِ .

وقال بشر بن بشر^(٣) :
وإني لعف عن فكاكة جارتي * وإني لمشنوء إلى اغتياها
إذا غاب عنها بعلمها لم أكن لها * زءورًا ولم تأنس إلى كلابها

(١) الصفا الزلال : الأملس من الخجالة . (٢) في الجامع الصغير « حتى تستكمل

أجلها وتستوعب رزقها » . (٣) كذا في الأصل ولم نجد في كتب الأدب التي بين أيدينا شاعرا

بهذا الاسم ، وقد نسب البيت الأخير من هذه الأبيات « إذا سئ ... الخ » في حماسة البحري (ص ٣٤٢) ٢٠
طبع أوروبا) لزياد بن مقذ التيمي .

ولم اكْ طَلَابًا أَحَادِيثَ سِرِّهَا * ولا عَلِيمًا منْ أَىْ حَوَكِ ثِيَابُهَا
وإنَّ قِرَابَ الْبَطْنِ يَكْفِيكَ مِلْؤُهُ * وَيَكْفِيكَ سَوَاءُ الْأُمُورِ اجْتِنَابُهَا
إِذَا سُدَّ بَابُ عَنكَ مِنْ دُونِ حَاجَةٍ * فَذَرُهَا لِأُخْرَى لَيِّنَ لَكَ بِأُهَا
وقلْ أَبْنِ أَبِي حَازِمٍ :

أَوْجِعُ مِنْ وَخْزَةِ السَّانِ * لَدَى الْجَمَا وَخْزَةُ اللَّسَانِ
فَأَسْتَرْزِقِ اللَّهَ وَأَسْتَعْنَهُ * فَإِنَّهُ خَيْرُ مُسْتَعَانٍ
وإنْ نَبَا مَتَرٌ بِجُحْرٍ * فَمِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ
لَا يَتَبَثُّ الْحَزُّ فِي مَكَانٍ * يُنْسَبُ فِيهِ إِلَى الْهَوَانِ
الْحَرُّ حُرٌّ وَإِنْ تَعَلَّتْ * عَلَيْهِ يَوْمًا يَدُ الزَّمَانِ

- ١٠ حدثني محمد بن داود عن جابر بن عثمان الحنفى عن يوسف بن عطية قال حدثني
المعلّى بن زياد القردوسى^(٢) : أن عامر بن عبد قيس العنبرى كان يقول : أربعُ آياتٍ
من كتاب الله إذا قرأتها مَسَاءً لم أَبَالِ على ما أُمِيسُ ، وإذا تَلَوْتُها صَبَاحًا لم أَبَالِ على
ما أُصْبِحُ : ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ
مِنْ بَعْدِهِ ﴾ . ﴿ وَإِنْ يُرْذَكَ بَحْيِرٌ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ ﴾ . ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ . ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ
عُسْرِكُمْ إِيسْرًا ﴾ .

حدثني عبد الرحمن عن بشر بن مصلح قال قال إبراهيم بن أدهم : لا تجعل بينك
وبين الله مُنْعًا عليك ، وعدَّ النعمَ منه عليك مغرمًا .

- ٢٠ (١) تقدّم هذا الشاعر في الصفحة السابقة باسم «ابن حازم» وقد دخل هذا الشخصين أم لشخص
واحد . وقد بحثنا عن هذه الأبيات لتحرى عن تحقيق هذا الاسم فلم نجدها . (٢) كذا في الخلاصة
في أسماء الرجال للفرجى بضم القاف . وفي الأصل : « القردوسى » بفتح ، وهو تحريف .
(٣) كذا في البيان والبيان . وفي الأصل : « وأعدد النعم منهم مغنًا » .

حدَّثني الرياشي عن الأصمعي قال : أبرع بيت قاله العرب بيت أبي ذؤيب
المُسدلي :

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبَهَا * وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

قال أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا أبو عمرو الصَّفَّار عن المجاج بن الأسود
قال : احتاجت عجوز من العجيز أقدم ، قال : فخرعت إلى المسألة ، ولو صبرت لكان
خيرا لها . ولقد بلغني أن الإنسان يسأل فيمنع ، ويسأل فيمنع ، والصبر منتبذ ناحية
يقول : لو صبرت إلى لكفيتك .

وكان يقال : أنت أخو العز ما ألتحفت القناعة ، ويقال : اليأس حرُّ الرجاء عبد .

وقال بعض المفسرين في قول الله عز وجل : (فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) قال :

بالقناعة .

وقال سعد بن أبي وقاص لأبيه عمر : يا بني إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة ،
فإن لم تكن لك قناعة فليس يُغنيك مال .

وقال عروة بن أذينة :

لَقَدْ عَلِمْتُ — وَمَا الْإِسْرَافُ فِي طَمَعٍ — * أَنَّ الَّذِي هُوَ رِزْقُ سَوْفٍ يَأْتِنِي

أَسْمَى لَهُ فَيُعْنِي تَطَلُّبُهُ * وَلَوْ قَعَسْتُ أَنَا نَى لَا يُعْنِي

وقال أبو العتاهية :

إِنْ كَانَ لَا يُغْنِيكَ مَا يَكْفِيكَ * فَكُلْ مَا فِي الْأَرْضِ لَا يُغْنِيكَ

(١) ورد هذا البيت في العقد الفريد هكذا :

لقد علمت وخير القول أصدقه * بأن رزق وإن لم يأت يأتيني

(٢) أورد الجاحظ في البيان والبيان عبارة منسوبة لعن تبه شعري العتاهية وهي : « ان كان يغنيك

من الدنيا ما يكفيك فأدنى ما فيها يغنيك » .

وقال بعضهم : الغنى والفقرُ يحولان في طلب القناعة فإذا وجداها قطنَها .
 حجت أعرابية على ناقة لها ، فقيل لها : أين زادك ؟ قالت : ما معي إلا
 ما في ضرعها . وقال الشاعر :

يَا رُوحَ مَنْ حَسَمَتْ قَنَاعُهُ * سَبَبَ الْمَطَامِعِ مَنْ غَدٍ وَغَدٍ
 مَنْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ مُتَّبِعًا * لَمْ يُمَسِّحْ مُتَحَاجًّا إِلَى أَحَدٍ

وقال أوردشير : خيرُ الشيم القناعة . ونماءُ العقلِ بالتعلم .

وقال النُّجَيبُ بْنُ تَوَلِّبٍ :

وَمَتَى تُصِيبَكَ خَصَاصَةٌ فَارْجُ الْغِنَى * وَالَّذِي يَهَبُ الرِّغَائِبَ فَارْغَبِ
 لَا تَغْضَبَنَّ عَلَى أَمْرِي فِي مَالِهِ * وَعَلَى كَرَامَتِي صَلِّبِ مَالِكَ فَاغْضَبِ

وقال أبو الأسود :

وَلَا تَطْمَعَنَّ فِي مَالٍ جَارٍ لِقُرْبِهِ * فَكُلُّ قَرِيبٍ لَا يُنَالُ بَعِيدُ

وقال كعبُ بْنُ زُهَيْرٍ :

قَدْ يُعَوِّزُ الْحَازِمُ الْمُحَمَّدُ نَيْتَهُ * بَعْدَ الثَّرَاءِ وَيُثْرِي الْعَلِيزُ الْحَمِيقُ
 فَلَا تَخَافِ عَلَيْنَا الْفَقْرَ وَاتَّقِ الْغِنَى * فَضْلَ الَّذِي بِالْغِنَى مِنْ فَضْلِهِ نَتَّقُ

وشكا رجلٌ إلى قومٍ ضيقاً فقال له بعضهم : شكوتَ مَنْ يَرْحُوكَ إِلَى مَنْ
 لَا يَرْحُوكَ .

وقال هشامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لِسَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ودخلا الكعبة : سائى حاجتك ، قال :
 أكرهُ أَنْ أَسْأَلَ فِي بَيْتِ اللَّهِ غَيْرَ اللَّهِ . ورأى رجلاً يسألُ في الموقِفِ فقال : أفي مثل
 هذا الموضع تسألُ غيرَ اللَّهِ عزَّ وجلَّ ! .

وقال ابن المعتل :

تَكَلَّفَنِي إِذْ لَالَ نَفْسِي لِعِزِّهَا * وَهَانَ عَلَيْهَا أَنْ أَهَانَ لِتَكْرُمًا
تَقُولُ سَلِ الْمَعْرُوفَ يَحْيَى بْنَ أَكْثَمَ * فَقُلْتُ سَلِيهِ رَبِّ يَحْيَى بْنَ أَكْثَمًا
وقال ابن عباس : المساكين لا يعودون مريضًا ولا يشهدون جنازةً، وإذا
سَأَلَ النَّاسُ اللَّهَ سَأَلُوا النَّاسَ .

وكان الحسن يطرد السؤال يوم الجمعة، ولا يرى لهم جمعة .

وقال بعض الشعراء :

حُبُّ الرِّيَاسَةِ دَاءٌ لَا دَوَاءَ لَهُ * وَقَلَّ مَا تَجِدُ الرَّاظِينَ بِالْقِسَمِ

وقال محمود الرزاق :

شَادَ الْمُلُوكُ قَصُورَهُمْ وَتَحَصَّنُوا * عَنْ كُلِّ طَالِبٍ حَاجَةٍ أَوْ رَاغِبٍ
غَالَوْا بِأَبْوَابِ الْحَدِيدِ لِعِزِّهَا * وَتَوَقَّوْا^(١) فِي قُبُحِ وَجْهِ الْحَاجِبِ
وَإِذَا تَلَطَّفَ لِلدَّخُولِ إِلَيْهِمْ * رَاجَ تَلَقُّوهُ بِوَعْدِ كَاذِبٍ
فَارْغَبْ إِلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ وَلَا تَكُنْ * إِذَا الضَّرَاعَةُ طَالِبٌ مِنْ طَالِبٍ
وَجِدْ عَلَى مِيلٍ^(٢) فِي طَرِيقِ مَكَّةَ :

أَلَا يَا طَالِبَ الدُّنْيَا * دَعِ الدُّنْيَا لِشَانِهَا
إِلَى كَمْ تَطْلُبُ^(٣) الدُّنْيَا * وَظِلُّ الْمِيلِ يَكْفِيكَ
قال مطرف بن عبد الله لابن أخيه : إذا كانت لك إلى حاجة فاكْتُبْ بها رُقْعَةً
فَأَيُّ أَضْنِ بَوَجهِكَ عَنْ ذُلِّ السُّؤَالِ .

(١) تتوقوا : تاتقوا، يقال : تتوق في مطعمه وملبسه وأمره إذا تجوّد وبالع فيها .

(٢) الميل : ماريقي لاسافر في أنشاز الأرض وأشرافها . (٣) هذان اليتان نسيا في الأغاني

(ج ٣ ص ١٦٧ طبع بولاق) لأبي العتاهية . (٤) في الأغاني : * وما تصنع بالدنيا *

وقال أبو الأسود :

وَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ أَنْ كُنْتَ مَادِحًا * بِمَدْحِكَ مَنْ أَعْطَكَ وَالْوَجْهَ وَإِفْرُ

وكان معاوية يُتَمَنَّى بهذين البيتين :

وَقَفِّي خَلَا مِنْ مَالِهِ * وَمِنْ الْمَرْوَةِ غَيْرُ خَالِي

أَعْطَاكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ * فَكَفَاكَ مَكْرُودَ السُّؤَالِ

وقال آخر :

أَبَا مَالِكٍ لَا تَسْأَلِ النَّاسَ وَأَتَمَسْ * بِكَتْمِكَ سَيِّبَ اللَّهِ فَاللَّهُ أَوْسَعُ

فَلَوْ تَسْأَلُ النَّاسَ التَّرَابَ لَا وَشَكُوا * إِذَا قُلْتَ هَاتُوا أَنْ يَمِيلُوا فَيَمْنَعُوا^(١)

والمشهور في هذا قول عبيد :

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ * وَسَائِلُ اللَّهِ لَا يَنْجِبُ

قال سليمان لأبي حازم : سَلْ حَوَائِجَكَ ؛ فَقَالَ : قَدْ رَفَعْتُهَا إِلَى مَنْ لَا تُخْذَلُ^(٢)

الحوائج دونه .

قال بعضُ المفسرين في قول الله عز وجل : (وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) أى المخلوق

يَرْزُقُ فَإِذَا سَخِطَ قَطَعَ رِزْقَهُ ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَسْخِطُ وَلَا يَقْطَعُ .

وقال الشاعر :

لَا تَضْرَعْ لِلْمَخْلُوقِ عَلَى طَمَعٍ * فَإِنَّ ذَلِكَ وَهْنٌ مِنْكَ بِالْدِّينِ

وَأَسْتَرْزِقِ اللَّهَ رِزْقًا مِنْ خَزَائِنِهِ * فَإِنَّمَا هُوَ بَيْنَ الْكَافِ وَالنَّوِنِ

(١) روى هذا البيت في لسان العرب مادة «رشك» وشرح الأثخوف ج ١ ص ٣١ د ضبع بولاق :

ولو سأل الناس التراب لأوشكوا * إذا قيل هاتوا أن يملوا ريمعوا

(٢) كذا في كتاب الإمامة والسياسة (ج ٢ ص ١٧٢) روى الأمل : «تخزل» .

وقال الخليل بن أحمد :

أبلغ سليمان^(١) أني عنه في سعة * وفي غني غير أني لست ذا مال
شعأ بنفسي، إني لا أرى أحدا * يموت هزلا ولا يبقى على حال
فالرزق عن قدر لا الضعف يمنعه * ولا يزيدك فيه حول محتا

وقال المعلوط :

متى ما ير الناس النسي وجاره * فقير يقبلوا عاجز وجليد
وليس الفتي والفقير من حيلة الفتي * ولكن حظوظ قسمت وجدود

وقال آخر :

يخبئ الفتي من حيث يرزق غيره * ويعطي الفتي من حيث يحرم صاحبه

وقال أبو الأسود :

ليتك آذنتني بواحدة * تجعلها منك سائر الأبد
تحلف ألا تبرئني أبدا * فإن فيها برأ على كبد
إن كان رزقي إليك فأرم به * في ناظري حية على رصد

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : حرفة يقال فيها خير من مسألة الناس .

(١) هو سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي وكان رالي فارس والأهواز، فكتب الى الخليل بن أحمد يستدعي حضوره، وكانت له راتب على سليمان المذكور، فكتب الخليل جوابه : أبلغ سليمان ... الأيات . قطع عنه سليمان الراتب، فقال الخليل :

ان الذي شق في ضامن * للرزق حتى يتوفاني
حرمته مالا قليلا فإ * زادك في مالك حرمانا

فلنت سليمان فاقامته وأقصته . وكتب الى الخليل يستدريه وأضعف راتبه . (انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٢٤٣ ضبع بولاق) .

وقال سعيد بن العاص : مَوطِنانِ لا أَسْتَحِي منَ العِيِّ فيهما : عندَ مُحَاظَبَتِي
جاهلاً، وعندَ سَأَلِي حاجةً لنفسي .

حدَّثني محمد بن عبيد عن أبي عبد الله عن محمد بن عبد الله بن واصل قال :
جاء رجلٌ إلى شُرَيْحٍ يَسْتَقْرِضُ دراهمَ ؛ فقال له شُرَيْحٌ : حاجتُكَ عندنا فَأَتِ
مَنْزَلَتَكَ فَإِنَّهَا سَنَاتِيكَ ، إِنِّي لَا أَكْرَهُ أَنْ يَلْحَقَكَ ذَلِكَ .

حدَّثني الرَّيَّانِيُّ عن الأصمعيِّ عن حَكِيمِ بنِ قيس بن عاصم عن أبيه أنه
أوصى بنيه عند موته فقال : يَا كُمْ وَالْمَسَالَةَ ، فَإِنَّهَا أَنْحَرُ كَسِبِ الرَّجُلِ .

وقال بعضُ المحدثين :

عَوَدْتُ نَفْسِي الضَّيِّقَ حَتَّى أَفْتَنَهُ * وَأَخْرَجَنِي حَسَنُ الْعِزَاءِ إِلَى الصَّبْرِ^(١)
وَوَسَّعَ قَلْبِي لِلْأَذَى الْأَنْسُ بِالْأَذَى * وَقَدْ كُنْتُ أَحْيَانًا يَضِيقُ بِهِ صَدْرِي
وَصَيَّرَنِي يَأْسِي مِنَ النَّاسِ رَاجِيًا * لِسُرْعَةِ لُطْفِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَا أُدْرِي^(٢)

وقال آخر :

حَسْبِي بَعْلَمِي لَوْ تَقَعَّ * مَا أَلْتُلُّ إِلَّا فِي الطَّمَعِ
مَنْ رَاقِبَ اللَّهَ تَزَرَّعَ * عَنْ قُبْحِ مَا كَانَ صَنَعَ
مَا طَارَ شَيْءٌ فَأَرْتَفَعُ * إِلَّا كَمَا طَارَ وَقَعُ

(١) هكذا ورد هذا البيت في الأصل وقد دخله الخرم ، وورد في الأغاني (ج ٣ ص ١٧٢ طبع

بولاق) :

تعودت مرة الصبر حتى أفتنه * وأسلمني حسن العزاء إلى الصبر

(٢) في الأغاني : « لحسن منيع الله ... » .

الحِرْصُ والإِلْهَاحُ

لما قَتَلَ كِسْرَى بُزْجِيْمَهْرَ وَجَدَ فِي مِنتَقَتِهِ كِتَابًا : إِذَا كَانَ الْقَدَرُ
حَقًّا فَالْحِرْصُ بَاطِلٌ ، وَإِذَا كَانَ الْقَدَرُ فِي النَّاسِ طِبَاعًا فَالْتِمَةُ بِكُلِّ أَحَدٍ عَجْزٌ ، وَإِذَا
كَانَ الْمَوْتُ لِكُلِّ أَحَدٍ رَاصِدًا فَالطَّمَأْنِينَةُ إِلَى الدُّنْيَا حَقٌّ .

وقال بعض الشعراء :

من عَفَّ خَفَّ عَلَى الصَّدِيقِ لِقَاؤُهُ * وَأَخُو الْحَوَائِجِ وَجْهُهُ مَمْلُولُ
وَفِي كِتَابٍ لِلْهِنْدِ : لَا يَكْثُرُ الرَّجُلُ عَلَى أَخِيهِ الْحَوَائِجِ ؛ فَإِنَّ الْعَجَلَ إِذَا أَفْرَطَ
فِي مَصْ أُمِّهِ نَطَحَتْهُ وَنَحَتْهُ .

وقال عدي بن زيد :

قَدْ يَدْرِكُ الْمُبِطِيُّ مِنْ حَظِّهِ * وَالرِّزْقُ قَدْ يَسْبِقُ جَهْدَ الْحَرِصِ
وقال ابن المقفع : الْحَرِصُ مَحْرَمَةٌ ، وَالْجَبْنُ مَقْتَلَةٌ ، فَانْظُرْ فِيهَا رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ
أَنَّ قِتْلَ فِي الْحَرْبِ مُقْبِلًا أَكْثَرُ أَمْ مَنْ قُتِلَ مُدْبِرًا ، وَانْظُرْ مَنْ يَطْلُبُ إِلَيْكَ بِالْإِجْمَالِ
وَالْتَكْرَمِ أَحَقُّ أَنْ تَسْخِرَ نَفْسَكَ لَهُ بِالْعَطِيَّةِ أَمْ مَنْ يَطْلُبُ ذَلِكَ بِالشَّرِّ وَالْحَرِصِ .

وقال الشاعر :

كَمْ مِنْ حَرِيصٍ عَلَى شَيْءٍ لِيُدْرِكَهُ * وَعَلَّ إِدْرَاكَهُ يُدْنِي إِلَى عَظِيئِهِ

وقال آخر :

وَرُبَّ مُلَحٍّ عَلَى بُعِيَّةٍ * وَفِيهَا مَنِيَّةٌ لَوْ شَعَرَ
وَالْعَرَبُ تَقُولُ فِي الرَّجُلِ الْمُلَحِّ فِي الْحَوَائِجِ الَّذِي لَا تَنْقِضِي لَهُ حَاجَةً إِلَّا سَأَلَ
أُخْرَى :

* لَا يُرْسِلُ السَّاقَ إِلَّا مُمَسِّكًا سَاقًا *

وأصل المثل في الحِرْبَاء، إذا اشتد عليه حرُّ الشمس لجأ إلى شجرة ثم تَوَقَّى في أغصانها،
فلا يرسل عُصْنًا حَتَّى يَقْبِضَ على آخر .

وقال الشاعر :

أَنْى أُتَيْحَ له حِرْبَاءُ تَنْضُيَّةٌ * لَا يُرْسَلُ السَّاقُ إِلَّا مُسَكَّ سَاقًا

وفي كتاب كَلِيلَة : لَا فَقْرَ وَلَا بَلَاءَ كَالْحِرْصِ وَالشَّرَدِ، وَلَا غِنَى كَالرِّضَا وَالْقَنَاعَةِ،
وَلَا عَقْلَ كَالْتَدْيِيرِ، وَلَا وَرَعَ كَالْكُفِّ، وَلَا حَسَبَ كَحَسَنِ الْخَلْقِ .

قال ابن المقفع : الحِرْصُ والحسدُ بِكَرَا الذُّنُوبِ وأصلُ المهالك ؛ أَمَا الحسدُ
فَاهْلَاكُ إبْلِيسَ، وَأَمَا الحِرْصُ فَأَخْرَجَ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ .

وفي كتاب كَلِيلَة : خَمْسَةُ حُرْصَاءَ، الْمَالُ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ : الْمُقَاتِلُ
بِالْأَجْرَةِ، وَحَقَّارُ الْقِنِيِّ^(٢) وَالْأَسْرَابِ، وَالتَّاجِرُ بِرِكَابِ الْبَحْرِ، وَالْحَاوِي بِكَيْسِ يَدِهِ
الْحَيَّةِ، وَالْمُخَاطِرُ عَلَى شُرْبِ السَّمِّ .

دخل مالك بن دينار على رجل مجوس قد أخذ بمال عليه وُقَيْدٌ، فقال له : يَا أَبَا
يَحْيَى، أَمَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الْقَيُودِ ! فَرَفَعَ مَالِكُ رَأْسَهُ فَرَأَى سَلَّةً، فَقَالَ : لِمَنْ
هَذِهِ ؟ قَالَ : لِي، قَالَ : فَأَمْرُهَا أَنْ تُنْزَلَ، فَأُنْزِلَتْ فَوُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَإِذَا دَجَاجٌ^(٣)
وَأَخِيصَةٌ، فَقَالَ مَالِكُ : هَذِهِ وَضَعْتَ الْقَيُودَ فِي رِجْلِكَ .

كَانَ أَشْعَبُ يَقُولُ : أَنَا أَطْمَعُ وَأَمَّى تَبْقَنُ قَلْبُ مَا يَفُوتُنَا .

(١) قاتله بُرْدُزَادُ الْإِيَادِي . قَالَ ابْنُ بَرِي : هَكَذَا أَنْشَدَهُ الْجَوْهَرِيُّ وَصَوَابُ إِشْدَادِهِ : «أَنْى أُتَيْحَ
لَهَا» لِأَنَّهُ وَصَفَ قُلْعًا سَاقَهَا وَأَزْبَحَهَا سَاقٌ مَجْدٌ (انظر اللسان مادة حِرب) وَالتَّضْيَةُ : وَاحِدَةُ التَّضْيِ وَهِيَ
شَجَرٌ عِيدَانُهُ بَيْضٌ خَضَةٌ وَرُوقُهُ مَقْبُضٌ وَلَا تَرَاهُ إِلَّا كَأَنَّهُ يَابِسٌ مَغْبَرٌ . (٢) جَمْعُ قَنَاءَةٍ وَهِيَ الْآبَارُ
الَّتِي تَحْفَرُ فِي الْأَرْضِ . (٣) أَخِيصَةٌ : جَمْعُ خَيْصٍ، وَالْخَيْصُ : ضَرْبٌ مِنَ الْحُلُوءِ .

وقال النابغة :

والأُسُّ عما فات يُعَقِّبُ راحةً * ولربَّ مَطْعَمَةٍ تَعْسُدُ ذُبَابًا^(١)
(٢) (٣)

وقال أبو علي الضرير :

فإني قد بلوتكم جميعاً * فما منكم على شكري حريص
وأرخصتُ الثناءَ فَعَفَتُمُوهُ * ورُبَّمَا غَلَا الشَّيْءُ الرَّخِيسُ
فَعَفْتُ نَوَالَكُمْ وَرَغِبْتُ عَنْهُ * وَشَرُّ الزَّادِ مَا عَافَ الْخَصِيسُ^(٤)

وقال أعرابي :

أيها الدائبُ الحريصُ المُنَى * لك رزقٌ وسوف تستوفيه
قَبَّحَ اللهُ نَائِلًا تَرْجِيهِ * من يَدَى مَنْ تُرِيدُ أَنْ تَقْتَضِيهِ
لَمَّا الْجُودُ وَالسَّاحُ لِمَنْ يُعْ * طَبِكَ عَفْوَاً وَمَاءُ وَجْهِكَ فِيهِ
لَا يَنَالُ الْحَرِيصُ شَيْئًا فَيَكْفِيهِ * وَإِنْ كَانَ فَوْقَ مَا يَكْفِيهِ
فَسَلِ اللهُ وَحْدَهُ وَدَعِ النَّاسَ * سَ وَأَسْخِطْهُمْ بِمَا يُرْضِيهِ
لَا تَرَى مُعْطِيًا لِمَا مَنَعَ اللهُ * وَلَا مَانِعًا لِمَا يُعْطِيهِ

(١) كذا في لسان العرب مادة «ذبح» وفي الأمل : «مطعمة» . (٢) في لسان العرب :

«تكون» . (٣) الذباح : القتل . (٤) الظاهر من السياق أن الخسيس هو الفقير، اشتقاقاً من الخصاصة وهي الفقر، ولم نثر عليه في كتب اللغة التي بين أيدينا .

[وجد بالأصل بآخر هذا الجزء ما يأتي] :

آخر كتاب الحوائج، وهو الكتاب الثامن من عيون الأخبار لأبن قتيبة رحمة الله عليه . وكتبه الفقير الى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الجزري وذلك في شهر سنة أربع وتسعين وخمسمائة . والحمد لله رب العالمين، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد النبي وآله أجمعين . ويتلوه الكتاب التاسع وهو كتاب الطعام، والله الموفق للصواب .

[وفيه كذلك - وهو من زيادات النسخ -] :

في الاستغفار :

عليك بالياس من الناس * إن غنى نفسك في الياس
كم صاحب قد كان لي وامقاً * إذ كان في حالة إفلاس
أقول لو قد نال هذا الغنى * صيرني منه على التراس
حتى إذا ما صار فيما أشتى * وعدّه الناس من الناس
قطع بالصدّ جبال الصفا * مني ولما يرّض بالقاسي
آخر وقد أحسن :^(١)

إن للمعروف أهلاً * وقليل فاعلوه
أهناً للمعروف ما لم * تبذل فيه الوجوه
أنت ما استغيت عن صا * حبك التمر أخوه
فإذا أحتجت إليه * ساعة فحك فوه

(١) هو أبر التاجية .

إِنَّمَا يَعْرِفُ الْفَضْلَ * لَمْ مِنَ النَّاسِ ذُوهُ

لَوْ رَأَى النَّاسُ نَبِيًّا * سَائِلًا مَا وَصَلُوهُ

وكتب أبو العيَّان إلى أبي القاسم بن عبيد الله بن سليمان رُقعة يقول فيها : أنا
— أعزك الله — وولدي وعيالي زرعٌ من زرعك، إن سَقَيْتَهُ رَاعَ وَزَكَا، وإن
جَفَوْتَهُ ذَبُلَ وَذَوَى . وقد مَسَّنِي منك جَفَاءٌ بعد رِّوَاغِفَالٍ بعد تَعَهُّدٍ، فَشِمِتَ
عَدُوٌّ، وَتَكَلَّمَ حَاسِدٌ، وَلَعِبْتُ بِي ظَنُونٌ؛ وَأَتْرَاعُ الْعَادَةِ شَدِيدٌ. ثم كتب في آخرها:
لَا تُهِنِّي بَعْدَ إِكْرَامِكَ لِي * فَشَدِيدٌ عَادَةُ مُنْتَرَعَةٍ

آخر:

مَالِي مَعَاشٌ سِوَى ضِدِّ الْمَعَاشِ فَلَا * أَغْدُو إِلَى عَمَلٍ إِلَّا بِلَا أَمَلٍ
وَلَيْسَ لِي شُغْلٌ يُجِيدِي عَلَى إِذَا * فَكَّرْتُ فِيهِ وَمَا أَفْكَتُ مِنْ شُغْلٍ
كُلُّ أَمْرِي رَائِحٌ غَايِدٌ إِلَى عَمَلٍ * وَمَا أُرُوحُ وَلَا أَغْدُو إِلَى عَمَلٍ
وَلَسْتُ فِي النَّاسِ مَوْجُودًا كَبَعْضِهِمْ * وَإِنَّمَا أَنَا بَعْضُ النَّاسِ فِي الْمَثَلِ

آخر:

الْمَرَّةُ بَعْدَ الْمَوْتِ أُحْدِثُهُ * يَفْنَى وَتَبَقَى مِنْهُ آثَارُهُ
يَطْبُوِيهِ مِنْ أَيَّامِهِ مَا طَوَى * لَكِنَّهُ تُنْشَرُ أَسْرَارُهُ
وَأَحْسَنُ الْحَالَاتِ حَالُ أَمْرِي * تَطْيِبُ بَعْدَ الْمَوْتِ أَخْبَارُهُ
يَفْنَى وَيَبْقَى ذِكْرُهُ بَعْدَهُ * إِذَا خَلَّتْ مِنْ شَخْصِهِ دَارُهُ

وقال حبيب الطائي :

وَمَا أَبْنَى آدَمَ إِلَّا ذِكْرَ صَالِحَةٍ * أَوْ ذِكْرَ سَيِّئَةٍ يَسِيرِي بِهَا الْكَلِمُ
أَمَّا سَمِعْتَ بِدَهْرِ بَادِ أُمَّتِهِ * جَاءَتْ بِأَخْبَارِهَا مِنْ بَعْدِهَا أُمَّتُ

في البخل :

طَرَقْتُ أَنَامًا عَلَى غِرَّةٍ * فَذُقْتُ مِنَ الْعَيْشِ جَهْدَ الْبَلَاءِ
فَأَمَّا الْقَدِيدُ^(١) وَأَشْبَاهُهُ * فَذَلِكَ مَفَاتِيحُهُ فِي السَّمَاءِ
وَأَمَّا السُّوقُ فَفِي عَيْتِهِ * يُشْمُ وَيُدْعَى لَهُ بِالْبَقَاءِ
وَمَنْ حَاوَلَ الْخَبِزَ قَالُوا لَهُ * أَتَذْكُرُ شَيْئًا خُسِي لِلنَّوَاءِ

(١) القديد: اللحم المجفف في الشمس .

كتاب الطعام

صنوف الأطعمة

- قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري رحمه الله عليه : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للأحنف : أي الطعام أحب إليك ؟ قال : الزيت والكأه^(١)؛ فقال عمر : ما هما بأحب الأطعمة إليه، ولكنه يحب الحصب^(٢) للمسلمين .
- قال الأصمعي : قال رجل في مجلس الأحنف : ليس شيء أبغض إلي من التمر والزبد؛ فقال الأحنف : رب ملوم لا ذنب له .
- عن أبي عمرو بن العلاء قال : قال الحجاج بلطائه : ليكتب كل رجل في رقة أحب الطعام إليه ويجعلها تحت مصلاي؛ فإذا في الرقاع كلها الزيت والتمر .
- عن الأصمعي قال قال مدني : الكأدات أربع : العصيدة^(٣) والهريسة^(٤) والحيسة^(٥) والسمة^(٦) .
- عن الأصمعي عن حزم قال : قال مالك بن حنيفة لحسان بن الفريعة : ما ترودت إلينا ؟ قال : الحيس؛ قال : ثلاثة أسقية في وعاء .

(١) الكأه اسم للجمع وللواحد : نبات يقال له : شحم الأرض ، مستدير كالقفقاس ، لاساق له ولا عرق لونه إلى النبرة ، يوجد في الربيع تحت الأرض . (٢) في العقد القريني (ج ٣ ص ٢٨٢) : « ماغى » . (٣) الحيسة : الأقط يخلط بالتمر والسن . (٤) السمة (بالدال المهملة والذال المعجمة) : الخوازي ، وهي لباب الدقيق .

قال الأصمعيّ: قال بعض الأعراب: أشتى ثريدةً دَنَاءً^(١) من الفُلْفُل^(٢)، رَقَطَاءً^(٣) من الجَمَص^(٤)، ذاتِ خَفَافِينَ^(٥) من اللحم، لها جَنَاحَانِ من العُرَاق^(٥)، أَضْرِبُ فيها ضَرْبَ وَلِيٍّ السُّوءِ في مالِ الْيَتِيمِ.

وقال ابن الأعرابي: يقال: أَطِيبُ اللحمُ عُوْدُهُ، أى أَطِيبُهُ مَا وَلِيَ الْعَظْمَ، كَانَهُ عَاذَ بِهِ.

عن أبي نُجَيْدَةَ قَالَ: مرّ الفرزدقُ بِيحيى بن الحُصَيْنِ بن المُنْذِرِ الرّقَاشي، [ف]قال له: هل لك يا أبا فِرَاسٍ في جَدِي سَمِينٍ وَنَيْدٍ زَبِيبٍ جَيِّدٍ؟ فقال الفرزدق: وهل يَأْبَى هذا إلا ابنُ المَرَاغَةِ! يعني جريرا.

وقال الأَحْوَصُ لجرير: مَا يُحِبُّ أَنْ يُعَدَّ لَكَ؟ قَالَ: شِوَاءٌ وَطِلَاءٌ وَغِنَاءٌ؛ قَالَ: قَدْ أُعِدَّتْ لَكَ.

وقال مَدَنِيٌّ لَصَدِيقٍ لَهُ: والله أَشْتَهَى كَشْكِيَّةً^(٧)، ومدّها بها صَوْتَهُ فخرجت منه رِيحٌ؛ فقال له: مَا أَسْرَعَ مَا لَقَحَتْكَ يَا بَنَ عَمٍّ.

(١) ثريدة دَنَاءٌ: كثيرة الأُبَازِيرِ، والأُبَازِيرُ: الذَّيْلُ وهو ما يَلِيبُ الطَّعَامَ. (٢) كَذَا في كتاب البخلاء. لِمَاحِظ (ص ١٩٤) وفي الأَصْل: «ومن». (٣) الرَقَطَاءُ: السُّودَاءُ تَشْوِيبُهَا نَقْطٌ بَيْضَاءُ. (٤) كَذَا في البخلاء، والخَفَافُ: الجَانِبُ. وفي الأَصْل: «خَفَافِينَ» بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ وهو تَحْرِيفٌ. (٥) العُرَاقُ (بضم العين): الْعِظَامُ إِذَا لَمْ يَكُنْ طَيِّبًا شَيْءٌ. من اللحم. (٦) الطِّلَاءُ: الْخَمْرُ. (٧) في كَتَبِ الْفَنَةِ الْكَشْكِيَّةِ: ماءُ الشَّعِيرِ، وفي الْقَوَامِيسِ الْفَارْسِيَّةِ: الْكَشْكُ: ضَرْبٌ مِنَ الْحَسَاءِ الْمَرْجُوعَةِ مَصْنُوعٌ مِنَ الْقَبْجِ وَالشَّعِيرِ وَزُبْدِ لَبَنِ الشَّاءِ، وربما أُضِيفَ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْحَمِّ.

وعن الأصمعي قال : قال شيخ من أهل المدينة : أتيت فلانا فأتاني بمَرَقَةٍ كان فيها مُسَقًّى ، فلم أر فيها إلا كَيْدًا طافيةً ، فغمستُ يدي فوجدت مُضَغَةً ، فمددتُها فامتدت حتى كَأَنِّي أزمُر في ناي .

- أدخل أعرابي على كسرى لينتجَبَ من جَفائِه وجَهْلِه ؛ فقال له : أى شىء أطيبُ لحماً ؟ قال : الجمل . قال : فأى شىء أبعدُ صوتاً ؟ قال : الجمل . قال : فأى شىء أنهُضُ بالجمل الثقيل ؟ قال : الجمل . قال كسرى : كيف يكون لحم الجمل أطيبَ من البطِّ والدجاج والفراخ والدجاج والجداء ؟ قال : يُطبخ لحم الجمل بماءٍ وملح ، ويُطبخ ما ذكرتَ بماءٍ وملح حتى يُعرفَ فَضْلُ ما بين الطعمين . قال : كيف يكون الجمل أبعدُ صوتاً ونحن نسمع الصوتَ من الكُرْكِيّ من كذا وكذا ميلاً ؟ قال الأعرابي : ضَعِ الكُرْكِيّ في مكانِ الجمل وَضَعْ الجملَ في مكانِ الكُرْكِيّ حتى تعرفَ أيهما أبعدُ صوتاً . قال كسرى : كيف تزعمُ أنَّ الجملَ أحملُ للحمل الثقيل والفيل يُحمل كذا وكذا رطلاً ؟ قال : لِيُبرِكَ الفيلُ وَيُبرِكَ الجملُ وَلِيُحْمَلَ على الفيلِ حملُ الجمل ، فإن نهض به فهو أحمل للأثقال .

- عن جعفر بن سليمان قال : شيطان لا يزيدُهما كثرةُ النفقة طيباً : الطيبُ والقدر ، ولكن تُطَيَّبُهُما إصابَةُ القدر .

وفيا أجاز لنا عمرو بن بحر الجاحظ من كتبه قال : كان أبو عبد الرحمن الثوري يُعجَبُ بالروس ويصفُها ويُسمي الرأسَ عُرساً لما تجتمع فيه من الألوان الطيبة ،

- (١) المضغة : فضة اللحم . (٢) الدجاج (وزان رمان) : طائر يطلق على الذكر والأنثى بحيل المنظر ملون الريش . (٣) الكركي : طائر يقرب من الإوز أبيض الذنب رمادي اللون في خده لمعات سود قليلة الغم حلب العظم يأتى إلى الماء أحياناً . (٤) قد أورد عمرو بن بحر الجاحظ هذه القصة في كتابه البخل (ص ١١٥ طبع أوربا) .

وكان يسميه مرةً الجامع ومرةً الكامل، ويقول: الرأس شيء واحد وهو ذو ألوانٍ عجبية وطعومٍ مختلفةٍ ؛ وكلٌ قديرٌ وكلٌ شواءٌ فإنما هو شيءٌ واحدٌ، والرأس فيه الدماغُ وطعمُهُ مُفردٌ، والعينان وطعمهما مفردٌ [وفيه الشحمة التي بين أصل الأذن ومؤخر العين وطعمها على حدة]، على أن هذه الشحمة [خاصةً] ^(١) أطيبُ من المخ وأنهم من الزبد وأدسم من السلاء، ثم يُعدُّ أسقاطه كلها، ويقول: الرأسُ سيدُ البدن، وفيه الدماغ وهو معِدِنُ العقل، ومنه يتفرق العصبُ الذي فيه الحِسُّ، وبه قوامُ البدن، وإنما القلبُ بابُ العقل؛ كما أن النفس هي المدركةُ والعينُ هي بابُ الألوان، والنفس هي السامعةُ الذائقةُ وإنما الأنفُ والأذنُ بابان . ولولا أن العقل في الرأس لما ذهب العقل من الضربة تُصيبه ؛ وفي الرأس الحواس الخمس . وكان يُنشد :

١٠ هموضرُّو رأسي وفي الرأس أكثرى * وغودِرَ عندَ المتَّقَى ثم سائرِي ^(٢)

وكان لا يشتري الرأس إلا في زيادة الشهر لمكان زيادة الدماغ ، ولا يشتريه إلا يوم السبت لأن الرؤوس يوم السبت أكسَدُ، للفضلات التي تبقى في منازل التجار عن يوم الجمعة . وكان إذا فرغ من غَدائه يوم الرأس، عَمَدَ إلى القُحْفِ وإلى اللُّحَيْنِ ^(٣) فوضعه قُرْبَ بيوتِ النمل والنز ، فإذا اجتمعنَّ عليه أخذه ونَفَضَهُ في طَسِيتٍ فيه ماء، ولا يزال يُعيد ذلك على تلك المواضع حتى يُقْلِعَ النمل والنز من داره، فإذا فرغ من ذلك ألقاه مع الحطب فاستوقده في التَّنُور .

الأصمعيّ قال: قال أبو صَوَّارَة أو ابنُ دُقَّة : الأرز الأبيض بالسَّمن المسلى ^(٤) بالسكر الطبرزد، ليس من طعام أهل الدنيا .

(١) الزيادة عن البخلاء . (٢) في البخلاء: «إذا» . (٣) القحف: العظام التي فوق الدماغ، أو هو ما اُتْلِقَ من الجمجمة فاقصَل ، ولا يدعى قحفاً حتى ينكسر شيء . (٤) الحيان: عظام الخنك وهما اللذان عليهما الأسنان ، رقي البخلاء: «الجين» . (٥) الطبرزد: السكر الأبيض الصلب، فارسي .

قال: وقال أبو صَوَّارَة أو ابن دُقَّة : أطول الليالي ثلاث : ليلةُ المقرب، وليلةُ الهريسة، وليلةُ جُدَّة إلى مكة .

الأصمعيّ عن جعفر بن سليمان قال : قال أبو كامل مولى عليّ رضي الله عنه :
أطعموني حَفَنَةً زُبْدٍ ثم اختموا سراويلي ثلاثاً .

وقال رجل للتوريّ في الحديث : "إن الله يُغْنِضُ الْبَيْتَ الْلَحْمَ"؛ فقال : ليس
هو الذي يؤكل فيه اللحم، وإنما هو الذي يؤكل فيه لحومُ الناس .

عن أبي الصّدِّيق^(١) النّاجي عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : "خيرُ تمراتكم
البرنيّ يذهب بالداء ولا داءَ فيه"^(٢) .

وعن ابن عمر عن عمر أنه قال : يا غلام أنضج العصيدة تذهب حرارة الزيت .

وعن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "بئسَ ليس فيه تمرٌ
جِياعٌ أهله" .

شيخٌ من أهل البادية قال : أضافنا فلان فأتانا بِمِنْطَةِ كأنها منقيرُ الغربان، وتميرٌ
كانه أعناقُ الوزّ يوحلُ فيه الضُّرس^(٣) .

الأصمعيّ قال: قال أعرابيّ: تمرنا جردٌ فطسٌ يَغِيبُ فيه الضُّرسُ^(٤)، كأن نواه السن
الطير، تَضَعُ التمرة في فيك فتجدُ حلاوتها في كَعْيِكَ .

الأصمعيّ عن أبيه قال : أسر رجلٌ رجلين في الجاهلية فخيرهما بمِيعَتَيْهِمَا ،
فأختار أحدهما اللحمَ وأختار الآخرُ التمرَ، فعشياً وألقيا في الفناءِ وذلك في شتاءٍ شديدٍ،
فأصبح صاحبُ اللحمِ خامداً وأصبح صاحبُ التمرِ تَرَرَّ عَيْنَاهُ^(٥) .

(١) هو بكر بن عمر أو ابن قيس، كما في تهذيب التهذيب والمخلاصة . (٢) البرنيّ: ضرب من التمر

أصفر مدقور، وهو أجود التمر . (٣) في الأصل هكذا: «الوزلان» والظاهر أنه محرف عما أثبتناه .

(٤) جرد : ناعمة . (٥) فطس : صغار الحب لاطئة الأفاع . (٦) ترر عيناه : توقدان .

وقال غير الأصمعي : قيل لأعرابي : ما رأيك في أكل الجُرَى^(١) ؟ قال : ثمرة
نَرمِيَانَةٍ غِراءُ الطَّرَفِ صفراءُ السائر عليها مثلها زُبْدًا أحبُّ إلى منها ، ثم أدركه
الوَرَعُ فقال : وما أحرمهما .

وقال بعضُ الأعراب :

أَلَا لَيْتَ لِي خُبْرًا تَسْرِبُ رَائِبًا * وَخِيَلًا مِنَ الْبَرَنِ فُرْسَانُهَا الزُّبْدُ^(٢)

قال : ورأى أعرابي دقيقًا وتمرًا فاشتري التمر؛ قيل له : كيف وسعرُ الدقيق
والتمر واحد ! قال : إن في التمر أدمه وزيادة حلاوة .

عن زياد الثُميري قال : قالت عائشة : من أكل التمر وترًا لم يضره .

الأصمعي قال : حدثني شيخٌ عالمٌ قال : أطيبُ التمرِ صَبْحَانِيَّةٌ مُصَلَّبَةٌ^(٣) .

الأصمعي قال : حدثني رجلٌ من آل حريم قال : كان يقال : مَنْ خَلَا عَلَى التمرِ^(٤)
فَالْعَجْوَةَ ، وَمَنْ أَكَلَهُ عَلَى تَقِيلٍ فَالصَّبْحَانِيَّةُ .

الأصمعي قال : قال أعرابي يُفَضِّلُ الرُّطْبَ عَلَى الْعَسَلِ : أَتَجْعَلُ عَسَلَةً فِي أَخْنَاءِ
الْبَقَرِ كَعَسَلَةٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ لَهَا حَارِسٌ مِنْ جَرِيدٍ وَذَوَائِبٌ مِنْ زُمُرْدٍ !

وقال الأصمعي : قيل لابن القَدَّاحِ : أَيُّ التمرِ أطيبُ ؟ فدلعا بأنواع التمر ، فلما
أكلوا قال : آنظروا أَيُّ النوى أَكْثَرُ؟ قالوا : نوى الصبحاني ، قال : هو أطيبُ .

(١) الجُرَى : ضرب من السمك . والتمر الزيبان : نوع من التمر جيد ، واحده نَرمِيَانَةٌ ،
رفي الأصل «ثمرة برستانية» وهو تحريف . (٢) كذا في المقد الفريد (ج ٢ ص ١٢٤ طبع
بولاق) . ورواية الأصل : * أَلَا لَيْتَ خُبْرًا قَدْ تَسْرِبُ رَائِبًا *

(٣) الصبحاني : ضرب من التمر أسود صلب المنفعة نسب إلى صبحان وهو كبش كان يربط إلى نخلة
بالمدينة فأثمرت تمرًا فنسب إليه ، ويقال : صلبت التمرة إذا بلغت اليبس (انظر اللسان مادة صلب) .

(٤) يقال : خلا على بعض الطعام إذا اقتصر عليه . قال الهياثي : تميم تقول : خلا فلان على اللبن وعلى
الحُمِّ إذا لم يأكل منه شيئًا ولا خلطه به . قال : وكثارة وقيس يقولون : أخل فلان على اللبن والحُمِّ .

وقال الأصمعي : العرب تقول للبخیل الأکول : «أَبْرَمًا قَرُونًا» ^(١) أى لا يُخرج مع أصحابه شيئاً ويا كل تمرّين تمرّين .

وقال النابغة یصف تمراً :

صغارُ النوى مكنوزةٌ ليس قشرُها * اذا طار قشرُ التمر عنها بطائر

سمع الحسن رجلاً یعیبُ الفالوذجَ ^(٢) فقال : فُتاتُ البرِّ بلعابِ النحلِ بخالِصِ
السَّمنِ ! ما عاب هذا مسلمٌ . وقال لفرقدٍ السَّبخی : یا أبا یعقوبَ ، بلغنی أنك لا تأكلُ
الفالوذجَ ، فقال : یا أبا سعید ، أخافُ ألا أُؤدَّى شکرُهُ ، فقال : یا لکُم ! وهل تُؤدَّى شکرَ
الماءِ الباردِ [فی الصَّیفِ والحارِّ فی الشتاء ! أما سمعتَ قولَ الله تعالى : (یَا أَيُّهَا الَّذِینَ
آمَنُوا کُلُوا مِنْ طَیِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاکُمْ)] .

- (١) کذا ورد هذا المثل فی مجمع الأمثال للبديان ولسان العرب مادة «برم» والبرم : الذى لا يدخل
مع القوم فی الميسر لبطله . والقرون : الذى یقرن بین الشیخین أى هو برم ویا کل مع ذلك تمرّين تمرّين .
یضرب مثلاً لمن یجمع بین خصلتين مکروهتين ، وفى الأصل : «أبرما أکولاً قروماً» وهو تحریف .
- (٢) الفالوذج : حلوا، یسوّى من لب الخنطة . فارسى معرب . وفى الصحاح : الفالوذ والفالوذج
معربة ، قال یعقوب : ولا یقال : الفالوذج . (انظر القاموس وشرحه مادة فلد) والعرب لا تعرفه حتى حکى أن
عبد الله بن جدعان ، وكان سیداً شریفاً فی قریش ، وقد علّی کسرى مرة وأکل عنده الفالوذج فعجب منه
وسأل عن حقیقته ، فقیل : هی لباب البرّ یلبک مع العسل ، فابتاع من عنده غلاماً یصنعه ، وقدم به مکة فصنع
بها الفالوذج فوضع موائده بالأبطح الى باب المسجد ، ثم قدی : من أراد أن يأکل الفالوذج فلیحضر ،
فکان ممن حضراً یمین بن أبی الصلت ، فقال مادحاً :

لکل قیلة رأس وهادى * وأنت الرأس تقدّم کلّ هادى

له راع بمکة مشعل * وآخر فوق داره ینادى
الى رُدح من الشیخی ملائ * لباب البرّ یلبک بالشهاد

(٣) زیادة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٨١) .

الأصمعيّ قال : اختصم روميّ وفارسيّ في الطعام ، فحكّا بينهما شيخا قد أكل طعام الخلفاء ، فقال : أما الروميّ فذهب بالحشو والأحشاء ، وأما الفارسيّ فذهب بالبارد والحلواء .

وعن الأصمعيّ قال : كنا عند الرشيد فقدمت إليه فالودجة^(١) ، فقال : يا أصمعيّ حدثنا بحديث مُزَرَّدٍ ، فقلت : إن مُزَرَّدًا أخا الشماخ كان غلاما جشعا وكانت أمه تُؤثِّرُ عيالها بالطعام عليه وكان ذلك يُحَفِّظُهُ^(٢) ، فخرجت أمه ذات يوم تزور بعض أهلها ، فدخل مُزَرَّدٌ الخيمة وعمد إلى صاعين دقيقين وصاعين من تمر وصاعين من سمن فجمعه ثم جعل يأكله وهو يقول :

ولما غدت أُمِّي تَمِيرُ بَنَاتِهَا * أَغْرَتُ عَلَى الْعِصْمِ الَّذِي كَانَ يُبْنَعُ^(٣)
لَبَكْتُ بِصَاعِي حِنْطَةٍ صَاعَ عَجْوَةٍ * إِلَى صَاعِ سَمْنٍ فَوْقَهُ يَتَرَيَعُ^(٤)
وَدَبَلْتُ^(٥) أَمْثَالَ الْأَثَانِي كَأَنَّهَُا * رُيُوسُ تِقَادٍ قُطِعَتْ يَوْمَ تَجْمَعُ^(٦)
وَقُلْتُ لِبَطْنِي أَبْشِرِ الْيَوْمَ إِنَّهُ * جَمِيَ أَمَّا مِمَّا تُحَوِّزُ وَتَرْفَعُ^(٧)
فَإِنْ كُنْتَ مَصْفُورًا فَهَذَا دَوَاؤُهُ * وَإِنْ كُنْتَ غَرْنَانًا فَذَا يَوْمُ تَسْبَعُ^(٨)
فَضِصَكَ الرَّشِيدُ حَتَّى اسْتَلَقَى عَلَى ظَهْرِهِ ، ثُمَّ قَالَ : كُلُوا بِأَسْمِ اللَّهِ ، هَذَا يَوْمُ تَسْبَعُ^(٩)
[يا أصمعيّ] .

- (١) يحفظه : يفضبه . (٢) العجوة : النخلة تجمله المرأة كالوعاء تدخر فيه ثمنها .
(٣) لبكت : خلطت ، والليكة : أقط ودقيق أو تمر ودقيق يخلط ويصب عليه السمن . (٤) يتريع : يجمع ما هنا وما هنا لا يستتر له وجه لكثرته . وفي الأصل : « يتريع » بالياء الموحدة . (٥) دبكت الشيء : جمعت بعضه على بعض وعظمته مثل الككة . وفي الأصل « ودبكت » بالذال المنجمة والياء المثناة وهو تحريف (انظر اللسان مادة ريع ودبل) . (٦) تقاد : جمع قعدة وهي الصغيرة من الغنم ، الذكر والأنثى في ذلك سواء . (٧) المصفور : من به الصفر وهو داء في البطن يصير منه الوجه .
(٨) غرنان : جامع ؛ وقد وردت هذه الأبيات في الجزء الثالث من العقد الفريد ص ٣٨٥ باختلاف قليل في بعض ألقاظها عما هو مثبت هنا . (٩) زيادة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٥) .

قال : وكتب الججاج الى عامله بفارس : ابعت الى عسلا من عسل خلار^(١)، من النحل الأبقار، من الدسثشار، الذي لم تمسه النار .

وقال الأصمعي : كتب بعض الخلفاء الى عامله بالطائف : أن أرسل الى عسل أخضر في سقاء، أبيض في الإناء ، من عسل الندغ^(٢) والعشاء^(٣)، من حداب^(٤) بنى شابة .

والعرب تصف العسل بالبرودة .

وفي حديث ابن عباس، أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن أفضل الشراب قال : «الحلواء البارد» يعني العسل . وقال الأعشى :

كما شيب بماء با * رد من عسل النحل

- ويقال : أجود العسل الذهبي^(٥) الذي اذا قطرت منه قطرة على وجه [الأرض] ١٠ استدار كما يستدير الزيت ولم ينفس ولم يختلط بالأرض والتراب .
والروم تقول : أجوده ما يطلع على قتيبة ثم تسعل فيه النار فيعلق .
وسئل ديمقراطيس العالم عما يزيد في العمر فقال : من أدام أكل العسل ودهن جسمه به زاد الله بذلك في عمره .

- ١٥ (١) خلاركرمان : موضع بفارس ينسب اليه العسل الجيد . والدسثشار : كلمة فارسية ومعناها ما عصرتة الأيدي وعالجته . (انظر القاموس وشرحه مادة خلر) . وقال ابن سيده في المختصر (ج ٥ ص ١٨ طبع بولاق) : قال أبو حنيفة : المسثشار والدسثشار : العسل الذي لم تمسه النار . وقال : ليست واحدة منهما عربية لأن هذا البناء ليس من كلامهم . (٢) كذا في الأصل ، وفي اللسان مادة «ندغ» أن الذي كتب الججاج ، والججاج لم يكن من الخلفاء كما هو مذكورها . (٣) الندغ : الصمغ البري وهو مما ترماه النحل وتصل عليه وعسله أطيب العسل ، وفي الأصل «الذغ» . ٢٠ (٤) العشاء : ثبت آخر من مراعى النحل يطيب عسله عليه ، وفي الأصل «العشاء» . وحداب بنى شابة : جبال بالسراة ينزل بنو شابة ، قوم من فهم بن مالك كما في اللسان وشرح القاموس مادة (حدب) . وفي الأصل : «حدب» بدون ألف . (٥) في ما يعول عليه في المضاف والمضاف اليه الحبي ، وفي لطائف المعارف للمصنف ص ١١٠ طبع أوروبا : «أن خير الأعسال كلها عسل أمهات» ، وأن في أجوده هذه الخاصة وذكر العالي أنه يحمل من كل ستة الى السطمان ألقارطل .

والعسل إن جعل فيه اللحم الطري بقي كهيئته حتى لا يتن . ويقال : من كان به داء قديم فليأخذ درهمًا حلالًا وليشتر به عسلًا ثم يشربه بماء سواء فإنه يبرأ بإذن الله تعالى . وكان الحسن ^(١) يعجبه إذا استمشى الرجل أن يشرب اللبن والعسل .
 ويزعم أصحاب الطبائع أن العسل إذا ديف ^(٢) بالماء وخطط معه زيت أو دهن سميم نافع لمن شرب السموم والأدوية القاتلة يتقيًا به .

ميمون بن مهران عن ابن عباس قال — ولا أعلمه إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم — أنه قال : «أكرموا الخبز فإن الله يختره السموات والأرض» .

الأصمعي قال : كانت امرأة من ^(٣) بكر بن وائل تنزل الطفاوة ^(٤) وكانت قد أدركت بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان العباد يغشونها في منزلها ؛ فعاب عائب عندها السويق ، فقالت : لا تفعل ! إنه طعام المسافر ، وطعام ^(٥) العجلان ، وغذاء المبكر ، وبلغة المريض ، ويشد فؤاد الحزين ، ويرد من نفس الضعيف ؛ وهو جيد في التسمين وتقوية البنان ، ومسمونه يصفى الدم ، إن شئت كان ثريدا ، وإن شئت كان خبيصا ، وإن شئت كان خبزا .

وكان غسان بن عبد الحميد كاتب سليمان بن علي يقول لجاريته : خوضي لنا سويقا فأخثره ، فإن الرجل لا يستحي أن يزداد ماء فيرققه ، ويستحي أن يزداد سويقا فيخثره به .

(١) استمشى : استطلق بطنه . (٢) ديف : خلط . (٣) في الأصل : «كان في الطفاوة امرأة من بكر بن وائل تنزل الطفاوة ... الخ» . (٤) الطفاوة : حق من قيس عيلان ، وموضع بالبصرة سمى بالقبيلة التي نزلت . (٥) كذا بالأصل ، وهذا التكرار لا يتفق مع بلاغة السياق ، وفي العقد الفريد : «طعام المسافر والعجلان» . (٦) سمن الضعفاء يسمى سمنًا فهو مسمون : عمله بالسن وله به . (٧) خوض الشراب وخاضه : خلطه وحركه . والخثورة : ضد الرقة ، يقال : أخثر الشيء وخثره إذا خلطه بعد الرقة .

مرة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بعبد الحميد بن علي وهو في مزرعته
وقد عطش، فاستسقاءه فحاض له سويق لوز فسقاه إياه؛ فقال عبد الله:

شربت طبرزدا بفريض مزين^(١) * ولكن الملاج بكم عذاب

وما [هو] بالطبرزد طاب لكن * بمسك إنه طاب الشراب

وأنت إذا وطئت تراب أرض * يطيب إذا مشيت به التراب

لأن تذاك ينفي المحل عنها * وتحيبها أيا يدك الرطاب^(٢)

وقال الحسن: لا تسقوا نساءكم السويق، فإن كنتم لا بد فاعلين فأحفظوهن.

وقال الرقاشي: السمنة للنساء غلة وهي للرجال غلة.

عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة لا ترد: اللبن

والسواك^(٣) والدخن».

١٠

الرياشي قال: سمعت أبا يزيد يقول: رأيت رجلا كأن أسنانه النعش لشربه
اللبن حاراً.

الأصمعي عن ذي الرمة أنه قال: إذا قلت للرجل: أي اللبن أطيب؟ فإن

قال: قارص^(٤)، فقل: عبد من أنت؟ وإن قال: الحليب، فقل: ابن من أنت؟

مرة رجل من قريش بأمرأة من العرب في بادية، فقال: هل من لبن

يأع؟ فقالت: إنك لئيم أو قريب عهد بقوم لئام.

(١) الطبرزد: السكر فارسي موزن، ويقال فيه: طبرزد وطبرزل بالنون واللام (انظر القاموس

وشرحه مادة طبرزد ومفردات ابن اليطار طبع بولاق في اسم الطبرزد) . (٢) الفريض من اللحم

والماء واللبن والتمر: الحديد الطازج . (٣) في الأصل: «وتجنبها» بالجيم والنون وهو تحريف .

(٤) في الأصل: هكذا: «الوساك» وهو تحريف . (٥) القارص: الحامض .

(٦) أي هو عبد، لأنه باستعانة الحامض دل على أنه لم ير خيراً منه، إذ العبد يأكل ما يفضل من ماله
فلا يصل إليه الحليب إلا حامضاً .

٢٠

وكان يقال : اللبنُ أحدُ اللحمين .

وقال بعضُ المدنيين : مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ مَوَازٍ ^(١) وَبَقَدَّحَ مِنْ لَبَنٍ إِبِلٍ أَوَّارِكٍ ^(٢) تَجَشَّأَ بَخُورِ الكعبةِ .

وقف معاويةُ على امرأةٍ فقال : هل مِنْ قِرَى؟ فقالت : نعم ، قال : وما هو؟ قالت : خُبْزُ نَمِيرٍ وَلَبَنٌ فَطِيرٌ وَمَاءُ نَمِيرٍ ، والعرب تقول : «إِنَّ الرِّيشَةَ تَفْتَأُ الغَضْبَ» ^(٣) .
والرِّيشَةُ : اللبنُ الحامضُ يُحْلَبُ عليه الحليبُ ، وهو أطيبُ اللبنِ . قال بعضُ الأعراب :

وَإِذَا خَشِيتَ عَلَى الْفُؤَادِ لِحَاجَةً * فَاضْرِبْ عَلَيْهِ بِجَرَّةٍ مِنْ رَائِبٍ
وعن مطر الوراق : أَنْ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ شَكَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الضَّعْفَ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : أَنْ أَطْبِخَ اللَّبَنَ بِاللِّحْمِ ، فَإِنَّ الْقُوَّةَ فِيهِمَا .

وصف أعرابيٌ خِصْبَ البادية فقال : كُنْتُ أَشْرَبُ رِيشَةً تَجْرُهَا الشَّفْتَانِ
جَرًّا ، وَقَارِصًا إِذَا تَجَشَّأْتُ جَدَعَ أَنْفِي ، وَرَأَيْتُ الْكَمَّةَ تَدُوسُهَا الْإِبِلُ بِمَنَاسِمِهَا ، وَخُلَاصَةً ^(٤)
يَسْمُهَا الْكَلْبُ فَيَعِطُسُ .

وتقول الأطباء : إِنَّ اللَّبَنَ إِذَا سُخِّنَ بِالنَّارِ وَسِيطَ ^(٥) بِعُودٍ مِنْ عِيدَانِ شَجَرِ التَّيْنِ
رَابٍ مِنْ سَاعَتِهِ . وقالوا : وَإِنْ أَرَادَ صَاحِبُهُ إِلَّا يَرْوِبَ ^(٦) وَإِنْ كَانَ فِيهِ رُوبَةٌ جَعَلَ فِيهِ
شَيْثًا مِنَ الْحَبَقِ ، وَهُوَ الْفُؤْذُجُ ^(٧) النَّهْرِيُّ ، فَإِنَّهُ يَبْقَى كَهَيْئَتِهِ .

- (١) تصبح : أكل شيثا قليلا يتل به . (٢) كذا في الأصل ولعلها «لوزات» أو «تمرات» .
(٣) الإبل الأوارك : التي تأكل الأراك . (٤) الماء النمر : الناجع في الري ، وقيل :
الماء النمر : الكثير . واللبن الفطير : الطرى القريب العهد من الحلب . (٥) هذا مثل ذكره
الميداني وقال : الريشة : اللبن الحامض يخلط بالخلو ، وتفتأ الغضب أي تكسره وتذهب . وأصله أن رجلا
نزل بقوم وكان ساخطا عليهم وكان مع سخطه جائعا فسقوه الريشة فمكن غضبه . (٦) الخلاصة : التمر
والسويق يلق في السمن . (٧) سيط : حرك . (٨) في الأصل : «فان» .
(٩) الفوذنج : نبت ، معرب عن يوذيه .

أخبار من أخبار العرب في ما كلهم ومشاربهم

المعلّى الربيعي قال : مكثت ثلاثاً لا أذوق طعاماً ولا أشرب فيهنّ شراباً ،
فدعوت الله تعالى ، وإذا دعا العبدُ الله بقلب صادق كانت معه من الله عينٌ بصيرةٌ ،
فدفعْتُ إلى ذئبين في جفّير^(١) ، فرميتُهما فقتلتُهما ، ثم أتيتُ جفراً فيه ماء فاستقيت ، ثم
أتيتُهما وإذا هما على مهديتيهما^(٢) ، وإذا لهما نخفة^(٣) — يعني شبه الزفير — فاشتويت^(٤)
وأخذت وأدهنت .

قال ابن قرفة (شيخ من سليم) : أضافني رجل من الأعراب بغاءني يقدر^(٥)
جماع ضخمة ليس فيها شيء من طعام إلا قطع لحم ، فإذا بضعة تئات في فمي ، وبضعة
كأنها يضع ساق ، وبضعة كأنها شحم زخم^(٦) ، فقلت : ما هذا؟ فقال : إني رجل صياد ،
جمعت بين ذئب وطي وضع .

قال مدني لأعرابي : ما تأكلون وما تدعون؟ قال : نأكل ما دب ودرج^(٧)
إلا أم حنين^(٨) ، فقال المدني : ليهني أم حنين العافية .

(١) الجفر : البر الواسعة التي تطلو ، وقيل : هي التي طوى بعضها ولم يطو بعض . (٢) على
مهديتيهما : على حالهما التي كانا عليها ، يقال : هو على مهديته ومهيدته ، بالخسر وعنده ، حكاه ثعلب
وقال : لا مكبر لهما . وقد ذكرها صاحب اللسان والقاموس في مادتي (حدي) و(حدأ) . (٣) أخذت :
أخذت فعلاً . (٤) قدر جماع وجماعة : ضخمة ، وقيل : هي التي تجمع الجزور . (٥) تئات :
تتد وتقطط . (٦) زخم : كربة حيث الرائحة . (٧) بجاء مهلة مضمومة وباء
موحدة مخففة : دريسة قيل : هي ضرب من الغشاء ، وقيل : هي أعرض من الغشاء ، ونيل :
هي أنثى الحرباء ، وقيل غير ذلك ، وهي منته اريج تخامها الأعراب فلا يأكلونها لقتها ، ويقال لها :
حينة معرقة بلا ألف ولام وإنما سميت بذلك لكبر بطئها ، من الحين الذي هو الشق في البطن . تقول :
فلان به حين فهو أحسن أي مستسق ، فسميت بذلك لشبهها بالمستسق . (٨) في الأصل : «لين»
قال شارح القاموس في مادة هنا : تقول العرب في الغطاء : ليهنك الغاريس يجوز اخنزة وليهنك الغاريس
بباء ساكنة ، ولا يجوز ليهنك كما تقول العامة ، أي لأن الباء بدل من اخنزة ، ثم قل : وقد ورد
في صحيح البخاري في حديث توبة كعب بن مالك : يقولون : ليهنك توبة الله عليك . راجع شرح
القاموس (مادة هنا) .

قعد على مائدة الفضل بن يحيى رجلٌ من بني هلال بن عامر، فذكروا الضَّبَّ
ومن يأكله، فأفرط الفضل في ذمّه وتابعه القوم، فغاض الهلالى ما سمع منهم،
ولم يكن على المائدة عربى غيره. ثم لم يلبث أن أتى الفضل بصحفة فيها فراخ
الزناير، فلم يسك الأعرابي أنها ذبان السيوت، فقال حين خرج :

وعِلج يعاف الضبَّ لوماً وبطنَةً * وبعض إدام العِلج هأم ذباب
ولو أنت ملكاً في الملا ناك أمه * لقالوا لقد أوتيت فصل خطاب

وقال أبو الهندي (رجل من العرب) :

أكلت الضباب فما عفتها * ولأنى لأشهى قديد الغنم^(٤)
ولحم الخروف حينئذٍ وقد * أثبت به فاتراً في السقم^(٥)
فأنا البهيط وجبانكم * فزلت منها كثير السقم^(٦)
وقد نلت منها كما نتم * فلم أرها كضب هريم

(١) قال الدميرى في حياة الحيوان (ج ٢ ص ١٢) في الكلام على الزنبر : « وفراخ الزناير

تؤخذ من أوكارها وتغلى في الزيت ويضج فيها سذاب وكراويا وتؤكل » وذكر خاصة لذلك .

(٢) كذا في كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ٢٨) ، وقد وردت فيه هذه الحكاية وهي لا تختلف

في المعنى عما ورد في الأصل . وفي الأصل : « وعلج يعاف الضب والتوم بطنه » . (٣) كذا

ورد في المساند (إحدى عرب وبهظ) منسوباً إليه بعض هذه الأبيات ، وقد عقد له المؤلف ترجمة

في كتابه الشعر والشعراء (ص ٤٢٩) وفي الأصل : « أبو هند » . (٤) القديد : اللحم

المنلوح المجفف في الشمس . (٥) حينئذ : مشوى . (٦) كذا في الدميرى (ج ٢ ص ٩٣)

والحيوان للجاحظ ، وقد فسر الدميرى بماء الأسنان وهو غير واضح ، والظاهر أنه بمعنى البرد كما هو معناه

التنوى . وفي الأصل : « السم » وهو تحريف . (٧) قال في النسان : « البهيط : كلبة سندية وهي

الأرز يطبخ باللبن والسمن خاصة بلاماء ، واستعمله العرب بالهاء فقالت : بيطه طيبة » .

ولا في اليوض كيض الدجاج * ويبيض الدجاج شفاء القرم^(١)
ومكن الضباب طعام العريب * ولا تشبه نفوس العجم^(٢)

وقال بعض الأعراب :

وأنت لو ذقت الكشي بالأجاد * لما تركت الضب يعدو بالواد^(٣)

ونزل رجل من العرب برجل من الأعراب فقدم إليه جراداً فقال :

لحى الله بيتاً صمّني بعد فجعة * إليه دجوجي من الليل مظلم^(٤)
فأبصرت شيخاً قاعداً بفنائه * هو العسر إلا أنه يتسكم^(٥)
أنا ببرقان الدبي في إنائه * ولم يك برقان الدبي لي مطعم^(٦)
فقلت له غيب إناءك واعتزل * فهل ذاق هذا، لا أبالك، مسلم^(٧)

وقال بعض العباسيين :

ليت شعري متى تحب بي النا * قة نحو العذيب فالصنين^(٨)
محقباً زكراً وخبر رقاق * وجيناً وقطعة من نوب^(٩)

- (١) كذا في حياة الحيوان لدميري وكتاب الحيوان بخلف - وفي الأصل : « ربيض الجراد » .
(٢) كذا في حياة الحيوان لدميري وكتاب الحيوان بخلف - والقرم (فتح القاف والراء) : شدة الشهوة إلى اللحم . وفي الأصل « الشقم » وهو تحريف . (٣) الممكن (فتح الميم وإسكان الكاف) وبالنون في آخره : بيض الضبة . (٤) العريب : تصغير تعرب ؛ قال في اللسان مادة عرب : صفرهم تعظيماً كما قال : أنة جذيلها المحكك وعذيقها المرجب . وفي الأصل « انعريب » بالعين المعجمة وهو تحريف . (٥) الكشي : جمع كشية (بضم كسوف وسكان الشين) وهي أصل ذنب الضب . (٦) البرقن : جمع برقة وهي الجراد المتنوعة . والدي : الجراد ، أي أنة بالخطون من الجراد .
(٧) في الأصل : « فنانة » . (٨) ذكر هذا الشعر بالخبر الثاني من كتاب الأغاني (طبع دار الكتب المصرية ص ٢٤٨) منسوب إلى حنين بن بيوع الخيري ، ولم يذكر أبو القريظ أنه أدرك الدولة العباسية . (٩) العذيب : ماء لبنى تميم ، وهو أول ماء يلقى الإنسان بالبادية إذا سار من قادية الكوفة يريد مكة . (١٠) الصنين : بلد كان يظهر الكوفة من منازل المنذر وبه نهر ومزارع .
ورواية الأغاني في هذا الشعر : « بين السديروالصنين » وفي المتن : « بين العذيب فالصنين » فناء العطف وهو ما اختارناه . وفي الأصل : « في الصنين » . وفي هذا الشعر البند وهو : كما فسره ابن سيده ، المخالفة بين الحركات التي تلي الأرداف في الروي . (١١) يقال : أحقب الزكرة واحتجبها إذا احتملها خلفه . (١٢) الزكرة بالزاي : زق يجعل فيه شراب أو خل . (١٣) الجين تصغير الجبن المشكول . والنون : الموت .

وقال بعض الأعراب :

أقول له يوماً وقد راح صُحْبِي * تُرَى أبتغي من صَيِّد وأَخَاتِلُهُ^(١)
 فلما التَقْتُ كَفَى على فَضْلِ ذِيهِ * وشالتِ شِمَالِي زَائِلَ الضَّبِّ باطِلُهُ^(٢)
 فأصبحَ محنُودًا نَضِيجًا وأصبحتُ * تَمَشِّي على القِيَرَانِ حَوْلًا حَلَالُهُ^(٣)
 شديدَ أَصْفَرَارِ الكُشَيْتَيْنِ كَأَنَّمَا * تَطَلَّى بَوْرِسَ بَطْنِهِ وشَوَا كَلُهُ^(٤)
 فذلك أَشْهَى عِنْدَنَا مِنْ نَتَاجِكُمْ^(٥) * لَحَى الله شَارِيَهُ وَقُبَّحَ آكِكُهُ^(٦)

وبنو أسيد يُعَيِّرُ بَا كُلَّ الكلابِ؛ قال الفرزدق :

إِذَا أُسَيْدِي جَاعَ يَوْمًا بِلَدَةٍ * وَكَانَ سَمِينًا كَلْبُهُ فَهُوَ آكِكُهُ

وَتُعَيِّرُ أَيضًا بَا كُلَّ لَحُومِ النَّاسِ، كما قال الشاعر :

إِذَا مَا ضِفَّتْ لَيْلًا قَقْعِسِيًّا * فَلَا تَأْكُلْ لَهُ أَبَدًا طَعَامًا
 فَإِنَّ اللَّحْمَ إِنْسَانٌ فَدَعُهُ * وَخَيْرُ الزَّادِ مَا مَنَعَ الْحَرَامَا

(١) في الأصل : «رُخَاطِرُهُ» وثاقفة في الشعر الجاهلي، وقد ورد هذا الشطر في كتاب الحيوان للجاحظ

(ج ٦ ص ٢٧ ضبع مصر) :

* وبه الله أبتغي صَيِّدَهُ وَأَخَاتِلُهُ *

(٢) كذا في كتاب الحيوان، وشالت : ارتفعت . وفي الأصل : «ثالت» . (٣) الشوا .

المحنود الذي قد أُلْقِيَ فوقه الحجارة المرصوفة بالثياب حتى ينشوى انشواءً شديدًا فيمري تحتها .

(٤) القيزان : جمع فوز (بالفتح) وهو الكتيب الصغير من الزمل تشبه به أرداف النساء . (٥) كذا

في كتاب الحيوان . والكشية : شحمة بطن الضب أو أصل ذنبه ، وفي الأساس أنها شحمة مستطيلة في جنبيه .

وفي الأصل : «الكشين» . (٦) الروس : صبغ أصفر يصبغ به . (٧) الشواكل :

جمع شاكلة وهي الخاصرة . (٨) كذا في كتاب الحيوان . وفي الأصل : «كلك» بالكاف .

(٩) في الأصل «نينا حكم» (بالنون والياء والحاء المهملة) وهو تحريف ، والتصويب عن كتاب الحيوان للجاحظ .

(١٠) نسب هذا الشعر في كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٦٢ طبع أوروبا) إلى معروف الديلمي .

قال رجل : كنت بالبادية فرأيت نارا، فسألتُ عنهم فقالوا : صادوا
حيات فهم يَشْتَوْنَهَا وَيَأْكُلُونَهَا ، فَأَتَيْتُهُمْ فرأيت رجلا منهم قد أخرج حية من الجحر
لِأَكْلِهَا فامتنعت عليه ، فجعل يمدّها كما يمدّ عَصِيبٌ لَمْ يَنْضَجْ ، فلما صرفتُ بصرى عنه
حَتَّى لَبِجَ^(١) بِهِ ثَمَات ، فسألت عن شأنه فقيل لى : لَجَلَّ عَلَيْهَا قَبْلَ أَنْ تَنْضَجَ وتعمل
فِي سَمِّهَا النَّارُ .

قال رجل من الأعراب لولده : اشترُوا لِي لَحْمًا ، فَأَشْتَرَوْهُ فطبخه حتى
تَهَرَّى ، وَأَكَلَ مِنْهُ حَتَّى انْتَهَتْ نَفْسُهُ ، وَشَرَعَتْ إِلَيْهِ عَيُونُ وَلَدِهِ فَقَالَ : مَا أَنَا
بِمُطْعِمِهِ أَحَدًا مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ أَحْسَنَ وَصَفَ أَكْلِهِ ؛ فقال الأكبر منهم : أَكَلُهُ يَا أَبَتِ
حَتَّى لَا أَدْعَ لِلذِّةِ فِيهِ بَقِيلًا ؛ قَالَ : لَسْتُ بِصَاحِبِهِ . فقال الآخر : أَكَلَهُ حَتَّى
لَا يُدْرَى أَلِغَايِهِ هُوَ أَمْ لِغَايِمٍ أَوَّلُ ؛ قَالَ : لَسْتُ بِصَاحِبِهِ . فقال الأصغر : أَدَقُّهُ
يَا أَبَتِ دَقًّا وَأَجْعَلَ إِدَامَهُ الْمَخْبُ ؛ قَالَ : أَنْتَ صَاحِبُهُ ، هَؤُلَاءِ .

بَيْنَا أَعْرَابِيٌّ يَسِيرُ وَهُوَ يُوضِعُ بَعِيرَهُ إِذْ سَقَطَ بَعِيرُهُ فَفَحَرَهُ وَأَكَلَهُ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :
إِنَّ السَّعِيدَ مِنْ يَمُوتُ جَمْلُهُ * يَشْبَعُ لَحْمًا وَيَقِلُّ عَمَلُهُ

ومرَّ رجلٌ من سُلُولِ بَغْتِيَانٍ يَشْرَبُونَ فَشَرِبَ مَعَهُمْ ؛ فَلَمَّا أَخَذَ مِنْهُ الشَّرَابَ قَامَ
إِلَى بَعِيرِهِ فَفَحَرَهُ ، وَقَالَ :

عَلَّانِي إِنَّمَا الدُّنْيَا عِلَّالٌ * وَدَعَانِي مِنْ مَلَامٍ وَعَذَلٌ
وَأَنْشَأَ مَا أَغْبَرَ مِنْ قُدْرِيكَمَا * وَأَسْقِيَانِي أَبَدَ اللَّهِ الْجَمَلُ

(١) يقال : لبيج بالرجل ولبيح به إذا صرع . (٢) يوضع بعيره : يعلقه ويحمّله على

العدو الخبيث . (٣) نزل النجم (من بابي ضرب ونصر) وأنشله : أخرجه من القدر بيده من

غير المعرفة .

آداب الأكل والطعام

عن أبي هريرة قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : "الْأَكْلُ فِي السُّوقِ دَنَاءٌ"^(١) . وعن عبد الرحمن بن عريك قال : بلغني أنه من غسل يده قبل الطعام كان في سعة من الرزق حتى يموت .

عن الحسن أنه قال : الوُضوءُ قبل الطعام يَنْفِي الْفَقْرَ وبعده يَنْفِي الْكَلَمَ^(٢) .

وعنه قال : قيل لسُمرّة بن جندب : إن أباك أكل طعاماً كاد يقتله ؛ قال : لو مات ما صليتُ عليه .

وعن شرحبيل بن مسلم قال : قال أبو الدرداء : يئس العونُ على الدينِ قلبٌ نَجِيبٌ ، وبطنٌ رَغِيبٌ ، وَنَعْظٌ شَدِيدٌ^(٣) .

أكل الجارود مع عمر طعاماً ، ثم قال : يا جارية هاتِ الدستورَ ؛ فقال عمر : امسحِ بِاسْتِكَ أَوْ ذَرِ^(٤) .

قال جعفر : كنا نأتي فرقة السَّبِيحِيِّ ونحن شَبِيهَةٌ فَيَعْلَمُنَا : إن من ورائكم زماناً شديداً ، فَشُدُّوا الْأَزْرَ عَلَى أَنْصَافِ الْبَطُونِ ، وَصَغَّرُوا اللَّقْمَ ، وَشَدَّدُوا الْمَضْغَ ،

(١) الكَلَمَ : ما دون الكبائر من الذنوب ، وفي التذييل العزيز : (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم) يعني الذنوب الصغائر . (٢) نجيب : جبان كأنه متزعج الفؤاد .

(٣) بطن رغب : واسع الجوف ، وهو كناية عن كثرة الأكل وشدة النهم . (٤) هو بشر ابن عمرو بن حنش بن المولى من بني عبد القيس العبدي الصحابي ، والجارود لقبه ومعناه المشثوم ، لأنه فربابه الجرد (أتى أصحابها الجرد) إلى أخواله من بني شيبان ، فقتلوا ذلك الداء في إبلهم فأهلكها . وقد على النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه أحاديث . وقتل في خلافة عمر بأرض فارس سنة إحدى وعشرين .

(٥) الدستور : ثوب أحمر يضرب إلى صفرة حسنة . وهو مركب من "دست" بمعنى ثوب ، و"ورد" بمعنى أحمر ضارب إلى الصفرة ، كما في القاموس وشرحه (مادتي دست وورد) ، ولعله يقصد هنا المنشفة .

(٦) شبة : جمع شاب .

وَمُصُّوا الْمَاءَ مَصًّا . وَإِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَمْلَأْ إِزَارَهُ فَتَنْسَعِ أَمْعَاؤُهُ . وَإِذَا جَلَسَ أَحَدُكُمْ لِيَأْكُلَ فَلْيَقْعُدْ عَلَى أَلْتَيْهِ، وَلْيَلْزُقْ بَطْنَهُ بِفَخْذَيْهِ ، وَإِذَا فَرَّغَ فَلَا يَقْعُدْ وَلْيَجِئْ وَلْيَذْهَبْ ، وَاحْتَمُوا فَإِنَّ مِنْ رَائِكُمْ زَمَانًا شَدِيدًا .

وعن عبد الله بن أبي أوفى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” سَأَقِي الْقَوْمَ آخِرَهُمْ شُرْبًا “ .

وعن الحارود بن أبي سبرة قال : قال لي بلال بن أبي بردة : اتَّحَضَرُ طَعَامَ هَذَا الشَّيْخِ — يَعْنِي عَبْدَ الْأَعْلَى بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ — ، فَقُلْتُ : إِيَّاهُ وَآلَهُ ، فَقَالَ : حَدَّثَنِي عَنْهُ . فَقُلْتُ : نَأْتِيهِ وَكَانَ سَكِينًا ، إِنْ حَدَّثَنَا أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ، وَإِنْ حَدَّثَنَا أَحْسَنَ الْإِسْتِمَاعِ ، فَإِذَا حَضَرَ الْغَدَاءُ جَاءَ خَبَازُهُ فَثَلَّ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَيَقُولُ : مَا عِنْدَكَ ؟ فَيَقُولُ : بَطَّةٌ بَكْنَا ، وَدَجَاجَةٌ بَكْنَا وَكَذَا . قَالَ : وَمَا يُرِيدُ بِذَلِكَ ؟ قُلْتُ : كَيْ يَحْبِسُ كُلُّ إِنْسَانٍ نَفْسَهُ إِلَى مَا يَشْتَبِي ، فَإِذَا وُضِعَ الْخَوَانُ خَوَى تَخْوِيَةَ الظِّلْمِ فَمَالَهُ إِلَّا مَوْضِعُ مُسْكَنِهِ فَيَجِدُ وَيَهْزِلُ ، حَتَّى إِذَا رَأَاهُمْ قَدِ اقْتَرَوْا وَكَلُّوا أَكَلَ مَعَهُمْ أَكْلَ الْجَائِعِ الْمَقْرُورِ حَتَّى يَنْشَطُّهُمْ بِأَكْلِهِ .

وكان يقال : إِذَا اجْتَمَعَ لِلطَّعَامِ أَرْبَعُ شَيْئَاتٍ : أَنْ يَكُونَ حَلَالًا ، وَأَنْ تَكْتَرَّ عَلَيْهِ الْأَيْدِي ، وَأَنْ يُفْتَحَ بِاسْمِ اللَّهِ ، وَيُحْتَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ .

- (١) فِي الْأَصْلِ : «تَشْبَعُ» ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٢) احْتَمُوا : امْتَنَعُوا عَنِ الطَّعَامِ ، وَفِي الْأَصْلِ : «احْتَفُوا» . (٣) إِيَّاهُ (بِالضَّمِّ) : مَعْنَاهُ الْكَفُّ ، وَقَدْ يَرَدُّ لِلتَّصَدِيقِ وَالرِّضَا كَمَا هُنَا ، وَمِنْ حَدِيثِ ابْنِ الزُّبَيْرِ لَمَّا قِيلَ لَهُ : يَا بْنَ ذَاتِ النُّطَاقَيْنِ ، فَقَالَ : إِيَّاهُ وَالْإِلَهَ ، أَيْ صَدَقْتَ وَرَضَيْتَ بِذَلِكَ . (٤) سَكِينًا : كَثِيرُ السَّكُوتِ قَلِيلُ الْكَلَامِ . (٥) فِي الْأَصْلِ «يَخْتَبِي» وَالتَّصْوِيبُ عَنِ الْعَقْدِ الْقَرِيدِ (ج ١ ص ٢٨٦) . (٦) خَوَى الرَّجُلُ : فَرَجَ مَا بَيْنَ عَضْدَيْهِ وَجَنْبَيْهِ . (٧) كَذَا فِي كِتَابِ التَّاجِ لِلْجَاهِظِ (ص ٢٠ ضَعَّ بُولَاقٌ وَكِتَابُ الْبَحْلَاءِ لَهُ أَيْضًا (ص ١٩٤ ضَعَّ أَوْرَبَا) . وَالظِّلْمُ : ذِكْرُ النَّعَامِ ، وَفِي الْأَصْلِ : «تَخْوِيَةُ الصَّيْنِ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٨) الْمَقْرُورُ : الَّذِي أَصَابَهُ الْقَرَرُ وَهُوَ الْبَرْدُ .

وكان يُقال : سَمُوا إِذَا أَكَلْتُمْ وَدَنُوا وَصَمْتُوا ^(١) .

قال أَبُو رِيْزٍ لِّصَاحِبِي طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ : إِنِّي سَلَّطْتُكَ عَلَى الْمَعِيشَةِ ، وَأَشْرَكْتُكَ فِي الْحَيَاةِ ، وَجَعَلْتُكَ أَمِينًا عَلَى نَفْسِي ، وَلَوَّيْتُكَ مِنْ طَعَامِي وَشَرَابِي مَا التَّوَسَّعْتُ فِيهِ مُرُوءَةً وَالتَّضَيِّقُ فِيهِ دَنَاءَةٌ ، فَأَجْعَلُهُ فِي فَضْلِهِ عَلَى مَا سِوَاهُ كَفَضْلِي عَلَى مَنْ سِوَايَ ، وَفِي كَثْرَتِهِ ككَثْرَةِ مَنْ مَعِيَ عَلَى مَنْ مَعَ غَيْرِي . وَلَا يَشْهَدَنَّ طَعَامِي الَّذِي آكُلُ عَيْنٌ تَرَاهُ وَلَا نَفْسٌ تُحِسُّهُ وَلَا يَدٌ تَلَاوِلُهُ خِلَا نَفْسًا وَاحِدَةً ، وَإِنَّمَا أَفْرَدْتُهُ بِذَلِكَ لِتَسْتَحْكِمَ الْحُجَّةَ فِيهِ عَلَى مَنْ أَضَاعَ ، وَتَنْقَطَعَ الشُّبْهَةُ فِيهِ عَنْ غَفَلٍ ، وَلَا أَجْعَلَ صَاحِبَ ذَلِكَ رَهْنًا بِدَمِ نَفْسِهِ إِنْ هُوَ قَصَرَ فِي صُنْعِهِ أَوْ وَقَعَ بِفَائِلَةٍ .

الأصمعيّ قال حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ صَالِحٍ : أَنَّهُ كَانَ لَهُ جَاءٌ مِنْ حَبِّ رُمَانٍ مَدْقُوقٍ يَسْفُ مِنْهُ بَيْنَ كُلِّ لَوْنَيْنِ مِلْعَقَةً حَتَّى يَعْرِفَ اخْتِلَافَ الْأَلْوَانِ . ١٠

وَفِيهَا أَجَازَ لَنَا عَمْرُو بْنُ بَحْرٍ مِنْ كُتُبِهِ قَالَ : كَانَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الثَّوْرِيُّ يَقْعُدُ أَبَنَهُ مَعَهُ عَلَى خِوَانِهِ يَوْمَ الرَّأْسِ ^(٢) ، ثُمَّ يَقُولُ : إِيَّاكَ وَنَهْمُ الْعَصِيَّانِ وَأَخْلَاقُ النِّوَائِحِ ، وَ[دَعِ عَنْكَ] خَبْطُ الْمَلَّاحِينَ وَالْفَعْلَةِ ^(٣) ، وَنَهَشُ الْأَعْرَابِ وَالْمَهْمَةِ ، وَكُلُّ مَنْ بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَإِنَّ حَفْظَكَ الَّذِي وَقَعَ وَصَارَ إِلَيْكَ . وَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا كَانَ فِي الطَّعَامِ شَيْءٌ طَرِيفٌ أَوْ لُقْمَةٌ كَرِيمَةٌ أَوْ بَضْعَةٌ شَبِيهَةٌ ^(٤) ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ لِلشَّيْخِ الْمُعْظَمِ وَالصَّبِيِّ الْمُدَلَّلِ ، وَلَسْتَ ١٥

(١) دنوا : كلوا مما بين أيديكم وما يليكم وما دنا وقرب منكم . وصمتوا : أمر من التسميت وهو الدعاء بالخير والبركة ، (افتر السان ما دق سميت ودنا) . (٢) كذا في الأصل وتكتاب البخلاء الجاحظ (ص ١١٥) ؛ وفي العقد الفريد « أبو عثمان الثوري » . (٣) ورد في كتاب البخلاء : أن أبا عبد الرحمن هذا كان يعجب بالرهوس ويحدها ويصفها وكان يسمى الرأس عرسا . فلعن المقصود من قوله « يوم الرأس » ذلك اليوم الذي يجتمع له فيه هذا النوع من الطعام . (٤) كذا في العقد الفريد ، وفي الأصل « رنهم السلطان » . (٥) انظر زيادة عن كتاب البخلاء (ص ١١٧) (٦) البضعة (يفتح الباء وتكسر) : القطعة من اللحم . ٢٠

واحدا منهما. وأنت قد تأتي الدعوات، وتُجيب الولايم، وتدخلُ منازل الإخوان،
وعهدك باللحم قريب، وإخوانك أشدَّ قرماً^(١) إليه منك، وإنما هو رأس واحد، فلا
عليك أن تتجافى عن بعض وتُصيب بعضاً. وأنا بعدُ أكره لك الموالاة بين اللحم،
فإن الله يُغضُّ أهل البيت الحمين^(٢).

• وكان يقال : مُدِينُ اللحم كمدِينِ الخمر.

ورأى رجل رجلاً يأكل لحماً، فقال : لحمٌ يأكل لحماً، أف هذا عملاً ! .

وكان عمر يقول : إياكم وهذه المجازرة، فإن لها ضراً^(٤) كضراً^(٤) الخمر.

يا بُنَيَّ عودُ نفسك الأثرة^(٥) ومجاهدة الهوى والشهوة، ولا تنهش نهش السباع،

ولا تخضم خضم البراذين، ولا تُدمن الأكل إدمان النعاج، ولا تلقم لقم الجمال؛

فإن الله تعالى جعلك إنساناً وفضلك، فلا تجعل نفسك بهيمة ولا سبعا. وأحذر
سرعة الكظة وسرف البطنة^(٦).

قال بعض الحكماء : إذا كنت بطيئاً فعد نفسك من الزمنى. وقال الأعشى :

... .. والبطنة مما تسفه الأعلاما^(٧)

وأعلم أن الشبع داعية البشم، وأن الهشم داعية السقم، وأن السقم داعية الموت،

فمن مات بهذه الميتة فقد مات ميتةً ليئمةً، وهو مع هذا قاتل نفسه، وقاتل نفسه
الأم من قاتل غيره.

(١) قرم الرجل إلى اللحم قرماً : اشتدت شهوته إليه . (٢) كذا في كتاب البخله لملاحظ

(ص ١١٧) طبع أوربا . وفي الأصل « بعد » وهو تحريف . (٣) الحمين : جمع لحم ككف

وهو الأكل تخم القرم إليه . (٤) الضراوة بالثي : التولع به . (٥) الأثرة (بالضم) :

المكرمة لأنها تؤثر أى تذكر ويأثرها قرن عن قرن . (٦) الكظة : الامتلاء من الطعام .

(٧) هذا بعض بيت أورده اللسان في مادة « بطن » والبيت :

يا بني المنذر بن عبدان والبطنة مما تسفه الأعلاما

وفي الأصل « والبطنة يوماً تسفه الأعلاما » .

يَا بَنِيَّ، وَاللَّهِ مَا أَدَّى حَقَّ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ ذَوِ كِبَرَةٍ، وَلَا خَشَعِ لِهَيْبَةِ اللَّهِ ذَوِ بَطْنَةٍ،
وَالصُّوْمُ مِصْبَعَةٌ، وَالْوَجَبَاتُ عَيْشُ الصَّالِحِينَ ^(١).

أَيُّ بَنِيٍّ، لِأَمْرِ مَا طَالَتْ أَعْمَارُ الْهِنْدِ، وَصَحَّتْ أَبْدَانُ الْأَعْرَابِ. فَلِلَّهِ دَرُّ الْحَارِثِ
ابْنِ كَلْدَةَ حَيْثُ يَزْعُمُ أَنَّ الدَّوَاءَ هُوَ الْأَزْمُ ^(٢)، وَأَنَّ الدَّاءَ إِدْخَالُ الطَّعَامِ إِثْرَ الطَّعَامِ.

أَيُّ بَنِيٍّ، لَمْ يَصَفَّ أَذْهَانُ الْأَعْرَابِ، وَصَحَّتْ أَبْدَانُ الرُّهْبَانِ، مَعَ طَوْلِ
الْإِقَامَةِ فِي الصُّوَامِعِ حَتَّى لَمْ تَعْرِفِ النَّقْرِسُ وَلَا وَجَعَ الْمَفَاصِلُ وَلَا الْأَوْرَامُ، إِلَّا لَقَلَّةِ
الرِّزْقِ وَخَفَةِ الزَّادِ ^(٣). وَكَيْفَ لَا تَرْغَبُ فِي تَدْبِيرٍ يَجْمَعُ لَكَ صِحَّةَ الْبَدَنِ، وَذِكَاةَ الذَّهْنِ،
وَصِلَاحَ الْمَعْنَى ^(٤)، وَكَثْرَةَ الْمَالِ، وَالْقُرْبَ مِنْ عَيْشِ الْمَلَائِكَةِ ^(٥) !

أَيُّ بَنِيٍّ، لَمْ يَصَارِ الضَّبُّ أَطْوَلَ شَيْءٍ دَمَاءً ^(٦) إِلَّا لِأَنَّهُ يَتَلَبَّصُ بِالنَّسِيمِ ^(٧)؛ وَلَمْ يَقُلِ
الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الصُّوْمَ وَجَاءَ إِلَّا لِيَجْعَلَهُ حِجَازًا دُونَ الشَّهَوَاتِ. إِنْهُمْ
تَأْدِيبُ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَقْصِدْ بِهِ إِلَّا إِلَى مِثْلِكَ.

أَيُّ بَنِيٍّ، قَدْ بَلَغَتْ تَسْعِينَ عَامًا مَا نَقَضَ لِي سَنٌ، وَلَا أَنْتَشِرَ لِي عَصَبٌ ^(٨)،
وَلَا عَرَفْتُ ذَنْبِينَ أَنْفَ ^(٩)، وَلَا سَيْلَانَ عَيْنٍ، وَلَا سَلَسَ بُولٍ؛ مَا لِلْمَلِكِ عِلَّةٌ إِلَّا التَّخْفِيفُ

(١) الوجبات: جمع وجبة وهي الأكلة في اليوم والليلة. (٢) الأزم: ألا تدخل طعاما على

طعام. (٣) النقرس كزبرج: داء يأخذ في الرجل. (٤) الرزق: ما يصيبه الإنسان من الطعام.

(٥) المعنى (بالد والقصر والقصر أشهر): المصارين. وفي الأصل «المعاد» وهو تحريف.

(٦) الدماء: بنية النفس والحركة، والمراد: أطول شيء حياة. وفي العقد الفريد «أصول عمرا».

(٧) كذا بالعقد الفريد. وفي الأصل: «زعم». (٨) نص الحديث كما في الجامع

الصفير: «عليكم بالباة فن لم يستطع عليه بالصوم فإنه له رجاء» والرجاء، كما في النهاية لابن الأثير:

أن ترض أنثيا الفعل رضا شديدا يذهب شهوة الجماع وينزل في قطعه منزلة الخصى. (٩) حجازا:

مانعا وحائلا. وفي العقد الفريد: «حجابا». (١٠) نقض قلق وتحرك. وانتشر العصب:

انتفخ. (١١) كذا في العقد الفريد، والذين والذنان: المخاط الرقيق يسيل من الأنف،

وفي الأصل: «دنين أذن».

١٥

٢٠

من الزاد . فإن كنت تحب الحياة فهذه سبيل الحياة ، وإن كنت تريد الموت فلا يُبعد الله إلا مَنْ ظلم نفسه .

وقال أبو نَهْشَل^(١) : كانت لي أبنسة تجلس معي على المائدة فُيرِز كُفًا كأنها طُلعة ، في ذراع كأنه جُمارة ، فلا تقع عينها على أكلة نقيصة إلا خَصَّتني بها ، فزَوَّجتها وصرت أُجِلِس معي على المائدة أبنى لي فُيرِز كُفًا كأنها كِرْنافة^(٢) ، في ذراع كأنه كَرَبَة ، فوالله ما إن تسبق عيني إلى لُقمة طيبة إلا سبقت يده اليها .

وقال بعضهم : غَلَبَتْ بَطْنِي فِطْنِي .

قال عمرو بن العاص لمعاوية يوم تحكّم الحَكَم : أَكثَرُوا الطَّعام ، فوالله ما بَطْن^(٣) قوم قط إلا فقدوا بعض عقولهم ، وما مضت عَزْمَة رجل بات بطينا .

وكان يقال : أَقِلِلْ طعاماً تَحْمَدُ مناماً .

الأصمعيّ قال : كان يقال : ليس لشبعة خير من جوعة تحفرها .

دعا عبد الملك بن مروان إلى الغداء رجلاً فقال : ما فيّ فضل ؛ فقال عبد الملك : ما أقبح بالرجل أن يأكل حتى لا يبقى فيه فضل ! فقال : يا أمير المؤمنين ، عندي مستراد ، ولكن أكره أن أصير إلى الحال التي أستفحجها أمير المؤمنين .

وقال لشيخ : ما أحسن أكلك ؟ قال : عملي منذ ستين سنة .

وقال الحسن : إن ابن آدم أسير الجوع ، صريح الشبع .

وسأل عبد الملك أبا الزعيرة فقال : هل آتَمَحْتَ قط ؟ قال لا ؛ قال : وكيف

ذاك ؟ قال : لأننا إذا طَبَخْنَا أنضجنا ، وإذا مَضَغْنَا دَقَقْنَا ، ولا نَكْطُ المعدة ولا نُخْلِجُها .

(١) نسب هذه الحكاية ابن خلكان (ج ١ ص ٤٥٦) لأبي الحسن . (٢) الكِرْنافة : واحدة

الكرناف (بالكسر وضم) وهو أصول الكرب التي تبق في جذع النخلة بعد قطع السعف . (٣) البطن :

الكثرة وهي امتلاء البطن من الطعام . ومن أمثالهم : «البطة تذهب النقط» . (٤) كذا في الأصل .

وفي العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٧) «أبا المنور» وقد ورد هذا الاسم في الطبري (ص ٧٩١ ، ٨٢٧

من القسم الثاني طبع أوروبا) هكذا : «أبا الزعيرة» وفي ابن الأثير (ج ٤ ص ٢٤٩ طبع أوروبا :

«أبا الزعيرة» . (٥) كذا في العقد الفريد ، ولا نكط المعدة : لا نملؤها . وفي الأصل : «لا نكب» .

• وقال الأحنف : جنبوا مجلسنا ذكر النساء والطعام، فإن أبغض الرجل أن يكون وصافا لبطنه وفرجه، وإن من المروءة أن يترك الرجل الطعام وهو يشتهي .

الأصمعي قال : بلغني أن أفرواما لبسوا المطارف العناق، والعائم الرقاق، وأوسعوا دورهم، وضيقوا قبورهم، وأستموا دوابهم، وهرلوا دينهم، طعام أحدهم غصب، وخادمه سُخْرة، يتكى على شمالك، ويأكل من غير ماله؛ حتى إذا أدركته الكظة قال : يا جارية هاتي حاطوما، ويلك ! وهل تحطم إلا دينك ! أين مساكنك ! أين يتامك ! أين ما أمرك الله به ! أين أين ! •

قال بعض الحكماء : مدار صلاح الأمور في أربع : الطعام لا يؤكل إلا على شهوة، والمرأة لا تنظر إلا إلى زوجها، والملك لا يصلحه إلا الطاعة، والرعية لا يصلحها إلا العدل.

• وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ أَكَلَ مِنْ سَقَطِ الْمَائِدَةِ عَاشَ فِي سَعَةٍ وَعُوفِيَ فِي وَلَدِهِ وَوَلَدَ وَلَدَهُ مِنَ الْحَقِّ" .

وقيل لأعرابي : أتحسِنُ أن تأكل الرأس؟ قال : نعم، أنخص عينيه، وأصحي خديه، وأفك لحيه، وأربي بالدماع إلى مَنْ هو أحوج مني إليه . وكانوا يكرهون أكل الدماغ؛ ولذلك يقول قائلهم : أنا من قبيلة ثقي المنخ في الجماجم .

دعبل قال : يا بُحَيَّ، لا تأكل ألية الشاة لأنها طبقت الأمت وقريب من الجواهر . قال بعض الشعراء :

إذا لم أرى إلا لا كل أكلة * فلا رفعت يميني يدي طعامي

فما أكلة إن نلتها بغيره * ولا جوعة إن جعتها بغيره

(١) الحاطوم : الحاضوم، وهو كل دراء يعض الطعام . (٢) بخص عيه : أغارها . (٣) يقال : سحبه أسنما إذا قشرته . (٤) ومنه قول الشاعر :

ولا يسرق الكلب السروق نعالا : ولا تفتق المنخ الذي بالجماجم

وفسر صاحب اللسان فقال : إنه يمدح قوما بأنهم لا يلبسون من النعال إلا المديونة والكلب لا يأكلها وإنهم لا يستخرجون ما في الجماجم لأن العرب تعبر كل الدماغ كأنه عندهم شره وهم . (٥) الجواهر : جمع جاهرة وهي الدبر .

- عبد الملك بن عمير عن عمه عن الأصمعي قال : لا تخرج يا بُني من منزلك حتى تأخذ حِلْمَكَ ^(١) . يعني حتى تُتَغَدَّى . وقال هلال بن جشم ^(٢) :
- وَإِنَّ قِرَابَ الْبَطْنِ يَكْفِيكَ مَلُوءَهُ * وَيَكْفِيكَ سَوَاعَاتُ الْأُمُورِ اجْتِنَابُهَا
- وَقُرَأَتْ فِي الْآيِينَ ^(٣) : أَنْ رَجُلًا مِنْ خَدَمِ دَارِ الْمَلِكَةِ أَوْصَى ابْنَهُ فَقَالَ :
- إِذَا أَكَلْتَ فَضَمَّ شَفَتَيْكَ . وَلَا تَلْقَنْ يَمِينًا وَشِمَالًا . وَلَا تَتَخَذَنَّ خِلَالَكَ قَصَبًا .
- وَلَا تَلْقَمَنَّ بِسَكِينٍ أَبَدًا . وَإِذَا كَانَ فِي يَدِكَ سَكِينٌ وَأَرَدْتَ الْقِتَامَا فَضَعْهُمَا عَلَى مَائِدَتِكَ ثُمَّ آتِمْ . وَلَا تَجْلِسْ فَوْقَ مَنْ هُوَ أَسَنُّ مِنْكَ وَأَرْفَعُ مِنْزَلَهُ . وَلَا تَتَحَلَّلْ بِعُودِ آس . وَلَا تَمْسَحْ بِثِيَابِ بَدَنِكَ . وَلَا تُرِيقْ مَاءً وَأَنْتَ قَائِمٌ . وَلَا تَحْفِرْ أَرْضًا بِأَظْفَارِكَ . وَلَا تَجْلِسْ عَلَى حَائِطٍ أَوْ بَابٍ أَوْ تَكْتُبَ عَلَيْهِمَا قُلُوبًا ، وَلَا تَسْتَرِحْ عَلَى أَسْكِنَةٍ ^(٤) فَجَهْلٍ ، وَلَا تَسْتَنْجِ بِمَدْرَ فَيُورَثَكَ الْبُؤَاسِيرُ ، وَلَا تَمْتَحِطْ حَيْثُ يُسْمَعُ امْتِخَاطُكَ ، وَلَا تَبْصُقْ فِي الْأَمَاكِنِ الْمُنْظَفَةِ .
- وَأَجْلِسْ مُعَاوِيَةً عَلَى مَائِدَتِهِ رَجُلًا يُؤَاكِلُهُ ، فَابْصُرْ فِي لَقْمَتِهِ شَعْرَةً ، فَقَالَ : خُذِ الشَّعْرَةَ مِنْ لَقْمَتِكَ ؛ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : وَإِنْكَ لَتَرَاعِنِي مُرَاعَاةً مَنْ يُبْصِرُ الشَّعْرَةَ فِي لُقْمَتِي ! وَاللَّهِ لَا أَكَلْتُ مَعَكَ أَبَدًا ! ثُمَّ خَرَجَ الْأَعْرَابِيُّ وَهُوَ يَقُولُ :
- وَلَمْ تَوُتْ خَيْرٌ مِنْ زِيَارَةِ بَاخِلٍ * يُلَاحِظُ أَطْرَافَ الْأَكِيلِ عَلَى عَمْدٍ
- وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ إِذَا فَرَّغَ مِنْ طَعَامِهِ قَالَ : اللَّهُمَّ أَشْبِعْ وَأَرْوِثْ فَهَيْثُنَا ، وَأَكْثَرُ وَأَطْبَعُ فَرِيدُنَا .

(١) الحِلْمُ : العقل ، وفُسر أخذ الحِلْمَ بِالْفُضَاءِ ، لِأَنَّ الشَّيْءَ قَرَامُ الْعَقْلِ . وَفِي الْأَمْسِنِ : « جَلَّكَ بِالْجَمِّ » .

(٢) تَقَدَّمَ هَذَا الْبَيْتُ فِي بَابِ الْقِنَاعَةِ وَالِاسْتِغْفَافِ (ص ١٨٤ مِنْ هَذَا الْمَجْلَدِ) ضَمِنَ آيَاتٍ مَفْسُوبَةً لِبِشَارِ بْنِ بَشَرٍ . وَفِي كِتَابِ الْبُخْلَاءِ لِلْمُجَاحِظِ (ص ٢٦٦) وَكِتَابِ الْخِيَوَانِ لَهُ أَيْضًا (ج ١ ص ١٩٣) نُسِبَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ نَفْسَهَا إِلَى هَلَالِ بْنِ جَشْمٍ . (٣) فِي تَعْلِيقَاتِ كِتَابِ النَّجَاحِ لِلْمُجَاحِظِ (ص ١٩ طبع بولاق) :

الْآيِينَ : كَلِمَةٌ فَارْسِيَّةٌ عَرَبِيًّا الْعَرَبُ وَاسْتَعْمَلُوهَا ، وَمَعْنَاهَا الْقَانُونُ وَالْعَادَةُ . (٤) الْأَسْكِنَةُ : عَنَةِ الْبَابِ . (٥) الْمَدْرُ : التُّرَابُ الْمَطْبُوعُ . (٦) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَكِتَابُ الْبُخْلَاءِ لِلْمُجَاحِظِ (ص ٧٤) . وَفِي الْعَقْدِ الْقُرَيْدِ (ج ٣ ص ٢٢٥) : « حَشَمَ بَنُ عَبْدِ الْمَلِكِ » .

الجوع والصوم

قيل لبعض الحكماء : أى الطعام أطيب ؟ قال : الجوع أعلم .

وكان يقال : نعم الإدام الجوع ، ما ألفت إليه قلبه .

قال لقمان لابنه : يا بني ، كل أطيب الطعام ، ونم على أوطأ الفراش . يقول :

أكثر الصيام ، وأطول بالليل القيام .

اشتاق أعرابي بالبصرة إلى البادية فقال :

أقول بالمصير لما ساءني شبي * ألا سبيل إلى أرض بها جوع
ألا سبيل إلى أرض بها عرس * جوع يصدع منه الرأس برقع^(٢)

وقال آخر :

وعادة الجوع فاعلم عصمة^(٣) وغنى * وقد يزيدك جوعاً عادة الشبع

١٠

العتي قال : قلت لرجل من أهل البادية : يا أحمى ، إني لأعجب من [أن] فقهاءكم
أظرف من فقهاءنا ، وعوامكم أظرف من عوامنا ، ومجانينكم أظرف من مجانينا ،
قال : وما تدري لم ذلك ؟ قلت لا ، قال : [من] الجوع ، ألا ترى أن العود إنما
صفا صوته نخلو جوفه !

١٥ وقيل لبعض حكماء الرود^(٤) : أى وقت الطعام فيه أطيب وأفضل ؟ قال : أما

لمن قدر فإذا جاع ، وأما لمن لم يقدر فإذا وجد .

(١) كذا بالأصل ، ولعله « غرث » (بالتين المعجمة والكاء المثناة) بمعنى الجوع ليناسب المقام .

(٢) جوع برقع (بضم الباء وفتحها) : شديد ، ومثل البرقع البرقع والبرقع (فتح الباء الموحدة
وضمها في الأزل وفتح الباء المثناة في الثاني) والختر والختر . (٣) في الأصل : « وها » .

(٤) رويت هذه الحكاية في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٦) والزيادات المذكورة هنا .

(٥) في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٧) « بزر جهر » وهو من حكماء الفرس .

وَنَظَرَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى قَوْمٍ يَلْتَمِسُونَ هَلَالَ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَأَنْتُمْ أَثَرْتُمُوهُ لَتُسَكَّرَ مِنْهُ بِذُنَابِي عَيْشٌ أَغْبَرُ^(١).

وَقِيلَ لآخر: أَلَا تَصُومُ الْبَيْضَ مِنْ شَعْبَانَ! فَقَالَ: بَيْنَ يَدَيْهَا ثَلَاثُونَ كَأَنَّهَا الْقَبَاطِيُّ^(٢).

وَقِيلَ لمدني: بِمَ تَتَسَحَّرُ اللَّيْلَةَ؟ فَقَالَ: بِالْيَاسِ مِنْ فَطُورِ الْقَابِلَةِ.

الرَّيَاشِيُّ قَالَ: قِيلَ لَأَعْرَابِيٍّ: اشْرَبْ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْرَبُ عَلَى ثِيَلَةٍ^(٣). وَقَالَ:

إِذَا لَمْ يَكُنْ قَبْلَ النَّبِيدِ تَرِيدَةً * مُبَقَّلَةً صَفْرَاءُ تُشَمُّ جَمِيعُهَا

فَإِنَّ نَبِيدَ الصَّرْفِ إِنْ كَانَ وَحْدَهُ * عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ أَوْجَعَ الْكِبْدَ جُوعُهَا

قَدِمَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى ابْنِ عَمِّ لَهُ بِالْحَضَرَةِ، فَأَدْرَكَهُ شَهْرُ رَمَضَانَ، فَقِيلَ لَهُ: أَبَا عَمْرٍو

لَقَدْ أَتَاكَ شَهْرُ رَمَضَانَ، قَالَ: وَمَا شَهْرُ رَمَضَانَ؟ قَالُوا: الْإِمْسَاكُ عَنِ الطَّعَامِ؛

قَالَ: أَبَالْإِلِيلِ أَمْ بِالنَّهَارِ؟ قَالُوا: لَا، بَلْ بِالنَّهَارِ؛ قَالَ: أَفَيَرْضَوْنَ بَدَلًا مِنَ الشَّهْرِ؟

قَالُوا: لَا؛ قَالَ: فَإِنْ لَمْ أَصُمْ فَعَلُوا مَاذَا؟ قَالُوا: تُضْرَبُ وَتُحْبَسُ؛ فَصَامَ أَيَّامًا فَلَمْ

يَصْبِرْ، فَارْتَحَلَ عَنْهُمْ وَجَعَلَ يَقُولُ:

يَقُولُ بَنُو عَمِّي وَقَدْ زُرْتُ مِصْرَهُمْ * تَبَيُّأُ أَبَا عَمْرٍو لِشَهْرِ صِيَامِ

فَقُلْتُ لَهُمْ هَاتُوا جِرَابِي وَمِزْوَدِي : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ فَأَذْهَبُوا بِسَلَامٍ

فَبَادَرْتُ أَرْضًا لَيْسَ فِيهَا مُسَيِّطَرٌ * عَلَى وَلَا مَنَاعُ أَكْلِ طَعَامِ

(١) قد صححت هذه الجملة عن الجزء الحادي عشر من كتاب تذكرة ابن حمدون (ص ١٥١) وقد وردت

في الأصل بحزقة هكذا: «تتمكن منه أذناب عيش أغبر» . (٢) القباطي: ثياب بيض من كتان

كانت تنسج بمصر، شبه بين أيام رمضان . (٣) الثيلة: البقية القليلة من الطعام أو الشراب

وأدركَ أعرابياً شهرَ رمضانَ فلم يصُمْ ، فعذَّته امرأته في الصوم ، فزجرها وأنشأ يقول :

أَنَامُرُنِي بِالصَّوْمِ لَا دَرَّ دَرُّهَا : وفي القبرِ صَوْمٌ يَا أُنَيْمَ طَوِيلُ

دعا عبدُ الله بنُ الزبيرِ الحسينَ لخضر وأصحابه ، فاكلوا ولم يأكلْ ، فقيلَ له : ألا تأكلُ ! فقال : إِنِّي صَائِمٌ ، ولكن تُخفِّة الصائمِ ؛ قيل : وما هي ؟ قال : الدهنُ والمِجَمَرُ .

أخبارٌ من أخبار الأكلَّة

الأصمعيّ قال : قال رجلٌ : أَحِبُّ أَنْ أَرْزُقَ ضَرْسًا طَحُونًا ، وَمَعِدَّةً هَضُومًا ، وَسُرْمًا شُورًا ^(١) .

١٠ عن إسحاق بن عبد الله قال : سمعتُ أنسَ بن مالك يقول : رأيتُ عمرَ يُلْقِي إليه الصاعُ من التمرِ فَيَأْكُلُهُ حَتَّى حَشَفَهُ .

وقال بعضُ الشعراء :

هَمْ الْكَرِيمُ كَرِيمُ الْفِعْلِ يَفْعَلُهُ * وَهَمْ سَعِيدٌ بِمَا يُلْقَى إِلَى الْمَعِدَّةِ

وقيلَ لرجلٍ رُئِيَ سَمِينًا : مَا أَسْمَنَكَ ؟ قال : أَكَلِي الْحَارَّ ، وَشَرِبِي الْقَارَ ، وَأَتَكَلَّى ^(٢)

١٥ على شِمَالِي ، وَأَكَلِي مِنْ غَيْرِ مَا لِي .

وقيلَ لآخرَ : مَا أَسْمَنَكَ ؟ قال : قِلَّةُ الْفِكْرَةِ ، وَطُولُ الدَّعَةِ ، وَالنَّوْمُ ^(٣) على الْكِظَةِ .

(١) كذا في اللسان مادة (سرم) ، والسرم الشور : الكثير القذف لتخل من المني . وفي الأصل :

”وسرماً مشافاً“ . (٢) في الأصل «وَأَتَكَلَّى» باللام . (٣) الكظة : شو. يمتري الانسان

٢٠ عند الامتلاء من الطعام .

قال الججاجُ للغضبان بن القبعثرى في حبسه : ما أسمىك ؟ قال : القيدُ والدَّعةُ ،
ومن كان في ضيافة الأمير فقد سَمِنَ .

وقال آخرُ لرجل رآه سمينا : أرى عليك قطيفةً من نَسِجِ أضرارك .

وقيل لآخر : إنك لحسن الشحمةَ لئن البشرة ؛ فقال : آكلُ لبَّابَ البرصغارِ
المعز ، وأدهنُ بدهنِ البفسج ، والبس الكَّان .

قيل لميسرة الأكلِ وأنا أسمعُ : كم تأكلُ في كلِّ يومٍ ؟ قال : من مالى
أو من مالِ غيرى ؟ قالوا : من مالك ؛ قال : دونان ؛ قالوا : فمن مالِ غيرك ؟ قال :
أخز وأطرح .

والعرب تقول : « العاشيةُ تهيجُ الآيةُ »^(٢) . يريدون أن الذى لا يشهى أن
ياكل ، إذا نظر إلى من يأكلُ حاجه ذلك على الأكل .

قال جريرُ :

وبنو الهجيمِ سخيضةٌ أحلامهم * نطُ^(٤) اللقى متشابهو الألوان
لو يسمعونَ بأكلةٍ أو شريةٍ * بعمانَ أصبح جمعهم بعمانَ
متأبطين^(٥) بينهم وبناتهم * صعر^(٦) الأنوف لريح كلِّ دُخانٍ

- ١٥ (١) دونان : كلة قريية ومعناها رغيفان . وفي العقد الفريد : « مكوك » والمكوك : مكياك ذكرت
في مقداره عدة أقال . (٢) العاشية : التى تزعى بالشئ من المواشى وغيرها . والآية : التى
لاتريد العشاء . أى اذا رأت الآية الإبل العواشى تبعها فرعت معها . (٣) فى الأصل :
« وبنو الهجين » بالنون وهو تحريف ، والتصويب من القاموس وديوان جرير (النسخة المخطوطة
المحفوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١ أدب ش) . وروى هذا الشطر فى الديوان هكذا :
٢٠ * إن الهجيم قيلة مخسوة * (٤) نط : جمع أظط ، والأظط : قليل شر
اقية . (٥) فى الديوان : « متوكين » . (٦) كذا فى الديوان ، وصعر الأنوف :
ميلها ، من الصعر وهو الميل . وفى الأصل : « صعب الأنوف » وهو تحريف .

قَعَدَ رَجُلٌ عَلَى مَائِدَةِ الْمُغِيرَةِ . وَكَانَ مِنْهُوَمَا ، وَجَعَلَ يَنْهَشُ وَيَتَعَرَّقُ ؛ فَقَالَ
الْمُغِيرَةُ : نَاوِلُوهُ سِكِّينًا ؛ فَقَالَ الرَّجُلُ : كُلُّ أَمْرِي سِكِّينُهُ فِي رَأْسِهِ .

وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : مَا لَكُمْ تَأْكُلُونَ اللَّحْمَ وَتَدْعُونَ الثَّرِيدَ ؟ فَقَالَ : لِأَنَّ اللَّحْمَ ظَاعِنٌ
وَالثَّرِيدَ بَاقٍ .

وَقِيلَ لِآخَرٍ : مَا تُسَمِّنُونَ الْمَرْقَ ؟ قَالَ : السَّخِينُ ؛ قَالَ : فَإِذَا بَرَدَ ؟ قَالَ :
لَا تَدَعُهُ يَبْرُدُ .

قَالَ أَبُو الْبَقَّازَانِ : كَانَ هِلَالُ بْنُ أَسْعَرَ التَّمِيمِيِّ ، مِنْ بَنِي دَارِمِ بْنِ مَازِنٍ ،
شَدِيدًا أَكُولًا ؛ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ أَكَلَ جَمَلًا إِلَّا مَا حَمَلَ عَلَى ظَهْرِهِ مِنْهُ . وَأَكَلَ مَرَّةً
فَصِيْلًا ، وَأَكَلَتْ أَمْرَأَتُهُ فَصِيْلًا ، فَلَمَّا ضَاجَعُوهَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا ؛ فَقَالَتْ : كَيْفَ يَصِلُ
إِلَى وَبَيْنَنَا بَعِيرَانِ ! .

الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : دَعَا عَبَادُ بْنُ أَخْضَرَ هِلَالَ بْنَ أَسْعَرَ إِلَى وَلِيمَةٍ ، فَأَكَلَ مَعَ النَّاسِ
حَتَّى فَرَّغُوا ، ثُمَّ أَكَلَ ثَلَاثَ جِفَانٍ تُصْنَعُ كُلُّ جَفْنَةٍ لِعَشْرَةِ أَنْفُسٍ ؛ فَقَالَ لَهُ :
أَشْبَعْتَ ؟ قَالَ لَا ؛ فَأَتَوْهُ بِكُلِّ خَبِيزٍ فِي الْبَيْتِ فَلَمْ يَشْبَعْ ، فَبَعَثُوا إِلَى الْجِيرَانِ ؛ فَلَمَّا
أَخْتَلَفَتْ أَلْوَانُ الْخَبِيزِ عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ أَضْرَبَهُمْ فَاْمَسَكَ ؛ فَقَالُوا : هَلْ لَكَ فِي تَمْرِ شَهْرِيْزٍ^(١)
وَلَبَنٍ ؟ فَأَتَوْهُ بِهِ فَأَكَلَ مِنْهُ قَوَاصِرَ ؛ فَقَالُوا لَهُ : أَشْبَعْتَ ؟ قَالَ : لَا ؛ قَالُوا : فَهَلْ لَكَ
فِي السَّوِيْقِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ فَأَتَوْهُ بِجَرَابٍ صَخْمٍ مَمْلُوءٍ ؛ فَقَالَ : هَلْ عِنْدَكُمْ نَبِيذٌ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ؛
قَالَ : أَعِنْدَكُمْ تَوْرٌ تَغْسِلُونَ فِيهِ مِنَ الْخَنَابَةِ ؟ فَأَتَى بِهِ فَغَسَلَهُ وَصَبَّ السَّوِيْقَ فِيهِ^(٢)
وَصَبَّ عَلَيْهِ النَّبِيذَ ، فَمَا زَالَ يَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى قَنِيَ .

(١) الشَّهْرِيْزُ (بِكسر الشين المعجمة وقد تضم وبالسين المهملة أيضا) : ضرب من التمر، وفيه وجهان
الاتباع والاضافة . (٢) القواصر : جمع قوصرة (بجفيف الراء وتشديد الدال) : وعاء للتمر من قصب .
(٣) التور : إناء من نحاس أو حجر .

الشَّمْرَدُلُ وَكُلُّ آلِ عمرو بن العاص قال : قَدِمَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الطَّائِفَ
وقد عُرِفَتْ شَجَاعَتُهُ ، فدخل هو وعمر بن عبد العزيز [وأَيُّوبُ ابْنُهُ بِسْتَانًا لِعَمْرٍو؛
قال : بَغَالٍ فِي الْبِسْتَانِ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ] : يَا هَيْكَ بِمَا لَكُمْ هَذَا [مَالًا] لَوْلَا جِرَارُ فِيهِ ! فقلت :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا لَيْسَتْ بِجِرَارٍ وَلَكِنَّمَا جُرْبُ الزَّيْبِ ، بَخَاءٌ حَتَّى أَلْقَى صَدْرَهُ
عَلَى غُصْنٍ ، ثُمَّ قَالَ : وَيْلَكَ يَا شَمْرَدُلُ ! أَمَّا عِنْدَكَ شَيْءٌ تُطْعِمُنِي ؟ قلت : بَلَى وَاللَّهِ !
إِنْ عِنْدِي بَلَدِيًّا تَغْدُو عَلَيْهِ بَقَرَةٌ وَتَرْوَحُ أُخْرَى ؛ قَالَ : أَتَجَلُّ بِهِ ؛ فَأَتَيْتُهُ بِهِ كَأَنَّهُ
عُكَّةٌ^(١) ، وَتَشْمَرُ فَذَكَرْتُ لَهُ عَمْرًا حَتَّى أَتَى نَحْنًا ، فَقَالَ : يَا أَبَا حَفِصٍ
هَلُمَّ ؛ قَالَ : إِنِّي صَائِمٌ ؛ ثُمَّ قَالَ : وَيْلَكَ يَا شَمْرَدُلُ ! أَمَّا عِنْدَكَ شَيْءٌ ؟ قلت :
بَلَى وَاللَّهِ ! دَجَاجَاتٌ سِتٌّ كَأَنَّهُنَّ رِثْلَانِ^(٢) النَّعَامِ ، فَأَتَيْتُهُ بِهِنَّ ، فَكَانَ يَأْخُذُ رَجُلٌ
الدَّجَاجَةَ حَتَّى يُعْرِى عَظْمَهَا ثُمَّ يُلْقِيهَا [بِفِيهِ] حَتَّى أَتَى عَلَيْهِنَّ . ثُمَّ قَالَ : وَيْلَكَ !
أَمَّا عِنْدَكَ شَيْءٌ ؟ فقلت : بَلَى وَاللَّهِ ! إِنْ عِنْدِي لِحَرِيرَةٍ كَقُرَاضَةِ الذَّهَبِ ، فَقَالَ :
أَتَجَلُّ بِهَا ؛ فَأَتَيْتُهُ بِعَسٍّ يَغِيْبُ فِيهِ الرَّأْسُ ، فَعَمِلَ يَتَلَقَّمُهَا بِيَدِهِ وَيَشْرَبُ ، فَلَمَّا فَرَّغَ
تَجَمَّأَ كَأَنَّهُ صَاحٍ فِي جُبٍّ ؛ ثُمَّ قَالَ : يَا غُلَامُ ، أَفَرَّغْتَ مِنْ غَدَائِنَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ :
وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : نَيْفٌ وَثَمَانُونَ قِدْرًا ؛ قَالَ : فَأَتَيْتُهَا قِدْرًا قِدْرًا فَأَتَاهَا بِهَا وَبِقِنَاجٍ عَلَيْهِ^(٣)

- ١٥ (١) كَذَا بِالْأَصْلِ : وَبِإِقْدَامِ شَكْلِهِمْ بِأَبَادٍ ، وَلَعَلَّهَا مَحْرَقَةٌ عَنْ كَلِمَةٍ تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى الْجَشَعِ وَالْهَمِّ .
(٢) التَّكَّةُ مِنَ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ٢ ص ٢٣٢) . (٣) الْعُكَّةُ : وَهِيَ السَّمْنُ وَهِيَ أَصْغَرُ
مِنَ الْقُرْبَةِ . (٤) الرِّثْلَانِ : أَوْلَادُ النَّعَامِ ، وَاحِدُهُمَا رِثْلٌ . (٥) كَذَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ،
وَالْحَرِيرَةُ : ضَرْبٌ مِنَ الْأَطْعَامِ يُخَذُ مِنَ الْعَفِيقِ يَطْبُخُ بِلَبَنٍ أَوْ دَسَمٍ ، وَفِي الْأَصْلِ «لَبْنِيَّةٌ» . وَفِي الْمُسْتَرْفِ
وَنَهَايَةِ الْأَرْبِ (ج ٣ : ص ٣٥٣) «سَوِيْقٌ» . (٦) الْعَسَّ (بِالضَّمِّ) : الْقَدَحُ الْكَبِيرُ .
٢٠ (٧) يَتَلَقَّمُهَا مِنْ تَلَقُّمِ الشَّيْءِ : أَكَلَهُ بِسُرْعَةٍ . وَفِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ : «يَقْلَعُهَا بِيَدِهِ» . وَفِي الْأَصْلِ :
«يَطْلَعُهَا» وَانْمَكَ فِي كِتَابِ الْقَنَةِ : الضَّرْبُ بِإِلْدٍ بِمَجْمُوعَةٍ ، وَلَعَلَّ مَا أُتْبِتَاهُ أَنْسَبُ بِالْمَقَامِ . (٨) الْقَنَعُ
(بِالْكَسْرِ) : مَقْعَةٌ مِنْ عَسْبٍ أَنْخَلُ يَوْضَعُ فِيهِ الطَّعَامُ .

رُقَاقُ؛ فَأَكْثَرُ مَا أَكَلَ مِنْ قَدِيرٍ ثَلَاثُ لُقَمٍ وَأَقْلُ مَا أَكَلَ لُقْمَةً، ثُمَّ مَسَحَ يَدَهُ وَاسْتَأْذَنَ عَلَى فِرَاشِهِ، وَأُذِنَ لِلنَّاسِ وَوُضِعَتِ الْحَيَوَانَاتُ لِجَعْلِهَا كُلِّ مَعَ النَّاسِ .

الْحَطَّابِيُّ عَنْ الدِّيرَانِيِّ أَنَّهُ قَالَ : إِنِّي لَأَعْرِفُ الطَّعَامَ الَّذِي يَأْكُلُهُ سُلَيْمَانُ؛ قَالَ : لَمَّا اسْتَخْلَفَ سُلَيْمَانُ قَالَ لِي : لَا تَقْطَعْ عَنِّي الطَّافَكَ الَّتِي كُنْتَ تُطْفِنِي بِهَا قَبْلَ أَنْ أَسْتَخْلَفَ؛ فَأَتَيْتُهُ بِزَنْبِيلَيْنِ أَحَدُهُمَا بَيْضٌ وَالْآخَرُ تَيْنٌ؛ فَقَالَ : لَقَمْنِيهِ، فَجَعَلَتْ أَقْشِرُ الْبَيْضَةِ وَأَقْرَنُهَا بِالتَّيْنَةِ حَتَّى أَكَلَ الزَنْبِيلَيْنِ .

الْعُتْبِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ يُعِيدُ اللَّهُ بْنُ زِيَادٍ يَأْكُلُ كُلَّ يَوْمٍ أَرْبَعَ جَرَادِقَ^(٢) أَصْبَهَانِيَّةٍ وَجُبْنًا قَبْلَ غَدَائِهِ .

وَعَنْ سَلَمِ بْنِ قُتَيْبَةَ قَالَ : عَدَدْتُ لِلْجَبَّاحِ أَرْبَعًا وَثَمَانِينَ لُقْمَةً فِي كُلِّ لُقْمَةٍ رَغِيفٌ مِنْ خَبْزِ الْمَاءِ فِيهِ مِلَّةٌ كَفَّهُ سَمَكٌ طَرِيٌّ . ١٠

وَكَانَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ ابْنُ أَكُولٍ؛ فَقَالَ لَهُ [مَعَاوِيَةُ]^(٤) : مَا فَعَلَ ابْنُكَ التَّلْقَامَةُ؟ قَالَ : آعَتَلْتُ؛ قَالَ : مِثْلُهُ لَا يَعْدَمُ عِلَّةٌ .

أَكَلَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيُّ وَأَقْعَدَ مَعَهُ أَعْرَابِيًّا فَرَأَى لَهُ لَقْمًا مُنْكَرًا؛ فَقَالَ لَهُ : مَا اسْمُكَ؟ قَالَ : لُهْمَانُ؛ قَالَ : صَدَقَ أَهْلُكَ، إِنَّكَ لُهْمَانُ .

وُلِدَ لِابْنِ أَبِي لَيْلَى غُلَامٌ فَعَمِلَ الْأَخْيَصَةَ لِلْجِيرَانِ، فَلَمَّا أَكَلُوا قَامَ مُسَاوِرُ الْوَزَائِقِ فَقَالَ : ١٥

مَنْ لَا يُدَسِّمُ بِالْتَرِيدِ مِسْبَالَنَا * بَعْدَ التَّرِيدِ فَلَا هَنَاءُ الْفَارِسُ^(٦)

(١) كَذَا فِي النُّسَخِ الْفَرِيدِ (ج ٢ ص ٢٢٢) . وَفِي الْأَصْلِ : « فَوَضِعَتِ الْحَيَوَانَاتُ » .
(٢) الْجَرَادِقُ جَمْعُ جَرْدَقٍ ، وَالْجَرْدَقُ وَالْجَرْدَقَةُ (بِالضَّمِّ) وَالْجَرْدَقُ (بِالضَّمِّ) : الرَغِيفُ فَارِسِيٌّ مَعْرَبٌ . (٣) كَذَا بِالْأَصْلِ . (٤) التَّكْلُفَةُ عَنْ كِتَابِ الْبُخْلَاءِ لِلْمُحَافِظِ (ص ١٦٥ طبع أوروبا) وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي هَذِهِ الْحِكَايَةِ بِأَوْضَحِّ مَوْضِعٍ فِي الْأَصْلِ فَرَاغَهُ . (٥) التَّلْقَامَةُ : الْعَظِيمُ الْقَتْمُ . (٦) الْمِسْبَالُ : جَمْعُ سَبَلَةٍ وَهِيَ مَجْتَمِعُ الشَّرْبِينَ وَمَقْدَمُ الْحِمَاةِ . ٢٠

وقال العجيف^(١) في أمه :

يا ليتما أمنا شالت نعامتها * إتما الى جنّة إتما الى نار^(٢)
ليست بشبي وإن أسكننا هجرًا * ولا برًا ولو حلت بشي قار^(٣)
تلهم الوسق مشدودًا أشظته * كاتما وجهها قد طل بالقار^(٤)
نرقاء في الخير لا تُهدى لوجهته * وهي صنّاع الأذى في الأهل والجار^(٥)
رأى أبو الحارث جهمز سلة بين يدي رجل من الملوك، فقال له: جعلت فداك،
أى شيء في تلك السلة؟ فقال: بظُر أمتك، قال: فأعطني به .

قيل للحارثي: لم لا تُؤاكل كل الناس؟ فقال: لو لم أترك مؤاكلتهم إلا لتزوي^(٦)
عن الأسوارى لتركها، ما ظنكم برجل نهش بضعة لحم بهر فأتلع ضره وهو لا يدري .
وكان إذا أكل ذهب عقله ويحفظ عيانه وسكر وسدر وتربد وجهه وغضب ولم^(٧)
يسمع ولم يبصر، فلما رأيت أنه وما يعتريه ويعتري الطعام منه صرت لا آذن له إلا ونحن^(٨)
ناكل الجوز والتمر والباقي، ولم يقباني قط وأنا آكل تمرًا إلا استقه سقا وزدا به^(٩)

- (١) نسب هذا الشعر في شرح ديوان الحماسة (ضبعة أوربا ص ٨١٠) إلى شخص اسمه «سعد» .
ونسب في شرح شواهد المغني (٦٧ طبعة مصر) إلى من اسمه سعد بن قرين سيار ويلقب بالنجيت الحدرى .
(٢) في ديوان الحماسة واللسان والمغني: «أيما إلى جنة أيما إلى نار» . (٣) حجر: مدينة
بالبحرين مشهورة بكثرة التمر . (٤) ذوقار: ماء بكرين وائل قريب من الكوفة .
(٥) كذا في الحماسة، والأشظة: جمع شظاظ وهو خشبة عفا، تدخل في عروة الجوالق . وفي الأصل
«أسريه» وهو تحريف . (٦) كذا في ديوان الحماسة، وفي الأصل «مطلو بالقار» .
(٧) كذا في شرح شواهد المغني (ص ٦٧ طبعة مصر)، وفي الأصل: «وفي اصطناع الأذى» . وهو تحريف .
(٨) في كتاب البخله لملاحظ (ص ٨٢ طبعة أوربا): «... لو لم أترك مؤاكلة الناس
وإطعامهم إلا لسوء رقة على الأسوارى لتركته، وما ظنكم ... الخ ...» . ولعل الصواب: الاثرة
على الأسوارى أو نحو ذلك . وفي الأصل هنا: «إلا لتزوي عن الأسواق»، والظاهر أن كلمة
«الأسواق» هنا محرفة عن «الأسوارى» وهو الشخص الذي يحدث عنه في هذا الحديث .
(٩) في كتاب البخله: «نهش بضعة لحم بهر فأتلع ضره» . (١٠) جهفت عيه: عظمت
مقلتها ونفاته . (١١) سدر الرجل: تحير . (١٢) تربد وجهه: تغير .
(١٣) زدا به: رى به . وفي كتاب البخله: «وذرا به ذورا» .

زَدُّوْا ، وَلَا وَجَدَهُ كَنْزًا إِلَّا وَتَاوَلَ الْقِطْعَةَ مِنْهُ بِكُمُجْمَةٍ الشَّوْرَكَدْمَهَا كَدَّمَا ، وَنَهَشَهَا
طُولًا وَعَرَضًا ، وَرَفَعًا وَخَفَضًا ، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيْهَا ، ثُمَّ لَا يَقَعُ عَضُّهُ إِلَّا عَلَى الْأَنْصَافِ
وَالْأَثْلَاثِ ، وَلَا رَمَى بِنَوَاةٍ قَطَّ ، وَلَا نَزَعَ قِمَعًا ، وَلَا تَنَى عَنْهُ قِشْرًا ، وَلَا قَشَّهَ غَخَافَةً
السُّوسِ وَالِدُودِ .

وقال بعض الشعراء :

تَبَيَّنَتْ تَدَحُّدُهُ الْقَرَّانَ حَوْلِي * كَأَنَّكَ عِنْدَ رَأْسِي عَقْرُبَانُ
فَلَوْ أَطْعَمْتَنِي حَمَلًا سَمِينًا * شَكَرْتُكَ وَالطَّعَامُ لَهُ مَكَانُ

وقال بعض الأعراب :

وَإِنْ طَعَامًا ضَمَّ كَفَى وَكَفَّهَا * لِعَمْرُكَ عِنْدِي فِي الْحَيَاةِ مَبَارَكُ
فَمَنْ أَجْلَهَا اسْتَوْعَبَ الزَّادَ لَهُ * وَمَنْ أَجْلَهَا أَهْوَى يَدِي فَأَدَارِكُ

وقال آخر :

عَرِيضُ الْبِطَانِ جَدِيدُ الْخَوَانِ * قَرِيبُ الْمَرَاثِ مِنَ الْمَرْقَعِ
فَنِصْفُ النَّهَارِ لِكِرْيَاسِهِ * وَنِصْفُ الْمَاكَلَةِ أَجْمَعِ
الْأَصْمَعَى قَالَ : قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : مَا يُعْجِبُكَ مِنْ هَذَا الْقَنْدِ ؟ قَالَ : يُعْجِبُنِي
خَضُّهُ وَبَرْدُهُ . قَالَ الْأَصْمَعَى : الْخَضُّ : الْمَضْغُ وَالْأَكْلُ الشَّدِيدُ .

(١) الكنز : التمر يجعل في قواصر لثته . (٢) كدده كدما : عضه بأدنى فيه .
(٣) القمع (بكسر ففتح وبالكسر) : ما التصق بأسفل التمرة ونحوها حول علاقتها . (٤) تدحده :
تسرج . (٥) القران (كشداد) : القارورة . (٦) كذا في البيان والبيان ، وأصل البطان :
حزام القنب الذي يجعل تحت بطن الدابة ، ولعله يريد به كبر بطنه ، وفي الأصل : « الخوان » .
(٧) المراث بفتح الميم : مكان الروث . (٨) كذا في البيان والبيان . وفي الأصل « بر ياسه »
وهو تحريف ، والكرياس : الكنيف الذي يكون مشرقاً على سطح بقعة إلى الأرض . (٩) القند :
عمل قصب السكر إذا جمد . وقد ورد في القبان : « قيل لأعرابي - وكان معجباً بالقناء - :
ما يعجبك منه ؟ قال : خضده » .

قال خالد بن صفوان يوما لجاريته : يا جارية ، أطعمينا جينا ، فإنه يُشهى الطعام ويهيج المعدة ، وهو يُعَدُّ من حمض العرب . قالت : ما عندنا منه شيء . قال : لأعلمك إنه والله ، ما علمتُ ، ليقَدَح في الأسنان ويستولى على البطن ، وأنه من طعام أهل الذمة .

كان يقال : اذا كُثِرَتِ المقدرة ، ذهبَت الشهوة .

وقال بعض الظرفاء :

زرعنا فلما سلم الله زرعنا * وأوفى عليه منجلٌ بحصاد
يلينا بكوفى حليف مجاعة * أضر علينا من دبي وجراد^(١)

عن نافع عن ابن عمر قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ” مَنْ دَخَلَ عَلَى
غَيْرِ دَعْوَةٍ دَخَلَ سَارِقًا وَخَرَجَ مُغِيرًا ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ “ .
عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ” إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ بِجَاءٍ مَعَ
الرَّسُولِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَهُ إِذْنٌ “ . وعن مجاهد : أن ابن عمر كان إذا دُعِيَ إِلَى طَعَامٍ وَهُوَ
صَائِمٌ يَحِيبُ ، وَكَانَ يَهِيءُ اللَّقْمَةَ بِيَدِهِ ثُمَّ يَقُولُ : كُلُوا بِاسْمِ اللَّهِ فَإِنِّي صَائِمٌ . وعن
أسماء بنت رُفَيْدٍ قَالَتْ : دَخَلْنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَى بِطَعَامٍ فَعَرَضَ عَلَيْنَا
فَقُلْنَا : لَا نَسْتَبِيهِ ، فَقَالَ : ” لَا تَجْمَعَنَّ كَذِبًا وَجُوعًا “ .

دعا رجل علي بن أبي طالب رضوان الله عليه الى طعام ، فقال : نأتيك على
ألا تتكلف ما ليس عندك ، ولا تدخرنا ما عندك .
وكان يقول : شر الإخوان مَنْ تُكَلِّفُ لَهُ .

دعا رجل رجلا الى الغداء ثم قال له : هذه بكر زيارة ولم نستعدد ، فلعل تقصيرا
فما أحب بلوغه ، فقال الآخر : حرصك على كرامتي يكفيك مؤونة التكلف .

(١) الدبي : الجراد قبل أن يطير .

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي^(١) : أتاني الزبير بن دحان يوما فسأله أن يقيم عندي ، فقال : قد أرسل إلى الفضل بن الربيع وليس يمكنني التخلف عنه ؛ فقلت له :

أقم يا أبا العوام ويحك نشرب * ونله مع الآلهين يوما ونطرب
إذا ما رأيت اليوم قد جاء خيره * نخذه بشكر وأترك الفضل يعضب
وقال بعض المحدثين :

نحن قوم متى دُعينا أجبنا * ومتى نُسِر يدعنا التطفيل
ونُقِل علنا دُعينا فنبينا * وأنانا فلم يجدنا الرسول
كان طَفِيلُ العرائس الذي يُنسب إليه الطُفِيلُونَ يُوصي أصحابه فيقول لأحدهم :
إذا دخلت عرسا فلا تُلَقِّتْ تُلُقَّتْ المُرِيبَ ، وتُخَيِّرِ المجالسَ ، وأجد ثيابك ، وأعمل
على أنها العقدة التي تَشْغُلُ . وإن [كان] العرس كثير الزحام فُرْ وأَنَّهُ . ولا تنظر
في عيون أهل المرأة ولا عيون أهل الرجل ، فيظن هؤلاء أنك من هؤلاء وهؤلاء أنك
من هؤلاء . وإن كان البَرَّاب غليظا وقاحا فأبدأ به ومُرّه وأَنَّهُ من غير أن تُعَنَّفَ
عليه ، وعليك بكلام بين النصيحة والإدلال .

عرض رجل على ربة الغداء ؛ فقال : إن أقسمت علي وإلا فدعني .
ومن أشعار الطُفِيلِينَ :

دعوتُ نفسي حين لم تدعني * فالحمدُ لي لا لك في الدعوة
وقلتُ ذا أحسن من موعِدٍ * إخلافه يدعو إلى جَفْوِهِ^(٢)

(١) كذا في الأغاني (ج ٥ ص ٧٨ طبع بولاق) ، وفي الأصل : "يزيد بن دحان" وهو تحريف .
(٢) التكلية عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٧) . (٣) كذا في نهاية الأرب . وفي العقد الفريد : « تخلفه » . وفي الأصل : « أخلفه » .

وقال آخر :

إذا جاء ضيفٌ جاء للضيف ضيفن^(١) * فأودى بما تُقرى الضيوف الضيافنُ

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي^(٢) :

نعم الصديق صدق لا يكفني * ذبح الدجاج ولا شئ الفراريج^(٣)

يرضى بلونين من كشتك ومن عدس * وإن تشهى فزيتون بطسوج^(٤)

كان سعيد بن أسعد الأنصاري إمام الجامع بالبصرة طفيلياً؛ فإذا كانت ونمة سبق الناس إليها، فرمى ببط معهم البسط وخدم . فقيل له في ذلك فقال : إني أبادر برد الماء، وصفو القدور، ونشاط الخباز : وخلاء المكان ، وغفلة الذبان ، وجفاف المنديل .

وقيل لبعض الطفيليين : كم آتان في آتين قال : أربعة أرغفة .

باب الضيافة وأخبار البخلاء علي الطعام

عن المقدم أبي كريمة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "أيما^(٥)

مسلم ضافه قوم فأصبح الضيف محروماً كان له على كل مسلم نصره حتى يأخذ بقرى ليلته من زرعه وماله" .

- ١٥ (١) الضيفن : الطفيل . (٢) في العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٤١) : « وقال إبراهيم الموصلي في طفيل كان صاحبه » . (٣) في العقد الفريد : « نعم النديم نديم الخ » . (٤) الطسوج : مقدار من الوزن مقداره حبات من الدات ، والدات أربعة طساميج . وأراد بالطسوج ، الدات نسبتها من الدرهم لا من الدينار لأن الدرهم ستة دوانيق وثمان وأربعون حبة فيكون طسوج الدرهم حبتين وداقه ثمان حبات (راجع شرح القاموس) . (٥) هو المقدم بن معديكرب وكنيته أبو كريمة . وفي الأصل : « المقدم بن أبي كريمة » وهو خطأ . (٦) رواية الجامع الصغير : "أيما رجل ضاف قوما فأصبح الضيف محروماً فان نصره حق على كل مسلم الخ" .

روى ابنُ العَجَلانِ^(١) عن أبيه قال : قال أبو هريرة : إذا نزلتَ برجل ولم يَقْرَكَ قَاتِلُهُ . عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الخير أسرعُ إلى مُطعمِ^(٢) الطعام من الشُّفْرِ^(٣) في سَنامِ البعير» .

داود قال : قلت للحسن : إنك تُتَفَق من هذه الأَطعمة وتُكثِر ، قال : ليس في الطعام سَرَفٌ . وقال الثوري : ليس في الطعام ولا في النساء سَرَفٌ .

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «إِنَّ مِنَ السُّنَّةِ أَنْ يَمْشِيَ الرَّجُلُ مَعَ ضَيْفِهِ إِلَى بَابِ الدَّارِ» .

عن عبد الرحمن بن عباس قال : رأيت ابن عباس في وليمة فأكَلَ وألقى لِلْحَبَّازِ درهماً .

الأصمعيّ قال : سُئِلَ أَقْرَى أَهْلِ الْإِمَامَةِ لِلضَّيْفِ : كيف ضَبَطْتُمُ الْقِرَى ؟ قال : بَأَنَا لَا تَتَكَلَّفُ مَا لَيْسَ عِنْدَنَا .

عن بعض النُّسَّاك قال : قد أعياني أن أُزِيلَ عَلَى رَجُلٍ يَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ أَكُلُ مِنْ رِزْقِهِ شَيْئًا .

(١) في الأصل : « رُوِيَ بِنِ الْعَجَلَانِ » وهو تحريف ، إذ أن هذا العلم لم يرد إلا ضمن الشعراء ولم توجد له مناسبة بين رواية الحديث . ولعل ما أثبتناه أنسب ، لأنه ورد في تهذيب التهذيب : أن العجلان روى عنه ابنه وروى هو عن أبي هريرة . (٢) كذا في الجامع الصغير والإناة فيما جاء في الصدقة والضياقة لابن حجر الميمني . وفي الأصل : « انحروا سَرَع » وهو تحريف . (٣) في الجامع الصغير : « إلى البيت الذي يمشي » وفي الإناة : « إلى البيت الذي يركب فيه » . (٤) في الأصل : « السفرة » بالسين المهملة وما أثبتناه عن الجامع الصغير . والشفرة (بالفتح) : السكنى العظيمة العريضة .

عن عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : ضَلَّ رَجُلٌ صَائِمٌ فِي عَامِ سَنَةٍ ، فَأَبْتُلِيَ بِرَجُلٍ عِنْدَ فِطْرِهِ وَقَدْ أَتَى بِقُرْصَيْنِ فَأَلْقَى إِلَيْهِ أَحَدَهُمَا ، ثُمَّ قَالَ : مَا هَذَا يُشْبِعِيهِ وَلَا يُشْبِعِي ، وَلَئِنْ يَشْبَعُ وَاحِدٌ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَجُوعَ آثَانِ ، وَأَلْقَى إِلَيْهِ الْآخَرَ . فَلَمَّا أَوَّى إِلَى فِرَاشِهِ أَتَاهُ آتٌ فَقَالَ : سَلِّ ، فَقَالَ : أَسْأَلُ الْمَغْفِرَةَ ، قَالَ : قَدْ فُعِلَ ذَلِكَ بِكَ ، قَالَ : فَإِنِّي أَسْأَلُ أَنْ يُغَاثَ النَّاسُ .

عن الحسن : أَنَّ رَجُلًا جَهَدَهُ الْجُوعُ ، فَقَطِنَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْيَانِ ، فَلَمَّا أَمْسَى أَتَى بِهِ رَحْلَهُ ، فَقَالَ لِأَمْرَأَتِهِ : هَلْ لَكَ أَنْ تَطْوِيَ لَيْتِنَا هَذِهِ لَضِيفِنَا ؟ قَالَتْ : نَعَمْ قَالَ : فَإِذَا قَدِمَتِ الطَّعَامُ فَأَذِنِي إِلَى السَّرَاجِ كَأَنَّكَ تُصَلِّحِينَهِ فَاطْفِئِيهِ ، فَفَعَلَتْ وَجَاءَتْ بِثَرِيدَةٍ كَأَنَّهَا قِطَاةٌ فَوَضَعَتْهَا بَيْنَ أَيْدِيهِمَا ، ثُمَّ دَنَتْ إِلَى السَّرَاجِ كَأَنَّهَا تُصَلِّحُهُ فَاطْفَأَتْهُ ، فَجَعَلَ الْأَنْصَارِيُّ يَضَعُ يَدَهُ فِي الْقَصْعَةِ ثُمَّ يَرْفَعُهَا خَالِيَةً ، فَأُطْلِعَ عَلَى ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ الْأَنْصَارِيُّ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَجْرَ ، فَلَمَّا سَلَّمَ أَقْبَلَ عَلَى الْأَنْصَارِيِّ وَقَالَ : «أَنْتَ صَاحِبُ الْكَلَامِ اللَّيْلَةِ» ، فَفَزِعَ الْأَنْصَارِيُّ وَقَالَ : أَيْ- كَلَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : كَذَا وَكَذَا : قَوْلُهُ لِأَمْرَأَتِهِ ، قَالَ : كَانَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : «فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صُنْعِكَ اللَّيْلَةَ» .

الأصمعيّ قال : كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِذَا قِيمَ عَلَيْهِ بَرِيدٌ قَالَ : هَلْ رَأَيْتَ فِي النَّاسِ الْعُرْسَاتِ ؟ يَعْنِي الْخِصْبَ لِلْمُسْلِمِينَ .

وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ كَانَ فِي مَجْلِسٍ : فِيمَ كُنْتُمْ ؟ قَالَ : كُنَّا فِي قِدْرٍ تَفُورُ ، وَكَأْسٍ تَدُورُ ، وَغِنَاءٍ يَصُورُ ، وَحَلِيبٍ لَا يَخُورُ .

(١) فِي الْأَصْلِ : «صَائِمًا» . (٢) رَحْلُهُ : مَنَزَلُهُ . (٣) يَصُورُ : يَهْوَتْ .

(٤) لَا يَخُورُ : لَا يَضَعُفُ .

(١) بلغني أن محمد [بن خالد] بن يزيد بن معاوية كان نازلاً بحلب على الميثم بن يزيد التنوخي^(٢)،
فبعث إلى ضيف له من عُدرة فقال: حَدَّثَ أبا عبد الله ما رأيت في حاضرة المسلمين
من أعاجيب الأعراس؛ قال: نعم، رأيتُ أموراً مُعْجِبة: منها أني رأيت قرية عاصم^(٣)
ابن بكر الهلالي، فإذا أنا بدُورٍ متباعدة. وإذا أخصاصٌ مُنظَّمٌ بعضها إلى بعض، وإذا
بها ناس كثيرٌ مُقِيلون ومُدِيرُونَ وعاليهم ثياب حَكَّوا بها ألوان الزهر، فقلت لنفسي: هذا
أحد العيدين الأضحي أو الفطر؛ ثم رجعت إلى ما عَزَبَ عني من عَقْلٍ، فقلت: خرجت من
أهلي في عَقَبٍ صَفَرٍ وقد مضى العیدان قبل ذلك؛ فبينما أنا واقفٌ ومُتَعَجِّبٌ أتاني رجل^(٤)
فأخذ بيدي [فأدخلني داراً قوراء^(٥)] وأدخلني بيتاً قد نُجِدَ في وجهه فُرْشٌ قد مُهِّدَتْ
وعليها شاب ينال فروعُ شعره كَتِفَيْهِ، والناس حوله سِمَاطَانِ^(٦)؛ فقلت في نفسي:
هذا الأمير الذي يُحَكِّي لنا جلوسه وجلوس الناس حوله، فقلت وأنا مائلٌ بين يديه:
السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته؛ فحَذَّبَ رجلٌ بيدي وقال: أجلس
فإن هذا ليس بالأمير؛ فقلت: ومن هو؟ قال: عمرو بن عروس؛ قلت: وأنت كل أماء!
رُبَّ عروسٍ رأيتُ بالبادية أهونُ على أصحابه من هِنِ أمه؛ فلم ألبث إذ دخلت
الرجال عليها هنأتٌ مدقوراتٌ من خشب وقُضبان، أما ما خَفَّ فيحملُ حملاً، وأما
ما نُقِلَ فيُخرج، فوُضِعَتْ أمامنا وتخلَّقُ القوم حلقاً حلقاً، ثم أُتِينَا بخَرْقٍ بِيضٍ ١٥

(١) التكملة عن كتاب الأغاني (ج ١٢ ص ٢٥ طبع بولاق)، وقد ورد فيه هذا الخبر بتوسع عما هنا
وذكر اسم الأعرابي الذي رواد وأفرد له ترجمة خاصة، وهو قاض بن ثومة بن نصيب وكان شاعراً بدوياً
فصيحا من شعراء الدولة العباسية. وذكر أنه كان بدوياً جافياً كأنه من الوحش طيب الحديث، يقدم البصرة
فيكتب عنه شعره وتؤخذ عنه اللغة، روى عنه الرباعي وأبو سراقه وداود وغيرهم من رواة البصرة.
وقد وردت في الأصل كلمات محرفة صحاحداً عن الأغاني ونهنا عليها في راصعها. (٢) في الأغاني؛
«النصي». وفي العقد الفريد: «أخيم بن تدي». (٣) في الأغاني: «فررت بقرية يقال
لها قرية بكر بن عبد الله الهلالي». وفي العقد الفريد: «قرية بكر بن عاصم الهلالي». (٤) في الأغاني:
«خرجت من أهلي في بادية البصرة في صفر». (٥) الزيادة عن الأغاني: «قوراء». راسعة.
(٦) سِمَاطَانِ: صفان.

- فَأَلْقَيْتُ بَيْنَ أَيْدِينَا، فَظَنَنْتَهَا شَيْبًا وَهَمِمْتُ عِنْدَهَا أَنْ أَسْأَلَ الْقَوْمَ نَحْرًا أَقْطَعُ مِنْهَا قَيْصًا،^(١)
وَذَلِكَ أَنِّي رَأَيْتُ نَسْجًا مُتَلَحِّكًا لَا تَبِينُ لَهُ سَدَى وَلَا لُحْمَةٌ، فَلَمَّا بَسَطَ الْقَوْمُ أَيْدِيَهُمْ^(٢)
إِذَا هُوَ يَتَزَقُّ سَرِيحًا وَإِذَا هُوَ [فِيَا زَعْمُوا] صِنْفٌ^(٣) مِنَ الْخَبْزِ لَا أَعْرِفُهُ، ثُمَّ أَتَيْنَا بِطَعَامٍ
كَثِيرٍ مِنْ حَلِيزٍ وَحَامِيضٍ وَحَارٍّ وَبَارِدٍ، فَأَكْثَرْتُ مِنْهُ وَأَنَا لَا أَعْرِفُ مَا فِي عَقْبِهِ مِنْ
التَّخَمِ وَالْبَشَمِ. ثُمَّ أَتَيْنَا بِشَرَابٍ أَحْمَرٍ فِي عِصَاسٍ^(٤)، فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَيْهِ قُلْتُ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ،
أَخَافُ أَنْ يَقْتُلَنِي. وَكَانَ فِي جَانِبِي رَجُلٌ نَاصِحٌ لِي — أَحْسَنَ اللَّهُ جَزَاءَهُ — كَانَ
يَنْصَحُ لِي مِنْ بَيْنِ أَهْلِ الْمَجْلِسِ، فَقَالَ: يَا أَعْرَابِي، إِنَّكَ قَدْ أَكْثَرْتَ مِنَ الطَّعَامِ،
وَإِنْ شَرِبْتَ الْمَاءَ أَتَتَفَخَّ بِطَنُكَ — فَلَمَّا ذَكَرَ الْبَطْنَ تَذَكَّرْتُ شَيْئًا كَانَ أَوْصَانِي بِهِ
[أَبِي وَ] الْأَشْيَاخُ [مِنْ أَهْلِي]: قَالُوا: لَا تَزَالُ حَيًّا مَا دَامَ شَدِيدًا (بَعْنَى الْبَطْنِ) فَإِذَا^(٥)
أَخْتَلَفَ فَاوِصٌ — فَلَمْ أَزَلْ أَتَدَاوَى بِهِ وَلَا أَمَلُ مِنْ شَرْبِهِ، فَتَدَاخَلَنِي — نَالِكَ الْخَيْرِ —
صَلَفٌ لَا أَعْرِفُهُ [مِنْ نَفْسِي]، وَبَكَاءٌ لَا أَعْرِفُ سَبَبَهُ وَلَا عَهْدَ لِي بِمِثْلِهِ، وَأَقْتَدَارُ
عَلَى أَمْرٍ أَظُنُّ مَعَهُ أَنِّي لَوْ أَرَدْتُ نَيْلَ السَّقْفِ لَبَلَقْتُهُ وَلَوْ شَأَوْتُ الْأَمْسَدَ لَقَتَلْتُهُ،
وَجَعَلْتُ أَلْتَفْتُ إِلَى الرَّجُلِ النَّاصِحِ لِي فَتَحَدَّثَنِي نَفْسِي^(٦) بِهَيْئَةِ أَسْنَانِهِ وَهَشَمِ أَفْقِهِ، وَأَهْمُ
أَحْيَانًا بَانَ أَقُولُ لَهُ: يَا بَنَ الزَّانِيَةِ، فَيَبْنَانُ نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ هُمْ عَلَيْنَا شَيَاطِينُ أَرْبَعَةٌ:

- (١) كَذَا فِي الْأَغَانِي. وَفِي الْأَمَلِ: «فَأَلْقَيْتُ عَلَيْهَا فَهَمِمْتُ أَنْ» . (٢) مُتَلَحِّكًا: ١٥
مُتَدَاخِلًا بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ مُتَدَاخِلًا شَدِيدًا. (٣) زِيَادَةٌ عَنْ كِتَابِ الْأَغَانِي. (٤) كَذَا فِي الْعُقَدِ الْقَرِيدِ
(ج ٢ ص ١٢٦)، وَالْعِصَاسُ: جَمْعُ عِصٍّ بِالضَمِّ وَهُوَ الْقَدَحُ الْكَبِيرُ. وَفِي الْأَصْلِ: «عِصَافٌ»، وَالْعِصْفُ:
الْقَدَحُ الضَّخِيمُ، وَلَمْ يَرِدْ هَذَا الْجَمْعُ فِي كُتُبِ اللَّغَةِ وَالْوَارِدُ فِيهَا عِصُوفٌ. (٥) كَذَا فِي الْأَغَانِي.
وَفِي الْأَمَلِ: «خَلْفٌ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ. (٦) الْعِبَارَةُ الْمَحْصُورَةُ مَا بَيْنَ الْمَرْبَعَيْنِ وَرَدَّتْ
فِي الْأَغَانِي. وَفِي الْأَصْلِ: «لَا أَعْرِفُهُ وَبَقِيَ فِي نَفْسِي لَا عَهْدَ لِي بِهِ وَأَشْكَلُ عَلَى أَمْرِي»، وَكَانَتْ أَلِي
جَانِبِي الرَّجُلِ النَّاصِحِ لِي، فَجَعَلْتُ نَفْسِي تَحَدَّثَنِي أَنْ» .

أحدهم قد علّق في عنقه جعبة فارسية ^(١) مشنجة الطرفين دقيقة الوسط قد شجحت ^(٢)
 بالخيوط شبحاً منكراً، وقد ألبست قطعة فرو كأنهم يخافون عليها القتر . ثم بدر الثاني
 فاستخرج من كفه حنة ^(٣) [سوداء] كفيشة الخمار فوضع طرفها في فيه فضرط فيها فاستم
 بها أمرهم، ثم حسب ^(٤) على حجرة فيها فاستخرج منها صوتاً ملائماً مشاكلاً بعضه بعضاً
 [كأنه — علم الله — ينطق] . ثم بدر الثالث عليه قميص وبيج وقد غرق شعره بالدخن ^(٥)
 معه مرأتان بفعل يَمْرَى إحداهما على الأخرى مرياً، ثم بدر الرابع عليه قميص قصير
 وسراويل قصير وخفان أجذمان لاساقين لهما . بفعل يقفز كأنه يثب على ظهور
 العقارب : ثم التبط بالأرض . فقلت : معبود ورب الكعبة ! ثم ما برح مكانه
 حتى كان أغبط القوم عندي ، ورأيت الناس يحذفونه بالدرهم حذفاً منكراً . ثم
 أرسلت إلينا النساء أن أمتعنونا من لهن ، فبعثوا بهن إليهن وبقيت الأصوات
 تلور في آذاننا . وكان معنا في البيت شاب لا آبه له ، فقلت الأصوات له بالدعاء،
 فخرج بجاء بخشبة عينها في صدرها فيها خويطات أربعة، فاستخرج من جنبها عوداً
 فوضعه على أذنه، ثم زعم الخيوط الظاهرة، فلما أحكمها وعرك آذانها حرّكها بحجة
 في يده، فنطقت ورب الكعبة ! وأذاهي أحسن قينة رأيتها قط، ^(٦) [وغنى عليها] فاستخفني

١٥ (١) الشنج : التقبض ، وفي الأغاني : « مشنجة » بتسكين المهملة ، ومعناه : مخططة ، وكلا المعنيين
 هنا غير واضح ، وفي العقد الفريد (ج ٢ ص ١٢٦) : مفتحة الطرفين . ولعل صواب الكلمة « متفتحة »
 الطرفين « نوضح المعنى بياً وليتأتى وصف الوسط بانفذة . والظاهر أن الأعرابي يصف بهذا الوصف
 الآلة المعروفة عندنا الآن بالكنتجة . (٢) كذا في الأغاني . وشجحت : شددت . وفي الأصل :
 « قد سبجت بالخيوط سبجاً منكراً » . وفي العقد الفريد : « شبكت » . (٣) زيادة في الأغاني .
 (٤) يريد : حرك أصابعه عن ثقب هذه الحنة ، وهي المزمار ، كما يصنع الحاسب حين يعد بأصابعه .
 ٢٠ وعبرة الأعني : « ثم حرك أصابعه ... اتخ » . (٥) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « فشة »
 وهو تحريف .

في مجلسي حتى قمتُ بجلستُ بين يديه ، فقلت : بأبي أنت وأمي ! ما هذه الدابة ؟ ^(١) [فلستُ أعرفها] للأعراب وما خالفتُ إلا حديثاً ! فقال : يا أعرابي ، هذا البربط الذي سمعتُ به ، فقلت : بأبي أنت وأمي ! فما هذا الخيط الأسفل ؟ ^(٢) قال : زير ، قلت : فما الذي يليه ؟ قال : مشي ، قلت : فالثالث ؟ قال : المثلث ، قلت : فالرابع ؟ قال : ^(٣) الخيم ، قلت : آمنتُ بالله أوتوا وبالميم ثانياً .

وقال الحريري :

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله * ويخصب عندي والمحمل جديب
وما انخصب للأضياف أن يكثر القرى * ولكننا وجه الكرم خصيب

وقال أرطاة بن سبه :

وإني لقوام إلى الضيف موهناً * إذا أغدق الستر البخل المواقيل ^(٤)
دعا فأجابته كلاب كثيرة * على ثقة مني بما أنا فاعل
وما دون ضيفي من تلال تحوزة * لي النفس إلا أن تصان الحلائل
آخر : ^(٥)

إذا نزل الأضياف كان عذوراً ^(٦) * على الأهل حتى تستقل مرأجه

يقول : يسوي خلقه حتى يطعم أضيافه ، لإعجاله إياهم ولخوف تقصير ^(٧)
يكون منهم .

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصل « الدابة » . (٢) زبدة عن كتاب الأغاني .

(٣) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « فاحذ الخيط السفلي » . (٤) المواقيل : العاجز

الذي يكل أمره إلى غيره ويتكل عليه . (٥) الشعر لزينب بنت الطيرة ترى أخاها يزيد وفيل أنه

لعبد . (راجع الشعر في الأغاني ج ٧ ص ١٢٣) . (٦) العذور : السبي الخلق القليل الصبر

فيما يريد ربه به .

(١)
وقال دحيل :

وإني لعبدُ الضيف من غير ذلةٍ * وما فيَّ إلا تلك من شمة العبدِ

(٢)
وقال آخر :

لحافي لحاف الضيف والبيتُ بيته * ولم يليني عنه الغزالُ المقنعُ^(٣)
أُحدته، إن الحليث من التري * وتعلمُ نفسي أنه سوف يهجعُ

وقال الفرزدق في العذافر :

أعمرَكَ ما الأرزاقُ يومَ اكْتِبالِ^(٤) * بأكثرَ خيرًا من خِوانِ عذافرٍ
ولو ضافه الدجالُ يلبسُ القري : وحلَّ على خبازه بالعساكر
بعدةٍ بأجوجٍ ومأجوجٍ كُلَّهُم * لأشبعهم يومًا غداءُ العذافرِ^(٥)

وقال مسكين الدارمي :

ناري ونارُ الجارِ واحدةٌ * وإليه قبلي تُزَلُّ القدرُ
ما ضرَّ جارًا لي أجوره * ألا يكونَ ليابه يسترُ

ضاف رجلٌ من كلب أبا الرمكاء الكلبى، ومع الرجلِ فضلة من حنطة،
فراحت معزى [أبى] الرمكاء، فخلبَ وشرب، ثم حلب وسقى أبنه، ثم حلب وسقى

١٥ (١) ذكر أبو الفرج في الأغاني هذا البيت ضمن نيات مسوبة إلى قيس بن عاصم الشقري (انظر الأغاني
في ترجمته ج ١٢ ص ١٥٠ ضبع بولاق) وكذلك رواد البرد في التعامل نه أيضا (ص ٣٣٤ - ٣٣٥
طبع أوربا) وقد رواد :

وإني لعبد الضيف ما دام ناري * وما من خلالي غيرها شمة العبد

٢٠ وفي شرح الخامة (ص ٥٢٥) أنه لقع الكثير من أبيات مفتوحة الرى . (٢) هو عتبة بن
بجير وقيل مسكين الدارمي، انظر شرح أشعار الخامة (ص ٧٥٠ طبع أوربا) وصر ٢٢٣ من المجلد الثاني
من هذا الكتاب . (٣) يريد بالفزال المقنع أمراة . (٤) كذا في كتاب البخله. نلاحظ
(ص ٢٤٩ طبع أوربا) . وفي الأصل : «حين انكالا» . (٥) في كتاب البخله «شبرا» .

آمرأته؛ فقال الرجل : ألا تسقون ضيفكم ؟ فقال أبو الرمكاء : ما فيها فضل ؛ فاستخرج الرجل ما في عنده من طعام وقال : هل من رَحَى ؟ فأسرعوا بها نحوَه ، فطحنَ وعجنَ وأوقدَ خبزته وأخرجها ففَضَّها ، فاذا رسول أبي الرمكاء يقول : يقول^(٢) لك أبو الرمكاء : لا عهدَ لنا بالخبز؛ فقال الرجل : ما فيها فضل ، ثم أكل وارتحل ، وقال :

بات أبو الرمكاء لم يسقِ ضيفه * من المحض ما يطوى عليه فبرقُدُ
فقمْتُ الى حنّانة فوق أختها * ونارٍ وباتت وهي توردى وتوقَدُ
فلما نفضتُ الخبزَ بالعودِ أقبلت * رسائل تشكو^(٣) الجوع والحى سهد
وقال أبو الرمكاء بالخبز عهدُه * فليدِّمْ له حولٌ كريبٌ مطرُدُ
فقلتُ ألا لافضلَ فيها لباخلٍ * ولا مطمَعٌ حتى يلوح لنا الغدُ
فبات أبو الرمكاء من قرط ريجها * يئن كما أت السليمُ المسهدُ
ذكر أعرابي قوما فقال : ألغوا من الصلاة الأذان ، مخافة أن تسمعه الأذان ،
فبيَّله عليهم الضيفان .

وقال بعضهم في ذلك :

أقاموا الدِّيبانَ على يقاعٍ * وقالوا لا تنم للديدبانِ
فإن أبصرتَ شخصا من بعيدٍ * فصَفَّقْ بالبنان على البنان
تراهم خشية الأضيافِ حُرماً * يصلُّون الصلاة بلا أذانِ

(١) الكم : ما يسط من الثياب ويجعل به نلتاع . (٢) في الأمن : « قال » .

(٣) في الأصل : « تنكى » . (٤) كريب : مكروب اشتد عليه النهم .

وقال زياد الأعجم :

وتَكْمُ كَلْبَ الْحَيِّ مِنْ خَشْيَةِ الْقِرَى * وَقَدْرُكَ كَالْعَذْرَاءِ مِنْ دُونِهَا يَسْتَرُ^(١)

وقال آخر :

وَإِنِّي لَأَجْفُو الضَّيْفَ مِنْ غَيْرِ عُسْرَةٍ * مَخَافَةَ أَنْ يَضُرَّ بَنِي فَيْعُودَ^(٢)

وقال آخر :

أَعْدَدْتُ لِلضَّيْفَانِ كَلْبًا ضَارِيًا * عِنْدِي وَفَضْلَ حِرَاوَةٍ مِنْ أَرْزَنِ^(٣)

وَمَعَاذِرًا كَذِبًا وَوَجْهًا بَاسِرًا * مُتَشَكِّيًا عَضَّ الزَّمَانِ الْأَرْزَنِ^(٤)

رَأَى رَجُلٌ الْحُطَيْئَةَ وَبِيَدِهِ عَصَا فَقَالَ : مَا هَذِهِ ؟ قَالَ : عَجْرَاءٌ مِنْ سَلَمٍ ،

قَالَ : إِنِّي ضَيْفٌ ، قَالَ : لِلضَّيْفَانِ أَعْدَدْتُهَا .

وقال آخر :

وَأُبْنِضُ الضَّيْفَ مَا بِي جُلٌّ مَا كَلِهَ * إِلَّا تَتَفَحَّخُهُ حَوْلِي إِذَا قَعَدَا^(٥)

مَا زَالَ يَنْفُخُ جَنْبِيهِ وَجَبْوَتَهُ * حَتَّى أَقُولَ لَعَلَّ الضَّيْفَ قَدْ وَلَدَا^(٦)

وقال حميد الأرقط يذكر ضيفًا :

إِذَا مَا أَنَا نَا وَارِدُ الْمَصِيرِ مُرْمِلًا * تَأْتُوبُ نَارِي أَصْفَرَ الْعَقْلِ قَافِلًا^(٧)

فَقُلْتُ لِعَبْدِي أَعْجَلًا بَعَثَانَهُ * وَخَيْرُ عِشَاءِ الضَّيْفِ مَا هُوَ عَاجِلُ^(٨)

(١) كرم الكلب : شدّفه بالكمام لئلا ينبح فيه الأضياف . (٢) في التمدن : « وتارك » .

(٣) يضري بنا : يولع بنا ويبتاد . (٤) الأرزن : شجر صلب تلخذه منه العصي . (٥) الزمان

الأزرن : الشديد الكلب . (٦) حو حيد الأرقط كما في العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٨٦) . (٧) رواه

في العقد : « لا أبغض » . (٨) كذا في العقد الفريد . وفي الأصل : « ينفخ كضبه » .

(٩) المرمل : الذي قد زاده . (١٠) تأتوب : جاء أول الليل ويقال : تأتوبه وتأتيه على المعاقبة

إذا أتاه ليلا . (١١) كذا في الأصل . (١٢) القافل : اليابس الجلد وقيل : اليابس اليد .

فقال وقد ألقى المرأسي للقرى * أين لي ما ألجأج بالناس فاعل
فقلت لعمري ما لهذا طرقتنا * فكل ودع الأخبار ما أنت آكل
تجهز كفاءه فيحدر حلقه * إلى الزور ما ضمت عليه الأنامل^(١)
أنا ولم يعدله سحبان وائل * بيانا وعلما بالذي هو قائل^(٢)
فما زال منه اللقم حتى كانه * من المي لما أن تكلم باقل^(٣)

وقال أيضا في نحو ذلك :

وسرملين على الأفتاب برهم * حنائب وعباء فيه بعيرين^(٤)
مقدمين أنونا في عصائبهم * مجننا، ألا جدعت تلك العرائن
يسطرون لنا الأخبار إذ نزلوا * وكل ما سطورا للقم تمكين
باتوا وجلتنا الصبباء بينهم^(٥) * كأن أظفارهم فيها سكاكين
فأصبحوا والنوى على معربهم^(٦) * وليس كل النوى تلقى المساكين

(١) في الأصل : « إليه » ، وورد هذا البيت في اللسان مادة « بقل » :

تدبل كفاء ويحدر حلقه * إلى البطن ما ضمت عليه الأنامل

وقال : التدبيل : تعظيم القمة عند الأكل . (٢) سحبان : اسم رجل من ربيعة من بني بكر بن

وائل ، كان لنا بليغا يضرب به المثل في البيان والفصاحة . (٣) باقل : اسم رجل من ربيعة يضرب

به المثل في النوى . قال البت : بلغ من عري باقل أنه كان اشترى ظيا بأحد عشر درهما ، فقيل له : بك

أشتريت الظي ؟ ففتح كفيه وفرق أصابعه وأخرج لسانه — يشير بذلك إلى أحد عشر — فأقلت الظي

وذهب ؛ فضربوا به المثل في النوى . (٤) كذا بالأصل . (٥) كذا في كتاب سيويه

(ج ١ ص ٣٥ طبع بولاق) . والجللة : قفة التمر تتخذ من سعف النخل وليفه ، فلذلك وصفها بالصبة .

وفي الأصل : « باتوا وحلتنا السهرين بينهم » . ولعله محذوف عن : * باتوا وحلتنا السهرين بينهم * والسهرين

(بالسين المهملة والشين المعجمة) : ضرب من التمر . (٦) يعني لما أصبحوا ظهر على معربهم —

وهو موضع نزولهم آخر الليل — نوى التمر وعلاه لكثرة ، على أنهم لما جثم لم يلقوا إلا بعضه ؛ وهذا إشارة

إلى كثرة ما قدمه لهم منه وكثرة أكلهم له .

وقال أيضا في نحو ذلك :

وطاوعوى والليل مستجلس الندى * وقد صجعت للغور تالية النجم^(١)
فسلم تسليم الصديق ولم يكن * صديقا لنا إلا لئاس^(٢) باللقم^(٣)
فقلت له والنار تأخذ صدره * لقمتم لسميت أم سريت على علم^(٣)

وقال بعض الرجاز :

برح بالعينين خطاب^(٤) الكُتَب * يقول إنني خاطب وقد كذب
* وإنما يطلب عسا من حلب *

وقال آخر :

إني لمثلكم من سوء فعلكم * إن زرتكم أبدا إلا معي زادي

وقال حماد عجرد :

حريت أبو الصلت ذو خبرة * بما يصلح المعدة الفاسدة
تخوف ثمة أضيافه * فمؤدوم أكلة واحدة

عن قتادة قال : قال زياد غيلان بن خرشة : أحب أن تحدثني عن العرب
وجهودها وضئك عيشها ، لنحمد الله على النعمة التي أصبحناها ، فقال غيلان : حدثني

(١) مستجلس الندى متراكبه بطر بعضه بعضا لكثرة . وصجعت لغور : مالت للغيب . وتالية

النجم : إحدى تاليات النجوم وهي أوانرها . (٢) في الأصل : «التأيس» وما أثبتناه هو

المناسب للسياق . (٣) السميت : السير على الطريق بالظن ، وقيل هو السير بالحدس والظن

على غير طريق . (٤) خطاب : كثير التصرف في الخطبة . والكُتب : جمع كُتبة (بالضم) ،

والكُتبة من الماء واللبن : القليل منه ؛ يعني أن الرجل يجيئ بجملة الخطبة وإنما يريد القرى . قال ابن

الأعرابي : يقال للرجل إذا جاء يطلب انقري بعة الخطبة : إنه ليخطب كُتبة . وفي الأصل «خطاب»

بالحاء المهملة وهو تحريف . وانعس (بالضم) : القدح الكبير ، وفي الأصل : «وقسا» من حلب وهو

تحريف (انقرا اللسان مادق خطب ركش) .

عمى قال : توات على العرب سِتُونَ تَسْعَ في الجاهلية حَطَمْتُ كُلَّ شَيْءٍ ، فخرجت على بَكْرِ لى في العرب . فكشْتُ سَبْعًا لا أُطْعِمُ شَيْئًا إِلَّا ما يَنَالُ مِنْهُ بَعِيرى أَوْ مِنْ حَشَرَاتِ الأَرْضِ ، حَتَّى دَفَعْتُ في اليوم السابع إلى جِوَاءٍ عَظِيمٍ ، فَإِذَا بَيْتٌ جَحْشٍ ^(١) مِنَ الحَيِّ ، فَمَلْتُ إِلَيْهِ فَخَرَجْتُ إِلَى امْرَأَةٍ طَوِيلَةٍ حَسَّانَةٍ ^(٢) ، قَالَتْ : مَنْ ؟ قُلْتُ : طَارِقُ لَيْلٍ يَلْتَمِسُ القَرَى ، قَالَتْ : لَوْ كَانَ عِنْدَنَا شَيْءٌ لَأَثَرْنَاكَ بِهِ ، وَالذَّلَالُ عَلَى الخَيْرِ كِفَاعُهُ ، حَسَّ ^(٣) هَذِهِ الْبُيُوتِ ثُمَّ أَنْظَرُ إِلَى أعْظَمِهَا ، فَإِنْ يَكُ فِي شَيْءٍ مِنْهَا خَيْرٌ ففِيهِ ، فَفَعَلْتُ حَتَّى دَفَعْتُ إِلَيْهِ ، فَرَحَّبَ بى صَاحِبُهُ وَقَالَ : مَنْ ؟ قُلْتُ : طَارِقُ لَيْلٍ يَلْتَمِسُ القَرَى ، فَقَالَ : يَا فُلَانُ ، فَأَجَابَهُ ، فَقَالَ : هَلْ عِنْدَكَ طَعَامٌ ؟ فَقَالَ لا ؛ فَوَاللهِ مَا وَقَرُ فِي أُذُنِ شَيْءٍ كَانَ أَشَدَّ مِنْهُ . قَالَ : فَهَلْ عِنْدَكَ شَرَابٌ ؟ قَالَ لا ، ثُمَّ تَأَوَّهَ فَقَالَ : بَلَى أَقْدَ بَقِيْنَا فِي ضَرْعِ ^(٤) الْفُلَانَةِ شَيْئًا لَطَارِقٍ إِنْ طَرَقَكَ ، قَالَ : فَأَتَتْ بِهِ ، فَأَتَى العَطْنُ فَابْتَعَثَهَا . فَخَدَثْنِ عَمَى أَنَّهُ ^(٥) شَهِدَ فَتَحَ أَصْبَهَانَ وَتُسْتَرَ وَمَهْرَجَانَ وَكُورَ الْأَهْوَازِ وَفَارَسَ وَجَاحَهُ عِنْدَ السُّلْطَانِ وَكَثْرَةَ مَالِهِ وَوَلَدَهُ ، قَالَ : فَمَا سَمِعْتُ شَيْئًا قَطُّ كَانَ أَشَدَّ مِنْ شَجَبِ تَيْكَ النَّاقَةِ فِي تِلْكَ الْعُلْبَةِ ؛ حَتَّى إِذَا مَلَأُهَا [و] فَاضَتْ مِنْ جَوَانِبِهَا وَأَرْتَفَعَتْ عَلَيْهَا شَمَكَةٌ ^(٦) بِحُمَةٍ الشَّيْخِ ، أَقْبَلَ بِهَا يَهْوَى نَحْوَى ، فَعَثَرَ بِسُودٍ أَوْ حَجَرٍ ، فَسَقَطَتِ الْعُلْبَةُ مِنْ يَدِهِ ، فَخَدَثْنِ

- (١) الجِوَاءُ (بالهاء المهملة) : مجتمع البيوت . (٢) جَحْشٌ : نحى وأبعد عن البيوت .
 (٣) طَوِيلَةٌ (بالضم) : ضويلة القامة . وحسانة (بالضم وتشديد السين) : حسان الصورة ، وهما وصفان تمدح بهما المرأة . (٤) حَسَّ هَذِهِ الْبُيُوتِ : تعرّف أحوالها .
 (٥) فُلَانٌ وَفُلَانَةٌ بغير الألف واللام كناية عن أسماء الأديمين ، والفُلَانُ والفُلَانَةُ بالتعريف بهما كناية عن غير الأديمين ، تقول العرب : رَكِبْتَ الْفُلَانَ وَحَلَبْتَ الْفُلَانَةَ . وفي الأصل : «الفُلَانِيَّة» بزيادة ياء النسبة . (٦) قَالَ الْبَيْتُ : عَطْنُ الْإِبِلِ وَمِعْطَنُهَا : مناخها حول وريدها ، فَأَمَّا فِي مَكَانٍ آخَرَ فَرَاخٌ وَمَاوَى . (٧) كَذَا بِالْأَصْلِ ، وَلَمْ يُوفَقْ إِلَى تَحْقِيقِهَا ، وَسَبَّاقُ الْكَلَامِ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ هَذَا مَا يَدُلُّ عَلَى الرِّغْوةِ الَّتِي تَعْلُو اللَّبْنَ وَقَدْ حَلَبَهُ .

أنه أُصيب بأبيه وأمه وولده وأهل بيته فما أُصيب بمصيبةٍ أعظمَ من ذهاب العُلة. فلما رأى ذلك ربُّ البيت نرج شاهرًا سيفه فبَعَثَ الإبلَ ثم نظر إلى أعظمها سنًا ودفع إليه مُدِيَّةً وقال : يا عبد الله أَصْطَلِ وَاحْتَمِلْ . قال : فجعلت أهوى بالْبِضْعَةِ إلى النارِ فإذا بلغتْ إناها أكلتها^(١)، ثم مسحْتُ ما في يدي من إهالتها على جلدي وقد كان حُلَّ على عظمي حتى كأنه شَنٌّ، ثم شَرِبْتُ شَرْبَةً ماءٍ وَخَرَرْتُ مَغْشِيًّا عَلَى^(٢) فما أَفَقْتُ إلى السَّحَرِ . وقطع زيادُ الحديث وقال : لا عليك ألا نخبرنا بأكثر من هذا، فمن المتروك به ؟ قلت : أبو علي عامرُ بنُ الطَّفِيلِ .

قال بعض الشعراء يهجو قوما :

وتراهم قبل الغداء لَضِيْفِهِمْ * يَتَحَلَّلُونَ صُبابَةً لِلزَّادِ

وقال آخر^(٣) :

١٠

اسْتَبَقَ وَدَّ أَبِي الْمُقَا * تِلْ حِينَ تَأْكُلُ مِنْ طَعَامِهِ
سِيَّانٍ كَسْرُ رَغِيْفِهِ * أَوْ كَسْرُ عَظِيمٍ مِنْ عِظَامِهِ
فَقَرَاهُ مِنْ خَوْفِ الْتَرِيدِ * لِي بِهِ يَرُوعَ فِي مَنَامِهِ
فَإِذَا مَرَرْتَ بِيَابِهِ * فَاحْفَظْ رَغِيْفَكَ مِنْ غَلَامِهِ

وقال آخر^(٤) :

١٥

صَدَّقَ أَلَيْتَهُ إِنْ قَالَ مَجْتَهِدًا * لَا وَالرَّغِيْفِ، فَذَلِكَ الرُّبُّ مِنْ قَسِمَةِ
قَدْ كَانَ يُعْجِبُنِي لَوْ أَنَّ غَيْرَتَهُ^(٥) * عَلَى جَرَادِيْقِهِ كَانَتْ عَلَى حُرَيْبِهِ^(٦)
إِنْ رَمَتْ قَتْلَهُ فَاقْتُلْ بِحُبْرَتِهِ * فَإِنْ مَوْقِعُهَا مِنْ لَحْمِهِ وَدَمِهِ^(٧)

(١) إناها : ضجها . والاحالة : السهم المذاب وكل ما اؤتدم به من الأدعان . . (٢) حُلَّ (كنع وعلم وعنى) : يس . (٣) في نهاية الأرب (ج ٣ ص ٣١٨ طبة أول) نسب هذا الشعر لدعل .
(٤) هو أبو تمام ، (أظرديوانه : باب الهجاء ، قافية الميم) . (٥) كذا في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٩) . وفي الأصل : « لو كان » . (٦) الجرادق : جمع الجرذق بالفتح والذال المحجمة كالجرذق بالذال المهملة وكلاهما معناه الرغيف فارسي ، معرب « كد » بالكاف .
(٧) في الديوان ونهاية الأرب (٢ ج ص ٣١٨ طبة أول) : « وإن همت به فافتك بخبيته » .

٢٠

قلت لرجل كان يأكل مع أبي دلف : كيف كان طعامه؟ قال : كان على مائدته رغيفان بينهما نُقْرَةٌ جَوْزِيَّةٌ؛ وقال :

أبو دلفٍ يُضَمِّعُ أَلْفَ أَلِفٍ * وَيَضْرِبُ بِالْحُمَامِ عَلَى أَرْغِفٍ
أَبُو دَلِفٍ لِمَطْبَخِهِ قُتَارٌ^(١) * وَلَكِنْ دُونَهُ ضَرْبُ السِّیُوفِ
وقال أبو الشَّعْمَقِ^(٢) :

رَأَيْتُ الْخَبِزَ عَزَّ لَدَيْكَ حَتَّى * حَسِبْتَ الْخَبْزَ فِي جَوْ السَّحَابِ
وَمَا رَوْحُنَا لِثُدْبٍ عَنَا * وَلَكِنْ خِفْتَ مَرَزُئَةَ الدُّبَابِ
وقال دِعْبِلُ :

إِنْ مَنْ ضَنَّ بِالْكَنِيفِ عَلَى الْضَبِّ * فِيفٍ بَغِيرِ الْكَنِيفِ كَيْفَ يَجُودُ !
مَا رَأَيْنَا وَلَا سَمِعْنَا بِمُحْشٍ^(٣) * قَبْلَ هَذَا لِأَبِيهِ إِقْلِيدُ^(٤)
إِنْ يَكُنْ فِي الْكَنِيفِ شَيْءٌ تَجَبَّأ * هُفْ فَعُنْدِي إِنْ شِئْتَ فِيهِ مَزِيدُ
ولهذا الشعر قصة قد ذكرتها في باب الشعراء^(٥).

قال أبو محمد : شَوِيَّ جَعْفَرُ بْنُ سَلِيحَانَ الْخَاشِمِيُّ دَجَاجٌ فَقِيدٌ نَحَدُّ مِنْ^(٦)
دَجَاجَةٍ، فَأَمَرَ فَنُودِي فِي دَارِهِ : مِنْ هَذَا الَّذِي تَعَاطَى فَقَرَّ ! وَاللَّهِ لَا أَخْزِي فِي هَذَا
التَّنُورِ شَهْرًا أَوْ يَرُدُّ ! فَقَالَ أَبْنُهُ الْأَكْبَرُ : أَتَوَاخِذُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ! .

(١) انقار : الدخان . (٢) أبو الشَّعْمَقِ هو مروان بن محمد الشاعر ، قال هذا الشعر
يعيب به طعام جعفر بن أبي زهير وكان ضيفا عند . انظر كتاب البغلاء للمحافظ (طبع أوروبا ص ٧٧) .
(٣) المحش (بتطيت الحاء) : البستان ويكنى به عن بيت الخلا . لما كان من عاداتهم التضيوط
في البساتين ، والجمع حشان . والافتيد : المفتاح . (٤) كذا في الأصل والشعر والشعراء .
(٥) ص ٤١ طبع أوروبا ، ولعله : « نخيه » . (٦) ذكر المؤلف هذه القصة في كتابه الشعر والشعراء .
وهي أن دعبلا كان ضيفا لرجل فقام لحاجته فوجد باب الكنيف مغلقا فلم يتهأ فتمحه حتى أعجله الأمر .
(٦) كذا في غرر الخصاص (ص ٢٩٨ طبع بولاق) وفي سبأني قريبا وهو الصواب ، لأنه هو
المعروف بالبخل . وفي الأصل : « أبو جعفر » .

(١)

قال بعض الشعراء :

يا تارك البيت على الضيف * وهارباً منه من الخوف

(٢)

ضيفك قد جاء بخبر له * فارجع فكن ضيفاً على الضيف

(٣)

وقال أبو نواس :

خبر إسماعيل كلوش * إذا ما شقَّ رِقاً

عجبا من أثر الصند * حة فيه كيف يخفى

إن رقاءك هذا * أحرق الأمة كفاً

فإذا قابل بالنص * ف من الحرق نصفاً

مثل ما جاء من آتت * نور ما غادر حرقاً

أحكم الصنعة حتى * لا يرى موضع إثنى

وله في الماء أيضاً * عمل أبداع ظرفاً

مزج العذب بماء الـ * يترصى يزلل ضعفاً

فهو لا يشرب منه * مثل ما يشرب صرفاً

(٤)

(١) قال هذا الشعر رجل من إمامة في مروان بن أبي حفصة الشاعر ، وكان قد نزل عليه ضيفاً ، فأخلى

مروان له المنزل وهرّب منه مخافة أن يلزمه فراد في هذه أمانة : فخرج الضيف واشترى ما احتاج إليه ثم رجع

وكتب إليه بهذا الشعر . انظر المستوف للأشبهى (ج ١ ص ٢٠٦) (٢) كذا في العقد والمستعارف ،

وفي الأصل "ضيفين" بالنون .

(٣) قال هذا الشعر في إسماعيل بن نوبخت بعد أن نصب إسماعيل في صحن داره طارئة (بيت من

خشب كاتبة ، معرب) واسطوخ فيها أربعين يوماً معه جنة منهم أبو نواس ، فبلغت ثقته أربعين ألف درهم ؛

ثم قال أبو نواس بعد ذلك هذا الشعر . (١) انظر هذه الأبيات مع التعليق عليها في (ج ٢ ص ٣٧)

من هذا الكتاب .

عن عبد العزيز بن عمران قال : نزلتُ بَيْنَتِ [أَبْن] هَرْمَةَ فَقُلْتُ : آمَحِرُوا لَنَا
جُرُورًا ؛ قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا هِيَ عِنْدَنَا ؛ قُلْتُ : فَبَقْرَةٍ ، قَالَتْ لَا ؛ قُلْتُ : فَشَاةٌ ، قَالَتْ
لَا ؛ قُلْتُ : فَدَجَاجَةٌ ، قَالَتْ لَا ؛ قُلْتُ : فَأَيْنَ قَوْلُ أَبِيكَ :

لَا أُتِمِعُ الْعُوذَ بِالْفِصَالِ وَلَا * أُتْبَاعُ إِلَّا قَرْيَةَ الْأَجَلِ

قَالَتْ : ذَاكَ أَفْنَاهَا . فَبَلَغَ أَبْنَ هَرْمَةَ مَا قَالَتْ ، قَالَ : أَشْهَدُ أَنَّهَا أَبْتَقَى ، وَأَشْهَدُ
أَنْ دَارِي لَهَا دُونَ الذَّكَورِ مِنْ أَوْلَادِي .

قَالَ أَبْنُ أَبِي قَتَنِ :

لَا أَشْتُمُ الضَّيْفَ وَلَعَنَتْنِي * أَدْعُوهُ بِالْقُرْبِ مِنْ طَوْقِ

بَقْرَبٍ مَنْ إِنْ زَارَهُ زَائِرٌ * مَاتَ إِلَى الْخَبْرِ مِنَ الشَّوْقِ

دَخَلَ عَلَى أَبْنِ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَشْرَافِ دَاخِلٌ وَبَيْنَ يَدَيْهِ فَرَارِيحٌ ، فَغَطَّى الطَّبَقَ بِمَنْدِيلِهِ
وَادْخَلَ رَأْسَهُ فِي جَيْبِهِ وَقَالَ لِلدَّخِلِ عَلَيْهِ : كُنْ فِي الْحَجَرَةِ الْأُخْرَى حَتَّى أَفْرُغَ مِنْ
بُخُورِي .

وَفِيهَا أَجَازَ لَنَا عَمْرُو بْنُ بَحْرِ بْنِ كَتَبَهُ قَالَ : دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ قَدْ تَغَدَّى
مَعَ قَوْمٍ وَلَمْ تُرْفَعْ الْمَائِدَةُ قَالَ لَهُمْ : كُلُّوْا وَأَجْهِزُوا عَلَى الْجُرْحَى . يَرِيدُ : كُلُّوْا مَا كُسِرَ
وَنِيلَ مِنْهُ وَلَا تَعْرِضُوا إِلَى الصَّحِيحِ .

(١) الْعُوذُ : الْحَدِيثَاتُ النَّاجِيَةُ مِنَ الظَّيَالِ وَالْإِبِلِ وَالْخَيْلِ ، وَاحِدَتُهَا تَأْذِمٌ مِثْلُ حَائِلٍ وَحَوْلٍ . وَالْفِصَالُ :

جَمْعُ فَصِيلٍ وَهُوَ وَلَدُ الذَّيْزَةِ إِذَا فَصَلَ عَنْ أُمِّهِ . يَرِيدُ أَنَّهُ لِكَرَمِهِ لَا يَتِمِعُ الْعُوذَ بِأَوْلَادِهَا بَلْ يَذْبَحُهَا لَضِيوفِهِ
الكَثِيرِينَ . وَفِي الْأَصْلِ وَرَدَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ كَذَلِكَ : « لَا أُتِمِعُ الْعُوذَ بِالْفِصَالِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالصَّحِيحُ عَنْ
أَمَالِي الْقَالِي (ج ٣ ص ١١٠ طبع دار الكتب المصرية) . (٢) فِي الْأَصْلِ : « وَأَجِيرُوا »

وَهُوَ تَحْرِيفٌ وَمَا يُشْتَبَاهُ مِنَ الْعَقْدِ الْقَرِيدِ (ج ٣ ص ٢٢) . وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْحِكَايَةُ فِيهِ بِأَوْضَحٍ مَا هُنَا .
وَنَصَبَهَا « قَالَ : وَدَخَلَتْ عَلَيْهِ (يَرِيدُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ أُمَيَّةَ) بِرِيَاً وَالْمَائِدَةُ مَوْضُوعَةٌ وَالْقَوْمُ
يَأْكُلُونَ وَقَدْ رَفَعَ بَعْضُهُمْ يَدَهُ فَدَدَتْ يَدِي لَا كُلُّ فَقَالَ أَجْهِزْ عَلَى الْجُرْحَى وَلَا تَعْرِضْ لِلْأَصْحَاءِ »

قال : وقال لقوم يؤاكلونه : يزعمون أن خبزي صغار! أي- ابن زانية يأكل من هذا رغيفين! . قال : ويقول لزاره إذا أطلال عنده المكث : تغذيت اليوم؟ فإن قال نعم، قال : لولا أنك تغذيت لغذيتك بطعام طيب. وإن قال لا، قال : لو كنت تغذيت لسقيتك خمسة أقداح . فلا يكون له على الوجهين لا قليل ولا كثير .

وحكى عن أبي نؤاس أنه قال : قلت لرجل من أهل خراسان^(١) : لم تأكل وحدك؟ قال : ليس عليّ في هذا الموضع سؤال، إنما السؤال علي من أكل مع الجماعة، لأن ذلك تكلف وأكلي وحدي هو الأكل الأصلي .

وكان عند داود بن أبي داود بواسط أيام ولايته كسكر^(٢)، فأتته من البصرة ددايا، وكان فيها رفاق دوشاب^(٣)، فقسمها بيننا، فكلنا أخذ ما أعطي، غير الخزامي، فانكرنا ذلك وقلنا : إنما يجزى الخزامي من الإعطاء وهو عدوه، فأما الأخذ فهو ضالته وأمنيته، فإنه لو أعطى أفاعي سيستان^(٤)، وشعابين مصر، وجرارات الأهواز لأخذها، إذ كان اسم الأخذ واقعا عليها، فسألناه عن سبب ذلك، فتعسر قليلا ثم باح بسرّه وقال : وضيعته أضعاف ربحه، وأخذته من أسباب الإدبار؛ قلت : أول وضاعه احتمال ثقل السكر، قال :

(١) كذا في البخلاء. وفي الأصل : «منهم» انظر هذه الحكاية فيه ص ٢٦ . (٢) كذا في البخلاء. (ص ٢٦) . وفي الأصل : «من» . (٣) كسكر : كورة من كور بغداد وقصبتها واسط، وهي مشهورة بالفرايح العسكرية . (٤) كذا في الأصل، والدوشاب : نيزد القرمز، قال ابن المعتز : لا تخط الدوشاب في قلع * بصفا، ماء طيب السبد

وقال ابن الرومي :

علني أحمد من الدوشاب * شربة بغضت قناع الشاب

وفي كتاب البخلاء أنها زقاق دبس، والدبس : صل التمر وصارته من غير طبخ . وقال السعدي : إنه الدبس بالعربية (انظر شفاء الغليل لمخفاجي) . (٥) جرارات الأهواز : عقاربها الفتالة . (٦) وضيعه : خسارته وغرمه .

- هذا لم يخطر ببالى قط، ولكن أقول ذلك كراء الجمال، فإذا صار الى المنزل صار سببا
 لطلب العصيدة والارزّة والسندفود، فإن بعته فراراً من هذا البلاء صيرتموني شهرة^(١)،
 وإن أنا حبسته ذهب في العصائد وأشباهها، وجذب ذلك شراء السمن، ثم جذب
 السمن غيره، وصار هذا الدوشاب علينا أضراً من العيال؛ وإن أنا جعلته نيداً
 أحتجت الى كراء القدور وإلى شراء الحب^(٢) وإلى شراء الماء وإلى كراء من يؤقد
 تحته؛ فإن ولت ذلك الخادم أسود ثوبها وغرمتنا ثمن الأثنان^(٣) والصابون،
 وازدادت في الطعم على قدر الزيادة في العمل؛ فإن فسدت ذهبت النفقة باطلا ولم
 نستخلف منها عوضاً بوجه من الوجود، لأن خل الداذى^(٤) يخضب اللحم ويغير الطعم^(٥)
 ويسود المرقّة ولا يصلح^(٦) [إلا] للاصطباغ^(٧)، وإن سليم - وأعوذ بالله - وجاد وصفا لم نجد
 بداً من شربه ولم تطب أنفسنا بتركه؛ فإن قعدت في البيت أشربه لم يمكن ذلك إلا بترك
 ١٠

- (١) كذا في الأصل، وفي البخل، (ص ٦٧) : « السندفود » ولم نوفق الى معرفه .
 (٢) الشهرة : ظهور الشيء في شئ . (٣) الحب بالضم : الجرة . (٤) الأثنان :
 الحمض الذى تمل به الأيدي . (٥) كذا في البخل، وفي الأصل : « ولم يظف منها بوجه
 من الوجوه » . (٦) في القاموس وشرحه (مادة « ذوذ » بمهملة فعجمة) : الداذى : شراب الفساق
 وحر الخمر، وهو على صفة المنسوب وليس بنسب . ثم قال في مادة « ذوذ » بمجنتين : والداذى :
 ثبت له عقود مستطيل وحب على شكل حب الشعير يوضع منه مقدار رطل في الفرق (مكيال) فتعق راحته
 ويجرد إسكاره، قال الشاعر :

شربنا من الداذى حتى كأننا * ملوك لنا بر السراقين والبحر

فلما انجلت شمس النهار وأيقنا * تولى الغنى عنا وعادتنا الفقر

- ثم قال شارح القاموس : « ولذا حكم الخذاق باتحاده مع الذى قبله ، وكلامه ضيعرني ولا معروف » .
 وانتصر في اللسان على « الداذى » بمهملة فعجمة وذكر البيت . (٧) التكلة عن البخل .
 (٨) كذا في البخل . وفي الأصل : « للاصطاع » .

سَلَفَ الْفَارِسِيِّ الْمُعَسَّلِ ، وَاللَّجَاجِ الْمُسَمَّنِ ، وَجِدَاءِ كَسَكْرٍ وَفَاكِهِةِ الْجَبَلِ وَالنَّقْلِ الْحَشَّ
وَالرَّيْحَانِ الْغَضِّ ، عِنْدَ مَنْ لَا يَغِيضُ مَالُهُ ، وَلَا تَقْطَعُ مَادَّتُهُ ، وَعِنْدَ مَنْ لَا يُبَالِي عَلَى
أَيِّ قُطْرِيهِ سَقَطَ ، ^(٢) مَعَ فَوْتِ الْحَدِيثِ الْمُؤَنَسِ وَالسَّمَاعِ الْحَسَنِ ؛ وَعَلَى أَنِّي إِنْ جَلَسْتُ
فِي الْبَيْتِ أَشْرِيهِ لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ وَاحِدٍ ، وَذَلِكَ الْوَاحِدُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ لَحْمٍ بِدَرْهِمٍ ،
وَتَقْلٍ بِطَسُوجٍ ، وَرِيحَانٍ بِقِيْرَاطٍ ، وَمِنْ أَزْوَاجِ الْقِدْرِ وَحَطَبِ الْوَقُودِ ؛ وَهَذَا كُلُّهُ غُرْمٌ
وَشَوْمٌ وَحِرْمَانٌ وَحُرْفَةٌ وَخُرُوجٌ مِنَ الْعَادَةِ الْحَسَنَةِ . فَإِنْ كَانَ النَّدِيمُ غَيْرَ مُوَافِقٍ فَأَهْلُ
السَّجَنِ أَحْسَنُ حَالًا مِنِّي ، وَإِنْ كَانَ مُوَافِقًا فَقَدْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَى مَالِي بِهِ بَابًا مِنْ
التَّلَفِ ، لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ يَسِيرُ فِي مَالِي كَسَيْرِي فِي مَالِ غَيْرِي مِمَّنْ هُوَ فَوْقِي . فَإِذَا عَلِمَ
الصَّدِيقُ أَنَّ عِنْدِي دَاذِيًا ^(٣) أَوْ نَيْدًا دَقَّ عَلَى الْبَابِ دَقَّ الْمِدْلِ ، فَإِنْ حَجَّيْنَاهُ قَبْلَاءَ ،
وَإِنْ أَدْخَلْنَاهُ فَشَقَاءَ . وَإِنْ بَدَأَ لِي فِي اسْتِحْسَانِ حَدِيثِ النَّاسِ كَمَا يَسْتَحْسِنُهُ
[مَنِي] مَنْ أَكُونُ عِنْدَهُ ، فَقَدْ شَارَكْتُ الْمُسْرِفِينَ ، وَفَارَقْتُ إِخْوَانِي الصَّالِحِينَ ،
وَصِرْتُ مِنْ إِخْوَانِ الشَّيَاطِينِ ؛ وَاللَّهُ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ يَقُولُ : ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ
كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾ ؛ فَإِذَا صِرْتُ كَذَلِكَ فَقَدْ ذَهَبَ كَسْبِي مِنْ مَالِ غَيْرِي ،
وَصَارَ غَيْرِي يَكْتَسِبُ مِنِّي ؛ وَأَنَا لَوْ أَبْتَلَيْتُ بِأَحَدِهِمْ لَمْ أَقُمْ بِهِ فَكَيْفَ إِذَا أَبْتَلَيْتُ
بِأَنْ أُعْطِيَ وَلَا أَخُذَ ، وَبِأَنْ أُؤْكَلَ وَلَا أَكُلَ ! أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخِذْلَانِ بَعْدَ
الْعِصْمَةِ ، وَمِنَ الْخَوْرِ بَعْدَ الْكُورِ ؛ وَلَوْ كَانَ هَذَا فِي الْحَدَاثَةِ كَانَ أَهْوَنَ . هَذَا ^(٤)

(١) كسكر: تقدم في تعريفها في صفحة ٢٥٠ من هذا الجزء ، أنها مشهورة بالفراريج الكسكية ،
ولعلها مشهورة أيضا بجذاتها . (٢) الفطر: الحاجة . (٣) كذا في البغلاء . وفي الأصل :
«قرب» . (٤) الذسوج : ربع الدائق . انظر الكلام عليه في الحاشية رقم ... من ... من
هذا الجزء . (٥) الحرقة : الحرمان . (٦) كذا في البغلاء . وفي الأصل : «راسا» .
(٧) الكلمة عن البغلاء . (٨) الخور : التقصان . والكور : الزيادة ومنه الحديث :
« أعوذ بالله من الخور بعد الكور » .. (٩) كذا في البغلاء . وفي الأصل : «أحسن» .

النشاب دسيس من الحُرْفَة، وكَيْدٌ من الشيطان، وخُدعةٌ من الحسود، وهو الحلاوة التي تُعقب المرارة . ما أخوفني أن يكون أبو سليمان قد ملئني فهو يحتمل لي الحيل ! .

وحكى عن الحارثي أنه قال : الوحدة خير من جليس السوء، وجليس السوء خير من أكل السوء؛ لأن كل أكل جليس وليس كل جليس أكل؛ فإن كان لا بد من المؤاكلة ولا بد من المشاركة فمع من لا يستأثر على بالمنع، ولا يتهمز ببضة البقيلة؛ ولا يلتقم كبد الدجاج، ولا يُبادر إلى دماغ السلّامة^(٢)، ولا يختطف كُليّة الجدي، ولا يزدر قانصة الكركي^(٣)، ولا يتترع شاكلة الجمّل^(٤)، ولا يطلع سرّة السمك؛ ولا يعرض لعيون الرعوس، ولا يستولى على صدور الدّراج^(٥)، ولا يساق إلى أسقاط الفراخ، ولا يتناول إلا [ما] بين يديه، ولا يلاحظ ما بين يدي غيره، ولا يمتحن الإخوان بالأمور الثمينة، ولا يتهك أستاذ الناس بأن يشتهي ما عسى ألا يكون موجودا؛ فكيف تصلح الدنيا ويطيب العيش بمن إذا رأى جُزورية^(٦) التقط الأكلاد والأسمّة، وإذا عاين بقرية^(٧) آستولى على العراق^(٨) والقطنة، وإن عاين بطن

(١) كذا في البخلا، وقد أوردتها المحبّي في كتابه « ما يعول عليه في المضاف والمضاف إليه »

فقال : « بيضة البقيلة تذكر في عيون الأطلعة ولا تستحسن المبادرة إليها » . وفي الأصل : « البيضة

المقلية » . (٢) السلّامة : واحدة السلام وهو ضرب من الطير أغبر ضوئيل الرجلين .

(٣) الكركي : طائر يقرب من الإوز أقر الذنب رمادي اللون في خده لمعات سود بأرض إلى الماء

أحيانا . (٤) الشاكلة : الخاصرة . (٥) الدراج كرماني : طائر جميل المنظر ملون

الريش، يطلق على الذكر والأنثى . (٦) التكلة عن البخلا . (٧) كذا في البخلا،

ويظهر أنها ضرب من الطعام ينسب إلى الجزور وهو واحد الإبل يقع على الذكر والأنثى . وفي الأصل :

« جزرية » والجزرة : الشاة السميّة أو ما يذبح من الشاء، وذكر الأسمّة في الكلام بأبائها .

(٨) العراق : ما دون السرة من الحشا معترضا بالبطن . (٩) القطنة : مثل الرمّة تكون على

الكرش وهي ذات الأظباق، والعامة تسميها الرمّة .

سمكةٍ آخترق كلَّ شيءٍ فيه، وإن أتوا يجنب شِواءٍ آكتسح ما عليه، ولا يرحم ذا سنٍّ لضعفه، ولا يرقُّ على حَدَثٍ لِحَمَةِ شهوته، ولا ينظر للعيال؛ ولا يُبالي كيف دارت الحال. وأشدُّ من كل ما وصفنا أن الطباخ ربما أتى باللون الطريف الطريف، والعادة في مثل ذلك اللون أن يكون لطيف الشخص صغير الحجم، فيقدمه حارًّا مُمتنعًا. وربما كان من جواهر بَطْنِ الثُتُور، وأصحابنا في سهولة أزدِراد الحار عليهم في طبائع النعام، وأنا في شدة الحار [على] في طبائع السباع، فإن نظرت إلى أن يمكن أتوا على آخره، وإن أنا بادرتُ مخافة الفوت وأردتُ أن أشاركهم في بعضه لم آمن ضرره؛ والحار ربما قتل وربما أبال الدم. قال: وعوتب على تركه إطعام الناس معه وهو يتخذ فيكثر، فقال: أتم لهذا أترك مني، فإن زعمتم أنني أكثر مالا وأعدُّ عُدَّةً، فليس بين حالي وحالكُم من التفاوت أن أطعم أبداً وماكلوا أبداً، فإذا أتيتُم من أموالكم من البذل على قدر احتمالكم، علمتُ أنكم الخير أردتم، وإلى تزييني ذهبتُم، وإلا فإنكم إنما تحلبون حلباً لكم شطْرُه.

قال: كان أبو ثُمَامَةَ أَفْطَرْنَا سَا وَقَعَ بَابُهُ فَكَثُرَ عَلَيْهِ النَّاسُ، فقال: إن الله لا يستحي من الحق، وكُلُّكم واجبُ الحق، ولو استطعنا أن نَعْمَكُم بِالرِّكْتَمِ فِيهِ سِوَاءٌ وَلَمْ يَكُنْ بَعْضُكُمْ أَوْلَى بِهِ مِنْ بَعْضٍ؛ كَذَلِكَ أَتَمُّ إِذَا عَجَزْنَا أَوْ بَدَأْنَا، فَلَيْسَ بَعْضُكُمْ أَحَقُّ بِالْجِرْمَانِ وَالْإِعْتِذَارِ إِلَيْهِ مِنْ بَعْضٍ، وَمَتَى قَرَّبْتُ بَعْضُكُمْ وَفَتَحْتُ بَابِي لَمْ وَبَاعَدْتُ الْآخَرِينَ، لَمْ يَكُنْ فِي إِدْخَالِ الْبَعْضِ عَذْرٌ، وَلَا فِي مَنَعَ الْآخَرِينَ حُجَّةٌ؛ فَأَنْصَرَفُوا وَلَمْ يَعُودُوا.

(١) كذا في البخلاء. وفي الأصل: «متنع» وهو تعريف. (٢) كذا في البخلاء، وفي الأصل: «في». (٣) الكلمة من البخلاء. (٤) نظرت: انتظرت. (٥) كذا في البخلاء، وفي الأصل: «أشاركه». (٦) كذا في الأصل، وفي البخلاء: «وإلى تزييني». (٧) في كتاب البخلاء (ص ٢١٥): «منمة». (٨) في الأصل: «ويفتح».

قال : وكان محمد بن أبي المؤمل يقول : قاتل الله رجلاً ثَمًا ثَوًّا كُلُّهُمْ ، مارأيتُ قَصْعَةً رُفِعَتْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ إِلَّا وَفِيهَا فَضْلٌ ، وكانوا يعلمون أن إحصارَ الجَدَى إنما هو شيءٌ من آيِنِ الموائد الرِّفِعة ، وإنما جعل كالتقافية وكالتخاتمة ^(٢) وكالعلامة لليسر والفراغ ، ولم يُحضَر للتفريق والتخريب ، وأن أهله لو أرادوا به سوءاً لَقَدَّمُوهُ لتقع الحِدة به ؛ ولذلك قال أبو الحارث جُمُوحِين رَأَى لَا يُمَسُّ : هذا المدفوعُ عنه .

ولقد كانوا يَتَحَامَوْنَ بيضةَ البَقِيلَةِ ، وَيَدْعُوهَا كُلُّ واحدٍ لصاحبه ، وأنت اليوم إذا أردت أن تُتَمَتَّعَ عَيْنُكَ بنظرة واحدة منها ومن بيضة السَّلَاةِ ^(٣) لم تَقْدِرْ على ذلك .

وكان يقول : الآدام أعداءُ الخبزِ ، وأعداها له المالحُ ؛ فلولا أن الله أعان عليها بالماء وطلبَ آكله له لَأَتَى على الحَرْثِ والنَّسلِ .

وكان يقول : ما بال الرجل إذا قال : أَسْقِنِي ماءً أَنَاهُ بَقْلَةً على قدر الرِّى أو أصغر ، وإذا قال : أَطْعِمْنِي شَيْئاً أو هات لفلان طعاماً ، أَنَاهُ من الخبزِ بما يَفْضُلُ عن

(١) كذا في البخلاء ، والآيِن : العادة ، وأصل معناه السياسة المسيرة بين فرقة عظيمة ، أجمعى عربيه المولدون ، قال مهياري قصيدة له :

يجمع الخريت حولا أمره * وهو لم يأخذ لها آيِنها

(٢) راجع شفاء الغليل (وفي الأصل : « أنس الموائد » . (٢) في البخلاء : « كالعاقبة » ١٥ (٣) كذا في البخلاء . وفي الأصل : « كالعلامة للبشر » وهو تحريف . (٤) في الأصل والبخلاء : « جمين » بالنون في آخره . وورد في القاموس وشرحه في مادة (ج م ن) : « أبو الحارث جمين كقريط المديني ، حكى ضبطه المحدثون بالنون ، وهو صاحب النوادر والمزاح : والصواب بالزاي المعجمة في آخره ، أنشد أبو بكر بن منسم :

٢٠ إن أبا الحارث جُمُوحِين * قد أرق الحكة والميزا

وقد أهمله المصنف (مؤلف القاموس) في حرف الزاي ونهنا عليه هناك « اد . ولذا رجحنا ذكره بالزاي المعجمة في جميع المواضع التي ورد فيها . (٥) تقدم تفسيرها قريباً . (٦) كذا في البخلاء ، وفي الأصل : « وكان يقال » .

الجماعة، والطعامُ والشرابُ أخوان . أما إنه لولا رخص الماء وغلاء الخبز لما
كَلَبُوا على الخبز وزَهَدُوا في الماء؛ والناسُ أشدَّ شيءَ تعظيماً لما كَوَلُوا إذا كَثُرَ ثَمَنُهُ
وكان قليلاً في مَنبَتِهِ وعُنْصَرِهِ . هذا الجزر الصافي والباقلَاءُ^(١) الأخضر أطيب من كَثْرَى
نُراسان والموز البستاني، وهذا الباذِنجان أطيب من التَّكَّة . ولكنهم لِقَصْرِ هِمَمِهِمْ
وأذهانهم في التقليد والعادة لا يشتهون إلا على قدر الثمن .

وكان يقول : لو شرب الناسُ الماءَ على طعامهم لما أَسْتَحْمُوا . وذلك أن الرجل
لا يَعْرِفُ مقدارَ ما أكل حتى يَنَالَ من الماء شيئاً ، لأنه ربما كان شعبان وهو
لا يَدْرِي . وفي قول الناس : ماءُ دِجْلَةَ أَمْرَأَ من ماءِ الْفُرَاتِ ، وماءُ مِهْرَانَ أَمْرَأَ من
ماءِ [نَهْرٍ] بَلَخٍ ؛ وفي قول العرب : هذا ماءٌ عَمِيْرٌ يَصْلُحُ عَلَيْهِ [المال] دليلٌ على أن
الماءَ يُمَرُّ ؛ حتى قالوا : إن الماءَ الذي يكون عليه السَّحَابَاتُ أَمْرَأَ من الماءِ
الذي تكون عليه الْقِيَارَاتُ . فليكنم بشرب الماءِ على الغداء [فإن ذلك أَمْرَأُ] .

قال وكان الثَّورِيّ يقول لعياله : لا تُلْقُوا نوى التمر والرُّطْبَ وتَعَوَّدُوا آتِلَاعَهُ ،
فإن النوى يَتَعَيَّدُ الشحمَ في البطن ، وَيُدْفِي الكُلَيْتَيْنِ بِذلك الشحمِ ؛ واعتبروا ذلك
بِيطُونِ الصَّفَايَا وَجميع ما يَتَغَلَّفُ النَّوى . والله لو حملتم أنفسكم على قَضَمِ الشَّعِيرِ
وَأَعْتَلَفِ الْقَتِّ لوجدتموها سريعةَ الْقَبُولِ ، وقد يأكل الناسُ الْقَتَّ قَدَّاحاً ،

(١) الباقلاء (بفتح الهمزة) بتشديد هاء مقصوراً : القول الواحدة بهاء أو الواحد

والجمع سواء . (٢) مهران : نهر عظيم بقدر دجلة تجري فيه السفن . (٣) التكة عن البخل

(ص ١٠٤) . ونهر بلخ هو جيحون . (٤) كذا بالأمل وتكتب البخل . (٥) الزيادة

عن كتاب البخل . (٦) الصفايا : جمع صني ، والصني : الناقة الغزيرة اللبن وكذلك الشاة .

(٧) القت : حب برى يأكله أهل البرية عام القمح بعد دقه وطبخه . (٨) قداحا : رطباً قبل

أن يجفف .

والشعيرَ قَرِيكًا، ونوى البُسْر الأَخضر، ونوى العَجْوَة ؛ وإنما بَقِيَتْ عليكم الآن عَقَبَة ؛ أنا أقدر أن أبتلع النوى وأُعلِفَه الشَّاءَ، ولكنى أقول هذا بالنظر لكم .

وكان يقول لهم : كلوا الباقلاء بقشوره ، فإن الباقلاء يقول : من أكلنى بقشورى فقد أكلنى، ومن لم يأكلنى بقشورى فانا آكله؛ فما حاجتكم [إلى] أن تصيروا طعاما لطعامكم، وأكلًا لما جعل أكلًا لكم .

قال : وحُتم هو وعيَّته فلم يفدروا على أكل الخبز، فربح أقواتهم في تلك الأيام؛ فقريح وقال : لو كان في منزلى سوقُ الأهواز ونظاةٌ خَيْر رجوتُ أن أستفضل في كل سنة مائة دينار .

قال : ودعا موسى بن جَنَاح جماعةً من حيرانه ليقطروا عنده [في شهر رمضان] ،^(٢)
فلما وضعت المائدة أقبل عليهم ثم قال لهم : لا تعجلوا ، فإن العجلة من عمل الشيطان .
ثم وقف وقفةً ثم قال : وكيف لا تعجلون والله تعالى يقول : ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾ .
استمعوا ما أقول لكم ، فإن فيه حسن المؤاكلة والتباعد من الآثمة ، والعاقبة الرشيدة ،
والسيرة المحمودة : إذا مدَّ أحدكم يده ليستقي ماءً فامسكوا أيديكم حتى يفرغ ،
فإنكم تجمعون عليه خصلاً : منها أنكم تنقصون عليه في شربه ، ومنها أنه إذا أراد
اللقاق بكم فلعلة يتسرع إلى لقمة حارة فيموت ، وأدنى ذلك أن تبعثوه على الحرص

(١) كذا في البخلاء . وفي الأصل : « أن أقدر أن أبيع النوى » . (٢) كذا في البخلاء .
ويريد سوق الأهواز : كورها وهي كثيرة الحمى ورجوه أهلها مصفرة منجبة . ونظاة خير : قصبتها
وهي مشهورة بالحمى أيضاً . قدم أعرابي خبير فقال :

قلت لحي خبير استعدي * طاك عيال فاجهدنى وجتدى

وباصكرى بهالب رورد * أعانك الله على ذا الجند

لحم ومات ربي عياله . وفي الأصل : « مظلة خير » . (٣) الحكمة عن كتاب البخلاء .

وعلى عِظَم اللَّتَمِّ . ولهذا قال بعضهم وقد قيل له : لم تبدأ بأكل اللحم ؟ قال : لأنَّ
اللَّحْمَ ظَاعِنٌ والثَّرِيدُ مَقِيمٌ . وأنا وإن كان الطعام طعامي فإني كذلك أفعل ؛ فإذا رأيتم
فعلي يخالف قولي فلا طاعة لي عليكم . قال بعضهم : فربما نسي بعضنا فمَدَّ يده
وصاحبه يشرب ، فيقول له : يدك يا فاسي . ولولا شيء لَقَلْتُ لك : يا متغافل .
قال : فَأَتَانَا بَارِزَةٌ لو شاء أحدنا أن يَعُدَّ حَبَاتَهَا لَعَدَّهَا ، لِتَفْرِقَهَا وَقَلَّتْهَا ، وهي مقدار
نصف سُكَّرَجَةٍ ؛ فَوَقَعْتُ فِي غَمِي قِطْعَةً ، وَكُنْتُ إِلَى حَنْبِهِ ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا حِينَ
مَضَعْتُهَا ، فَقَالَ : أَجْرُشْ يَا أَبَا كَعْبٍ .

قال : وَكَأَنَّمَا نَسَمِعُ بِاللَّيْلِ الرَّاظِعَ ، وهو الذي يَرْضَعُ الْحَلْبُ فَلَا يَحْلُبُهُ فِي الْإِنَاءِ
لِئَلَّا يُسَمِعَ صَوْتُ الْحَلْبِ — وقال بعضهم : لئلا يضع من اللبن شيء — ثم رأيتُ
أبا سعيد المدائني قد صنع أعظم من ذلك : ارتضع من دَكِّ خَلَا حَتَّى قَتِي وَلَمْ يَخْرُجْ
منه شيء .

قال : وَكَانَ الْكِندِيُّ لَا يَزَالُ يَقُولُ لِلسَّاكِنِ مِنْ سُكَّانِنَا — [وَرَبَّمَا قَالَ ^(٥)]
لِلْحَارِ — إِنَّ فِي دَارِي أَمْرًا هَا هُنَا حَبْلٌ ، وَالْوَحْمَى رُبَّمَا أَسْقَطَتْ مِنْ رِيحِ الْقَدْرِ الطَّيِّبَةِ ،
فَإِذَا طَبَخْتُمْ فَرُدُّوا شَهْوَتَهَا بِغُرْفَةٍ أَوْ بَلْعَقَةٍ فَإِنَّ النَّفْسَ يَرُدُّهَا الْيَسِيرَ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ
ذَلِكَ وَأَسْقَطْتَ فَعَلَيْكَ غُرَّةٌ ^(٦) : عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ .

(١) في الأصل : «حب» بالإنفراد . (٢) السكرجة : النخلة .

(٣) في الأصل : «وكذا نسمع» . (٤) الحلب (بالتحريك) : اللبن . (٥) التكملة عن

كتاب ابن خلاء للجاحظ (ص ٨٣ ضع أورب) . (٦) الغرة : البياض الذي يكون في وجه الفرس ،

والمراد بالغرة هنا العبد الأبيض أو الأمة البيضاء . وسمى غرة لياضه ، فلا يقبل في الدية عبد أسود ولا جزرية

سوداء ، وليس ذلك شرطا عند الفقهاء . وتمام الغرة عندهم ما بلغ ثمنه نصف عشر الدية من العيد والإمام .

وقال بعضهم : نزلنا داراً بالكراء للكِنْدِيَّ على شروط ، فكان في شرطه على السكان أن يكون له روث الدابة ، وبعر الشاة ، ونشوار العُلُوفَة^(١) ، وألا يُخْرِجُوا عَظْماً ولا يُخْرِجُوا كُنَاسَةً ، وأن يكون له نوى التمر ، وقشور الرمان ، والغرفة من كل قدر تُطَبَخُ لِلْحَبْلِ في بيته ، وكان في ذلك يَتَنَزَّلُ عليهم^(٢) ، فكانوا لطيفيه وإفراط بخله يحتملون ذلك .

وقال دَعْبِل : أقمنا يوماً عند سَهْل بن هارون ، فأطلنا الحديث حتى أضطرتّه الجوعُ إلى أن دعا بَعْدَانَهُ ، فَأَتَى بِصَحْفَةٍ عَدْمِيَّةٍ^(٣) فيها مَرَقٌ لَحِيمٍ دِيكٍ عَاسٍ حَرِيمٍ^(٤) ليس قبلها ولا بعدها غيرها . لا تُنْخَزُ فيه السكين ، ولا تُؤَثَرُ فيه الأضراس ، فأطلع في القَصْعة وقلَّب بصره فيها ، فأخذ قطعة خبز يابس فقلَّب بها جميع ما في الصحفة ففقد الرأس ، فبقي مُطَرِّقاً ساعة ، ثم رفع رأسه الى الغلام وقال : أين الرأس ؟ قال : رميتُ به ، قال : ولم ؟ قال : ما ظننتُ أنك تأكله [ولا تسأل عنه] ! قال : ولأى شيء ظننتُ ذلك ؟ فوالله إني لأثقتُ من يرمى برجله فكيف من يرمى برأسه ! والرأسُ رئيس ، وفيه الحواس الخمس ، ومنه يصيح الديك ، ولولا صوته ما أريد ، وفيه عُرفه الذي يُتَبَرَّكُ به ، وفيه عينه التي يُضْرَبُ بها المثل فيقال : « شراب كعين الديك » ، وديماغه عجبٌ لوجع الكُلية ، ولن ترى عظماً قطُّ أُهشَّ من عظم رأسه ؛ فإن كان من نُبِّلَ أنك لا تأكله فإن عندنا من يأكله . أو ما علمت أنه خير من طَرَفِ الجَنَاحِ ومن الساق ومن العنق ! . انظر أين هو . قال : لا والله لا أدري أين هو ، رميتُ به ؛ قال : لكني أدري أنك رميت به في بطنك ، والله حَسْبُكَ .

(١) انشوار : ما يتبقى من علف الدابة . (٢) يتنزل عليهم : يزل عليهم ويصرفهم .

(٣) عدمية : قديمة . (٤) العاسي : الذي أسن حتى جف وصلب .

٢٠

(٥) لا نخز : لا تقطع . وفي الأصل : « لا نخجر » . (٦) اثر زيادة عن العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٢٤)

(٧) تقول العرب في أمثالها : « أصنى من عين الديك » .

وحكى عن رجل أنه قال : مررت ببعض طُرُقَات الكوفة ، فإذا رجل يُحَاصِم جَاراً له ، فقلت : ما بالكما تختصمان ؟ فقال [أحدهما ^(١)] : لا والله إلا أن صديقاً لى زارنى فأشهى على رأسا ، فاشتريته وتقديتاه وأخذت عظامه فوضعتها على باب دارى أتجمل بها عند جيراني ، بخاء هذا فأخذها وتركها على باب داره يؤهم أنه اشتراه .

قال : وتناول رجل من بين يدي أمير من الأمراء بيضة وهو معه ، فقال : ^(٢) خذها فإنها بيضة العقر ، ولم يأذن له بعد ذلك . ^(٣)

قال : وقدمت مائدة لرجل عليها أرغفة على عدد الرؤوس ورغيف زائد يوضع على الصحاف ، فلما أنفذ القوم خبرهم التفت الى رجل الى جانبه فقال : اكسر هذا الرغيف وفرقه بينهم ، فتغافل ، فأعاد عليه . فقال : يتلى على يد غيرى .

قال المدائني : كان للمغيرة بن عبد الله الثقفي وهو على الكوفة جدى يوضع على مائدته بعد الطعام لا يمسه هو ولا غيره ، فقدم أعرابي يوماً فاكل لحمه وتعرق عظامه ، فقال ، يا هذا ، أطلب هذا البأس بدخل ؟ ! هل نطحتك أمه ! قال : وأبيك إنك لشقيق عليه ! هل أرضعتك أمه ! .

قال المدائني : كان لزياد بن عبد الله الحارثي جدى لا يمسه [أحد] ^(٨) ، فعشى في شهر رمضان قوماً فيهم أشعب ، فعرض أشعب يوماً للجدى من بين القوم ،

(١) اتمكلة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٢٥) . (٢) جاءت هذه العبارة في العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٢٥) ضمن الحكاية التي سيرها المدائني بعد عن المغيرة بن عبد الله الثغني والأعرابي الذي قدم عليه . (٣) بيضة العقر : بيضة يبيضها الديك مرة واحدة ثم لا يعود ، يضرب مثلاً لمن يصنع الصنعة ثم لا يعاودها . راجع القسان مادة «بيض» . (٤) تعرق العظم : أخذ ما عليه من لحم .

(٥) الدحل : النار . (٦) في الأصل : « إنه لشقيق » .

(٧) في الأصل : « قال » وكتب في حاشي الأصل الفتوغرافي : « لعله كان » وهو انصواب .

(٨) الزيادة عن كتاب البخل (ص ١٦٢ ضيق أوربا) .

فقال زياد حين رُفِعَت المائدة : أَمَا لأهل السجن إمامٌ يصلي بهم ؟ قالوا : لا ؛ قال : فليُصَلِّ بهم أشعب ؛ قال أشعب : أَوَ غيرَ ذلك أيها الأمير ؟ قال : وما هو ؟ قال : لا أكل لحم جدى أبدا .

قال : وكان المغيرة بن عبد الله : تَمَتَّى يا كل وأصحابه تمرا فأنظفنا السراج ، وكانوا يُقَوِّنون النوى في طَمَسٍ ، فسمع صوت نواتين ؛ فقال : من ذا يلعب .
بالكعبتين^(١) ؟

قال الأعشى^(٢) :

تيتون في المشتى ملاء بطونكم * وجارانكم سغبٌ يبتن نحائصا

وقال آخر^(٣) :

١٠ وضيف عمرو وعمرو ساهران معا * فذاك من كظلة والضيف من جوع

وقال آخر :

وجيرة لا ترى في الناس مثلهم * اذا يكون لهم عيدٌ وإفطارٌ
إن يُوقِدُوا يوسعونا من دُخانهم * وليس يبلغنا ما تُضج النار

وقال سماعة بن أشول :

١٥ نزلنا بسهمٍ والسماءُ تُلْقِنَا * لحى الله سَهْمًا ما أدقُّ والأما
فلما رأينا أنه عاتمُ القري^(٥) * بجبلٍ ذكُرنا ليلة الهَضْبِ كَرَدَمًا

(١) الكعبة والكعب : النظم الذي تلعب به الصبيان .

(٢) هوميون بن قوس : قال هذا الشعر جوع عكمة بن ملاء .

(٣) هو بشاركة في نهاية الأرب (ج ٣ ص ٣٢٠ طبعه أولي) ، ورواية البيت فيه :

٢٠ وضيف عمرو وعمرو يسهران معا * عمرو لبطنته والضيف لجوع

(٤) في الأصل : « لتر » . (٥) ماتم القرى : بطنه .

فَقُنْنا وَحَمَلْنا على الأَيْنِ والوَجَى * جُلْلا بأوصال الرَّدِيفَيْنِ مِرْجَمًا^(١)
يَدُقْ خِرَاطِيمَ القِنَانِ كَأَنَّمَا * يَدُقْ بَصَوَانِ الجَلَامِيدِ حَنَمًا^(٢)
بَحْنًا وَقَدْ باضَ الكَرَى في عَيُونِنا * قَتَى من عَيُونِ المُرْقَيْنِ مَسَلَمًا^(٣)
تَسَاخُ اليَدِ هَجْمَةً وإِصْكِةً^(٤) * رَعَتْ بِالْجَوَاءِ البَقْلَ حَوْلًا مَجْرَمًا^(٥)
كَأَنَّ بِأَحْقِيهَا إِذَا مَا تَعَمَّتْ * مَرَادًا سَقَا فِيهِ المَزُودَ مَعْصَمًا^(٦)
فَبَاتَ رَفِيقِي بَعْدَ مَا سَاءَ ظَنُّهُ * بِمَنْزِلَةٍ منْ آخِرِ اللَّيْلِ مُكْرَمًا^(٧)
وَلَوْ أَنَّهُ لَمْ يَدْفَعْ العَيْسَ زَمْنًا * رَأَى بَعْضُهَا مِنْ بَعْضِ أُنْسَاءِهَا دَمًا^(٨)
وَقَالَ حُمَيْدُ الأَرْقَطِ :

وَمُسْتَبِجٌ بَعْدَ المَدْوَى وَقَدْ جَرَتْ * لَهُ حَرْجَفٌ نَكَبًا وَاللَّيْلُ عَاتِمٌ^(٩)
رَفَعْتُ لَهُ مَخْلُوطَةً فَاهْتَدَى بِهَا * يَشَبُّهَا ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ جَا حِمٌ^(١٠)
فَاطْعَمْتُهُ حَتَّى غَلَا وَكَأَنَّمَا * تَنَازَعَهُ فِي أَخْلَعَيْهِ المَحَاجِمُ^(١١)

(١) الجلال : الجبل الضخم . (٢) المرحم : المضطرب المدور ، وفي الأصل : «مرحما» .

(٣) في الأصل : «تدق» . (٤) الختم : الخلف بأنواعه ؛ قال سالم بن دارة :

وقد أوطلت في السير حتى كأنما * يكسر قبض يميني وحتم

والقبض : قشرة البيضة العليا اليابسة . وكتب في الأصل الفتوغراف أمام كلمة الختم : «الحصيد» ولعله من

معاني الكلمة . (٥) في الأصل : «المفرقين» ، ولعله : «من عيوب المفرقين مسلما» ، ويريد مدحه

بأنه سالم من عيوب المفرقين الذين أفسدوا ما عملوا من صالح بما ارتكبه من أثم . (٦) الهجمة من

الايال : أوطأ الأربسون الى ما زادت ، وفيها أقوال غير ذلك . (٧) هكذا بالأصل ولعلها «واللمية» .

(٨) الجواء : الواسع من الأودية ، وربما أريد به موضع بعينه . (٩) في الأصل : «الثلل» .

(١٠) مجرما : تاما ، وفي الأصل : «محزما» . (١١) أخى : جمع حقوه وهو الخصر .

(١٢) المزاد : جمع مرادة وهي الرارية والقربة التي يستقى فيها . (١٣) معصا : مشددا بالعصا

وهو رباط القربة . (١٤) أنساء : جمع نساء وهو عرق من النورك الى انكعب . وفي الأصل :

«أنسائها» . (١٥) في الأصل : «ومستبج» . (١٦) كذا بالأصل ولعلها «مخبوطة»

وهي الشجرة التي تقض عنها ورقها . (١٧) في الأصل «تتاع» .

(١) (٢) كَرْمَهُانَ يَفْطُو الْمَشَى لَوْ جُعِلَتْ لَهُ * رَعَايَا الْجَمَى لَمْ يَلْتَفِتْ وَهُوَ قَائِمٌ
حَرِيصٌ عَلَى التَّسْلِيمِ لَوْ يَسْتَطِيعُهُ * فَلَمْ يَسْتَطِعْ لَمَّا غَدَا وَهُوَ عَائِمٌ^(٣)
وَقَالَ الْأَعَشَى :^(٤)

إِذَا حَلَّتْ مَعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو * عَلَى الْأَطْوَاءِ خَنَقَتِ الْكَلَابَا

وَقَالَ آخَرُ :^(٥)

أَيَّابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبْنَةَ مَالِكٍ * وَيَابْنَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْفَرَسِ الْوَرْدِ
إِذَا مَا عَمِلْتَ الزَّادَ فَاتِمِسِي لَهُ * أَكْبَلًا فَإِنِّي غَيْرُ آكِلِهِ وَحَدِي^(٦)
بَعِيدًا قَصِيًّا أَوْ قَرِيبًا فَإِنِّي * أَخَافُ مَنَمَاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي^(٧)
وَكَيْفَ يُسَيِّغُ الْمَرْءُ زَادًا وَجَارَهُ * خَفِيفُ الْمَنَى بَادِي الْخَصَاصَةِ وَالْجَهْدِ
وَلَمَمْتُ خَيْرٌ مِنْ زِيَارَةِ بَاخِلٍ * يُلَاحِظُ أَطْرَافَ الْأَكِيلِ عَلَى عَمْدِ
وَقَالَ مُرَّةُ بْنُ مَحْكَانَ السَّعْدِيُّ :

فَقُلْتُ لَمَّا غَدَوْتُ أَوْصِي قَعِيدَتَا * غَدَى بَيْنِكَ فَلَنْ تُفْقِيَهُمْ حَقَبًا^(٨)
أَدْعَى أَبَاهُمْ وَلَمْ أُقْرِفْ بِأَمَّتِهِمْ * وَقَدْ هَجَمْتُ وَلَمْ أُعْرِفْ لَهُمْ نَسَبًا

(١) الزمهان : الحران . (٢) فطأ الدابة يفظوها : ساقها سوقا شديدا .

(٣) كذا بالأصل ، ولعلها « صتم » كما يقتضيه السياق . (٤) هو أعمش بن قنبل كما في كتاب الحيوان للجاحظ (ج ١ ص ١٩٤) . (٥) هو حاتم الطائي يخاطب امرأته مارية بنت عبد الله ، وعنى بذى البردين عامر بن أحيمر بن بهلة . (٦) رواية أشعار الحماسة : إذا ما صنعت ... * ... فاني لست ... (٧) روى هذا الشطر في أشعار الحماسة :
أخاطارنا أوجاريت فإني *
(٨) رواية الشعر والشعراء لقتول (ص ٤٣٢) : « فلن تفتقهم » .

وقال حماد بن عمار :

زرتُ أمراً في بيته مرة * له حياة وله خير
يكره أن يُنخَم إخوانه * إن أذى الثخمة محذور
ويستهي أن يُؤجروا عنده * بالصوم والصائم مأجور

وقال بعض المُحدثين :

أبو نوح نزلت عليه يوماً * فغَداني برائحة الطعام
(١) وجاء بلحم لا شيء سمين * فقَدَمه على طبق الكلام
فلما أن رَفَعْتُ يدي سقاني * مداماً بعد ذاك بلا مدام
فكان كمن سقى الفلّان آلاً * وكنتُ كمن تغدّى في المنام

وقال عُروَةُ بن الورد :

إني أمرؤ عافٍ إنائي شُرْك * وأنت أمرؤ عافٍ إنائك واحد
أتهزأ مني أن سَمِنْتَ وأن ترى * بجسمي مس الحق والحق جاهد
أقسم جسمي في جسوم كثيرة * وأحسوقراح الماء والماء بارد

(١) رواية العقد الفرید (ج ٣ ص ٢٢٨) :

وقد قدم ينفنا لحماً سمينا * فقَدَمه على طبق الكلام

فلما أن رفعت يدي سقاني * كزورما حشوها ریح المدام

(٢) في أشعار الحماة (ص ٧٢٣ طبع أوروبا) : «بوجهي شحوب الحق» .

باب القسودور والحفان

ذكر الفرزدق عقبة بن جبار المتقري وقدره فقال :

لو أن قدرًا بكت من طول محبسا * على الحفوف بكت قدر ابن جبار^(١)
ما مسمها نسم مُدَّ قُضَّ مَعِينُهَا * ولا رأت بعد نار القهر من نار

وقال :

كأن تطلع الترعيب فيها * عذار يطلن إلى عذار^(٢)^(٣)

وقال الكمي :

كأن النظام من غلها * أراجيز أسلم تهجو غفارا^(٤)

وقال آخر :

وقدر بكوف الليل أحشت غلها * ترى الفيل فيها طافيا لم يفصل^(٥)

وقال ابن الزبير يمدح أمماء بن خارجة :

ترى البارز البختي فوق خوانه * مقطعة أعضائه ومفاصله^(٦)

(١) كذا في ديوانه المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢ ش أدب (ص ٢٩) . والحفوف :

قلة الدسم . وفي الأصل : « الحفون » وهو تحريف .

(٢) هذا البيت من أبيات يمدح بها أبا السمط ، صميم بن عامر أحد بني عمرو ، ومطلعها :

سألنا عن أبي السمط ، حتى * أتينا خير مطروق لآري

(٣) كذا في ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب . والترعيب : السام المقطع شطاب مستطيلة .

وفي الأصل : « الترغيب » بالعين المعجمة وهو تحريف . (٤) النظامط (بضم النون المعجمة) : صوت

الفلان . ويقال : تنضمطت القدر إذا اشتد غلها . وأسلم وغفار : قيطان كانت بينهما مهاجاة .

(٥) هو ميسرة أبر الدرداء ، كما في كتاب البغلاء لمجا حظ (ص ٢٤٨ طبع أوربا) . (٦) كذا

في كتاب البغلاء . وفي الأصل : « اجشت » وهو تحريف . وأحش القدر : أشبع وفودها .

(٧) هو عبد الله بن الزبير الأسدي كما في الأغانى (ج ١٣ ص ٣٥ ، ٤٢ طبع بولاق) .

وقال الرقاشي :

لنا من عطاء الله دَهْمَاءُ جَوْنَةٌ ^(١) * تناول ^(٢) بعد الأقربين الأفاصيا
جعلتُ أَلَالًا ^(٣) وَالرَّجَامَ ^(٣) وَطَخْفَةً * لما فاستقلت فوقهن الأثافيا
مؤدبةً ^(٤) عنا حنوقَ محمد * إذا ما أتاننا يابس الجنب طاوياً ^(٤)
أنى ^(٥) ابنُ بسيرٍ كي يُنَفِّسَ كَرْبَهُ * إذا لم يَرْجُ وافٍ مع الصبح غادياً
فأجابه ابن بسير : ^(٦)

وثرماء ^(٧) ثلثاء النواحي ولا يرى * بها أحدٌ عيباً سوى ذلك بادياً
إذا ^(٨) انقاص منها بعضاً لم يجد لها * رعباً لما قد كان منها مدانياً
وإن حاولوا أن يشعبوها فإنها ^(٩) * على الشعب لا تزداد إلا تداعياً
معوذة ^(١٠) الرجال لم توفِ مرقباً * ولم تمتط ^(١١) الجون الثلاث الأثافيا

- (١) الدهماء : القدر . وجونة : سوداء . (٢) في الأصل « تناول » بالياء المثناة .
(٣) ألال (وزان حمام ويرى بكسر هـ) : اسم جبل بعرفات . والرجام : جبل ضويل أحمر نزل به
جيش أبي بكر رضي الله عنه يريدون عمات أيام الزدة . وطخفة (بكسر الطاء وفتح) : جبل .
(٤) في كتاب البغلاء لملاحظ (ص ٢٥٠) : « بانس الحال » . (٥) كذا في كتاب البغلاء ،
وقد ورد هذا البيت في الأصل محرّفاً هكذا :

أنا ابن بسيرٍ ان تنفس كربة * إذا لم ترج وافاً من الصبح غادياً

- (٦) كذا في كتاب البغلاء وهو محمد بن بسير البصريّ كما في الكامل للبرد (ص ٢٢٢ : ٢٢٣ طبع
أوربا) وطبقات الشعراء للؤلّف (ص ٦٠ طبع أوربا) ، وفي الأصل : « ابن بسير » .
(٧) كذا في كتاب البغلاء . وفي الأصل : « سلما » وهو تحريف . وثرماء : من كبرت نبتتها ، شبه
بها القدر التي تكسرت أطرافها من كثرة الاستعمال . والثلثاء : المكسورة النواحي . (٨) انقاص :
انشق . (٩) في الأصل : « وانها » بالواو . (١٠) معوذة : منوعة ، والإرجال : مصدر
أرجله إذا جملة يمشي ، ولعله يريد أن هذه القدر لا تنقل لضخامتها . وفي كتاب البغلاء : « معوذة
الأرجال » . (١١) في الأصل : « ولم يمتط » .

ولا أَجْتَرَعْتُ^(١) من نحو مكة شُقَّةٌ * إلينا ولا جازت بها العيسُ وادياً
ولكنها في أصلها مَوْصِلِيَّةٌ * مجاورةٌ فيضاً من البحر جارياً^(٢)
أَتَنَّا تُزَجِّجُهَا^(٣) المجاذيفُ نحونا * وتُعَقِّبُ فيما بين ذلك المَزَادِيَا^(٤)
يقول لمن هذى القُدُور التي أرى * تَهْبِلُ عليها الرِّيحُ تَرِيًّا وسافياً
فقالوا ولن يَخْفَى على كل ناظرٍ * قُدُورُ رَقَاشٍ إن تأمل دانيًا^(٥)
فقلت متى باللحم عهدُ قُدُورِكُمْ * فقالوا إذا ما لم يَكُنَّ عَوَارِيَا
من أَصْحَى إلى أَصْحَى وإلا فإنها * تَكُونُ بَنَسَجِ العنكبوت كماها
فلما أَسْتَبَانَ الجَهْدُ لِي في وجوههم * وشكواهم أَدخَلْتُهُمْ في عِيَالِيَا
يُنَادِي بَعْضُ بَعْضٍ عند طلعتي * أَلَا أَبْشِرُوا هذا السَّيْرِ جَائِيَا

وقال أبو نُوَّاس :

ودَهَمَاءُ تُنْفِيها رَقَاشٌ إذا شَتَّتْ * مُرَكَّبَةٌ الآذَانِ أُمُّ عِيَالٍ^(٦)
يَقْصُ بِحَيْرُومِ البَعُوضَةِ صدرُها * وتَقْزِلُها عَفْوَاً بِغَيْرِ جَعَالٍ^(٧)

(١) اجتَرَعْتُ : قطعت . وفي الأصل : « اجتَرَعْتُ » بالراء .

(٢) في الأصل : « غِيضاً » بالعين المعجمة . (٣) كذا في كتاب البخل .

وفي الأصل : « تَجَزِّيَا » وهو خطأ . (٤) المَزَادِي : جمع مَزْدَاة ، والمَزْدَاة : الحفيرة

يرى الصبيان فيها اتنوى . (٥) رواية البخل : « رَائِيَا » .

(٦) الدهماء : السوداء من القُدُور . وتنْفِيها : تجعل لها أثافي . وفي ديوانه (ص ١٧٦ طبع مصر) :

« ترسيها » من قولهم : قدر راسية لا تبيع مكانها ولا يطاق تحويلها . (٧) أم عيال : تقوتهم

وتقوم بمحاجتهم . (٨) في الأصل : تقص بحيزون وهو تحريف . وقد ورد هذا الشعر

في ديوانه (ص ١٧٧ طبع مصر هكذا) :

يقص بحيزوم الجرادة صدرها * وينضج ما فيها أفتاد ذبال

وتقل بذكر النار من غير حرها * ويؤلها الطامي بغير جعال

والجعال بالكر : خرقه تنزل بها القدر .

ولو جثتها ملأى عَيْطًا مُجَزَّلًا * لأُخْرِجَتْ مَا فِيهَا بَعْدَ خِلَالِ
 هِيَ الْقِدْرُ قَدْرُ الشَّيْخِ بَكْرٍ وَائِلٍ * رَبِيعُ النَّسَائِي عَامَ كُلِّ خُرَالٍ^(٢)

وقال أيضا :

رَأَيْتُ قُدُورَ النَّاسِ سُودًا مِنْ الصَّلَى^(٣) * وَقَدْرَ الرَّقَاشِيِّينَ زَهْرَاءَ كَالْبَدْرِ
 ولو جثتها ملأى عَيْطًا مُجَزَّلًا * لأُخْرِجَتْ مَا فِيهَا عَلَى طَرَفِ الظُّفْرِ
 يَتَبَنَّى^(٤) لَلْعَتْنَى بَيْنَهُمْ * ثَلَاثٌ كَحُطَّ الشَّاءِ مِنْ نَقَطِ الْحَبْرِ
 تَرْوَحُ عَلَى سَحَى الرَّبَابِ وَدَادِيمِ^(٥) * وَسَعْدٍ وَتَعْرُودِهَا قَرَارِضُ الْفَزْرِ
 وَلِحَى عَمْرٍو تَقَحُّ مِنْ سِجَالِيَا * وَتَغْلِبُ وَالْيَيْضُ^(٦) أَلَلْهَامِيمِ مِنْ بَكْرِ
 إِذَا مَا يُنَادِي بِالرَّحِيلِ سَعَى بِهَا * أُمَامَهُمُ الْحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الدَّرِّ^(٧)

وقال أبو عبيدة : كان لعبد الله بن جُدعان جَفَنَةٌ يأكل منها القائمُ والراكب .
 وذكر غيره أنه وقع فيها صبي ففارق .

(١) العيط : اللحم الطري . ومجزل : مقطع .

(٢) كذا في الديوان وكتب "بجلا" . وفي الأصل : « منيع » .

(٣) في البجلا (ص ٢٥١) : « سودا على الصل » . والصل : النار . (٤) كذا في البجلا .

(٥) (ص ٢٥١) : وفي الأصل : « بيننا للعتنى بفنائهم » . (٦) كذا في كتاب البجلا . وفي الأصل

« مخط » وهو تحريف . (٦) الرباب وداديم وسعد والفزر : أسماء قبائل . والتراضة : اللصوص

والقراءة : واحدة قرضاب أو قرضوب . (٧) كذا في كتاب البجلا . والهاميم من الخيل :

جيادها ، ولهاميم الإبل : غزارها ، ولهاميم الناس : أشياخهم . وفي الأصل : « الهامين من فكر »

وهو تحريف .

(١) وقال الأشعر :

(٢) وأنت مَلِيخٌ كَلِمِ الحُورِ * فلا أنتَ حُلُوٌّ ولا أنتَ مُرٌّ
وقد علم الضيف والطارقون * بأنك للضيف جوعٌ وقُرٌّ

(٣) سأل يحيى بن خالد أبا الحارث جُمُيًّا عن طعام رجلٍ، فقال : أما مائدتُه فقنَّة.

- وأما صحافه فمتقورةٌ من حَبِّ الخَشَاشِ ؛ وبين الرغيف والرغيف نقرة جوزة ، وبين اللون واللون قنرة نبي . قال : فمن يحضرها ؟ قال : الكرام الكاتبون . قال : فيا كل معه أحد ؟ قال : نعم ، الذباب . قال : فلهذا ثوبك غرق ولا يكسوك وأنت معه وبغنائته ؟ ! قال أبو الحارث : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، والله لو ملك بيتاً من بغداد إلى الكوفة مملوءاً إبراً ، في كل إبرة خيط ، ثم جاءه جبريل وميكائيل معهما يعقوبُ يَضْمَنان عنه إبرةً يَخِيطُ بها قميصَ يوسف الذي قُدَّ من دُبرٍ ، ما أعطاهم .

وقال بعضهم :

(٥) ولو عليك آتكاكي في الغداء إذا * لكنت أول مدفون من الجوع

(١) هو الأشعر الرقبان الشاعر . واسمه عمرو بن حارثة أسدي جاهلي ، قال هذا الشعر يخاطب به رجلاً

اسمه رضوان (انظر القسان وشرح القاموس مادة مسخ) وقد ورد هذان اليتان فيما ضمن شعره مع اختلاف في بعض الكلمات وهو :

١٥

بحسبك في القوم أن يعلوا * بأنك فيهم غنى مضر

وقد علم المعشر الضارقوك * بأنك للضيف جوع وقُر

إذا ما انتدى القوم ثم تأتهم * كأنك قد ولدتك الحمر

مسيخ مليخ كلم الحوار * فلا أنت حلو ولا أنت مر

- (٢) المليخ : الذي لا طعم له ، ونخص به بعضهم لحم الحوار (وهو ولد الناقة) حين يزل من بطن أمه .
(٣) يلاحظ هنا أن صدر كلام جميز في حاجة إلى التوضيح لنموض عبارة . (٤) هذا بالأصل .
والذي في العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٢٤) : « أما مائدتُه فغنية » بالين والباء المثناة من تحت والياء الموحدة .
(٥) في العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٢٥) : « مقتول » .

٢٠

سياسة الأبدان بما يصلحها من الطعام وغيره

قال الججاج لنياذوق متطيه: صِف لي صفةً آخذُ بها [في نفسي] ولا أعدوها،
 قال نياذوق: لا تتزوج من النساء إلا شابة، ولا تأكل من اللحم إلا قتيًا،
 ولا تأكله حتى يُنعم طبخه، ولا تشرب دواءً إلا من علة، ولا تأكل من الفاكهة
 إلا نضيجها، ولا تأكل طعاماً إلا أجنت مَضغَه، وكُل ما أحبت من الطعام
 وأشرب عليه، وإذا شربت فلا تأكل عليه شيئاً، ولا تحبس الغائط والبول،
 وإذا أكلت بالنهار قم، وإذا أكلت بالليل فتمش ولو مائة خطوة^(١).

روى عبد العزيز بن عمران عن الحلبي بن حيان الأشجعي قال حدثني أبي
 عن شيوخ من أشجع قال: سألنا يهود خير: يم صححتم بخير؟ قالوا: بشرب
 الخمر، وأكل القوم، وسكون الفجاج، وتجنب بطون الأودية، والخروج من خير
 عند طلوع الفجر وسقوطه^(٢).

قال الججاج للحكم بن المنذر بن الجارود: أخبرني عن صفاء لوتك وغلظ
 قصرتك^(٣)، أشرب اللبن فهو منه؟ قال: لا، قال: ولم؟ قال: لأنه منقعة منفخة^(٤).
 قال: فما شربك؟ قال: نبيذ الدقل^(٥) في الصيف ونبيذ العسل في الشتاء.

- ١٥ (١) كذا في تاريخ الحكماء لقفطي (ص ١٠٥ ضع أوروبا) وضقت الأطباء لابن أبي أصيبعة
 (ج ١ ص ١٢١)، وكان طبيباً مشهوراً في صدر الإسلام والدولة الأموية واختص بالججاج بن يوسف
 فكان يقره ويعتمد عليه في مداواته. وهذا الاسم ذكر مرة في الأصل «ببازوق» ومرة أخرى «ببازوق»،
 وفي العقد القريد «ببازوق». وكه تحريف. (٢) في طبقات الأطباء: «نحين خطوة».
 (٣) في العقد القريد (ج ٣ ص ٣٨٧): «عند طلوع النجم وعند سقوطه». (٤) القصرة:
 أصل العتق إذا غلظ. وفي الأصل: «... عن صفاء لوتك وقصر غلظ قصرتك». (٥) الدقل
 ٢٠ (بالحرير): أردأ التمر وشرب من النخل تمر صغير الجرم كبير النوى.

قال عبد الملك لأعرابي : إنك حسن الكدنة^(١) ، قال : إني أدق رجلي في الشتاء ، وأغفل غاشية الغم ، وآكل كل عند الشهوة .

عن علي رضي الله عنه أنه قال : من ابتدأ غذاءه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعاً من البلاء . ومن أكل كل يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل داء في بطنه ، ومن أكل كل يوم إحدى وعشرين زبيلة حمراء لم يرقى بدنه شيئا يكرهه . واللحم ينبت اللحم . والثريد طعام العرب . ولحم البقر داء ، ولبنها شفاء ، وسمها دواء . والشحم يخرج مثليه من داء . ولم يستشف الناس بشيء أفضل من الرطب . والسّمك يذهب الجسد ، وقراءة القرآن والسواك يذهب البلغم . ومن أراد البقاء - ولا بقاء - فليأكل الفداء ، وليقل غشيان النساء ، ويخفف الرداء ، وليلبس الحذاء . قيل : وما خفة الرداء في البقاء ؟ قال : قلة الدين .

قيل لرجل : إنك لحسن السحنة ، فقال : آكل لباب البر بصغار المعز ، وأدهن بحام البنفسج ، وألبس الكتان .

ويقال : ثلاثة أشياء تورث الهزال : شرب الماء على الريق ، والنوم على غير وطاء ، وكثرة الكلام برفع الصوت .

ويقال : أربع خصال يهدم العمرور بها قتلان : دخول الحمام على بطنية ، والمجامعة على الأمسلاء ، وأكل القديد الجاف ، وشرب الماء البارد على الريق ، وقيل : ومجامعة العجوز .

(١) الكدنة (بالكسر وقد يضم) : غلظ الجسم وكثرة اللحم . وفي الأصل : «الكدية» بالياء المتناة

من تحت ، وهو تحريف . (٢) كذا في الأصل ، والعبارة غير واضحة ، ولعلها محزنة . (٣) كذا

بالأصل ، ولعلها «بجسم البنفسج» واللحم : ما أذيت إحاثه ، والمراد به دهن البنفسج وهو زيت الذي يستخرج منه .

(٤) هي من فصيح تياذوق الطبيب للمحتاج كما في طبقات الأطباء ، ونسبها صاحب العقد القريد (ج ٢

ص ٣٨٧) لبزرجهر . (٥) القديد : اللحم المجفف ، وقيل ما قطع منه طولاً .

وفي الحديث : ^(١) "ثلاثة أشياء تُورث النسيان أكل التفاح الحامض وسُور الفأرة ونَبْدُ القملة" . وفي حديث آخر ^(٢) "والجحامة في الثَّغْرَةِ والبَوْلُ في الماءِ الراكِدِ" .

ويقال : أربعة أشياء تقصِدُ إلى العقلِ بالإفسادِ : الإكثارُ من البصل ، والباقلَاءُ ، والجِماعُ ، والتَّجَارُ .

وقال النَّظام : ثلاثة أشياء تُخلقُ العقلَ وتُفسِدُ الذَّهْنَ : طولُ النَّظَرِ في المِرآةِ ، والاستغرابُ في الضَّحِكِ ، ودوامُ النَّظَرِ إلى البحرِ .
وكان يقال : عَشَاءُ اللَّيْلِ يُورِثُ العِشَاءَ ^(٣) .

ويروى في الحديث : "تَرَكُ العِشَاءِ مَهْرَمَةٌ" . والعربُ تقول : تركَ العِشَاءِ ^(٤) ينهبُ بلحمِ الأَلَيْتَيْنِ .

باب الحِمِيَّةِ

قال الحارث بن كلدة طيب العرب : الدَّواءُ هو الأَزمُ . يعني الحِمِيَّةَ .

قال آخر : الحِمِيَّةُ إحدى العِلَّتَيْنِ .

وقيل لجالينوس : إنك تُقَلِّ من الطَّعامِ ؛ قال : غرضي من الطَّعامِ أن آكُلَ ^(٥) لأَحْيَا ، وغرضُ غيري من الطَّعامِ أن يَحْيَا لِيَاكُلَ .

١٥ (١) ورد هذا الحديث في كتاب حياة الحيوان للدميري (ج ٢ ص ٣١١) هكذا : قال النبي صلى الله عليه وسلم : «ست خصال تورث النسيان : أكل سُرِّ الفأرة وإلقاء القملة وهي حبة والبول في الماء الراكد وقطع القطار ومضغ العلك وأكل التفاح الحامض» . (٢) الثَّغْرَةُ : الوهدة في القفا . (٣) العِشَاءُ : أن يسو، بصر الإنسان أو هو السُّو، أو أن يصير بالتهار ولا يصير بالليل . (٤) قال أبو زيد : مثني الألية ألبان كما تقول هما غصيان وواحدة خصية وقد ورد ألبان في شعر عنترة :

متى ما تلقى فريدين ترحف * روافد ألبيك وتستطارا

٢٠ (٥) ورد هذا الخبر في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٦) منسوباً لأبقراط .

وقال العَمِيُّ: مَنْ آخَمَى فهُوَ عَلَى يَقِينٍ مِنَ الْمَكْرُوهِ، وَفِي شَكٍّ مِمَّا يَأْمُلُ مِنَ الْعَافِيَةِ .
وكان يقال : ليس الطيب من حَمَى الْمَلِكِ وَمَنَعَهُ الشَّهَوَاتِ . إِنَّمَا الطيب
من خَلَّاهُ وَمَا يُرِيدُ وَسَاسَ بَدَنَهُ .

وقال بعض الشعراء :

وَرُبَّتْ حَزِيمٌ كَانَ لِلْسُّقْمِ عِلَّةٌ ۖ وَعِلَّةُ بُرِّ الدَّاءِ خَبْطُ الْمُغْفَلِ
ويقال : الْحِمَةُ لِلصَّحِيحِ ضَارَةٌ كَمَا أَنَّهَا لِلْعَلِيلِ نَافِعَةٌ .

وفي الحديث : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى صَبِيًّا يَأْكُلُ تَمْرًا وَبِهِ
رَمَدٌ، فَقَالَ لَهُ : «أَنَا كُلُ التَّمْرِ وَبِكَ رَمَدٌ» ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا أَمْضَغُ بِهِ^(٢) .
إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَا تُكْرِهُوا مَرْضَاكُمْ عَلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فَإِنَّ اللَّهَ يُطْعِمُهُمْ وَيَسْقِيهِمْ» .^(٣)

باب شرب الدواء

قال عبد الله بن بكر السَّهْمِيُّ : حَدَّثَنَا بَعْضُ أَصْحَابِنَا يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «مَنْ آسَقَلَ بِدَائِهِ فَلَا يَتَدَاوَى فَإِنَّهُ رَبُّ دَوَاءٍ يُورِثُ الدَّاءَ» .

- (١) هُوَعْبَةُ بْنُ مَكْرَمٍ (بُضْمٌ أَوَّلُهُ وَإِسْكَانٌ نِكَافٌ وَفَتْحٌ الْمُهْمَلَةُ) أَبُو عَبْدِ الْمَلِكِ الْبَصْرِيُّ الْخَافِظُ مَاتَ
سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ . (اقتصر الخلاصة في أسماء الرجال) . (٢) يريد أنه يمضغ بتاجية نعين التي
لا رمد فيها . ونص الحديث في الجزء السابع من شرح الزرقاني على المواهب : «وفي سنن ابن ماجة عن صبيب
قال : قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه خبز وتمر ، فقال : «أدن وكل» فأخذت تمرا فأكلت ،
فقال : «تأكل تمرا وبك رمد» فقلت : يا رسول الله أمضغ من التاجية الأخرى ، فبسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم : أنى لأنه إن كان يضره أكل التمر لم يضره المضمغ من تاجية نعين التي لا رمد بها .
(٣) كذا بالأصل ، ولعل هذه الكلمة زيادة من النسخ ، لأن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف روى
عن أبيه ، وجدته مات مقتولا في الجاهلية ، كما في كتاب المعارف لابن قتيبة ، فلم تكن له رواية عن النبي
صلى الله عليه وسلم .

- وكانت الحكماء تقول : إياك وشرب الدواء ما حملت صحتك داءك .
- وقالوا : مثل شرب الدواء مثل الصابون للثوب يُنقىه ، ولكنه يُخلقه ويبيله .
- عن يزيد بن الأصم قال : لقيت^(١) [طبيب^(٢)] كسرى شيخاً [كبيراً] قد أوثق^(٣) حاجبيه بخرقه ، وسأله عن دواء المني ، قال : سهم يرمى به في جوفك أخطأ أو أصاب .
- قال إقراط : الدواء من فوق ، والدواء من تحت ، والدواء لا فوق ولا تحت .
- وفسره المفسر فقال : من كان دأؤه في بطنه فوق سترته سقى الدواء ، ومن كان دأؤه تحت سترته حَقِنَ ، ومن لم يكن به داء لا من فوق ولا من تحت لم يُسقِ الدواء ، فإن الدواء إذا لم يجد داء يعمل فيه وجد الصحة فعمل فيها .
- قال أبو اليقظان : كان عبد العزى بن عبد المطلب يشتكى عينه وهو مطرقٌ أبداً ، وكان يقول : ما يعني بأس ، ولكن كان أنى الحارث إذا اشتكت عينه يقول : آكلوا عين عبد العزى معي فإمر من يكتلني معه ليرضيه بذلك فأمرض عيني .
- قال ابن أحر حين سُفِي بطنه :
- شربت الشكاكى والتددت ألدّة * وأقبلت أفواه العروق المكأويا^(٧)
- شربنا وداوينا وما كان ضارنا * إذا الله حم المرء أن لا تدأويا^(٨)
- وفي الحديث : ” داؤوا مرضاكم بالصدقة وحصنوا أموالكم بالزكاة واستقبلوا أنواع البلايا بالدعاء “ .

- (١) النكة عن أسد الغابة . (٢) المني : الإسهال ودوازه المني وهو المسهل .
- (٣) في الأصل : « أم » . (٤) هو أبو خب . (٥) لعل الفاعل « أبي » أرغوه بمن له ولاية الأمر طيه . (٦) الشكاكى : من دق النبات وهي دقيقة العيدان صغيرة خضراء يتداوى بها الناس . قال سيويه : هو واحد وجمع ، وقال غيره : الواحدة منها شكاكة . والتددت ألدّة من قولهم التدد الرجل إذا ابتلع الدود وهو ماسق في أحد شق الفم ، جمعه ألدّة . (٧) أقبل المكأوة الداء : جعلها قبالة . (٨) كذا في الشعر والشعراء ص ٢٠٨ وفي الأصل : « لنا » .
- (٩) في الجامع الصغير : « واستعينوا على حمل البلاء بالدعاء والتضرع » .

الحَدَّثُ والحُقْنَةُ والتَّخْمَةُ

عن وَهْبٍ قَالَ قَالَ لُقْمَانُ لِأَبْنِهِ : إِنْ طَوَّلَ الْجُلُوسُ عَلَى الْخَلَاءِ يَرْفَعُ الْحَرَارَةَ إِلَى الرَّأْسِ ، وَيُورِثُ الْبَاسُورَ وَيَتَّجِعُ^(١) لَهُ الْكَبِدُ ، فَأَجْلِسْ هُوَيْتِي وَقُمْ هُوَيْتِي . فَكَتَبْتُ حِكْمَتَهُ عَلَى بَابِ الْحَشِّ^(٢) .

وَكَانَ يُقَالُ : إِذَا خَرَجَ الطَّعَامُ قَبْلَ سِتِّ سَاعَاتٍ فَهُوَ مَكْرُوهٌ ، وَإِذَا بَقِيَ أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَاعَةً فَهُوَ مَرَضٌ .

وَكَانَ أَبُو ذُفَّافَةَ الْبَاهِلِيُّ أَشْتَكَى ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ الْأَطْبَاءُ بِالْحُقْنَةِ فَأَمْتَنَعَ ، فَأَنْشَأَ أَعْرَابِيٌّ يَقُولُ :

لَقَدْ سَرَّنِي — وَاللَّهُ وَقَّاكَ شَرَّهَا — * نِفَارُكَ مِنْهَا إِذَا أَتَاكَ يَفْسُودُهَا
كُفَى سَوْءَةً أَلَّا تَرَالَ^(٣) مُجِيًّا * عَلَى شَكْوَةٍ^(٤) وَقَرَاءَ فِي أَمْسِكَ عُودُهَا ١٠

وَأَشَارُوا عَلَى عُيَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ بِالْحُقْنَةِ فَتَفَحَّشَهَا ، فَقَالُوا : إِنَّمَا يَتَوَلَّاهَا مِنْكَ الطَّيِّبُ ، فَقَالَ : أَنَا بِالصَّاحِبِ أَتْسُ .

قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : سَأَلَ الْجَحَّاجُ جُلَسَاءَهُ : مَا أَذْهَبَ الْأَشْيَاءَ لِلْإِعْيَاءِ ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَكَلُ التَّمْرِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْحَمَامُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : التَّمْرِغُ^(٥) .

وَقَالَ فَيْرُوزٌ : أَذْهَبَ الْأَشْيَاءُ لِلْإِعْيَاءِ قَضَاءُ الْحَاجَةِ . ١٥

(١) تَجِعُ مِنْ رَجْعٍ يَوْجَعُ (يَقْلِبُ الْوَارِيَاءُ) إِذَا مَرَضَ وَقَامَ . (٢) الْحَشِّ : الْبَيْتِ

وَقِيلَ : النَّخْلُ الْمُجْتَمِعُ ، وَيَكْنَى بِهِ عَنْ بَيْتِ الْخَلَاءِ ، لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ عَادَتِهِمُ الْغُرُوضُ فِي الْبَسَاتِينِ .

(٣) مُجِيٍّ : مُنْجِبًا عَلَى وَجْهِهِ ، وَفِي الْأَصْلِ : « مُجِيًّا » . (٤) الشَّكْوَةُ : وَغَاءٌ مِنْ جِلْدٍ .

وَوَفَرَاءُ : مَلَايَ . (٥) التَّمْرِغُ : التَّدْهِينُ .

وحدثني بعض الأطباء أن رجلاً شرب خُبثَ الحديد المعجون ببق في جوفه،
فأشئت عليه وجعده ؛ فسحقت له قطعة من المغناطيس وسقي إياه ؛ فعلق بالخبث
ونخرج مع الغائط .

قال : وقال تياذوق طيب ^(١) الحجاج للحجاج : إن اللحم على اللحم يقتل السباع
في البرية . ثم قال لي جعفر : قالت جارية لنا : كان لي ظبي فتربعين قد هيئ
للشككان ^(٢) ، فكل منه غنص - والخنص : الحبط وانتفاخ البطن - فسلخ
فوجد قد شرق بالدم . وقال يونس (طيب لنا) : هكذا يصاب الإنسان ^(٣)
إذا شيم .

الأصمى : قال بعض الأعراب : اللهم إني أسألك ميتة كيتة أبي خارجة ، أكل
بذجا ، وشرب ^(٤) مَعْلًا ، ونام في الشمس ، فلي الله شعبان ريان دقان .

وقال آخر من الأعراب : اللهم أجعل التُّخمة دائي وداء عيالي .
قال ابن شَبَّابة مولى بني أسد : من بال ولم يضطرب كُتبت آسته من الكاظمين
الغيظ .

(١) في الأصل «دياذوق» وقد صححه فيا مر . أنظر صفحة ٢٧٠ حاشية رقم ١

(٢) الشككان كلمة فوسية ؛ ومعناها : الخيز الجاف ؛ أو هي ضرب من الحلوى .

(٣) في الأصل : « بصيب » . (٤) البذج : الحمل . (٥) المعسل :

شراب معمول بالمسل . ومنه قول الشاعر :

إذا أخذت سواكها منحت به . * رضا با كلم الزنجيل المعسل

باب القيء

عن جعفر بن سليمان أنه قال لإنسان أكل ^(١) بقيء إذا أكل : لا تفعل . فإن
المعدة تضيف ^(٢) إلى القيء كما تضيف الدابة إلى الحمل . فلا ينضج الطعام .
وأخذ مزبد شارباً فاستنكهه ^(٣) ، فأتى به الوالي فاستنكهوه ، فقالوا نكهته لا تنفي
عنه ، قال مزبد : إن لم أتي نبذا فمن يضمن لي عشاء .
رأى الجمال يأكل فقيل له : ما تأكل ؟ قال : قيء كلب في خوف خنزير ^(٤) .

التسكبه

سئل تيانوق عن البحر فقال : دواؤه الزيب يعجن بسعتر ثم يؤكل أسبوعين ^(٥)
أو ثلاثة . بخرب فذهب .
وتقول الروم في الكرفس : إنه يطيب الفم ويذهب البخر ، ويحتاج إلى أكله
من يشاهد السلطان ومحافل الناس وكان أكثر كلامه السرار ^(٦) .
قالت الأطباء : الجزر المشوي والخبز المقلوب بالزيت أو بالسمن إذا مضغ
وروي بثقله ^(٧) قاطع لرائحة البصل من الفم . والقوم إن أكله ^(٨) آكل فاحب أن يقطع
رائحته مضغ ورق الزيتون الطري وتمضمض بعده بالخل .

- (١) في الأصل : « نيق » . (٢) تضيف : ثب . (٣) استنكهه : شم ريح
فه ، وأمره أن ينكه ليعلم أشارت حوام غير شارب . (٤) في الأصل : « قالوا » .
(٥) القحف : ما اقلق من الجمجمة فإن أي اقلق ، ولا يدعى قحفا حتى يبين أرينكرمه شيء .
(٦) السعتر : نبت طيب الرائحة حريف زهره أبيض أو لونه . (٧) السرار : المازة .
(٨) الثفل : ما سفل من كل شيء وهو خثارة . (٩) القوم : النوم .

والسُّعْدُ قاطع لرائحة التبيذ من الفم . وَحَبَّ الْأُتْرُجِ مَطِيبٌ لِلنَّكْهَةِ . وَالْبَخَرُ
لا يكاد يكون في الملاحين لأكلهم الملاح .

وقرات في الآمين : أن رئيس الحرم أمر جوارى الملك ألا يأكلن الثوم
والبصل والكراث واللُّفَّاحَ^(٢) والحِمْصَ الرُّطْبَ والمشمش ؛ فإنه يؤرث البخر .

باب المياه والأشربة

قالت الأَطْبَاءُ : معرفة خِفَّةِ الْمَاءِ بأن يكون سريع الغليان ويكون سريع البرد .
وأحمد المياه ما كان قبالة المشرق وبحراه مجرى الشمال ومروره على الطين الأحمر
وعلى الرمل . قالوا : ومما يُصَنَّى من الماء الكدَّر فيصفو سريعاً أن يلتقي فيه
قِطْعٌ من خشب السَّاجِ^(٤) أو قطع من أجرجديد .

١٠ قال بعض المحدثين :

يمنع أمه بالشمال * وماؤها البارد الزلال
يصبح فيها وقايتونا * يحرق به الثلج في مثال^(٥)

(١) السعد نبات له أصل تحت الأرض أسود طيب الرائحة . وفي الأصل : « السند » .

(٢) في الأصل : « لأكلهم الملاحين » ولم نجد له معنى مناسباً ، فلعلها محذرة عما أئبتاه . والملاح :

١٥ ضرب من نبات الحضر أرحضة مثل القلّام فيه حمرة . (٣) اللُّفَّاح : نبات يقطيني

أصفر شبيه بالبادنجان . (٤) الساج : شجر عظيم جداً لا ينبت إلا ببلاد الهند ، وخصبه أسود

رزين لا تكاد الأرض تبليه . (٥) كذا بالأصل ، ولم نقر على هذين البيتين ولم نوفق

إلى تصويهما .

وقال صاحب الفلاحة : من أراد أن يعتب له الماء الرعاق^(١) جعله في قدر جديدة من خرف وغطى فاهها بأشمال^(٢) ثم أوقد تحتها حتى تغلى ويحصل فيها نصف ذلك الماء ثم صفاد وتركه ، فانه يجده شروباً^(٣) .

وقالوا : ماء دجلة يقطع شهوة الرجال ويذهب بصهيل الخيل ونشاطها ، ومن لم يأكل الدسم عليه أنحل عظمه وييس جلدده ، وهو مع هذا أهضم للطعام من غيره من المياه وأسرعها بردا .

قال : والنيل يستقبل الشمال وينضب في وقت زيادة الأودية ويزيد في وقت نقصانها . وزيادة أوله وآخره معها ، ولا تكون التماسيح إلا فيه ؛ قال الشاعر :

أضمرت للنيل هجراناً ومقلية * إذ قيل لي إنما التماسيح في النيل
فمن رأى النيل رأى العين من كثب * فما أرى النيل إلا في البواقيل^(٤)
والسقنقور أيضاً لا يخرج إلا منه .

- (١) الرعاق : المراد الخيل . (٢) أشمال : جمع شمل وهو الخمرة البيضاء . وفي الأصل : «شمال» وقد ورد هذا في جمع شمل وإنما جمعه أشمال بضم أوله وسجل . (٣) الشروب : الماء دون أن يصب يصلح للشرب مع بعض كراهة . (٤) البواقيل — كما في معجم البلدان (ج ٤ ص ٨٦٨ طبع أوروبا) — : كذا إن يشرب منها أهل مصر . وقد روى في شفاء الغليل وزهر الآداب (ج ٢ ص ١٨٠ طبع المطبعة الرحمانية) : «البراقيل» بالراء وفسره الخفاجي بأنه جمع برقال وقال إنه كوز من الزجاج . وقد نجد هذين البيتين في ديوان أبي نواس وهو الذي نسب له البيتان . (٥) السقنقور كما في خطط المقرئ (ج ١ ص ٦٦) : صف يتوالد من السمك والتمساح فلا يشاكل السمك لأن له يدين ورجلين ، ولا يشاكل التمساح لأن ذنبه أجرد أملس عريض غير مضرس ، وذنب التمساح سميف مضرس . وذكره ابن الططار فقال : هو شديد الشبه بالورل يوجد بالرمال التي تلي نيل مصر في نواحي صعيدتها وهو مما يسمى في البر ويدخل في الماء — يعني النيل — ولهذا قيل له الورل المائي لشبهه به ولدخوله في الماء .

وَرُوي في الحديث عن الضحَّاك بن مُزَاحِم أنه قال قَدَفَ الْفُرَات في المَدِّ رُمَانَةً
كَأَنَّهَا البَعِيرُ الْبَارِكُ، وَتَحَدَّثَ أَهْلُ الْكُتَّابِ أَنَّهَا مِنَ الْجَنَّةِ .

وقال ابن ماسويه : ينبغي للماء الغليظ الذي ليس يَسْدُب أن يُطْبَخَ حتى
يَذْهَبَ مِنْهُ نِصْفُهُ، ثُمَّ يُطْرَحَ فِيهِ السَّوِيقُ أو الطَّيْنُ الْأَحْمَرُ فإنه يُلَطِّفُهُ وَيُذْهَبُ غَائِلَتُهُ
وَيُعَذِّبُهُ وَيَمْنَعُ كَدَرَهُ .

قالت الأطباء : الْفَقَّاعُ الْمُتَخَذُ مِنْ دَقِيقِ الشَّعِيرِ نَافِعٌ مِنَ الْجُدَامِ . وَالْجَلَّابُ^(٣)
قَاطِعٌ لِكَثْرَةِ دَمِ الْحَيْضِ ، . وَالسَّكَنْجِينُ^(٤) نَافِعٌ مِنَ الذَّبْحَةِ إِذَا كَانَتْ مِنْ حَرَارَةٍ ،
يُشْرَبُ وَيَتَغَرَّغَرُ بِهِ .

باب اللُّحْمَانِ وَمَا شَاكَلَهَا

قالت الأطباء : لَحْمُ الْمَاعِزِ يُورِثُ الْهَمَّ، وَيُحْزِنُ السُّودَاءَ، وَيُورِثُ النِّسيَانَ،
وَيُجْبِلُ الْأَوْلَادَ، وَيُفْسِدُ الدَّمَ؛ وَهُوَ ضَارٌّ لِمَنْ سَكَنَ الْبِلَادَ الْبَارِدَةَ . وَأَحَدُ اللَّحْمَانِ
مَا خُصِيَ مِنَ الْمَعَزِ، وَالضَّأْنُ نَافِعٌ مِنَ الْمِرَّةِ السُّودَاءِ، إِلَّا أَنْ الْمُرُورِينَ الَّذِينَ يُصَرَّعُونَ،
إِذَا أَكَلُوا لَحْمَ الضَّأْنِ أَشْتَدَّ بِهِمْ ذَلِكَ حَتَّى يُصَرَّعُوا فِي غَيْرِ أَوَانِ الصَّرْعِ . وَأَوَانُ الصَّرْعِ
الْأَهْلَةُ وَأَنْصَافُ الشُّهُورِ .

١٥ (١) في معجم البلدان لياقوت (ج ٣ ص ٨٦١) : « وروى عن السدي ، والله أعلم بحقه من باطله ،
قال : مد الفرات في زمن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فالتق رمانة قطعت الجسر من عظمها ، فأخذت
فكان فيها كَرَحَبٌ ، فأمر المسلمين أن يقتسموها بينهم وكانوا يرونها من الجنة . وهذا باطل لأن فواكه الجنة
لا توجد في الدنيا . ولو لم أر هذا الخبر في عدة مواضع من كتب العلماء ما استجرت كتابته » اهـ .

٢٠ (٢) الفقاع : شراب يتخذ من الشعير ، سمي بذلك لما يصفوه من الزبد . (٣) الجلاب : باللام
مشددة ومخففة : العسل أو السكر ، عقد بوزنه رأ أكثر من ماء النورد . (٤) السكنجين : شراب من
خل وعسل ، ويراد به كل حلوة حامض . (٥) المِرَّةُ السوداء : خلط من خلط البدن .

(١) قال الشاعر :

كَأَنَّ الْقَوْمَ عَشُّوا لَحْمَ ضَانٍ * فَهُمْ نَعَجُونَ قَدْ مَالَتْ طُلَاهِمُ
قَالُوا : وَاللَّحْمِ أَقَلُّ الطَّعَامِ نَجْوًا . وَلَحْمُ الدَّجَاجِ الْحَرِيمُ شَرُّ اللَّحْمَانِ وَأَغْلَظُهُمَا .
وَالْبَيْضُ إِنْ سُلِقَ بِالْحَلَلِ ثُمَّ أُكِلَ بِالسَّاقِ وَحَبَّ الرِّقَانِ الْمُفَلَّقُ وَالْمَلْحُ وَالْمُرِّيُّ
عَقَلَ الطَّبِيعَةَ .

وَالزُّبْدُ إِنْ طُبِيَ عَلَى مَنَابِتِ أَسْنَانِ الْبَطْلِ كَانَ مُعِينًا عَلَى نَبَاتِهَا وَطَلُوعِهَا ، وَالْمَخُ
وَالدَّمَاعُ يَفْعَلَانِ ذَلِكَ .

مَضَارُّ الْأَطْعَمَةِ وَمَنَافِعُهَا

الْكَمَاءُ وَالْفَطْرُ (٦) (٧) — عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَيْهِمْ
وَهُمْ يَذْكُرُونَ الْكَمَاءَ وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ جُدْرِي الْأَرْضِ ، فَقَالَ : « الْكَمَاءُ مِنَ الْمَنِّ (١)
وَمَائِهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ وَالْعَجْوَةُ مِنَ الْجَنَّةِ وَهِيَ شِفَاءٌ مِنَ السُّقْمِ » .

- (١) هُوَ غِلَاقٌ مِنْ عَقَبَةِ الْعَدْوِيِّ الْمَعْرُوفِ بِذِي الْبَرَةِ . (٢) كَذَابٌ فِي الدَّانِ (مَادَّةُ نَجِج) ،
وَنَجُودٌ : ثَقُلَ أَكْلُ لَحْمِ الضَّانِ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، يَرِيدُ أَنَّهُمْ قَدْ تَنَجَّوْا مِنْ كَثَرَةِ أَكْلِهِمْ الدَّمِ فَالْتَمَّ طُلَاهِمُ
(أَعْنَاقَهُمْ) ، وَفِي الْأَصْلِ « نَعَجُونَ » بِالْيَاءِ الْمَوْحَدَةِ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٣) النَّجْوُ : مَا يُخْرِجُ
مِنَ الْبَطْنِ مِنْ رِيحٍ أَوْ غَائِظٍ . (٤) اِسْمُاقٌ : (أَوْ تَسْمِيدٌ) مِنْ شَجَرِ اقْتِفَافٍ وَالْجِبَالِ وَلَهُ ثَمَرٌ حَامِضٌ
عَنَاقِدُهَا حَبٌّ صَفَرِيٌّ ضَخِيمٌ ، وَهُوَ شَدِيدُ الْحَرَةِ . (٥) الْمُرِّيُّ : يَعْمَلُ عَمَلُ الْمَلْحِ لِأَنَّهُ أَقْوَى مِنْهُ
وَأَخْفَفُ . وَفِي مَفْرَدَاتِ ابْنِ الْبَيْتَارِ : « وَنَاسٌ يُوَاقِقُ بَيْنَ وَخَاصَةِ الْمُسْلُوقِ مِنْ أَصْحَابِ الْمَعْدَةِ الضَّعِيفَةِ
فَإِنْ اضْطُرَّ إِلَى إِدْمَانٍ أَكَلَهُ فَلْيُزَكَّ كُلِّ بِالْمَلْحِ وَالْقَلْقُلِ وَالْمُرِّيِّ » . وَفِي الْأَصْلِ : « وَالْمَلْحُ الْمَشْوِيُّ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
(٦) الْكَمُّ : نَبَاتٌ مُسْتَدِيرٌ كَالْقَلْقَاسِ لَا سَاقَ لَهُ وَلَا عَرَقَ . وَهُوَ إِلَى الْغُبَةِ وَالسَّوَادِ ، يَوْجَدُ فِي الرِّيْعِ
تَحْتَ الْأَرْضِ . وَهُوَ عَدِيمُ الْعَطْمِ وَأَنْوَاعُهُ كَثِيرَةٌ يُوَكَّلُ نَيْتٌ وَبَعْضُهَا . (٧) الْفَطْرُ : ضَرْبٌ مِنَ
الْكَمَاءِ قَتَالٌ . (٨) شَبَبَتِ الْكَمَاءُ بِالْجُدْرِ . وَهُوَ خَبٌّ الْقَدَى يَنْهَرُ فِي جَسَدِ الصَّبِيِّ ، لَيُظْهِرُهَا
مِنْ بَطْنِ الْأَرْضِ كَمَا يَظْهَرُ الْجُدْرِيُّ مِنْ بَاطِنِ الْجِلْدِ . وَبَادَتْ ذَمُّهَا (أَقْرَبُ النَّهَايَةِ لِابْنِ الْأَمِيرِ) .
(٩) مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ الْكَمَاءَ شَيْءٌ أَنْبَتَهُ اللَّهُ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ وَلَا مُؤْتَةٍ مِنْ أَحَدٍ ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمَنْزِيِّ الَّذِي كَانَ
يُنْزَلُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ .

الأصمعيّ عن بعض مشايخه قال : ثلاثة أشياء رُبَّمَا صرّعت أهل البيت عن .
آحرهم : الجرادُ، ولحوم الإبل، والفُطر .

وتقول الأطباء : إن أردّا الفُطر ما نبت تحت ظلال الشجر، وأردّاه كلّ ما كان
في ظلّ شجر الزيتون فإنه قتال .

قالوا : والكُثْرَى إذا طُبِخَ مع الفُطر أنحب ضرره .
قالوا : والفُطر بُورث الذبحة .

قديم أعرابيّ المِصرَ فأكل فُضراً، فأصابته ذُبْحَةٌ، فقيل له : إن الطيب بعث
أن يُجَلَّب في فيك، فقال : ما زلت أسمع بالثيم الرّاضع ولا والله لا أكونه ؛ قالوا :
فتموت إذا ؛ قال : وإن مت .

وتقول الأطباء : إن أكل آكل الفُطر فأضرَّ به، سقى الكُرْبَ المعصور وسقى
من خُرء الدجاج وزن درهمين مع خلّ وعسل مطبوخ وقِيَّ به .
قالوا : والكَمَّة تُورث وجع القولنج^(٢) والسَّكْتَةُ والقالج ووجع المِعدة .
قالوا : والذباب لا يقرب قدراً فيه كَمَّةٌ .

ومن أراد اتّخاذ الكَمَّة اليابسة جعلها في الطين الحرّ يوماً وليلة ثم غسلها
وأستعملها .

بلغني عن قتي من أهل الكتاب أنه قال : كذا في طريق مكة بالخزيمية^(٤)، فأتانا
أعرابيٌّ بكَمَّةٍ في كساءٍ قدّر ما أطاق، فقلنا : يكَم الكَمَّة ؟ قال : بدرهمين ،

- (١) الذبحة : داء يأخذ في الحلق وربما قتل . (٢) سبّكر المؤلف أنه انّدى يرضع الحلب
فلا يحلبه في الاثاء فلا يسمع صوت الحلب، وقال بعضهم : لئلا يضيع من اللبن شيء .
(٣) القولنج : مرض معويّ مؤلم يصير منه خروج النخل والريح ، والقالج : السُّل .
(٤) الخزيمية : منزل من منازل الحاج بعد اثعلية بالكوفة وقبل الأجر، وقال قوم : بينه وبين اثعلية
أثنان وثلاثون ميلاً، وقيل : إنه : " الخزيمية " بإلقاء المهمل .

فَاشْتَرَيْنَاهَا مِنْهُ وَدَفَعْنَا الثَّمَنَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا نَهَضَ قَالَ لَهُ بَعْضُنَا : « فِي آسَتِ الْمَقْبُونِ
(١) عَوْدٌ » ؛ قَالَ : بَلْ عَوْدَانُ ، وَضَرَبَ الْأَرْضَ بِرِجْلِهِ ، فَازْدَانَحْنُ عَلَى الْكَلَّةِ .

قال بعض الشعراء :

جَنَيْتُهَا تَمَلًّا كَفَّ الْجَانِي * سَوْدَاءَ مَا قَدْ سَقَى السَّوَانِي (٢)
* كَأَنَّهَا مَدْهُونَةٌ بِالْبَانِ (٣) *

وهذه صفة أجود الكَلَّةِ وأقلها أذى .

البصل والثوم

دَخَلَ دَاخِلٌ عَلَى نَصْرَبِنْ سَيَّارٍ وَحَوْلَهُ بَنُونَ لَهُ صِغَارٌ ، فَقَالَ : هَلْ تَكُونُونَ
مَا وَلَدِي هَؤُلَاءِ ؟ هَؤُلَاءِ بَنُو الْبَصْلِ ؛ وَكَانَ يَأْكُلُهُ نَيْثًا وَمَشْوِيًّا وَمَطْبُوخًا .

وَالْأَطِبَّاءُ يَقُولُ فِي الْبَصْلِ : إِنَّهُ يَنْتَهِي إِلَى الطَّعَامِ إِنْ أُكِلَ مَشْوِيًّا أَوْ نَيْثًا ،
وَيَنْتَهِي إِلَى الْجَمَاعِ . وَإِنْ دُقَّ وَشُمَّ عَطَسَ وَشَبَّهِ الطَّعَامَ . وَإِنْ أَكْتُحِلَ بِمَائِهِ مَعَ
الْعَسَلِ جَلَا الْبَصَرُ . وَإِنْ وُضِعَ مَعَ الْمَلْحِ وَالسَّذَابِ (٤) عَلَى عَضَّةِ الْكَلْبِ الَّذِي لَيْسَ
بِكَلْبٍ نَقَعَ . وَالْإِبْكَارُ مِنْهُ يُفْسِدُ الْعَقْلَ . وَالْمَسْلُوقُ مِنْهُ يُدْزِجُ الْبَوْلَ وَالتَّمْعَةَ .

(١) مثل يضرب لمن غبن . (٢) السواني : جمع سانية وهي ما يسوق عليه الزرع والحيوان

من بعير وغيره . (٣) البان : شجر يسود ويطول في استواء مثل نبات الأثل ، وورقه هذب كهذب
الأثل ، وخشب خثار رخو خفيف ، وقضبانة سمجة خضراء ، وهدبه ينبت في القصب ، وهو طويل أخضر
شديد الخضرة ، وثمرته تشبه قرون اللوبيا إلا أن خضرتها شديدة وفيها حبه ، وإذا اتى اقهق
وانثر ، حبه أبيض أغبر مثل النستق ومنه يستخرج دهن البان . (راجع مفردات ابن اليطار) .

(٤) السذاب : بقل يفرغ فروة قلع من ساق له قصيرة تشعب عليه شعب مثل الأغصان ، ويحمل
في أطراف أغصانه رموسا تنفتح عن ورد صغار الورد أصفر ، وإذا انتشر سقط منه الحب ، وله طابع
وخواص مذكرة في كتب الطب .

العصافير إن أكلت بالزنجبيل والبصل هيجت شهوة الجماع وأكثر
المسني .

عن طارق بن شهاب قال : بعث سليمان النبي عليه السلام بعض عفاريتيه
وبعث معه رجلاً وقال : رُدْهُ إِيَّيْ وَأَنْظُرْ إِلَى صَنِيعِهِ . فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكُونُ
فَضْحَكُ ، وَدَخَلَ إِلَى السُّوقِ وَنَظَرَ إِلَى النَّاسِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَهَزَّهَ ، وَنَظَرَ
إِلَى الثُّومِ وَدَوِيكَالٍ [كَيْلَا] وَالْفُلْفُلِ [وَهُوَ] يُوزَنُ وَزَنَا ، فَضَحَكَ . فَلَمَّا رَدَّهُ إِلَى
سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَخْبَرَهُ بِمَا جَرَى مِنْهُ ، قَالَ : لِمَ ضَحِكْتَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ ؟
وَلِمَ هَزَزْتَ رَأْسَكَ حِينَ نَظَرْتَ إِلَى السُّوقِ ؟ وَلِمَ ضَحِكْتَ مِنَ الثُّومِ وَالْفُلْفُلِ ؟
قَالَ : أَمَّا أَهْلُ الْبَيْتِ فَإِنَّ اللَّهَ أَدْخَلَ مِثْمَهُمُ الْجَنَّةَ وَهُمْ يَكُونُ عَلَيْهِ ، وَنَظَرْتُ إِلَى
النَّاسِ فِي السُّوقِ وَالْمَلَأْتُكَ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمْ ، وَالنَّاسُ يُمْلُونَ وَالْمَلَأْتُكَ سِرَاعًا يَكْتَبُونَ ،
فَهَزَزْتُ رَأْسِي ، وَنَظَرْتُ إِلَى الثُّومِ وَهُوَ شِفَاءٌ يُكَالُ كَيْلَا ، وَإِلَى الْفُلْفُلِ وَهُوَ دَاءٌ يُوزَنُ
وَزَنَا . وَعَنْ وَهْبٍ : أَنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : مِمَّ كُنْتَ تَضْحَكُ ؟ قَالَ إِنِّي مَرَرْتُ
بِرَجُلٍ يَشْتَرِي خُفَيْنَ وَيَقُولُ لِمَاحِبِهِمَا : شَرِطِي عَلَيْكَ أَنْ أُرْسِلَ الْبَسْمَا عَشْرَ سَنِينَ
لَا يَتَخَرَّقَانِ ، فَعَجِبْتُ كَيْفَ شَرَطَ أَمْلَهُ وَنَبِيَّ أَجَلَهُ . وَمَرَرْتُ بِعَجُوزٍ دُفْرِيَّةٍ تَتَكَلَّمُ
وَتُخْبِرُ النَّاسَ بِمَا لَا يَعْلَمُونَ ، وَالَّذِي تَخْفَرُكَ الرِّيحُ وَأَنْذَلَكَ الْحَقُّ وَعَبْدُكَ الشَّيَاطِينُ ،
إِنِّي لَأَعْلَمُ فِي بَيْتِهَا تَحْتَ فَرَائِمِهَا مَطْمُورَةٌ فِيهَا قَاطِرٌ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ وَهِيَ لَا تَدْرِي
مَا تَحْتَهَا ، وَقَدْ مَاتَ هَزْلًا وَجُوعًا وَحَاجَةً . وَمَرَرْتُ بِأُخْرَى دُفْرِيَّةٍ تَتَطَبَّبُ وَكَانَ بِهَا

(١) في قصص الأنبياء (ص ٢٤٣ طبع بولاق) : «أن سليمان عليه السلام دعا صخرًا الجنّي لنعث

الجواهر من خير تصويت ، فأقبل مسرعاً مع الرسل حتى دخل على سليمان ، فسأل سليمان رسله عما أحدث
صخر في طريقه ، فقالوا : يا نبي الله إنه كان يضحك في بعض الأحيان من الناس ، فقال له سليمان... الخ »
وقد ورد في الحكاية تقديم وتأخير مع اختلاف في بعض الألفاظ . (٢) الدهرية (بضم الدال) : هي التي
أقي عليها الدهر وطال عمرها . (٣) المظمورة : الحفيرة تحت الأرض . (٤) المنزل : الضعف .

مرة داء، ذُكِّيتِ البصل فصادت منه برأاً، فظننت أنه حسم داءها وشفائها، فهي تصفه للناس من كل داء، وقد كانت في ظهرها ريحٌ حبست^(١) منذ زمانٍ فأكلت الثوم أحدًا وعشرين يوماً فشفيت منه؛ فعجبت لما كيف تدع أن تصفه. ومررت برجل على شاطئ نهر يستقي منه في قلة له ومعه بغلة، فلما سقى البغلة ملأ القلة وربط البغلة بأذن القلة وذهب لبعض حاجته، فقبرت البغلة وكسرت القلة؛ فجعل يلعن الشيطان، وبرأ عقله ونسي فعله. ومررت بقوم يذكرون الله فاجتمعوا ونصبوا وآتاهم، فلما أظلت الرحمة مل رجل منهم ققام، وجاء آخر لم ينصب معهم فجلس مجلسه، فزلت الرحمة فدخل فيها معهم وحرمها الأول؛ فعجبت من سعادة هذا وشقاوة هذا.

١٠. وتقول الأطباء: إن الثوم إذا سُويَ بالنار ووضع على الضرس المأكول ودلكت به الأسنان التي يعرض فيها الوجع من الرطوبة والريح، أذهب ما فيها بإذن الله من الوجع.

قال: وهو ينفع من العطش الحادث من البلغم، ويقوم مقام الترياق في لسع الهوام، والأمراض الباردة.

١٥. وتقول الروم في الثوم: إنه دواء لمن أصابه وجع السقي في بطنه. وإن أكله من ظهر^(٢) فيه^(٣) حر من شرى أو غيره أبرأه. وإن دق الثوم يابساً فأغلى بسمن ولبن ثم جعله من يشتكى ضره في فيه شحناً فأمسكه ساعة، ذهب وجع ضره؛ وهو نافع لمن أجتوى^(٤).

(١) وردت هذه الجملة في الأصل محذرة هكذا: «جهازمان».

(٢) يمرض: يضر. (٣) السق: ماء أصفر يقع في البطن وهو المعروف في الطب بالاستسقاء أو الصفار. وفي الأصل: «السقا». (٤) زيادة بختها السباق. (٥) الشرى: بثور بعض صفار وبعضها بكار حكاكة مكرية مائلة إلى الخرة مائة. (٦) أجتوى: بالجم: من الجوى وهو داء الل أوداء يأخذ في الصدر أو هو كداء يأخذ في البطن لا يستمر معه الطعام.

السكرات

قالت الأطباء : الكُرَّاث النَّبِطِيّ إذا أُدْمِنَ كانت فيه أحلامٌ رديئةٌ ، وولدٌ بُجَارًا في الرأس رديئًا ، وإن صُبَّ في مائه خلٌّ ودُقَّاقٌ كُنْدَرٌ^(١) وَاسْتُعِطَ به سَكَنَ الصَّدَاعَ . وإن سُلِقَ أو طَحِنَ وأُكِلَ أو صُمِدَ به البواسيرُ العارضةُ من الرطوبة نفعٌ منها .

وماء الكُرَّاث إذا خُلِطَ بمثله من ألبانِ النساءِ ودُهْنِ الوردِ والكُنْدَرِ ونُحِّلَ به عينٌ من أصابته غشاوةٌ في عينه ، فلم يُبْصِرْ ليلًا نفعه . وأكلُ البصل نافعٌ لذلك أيضا .

الكُرْبُ والقَنْبِيط

قالوا : الكُرْبُ مُعِينٌ على الإِثَار من التبيذ إذا أُكِلَ ، وهو مُدِرٌّ للبول . وقالت الروم : بين الكُرْبِ والكَرْمِ عداوةٌ ؛ ولا يَكَاهُ يَصْلُحُ الكَرْمُ والكُرْبُ إذا تجاوزا . قالت الأطباء : إن احتملت [المرأة]^(٢) زَرَ الكُرْبِ بعد الحيض أسهلُ المنيِّ وأفسده ولم يكن منه حمل . وشربُ مائه مع الشَّيْحِ الأَرْمَنِيِّ غير المطبوخ أو ماءِ التُّرْمُسِ الْمُتَمَعِّ مَخْرُجٌ لِحَبِّ الْقَرْعِ^(٣) من البطن . والقُسْطُ^(٤) أيضا خاصَّةٌ بِزَرِهِ يَفْسِدُ المنيُّ إذا احتملته المرأة بعد طهرها ؛ ومقدار ما يُحْتَمَلُ وزنُ درهمين .

وتقول الروم : الكُرْبُ إن طُبِخَ وَخُلِطَ مائه بالهندقوق^(٥) وسُقِيَ المرأة التي تأخر حيضها حاضت لحينها .

(١) الكندر : ضرب من العلك وهو البان الذكر .

(٢) زيادة بقتضيا السياق . (٣) حب القرع : اسم دود يكون في البطن .

(ابن البيطار ج ١ ص ١٥١) . (٤) القسط : عود هندي يتدلى به . (٥) الهندقوق :

بقلة وحنيشة كالغث الرطب (شبرينبت في السهول والآكام وله حب كأنه حب كخنص) رقيق هو الخيد . راحيد :

الحنظل ، نبطي معرب ويقال لها بالعربية : الذرق .

قالوا : وإذا خلط ماء الكُرْب بالكُرْب ^(١) كان نافعاً للسعال .

قال أبو محمد : شكوتُ إلى حنين الطيب علة كنتُ أجدُها في حلق لا أكاد أبتلعُ معها ريقاً ؛ فقال : هي بينة في عينك . فتغرغر بعقيد العنب مع خمير ثلاثة أيام في كل يوم ثلاث مرات ؛ ففعلتُ ذلك يوماً واحداً فذهب .

قالوا : وإذا دقَّ الكُرْب وُخِلط به شيء من زاج الأساكفة وشيء من خل ، ^(٢) فأوجف ذلك بالخطمي ^(٣) ، ثم طلي به برص أو جرب نفع بإذن الله تعالى . ^(٤)

السَّجَمُ والفُجَلُ ^(٥)

تقول الأطباء في الفجل : إنه مهيج للجاع زائد في المني ، ويزره نافع من السموم قالوا : والفُجل هاضم للطعام ، فإن أكل زره بعسل كان دواء من السعال والقواق ؛ وإذا سُدِختُ قطعة ^(٦) بخل فطُرحت على عقرب ماتت ؛ ومأثؤه ويزره للسموم بمنزلة الترياق . وإذا طلي أحد يده بمائه ثم قبض على حية أو غيرها من الهوام لم يضار ذلك

(١) البنج : هو الشكران بالعمرية ، وهو نبات له قضبان غلاظ وورق عراض صالحة الطول مشقة الأضراف إلى السواد ، عليها زغب وعلى القضبان ثمر شبيه بالجلار ملؤه بزر شبيه بزر الخشخاش (ابن الطيار ج ١ ص ١١٧) .

(٢) الزاج : الشب الخالي ، وجاء في مفردات ابن الطيار أن الزاج العراقي هو المعروف بزاج الأساكفة . (٣) أوجف : حرك . (٤) في الأصل كالخطمي . والخطمي نبات ينفع الأمراض الصدرية . (٥) السجَم : يلاحظ أنه لم يتكلم عنه في هذا الباب من هذا الكتاب ، وربما كان ذلك عن نقص في النسخ . ونحن ننقل هنا باختصار ما قيل عنه في كتاب الجامع لابن الطيار إتماماً للفائدة قل : السجَم ، وقد تعجم عليه ، هو القث . ويزر هذا النبات مهيج شهوة الجماع لأنه يولد رياحاً نافخة ، وأصله نافع عسر الانضمام ويزيد في المني ، وقطوب وورقه تؤكل مضبوخة فدر البول ، ويزره يستعمل في أخلاط بعض الأدوية المعجونة النافعة من لسع ذوات السموم ، وإذا عمل السجَم بالماء والملح كان أقل لتدائه إذا أُكل . غير أنه يحرك شهوة انضمام . (٦) كذا في مفردات ابن الطيار . وفي الأصل « وإذا شح وارضب فطُرحت » وهو تحريف .

الموضع . قالوا : وإن دُقَّ بزره مع الكُنْدُر وطُلي به البَهَقُ الأسودُ في الحمام أذهب .
وإن شُرب ماءٌ ورَقِه نَقَعَ من الأَرْقَانِ^(١) الحادث من الطَّحَال .

الباذِئِجَان

قالوا : والباذِئِجَان مِكْلَفٌ^(٢) للوجه يُورِث دَاءَ السَّرَطَانِ والأورَامَ الصُّلْبَةَ . وحدثني
أبي عن أبي الحارث جُمِيزَ أنه سمعه يقول في الباذِئِجَان : لا آكلُهُ ، لون العقرب
وشبهُ^(٣) المحجمة . قيل له : فقد رأيتك تأكله على خَوَانٍ فلان ! قال : كان مَيْتَةً وأنا
مُضْطَر .

الخِيَارِ والقِثَاء

قالوا : شَمَّ الخِيَارِ نافع لمن أصابه الفُتْيُ^(٤) من الحرارة . ويَزُرُ القِثَاءُ إذا شربه
من به حُمَّى^(٥) الأَسَى نفعه . وإن أصابت رَضِيعاً حُمَّى فالزقت به خِيَارَتَيْنِ تَمْسَانِ جلده
إحداهما عن يمينه والأخرى عن شماله ، أفلتت الحُمَّى عنه .

السَّلَق

قالوا : والسَّلَق إن دُقَّ مع أصله وعُصِرَ مأوُه وغُسل به الرأسُ ذهبَ بالآثربة
وأطال الشعر .

١٥ (١) الأَرْقَان : لغة في اليرقان وهو ، كما في اللسان والقاموس وشرحه ، داء يصيب الناس يصفّرهم
الجلد ، وفي الأصل « الأَرْقَال » باللام وهو تحريف . (٢) مكلف : مغير للوجه بجمرة كدرة
تعلوه تسمى الكلف وتعرف بالشمس . (٣) المحجمة : قلادة الجمام .
(٤) الفتى بالفتح ويضم : تطل أكثر القوى المحركة والحساسة لضعف القلب من الجوع أو انزعاج .
(٥) كذا بالأصل . ولعله « الأمر » وهو احتباس البول .

الهلبيون^(١)

قالوا : والهلبيون مُدِرُّ للبول ، نافع من القولنج .

القرع

قالوا : إذا شوى القرع بالنار ثم عَصِرَ فُجِّلَ من مائه في أُذُنٍ من أَشْتكى أُذُنَهُ نفعه . وإن دُحِنَتْ منابت شعر اللحية بدهن القرع المترو ، وقَتَاءِ الحِجَارِ مُدَابَّاً فِيهِ شَبِجٌ أَرْمَنِيَّ أَسْرَعَ فِيهَا نَبَاتُ الشَّعْرِ .

البقول

قالوا : والجرجير زائد في الباه والإنعاض مُدِرُّ للبول . وتذكر الروم أن من أكل الجرجير ثم ضُرِبَ بالسيّاط هَوَّنَ عَلَيْهِ بَعْضُ ذَلِكَ الْجَسَدِ . قالوا : وهو ينفع من ذَفَرِ الْإِبْطِينِ إِذَا أُكِلَ عَلَى الرِّيقِ وَطُلِيَ الْإِبْطَانُ بِمَائِهِ . وترجم الروم أن ماءه ينفع من عَضَةِ ابْنِ عَرِمٍ .

وقال بعض الأطباء : إن ذُرَّ زُرُّ الجرجير مدقوقاً في البيض وحشي كان ذلك زائداً في الباه والإنعاض زيادةً بَيِّنَةً . قال أبو حاتم عن القَعْدَمِيِّ قال : أكله أعرابي فأنعظ شهراً ، فقال الفرزدق يَفْخَرُ بِهِ :

(١) الهليون : نبت ورقه كورق الشبث ولاشوك له البتة وله بزرمدر أخضر ثم يسود ويحتر (مفردات ابن البيطار ج ٤ ص ١٩٥) . (٢) قَتَاءُ الحِجَارِ : نوع برى من أنواع القَتَاءِ . وفي الأصل «قَتَاءُ الحِجَارِ» وهو تحريف . (٣) الذفر : رائحة الإبطين الكريهة . (٤) كَذَا فِي نَهَايَةِ الْأَرْبِ لِلنَّوِيرِيِّ فِي بَابِ التَّخْضِيرِ أَوَاتٍ وَابْتِقُولٍ وَمَفْرَدَاتٍ ابْنُ الْبَيْطَارِيِّ فِي اسْمِ الْجَرْجِيرِ . وفي الأصل وردت هذه اللفظة هكذا «عضة ابن مرقس» وهو تحريف .

ومنا التيمى الذى قام آيره * ثلاثين يوماً ثم زادهم عشرًا^(١)

قالوا : والسذاب قاطع لشهوة الجماع . وقالت الروم : إن أكلت امرأة حامل أربعة مثاقيل كل يوم بماء سُخْنٍ أو نيذ خمسة عشر يوماً أسقطت ولدها .

وقال بعض الشعراء :

كم نعمة للسذاب * جليسة في الرقاب
الناس عنها غفول * إلا ذوى الألباب
فالحمد لله شكرًا * لولا مكان السذاب
لغيب الأرض نسل^(٢) ال * مَغْنِيَاتِ الْقَحَابِ

قالوا : والبقلة الحقاء اذا مضغت أذهبت الطرش ، واذا أكلت أذهبت شهوة الجماع . والروم تقول : إن نظر ناظر عند رؤية الهلال الى الهندباء^(٣) خلف بيلاله القمر ألا يا كل هندباء ولا لحم فرس ، سلم في كل شهر يحلف فيه من وجع الضرس .

قالت الأطباء : الخس اذا أكل على الريق نافع لتغير الماء ومن يتأذى باحتلام . واذا شرب ينزه بماء بارد [قطع شهوة الجماع^(٤)] .

- ١٥ (١) كذا بالأصل ولم نجد هذا البيت في ديوان الفرزدق . ولعله أجرى الأيام مجرى العاقل أو لعلها «ثم قد زادها عشرًا» أو «ثم آتبعها عشرًا» أو نحو ذلك . (٢) تقدم شرح هذه الكلمة في ص ٢٨٣ من هذا المجلد . (٣) تمام انكلام يحتاج الى أن يكون بعد كلمة «مثاقيل» من «السذاب» أو «من بذر السذاب» . (٤) في الأصل : «تغيب الأرض» . (٥) يقال : بقلة الحقاء بالاضافة على تأويل بقلة الحبة الحقاء ، والبقلة الحقاء بالعت . قال ابن سيده : هي التي تسمى العامة الرجلة . (٦) الهندباء : صفتان برى وبستاني والأول أعرض ورقا من الثاني ، والبستاني صفتان : أحدهما قريب الشبه من الخس عريض الورق والآخر أدق ورقه من رقى صفه مرارة (منفردات ابن البطارج ٤ ص ١٩٨) . (٧) الكلمة عن ابن البطارج في كلامه على الخس .

قالوا : والخردل إن أُكثِرَ من أكله أَوَرَّثَ ضعفاً في البصر، وهو مُكَثَّرٌ
لأن مُدِرَّ البول ، وهو نافع من الصُّرع . وإن أُكْتُحِلَ بمائه بعد أن يُغلى عليه
ويُصَفَّى جلا البَصَرَ الضعيفَ من الرطوبة . وتزعم الروم أن مائه يصلح للأطفال
من الحمى إذا أصابهم . وهو يُفَسِدُ الدهن ويورث النسيان ويُضعِفُ البصر .

قالت الأطباء : النعناع يُسَكِّنُ القيء ، وينفع من الفواق الحادث من البلغم .
إذا شُرب مع التَّمَام^(١) .

وتقول الروم : الحَبِيقُ^(٢) الذي على شطوط الأنهار نافع للرمد إذا دُقَّ ونُحِلَ
وَأُكْتُحِلَ به ، وإن مضغه ماضغاً ووضعهُ على عينه نفعه .

وأما الفُودَنْجُ^(٣) النَّهْرِيّ — [فإنه] يُدِرُّ الطَّمْثَ^(٤) . وإن أُخِذَ من الفُودَنْجِ الجِلِّيّ^(٥)
أَوْقِيَّةً وطُبِخَ بنصف رطل من ماء حتى يبقى الثلثُ وشُربَ ، سهل السَّوداء .
وقالت الأطباء : الحَنْدَقُوقُ^(٦) يورث وجع الحلق ، ويذهب بضرده من
ياكل بعده الكُرْبَرَةُ الرُّطْبَةُ والبقلة الحَمَقَاءُ والمُنْدَبَاءُ .

والطَّرَخُونُ^(٧) يُؤْكَلُ مع الكَرَفِيسِ .

قالوا : والرَّاسَنُ^(٨) ينفع من قِطَارِ البول إذا كان من بَرْدٍ ، ويُقَوِّى المَثَانَةَ .

- (١) التَّمَام : نبت ورقة كالذباب ، له بزور كالبحان ، عطري قوي الرائحة ، سمي بذلك لسطوع
رايحته . (٢) الحَبِيقُ : نبات طيب الرائحة . (٣) الفُودَنْجُ : نبت ، مزرب عن
يودينه ، ويقال فيه : فودنج (بأعمال الدال ونسب الأزل والرابع) . وأجناسه ثلاثة : برى ونهرى وجبلى
ولكل منها أوصاف وخواص تجدها مفصلة في مفردات ابن البيطار . (٤) الطَّمْثُ : دم الحيض .
(٥) تقدم شرح هذه الكلمة في ص ٢٨٦ من هذا المجلد . (٦) قال ابن البيطار : الطَّرَخُونُ :
بقلة معروفة عند أهل الشام وهي قليلة الوجود بمصر . وقال أبو حنيفة : ورقة طوان دقاق .
(٧) الراسن : نبات يشبه الزنجبيل .

قالوا : وَالْكُشُوثُ ^(١) يَذْهَبُ بِالْأَرْقَانِ .

قالوا : وَعِنَبُ الثَّعْلَبِ قَاطِعٌ لِدَمِ الْحَيْضِ إِنْ شُرِبَ أَوْ أُحْتَمِلَ .

وقالوا : الْكَرْفَسُ ^(٢) إِذَا طُبِخَ وَشُرِبَ كَانَ دَوَاءً مِنْ وَجَعِ الْكُلَيْتَيْنِ وَمِنِ الْأَمْرِ ^(٣) .

باب الحبوب والبزور

تقول الأطباء في حَبِّ الْقُلْفُلِ : إِذَا خُلِطَ بِالسَّمِيمِ وَغُجِّنَ ^(٤) بِعَسَلِ الطَّبْرَزِ ^(٥) يَزِيدُ فِي الْجَمَاعِ .

والعرب تزعم أن الحبة الخضراء ^(٦) وَشُرِبَ أَلْبَانُ الْإِيْلِ ^(٧) عَلَيْهَا تَبْعَثُ الشَّهْوَةَ .

قال جرير :

أَجَعْتِنُ ^(٥) قَدْ لَاقَيْتِ عِمْرَانَ شَارِبًا * عَلَى الْحَبَّةِ الْخَضْرَاءِ أَلْبَانُ ^(٦) إِيْلٍ ^(٧)

وَالْحِمَصُ زَائِدٌ فِي الْجَمَاعِ ، مُكَثِّرٌ لِلنَّحْيِ ، مُحَسِّنٌ لِلْوَنِّ ، زَائِدٌ فِي لَبَنِ الْمُرْضِعِ ، يُدْرُ ^{١٠}
دَمَ الْحَيْضِ ، وَإِنْ خُلِطَ بِالْبَاقِلَاءِ أَسْمَنَ .

- (١) الكشوث (بالفتح وهي أفصح لقائه) قال ابن البيطار : هو شئ يتعلق بالنبات مثل الخيوط يشرب من ماء النبات الذي يتعلق به ولا أصل له في الأرض ولا ورق، لكن في أطراف فروعه ثمر لطاف وهو يسو في الشجر وتشتبك فروعه، ويكثر في الكروم الرطاب، وكثيرا ما يفسد النبات ... الخ .
- (٢) الكرفس : (يفتح أوله وثانيه وسكون ثالثه) : ثبت معروف وهو من أحر البقول عظيم المنافع .
- (٣) الأمر : احتباس البول . (٤) الطبرزد : السكر الأبيض . (٥) جعثن : اسم امرأة وهي أخت الفرزدق . (٦) كذا في لسان العرب مادة « أول » وفي الأصل : « ساريا » بالسين والياء وهو مخزيف . (٧) الإيل (بكسر الهجمة وفتح الياء المشددة) : جمع إيل (يفتح الألف وكسر الياء المشددة) (وهو المذكور من الأوعال) . واختير الجمع هاهنا على الأفراد مع أن بكليهما يترن الشعر ، «جمع ألبان» ، إذ لو كان واحدا لقال لبن إيل (انظر لسان مادة أول) .

الأصمعي قال : قلت لأبي عطارد : بلغني أن أباك كان ذا منزلة من
أبن سيرين ، فما حَفِظْتَ عنه؟ قال قال أبي : قال لي ابن سيرين : يا أبا عطارد،
إن سَوِيقَ العَدَسِ بارد وهو يَدْفَعُ الدَّمَ .

قالت الأطباء : إن الخَرْدَلَ نافعٌ من حُمى الرِّيحِ ^(١) والحميات المتقدمة ووجع
الأرحام ويخفف ^(٢) ... من البلغم ، ويُنزِلُ الرطوبة من الرأس ، وإن أُكِلَ مع السَّلَقِ
المسلوق نفع من الصَّرْعِ ، وإن طُلِيَ البرص به زال .

^(٣)
وقالت الأطباء : الحُرْفُ يُخْرِجُ حَبَّ القَرَعِ من البطن ، وينفع من عِرْقِ النَّسَا
ووجع الورك . وإن تُخَنَّ بالماء الحارَّ وشُرِبَ منه وزنُ أربعة دراهم أو خمسة
أسهل الطبيعة ونفع من القولنج .

وقال رجل من قدماء الأطباء في الباقلاء ^(٤) : إنه إذا أُدْمِنَ أَكَلُ البَصْرِ ، وأحال
الأحلام أضغاثًا لا يُنْتَفَعُ بها ولا يجد عابِرُ الرُّيَا إلى تأويلها سبيلًا .

ودهن الشَّاهِدَانِجِ ^(٥) نافعٌ لوجع الأذن العارض من البرد والعلل المتقدمة منها .

(١) حمى الرِّيحِ هي التي تأتي في اليوم الرابع ، وذلك أن يومًا وبتريك يومين لا يحم ويحم
في اليوم الرابع . (٢) لم نعين مكان هذه القط في الأصل فقد وقعت في أول الصفحة ولم تظهر

بالصوير . وفي مفردات ابن الطيار في الكلام على خواص الخردل أنه « يخفف اللسان الثقيل من

البلغم » . (٣) الحرف (بالضم) : حب الرشاد . (٤) أقتر شرحه في ص ٢٥٦

من هذا الجزء . (٥) شَاهدَانِج (ويقال فيه شاهدانك وشاهداتق وشهائج بغير ألف بعد

السين) : القنب (بكسر القاف وتشديد النون مفتوحة) وهو نبات ذو قضبان طويلة فارغة من الرابحة

وله حب مستدير يؤكل ويؤخذ منه حبال قوية .

باب الفاكهة

عن معمر بن خُثَم عن جدته قالت : سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : إذا أكلتم الرُّمَّانَ فكلوه بشَحْمه فإنه دِباغٌ لِلْعِدَّة ، وذلك يوم الجمعة على المنبر .

الأصمعي : قيل لأعرابي : لِمَ تُبْفِضُ الرُّمَّانَ ؟ قال : لأنه مَبْخَرَةٌ بِجَفَرَةٍ^(١) .

قال : وقال يحيى بن خالد : شيطانُ يورثُ القمل : التينُ اليابس إذا أُكِلَ ، وبخار اللبان إذا بُجِرَ به .

وقالت الأَطْبَاءُ : ورقُ الخوخ وأقاعه إن دُقَّ وعُصِرَ وشُربَ أسهل حَبِّ القرع والديدانَ والحَيَاتِ المتولِّدة في البطن ، وإن صُبَّ ماءُ ورقه في الأذن أَمَات الديدانَ فيها ، وإن تُدَلِّك بورقه بعد النُورَةِ^(٢) قطع رِيحَها .

وَحَمَاضُ الأَثَرِجِ^(٣) إن لُطِخَ به الكَلَفُ والقُوبُ اذهب . وَحَبُّ الأَثَرِجِ نافعٌ من السَّموم .

(١) مبخرة : مظنة للبخر وهو تغير ريح الفم . ومبخرة أى أنه يذهب شهوة الجماع . ومبخرة : يريد يس الطيبة أى أنه مظنة لذلك ، ومنه حديث عمر رضي الله عنه : « وإياكم ونومة الغداة فإنها مبخرة مبخرة مبخرة » . (انظر اللسان والقاموس مواد بخر وبخرو وبخرو) . (٢) النورة (بضم النون) : حجر الكلس ، ثم غلبت على أخلاط تضاف إلى الكلس من زرينخ وغيره ، وتستعمل لإزالة الشعر . قيل عربية وقيل معربة ، قال الشاعر :

فابعث عليهم ستة فاشورة * تخلق المال كخلق النورة

وسنة فاشورة : مبخدة تقشر كل شيء . (انظر المصباح المنير مادة نور) . (٣) حماض الأثرج : ما في جوفه ، قال ابن البيطار في مفرداته قلا عن أبي حنيفة الدينوري : الأثرج كثير بأرض العرب وهو مما يفسر غرسا ولا يكون برياً ، وأخبرني بعض الأعراب أن شجرته تبقى عشرين سنة تحمل وحملها مرة واحدة في السنة ، وورقها مثل ورق الجوز وهو طيب الرائحة ، فقاحه شبه بنور الترجس إلا أنه ألطف منه .

وورق التفاح الغض إن دُق بالرفق أياماً خمسة أو ستة ثم صُمِدَ به الوشمُ
قلعه من غير أن يقرَح موضعه .

عن الزهري قال : حدثني رجلٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : " من بات وفي بطنه جَزْرَةٌ أو جَزْرَتَانِ أو ثلاثٌ أَمِنَ القَوْنَجَ ^(١) والدبيلة ^(٢) " .

والفُسْتُقُ : إن دُق وشرب بالمطبوخ الشديد نفع من لسع الحوام .

واللَّفَّاحُ ^(٣) : سمٌ ، وربما قتل آكله . وتُدفع مضرته بالقيء بالشراب والعسل
والإسهال وشمُّ الفُلْقُل ^(٤) والخرذل والجندبادستر والسذاب والتعطس .

قال وحدثني شيخٌ من السَّعَاقِينِ عالمٌ بأيام العجم : أن بُزْجِيَهْرَ قال لأهل
الحبس : سلوا الملك أن يرزقكم مكان الأديم الأترج ، ليكون القشر لطيبكم ، ولتمت
لفاكهتكم ، والحماض لصباغكم ، والحب لدُهْنكم . فكان ذلك أول ما عُرفت به
حِكْمه .

(١) الدبيلة (وزان جبهة) : خراج ودتل كبير . تظهر في الجوف فقتل صاحبها غالباً .
(٢) اللفاح (وزان رمان) : ثمر اليرج ، وهو أصفر طيب الرائحة فيه حب شبيه بحب التكمثرى . واليرج
صنفان : أحدهما يعرف بالأخضر ولونه إلى السواد ويقال له ديوفر أي الخس لأن في ورقه مشاكلة لورق
الخس إلا أنه أدق من ورقه وأصفر ، وهو زعم قليل الرائحة ينسبط على وجه الأرض وليس له ساق . والآخر
يعرف بالذكرة له ورق بيض ملس كبر عراض شبيه بورق السلق ولونه كالزعفران . طيب الرائحة مع ثقل ،
وتأكله الرعاة فيعرض لها يسير سبات وليس له ساق أيضاً ، واللفاح أيضاً : نوع من البطيخ صغير جسمه
مخطط ورائحته طيبة الشم . (٣) في ابن الطاطر في الكلام على اليرج أن ضرر اللفاح يعالج بالكل
الفلقل وشرب الجندبادستر والسذاب والخرذل . (٤) كذا في مفردات ابن الطاطر . وفي الأصل :
«المتجدستر» .

باب مصالح الطعام

قال رئيس من رؤساء الطبّاعين : العجينُ يُمَلِّكُ . وفي الحديث المرفوع :
 « أُمَلِّكُوا العجينَ فإنه أحدُ الرِّعَيْنِ »^(١) .

السَّوِيقُ : يُغَسَّلُ بالماء الحارّ مرّاتٍ ثم بالبارد ويشرب .

والمِلْحُ : يَتَقَبَّلُ به الطَّبِيخُ .

وَالْحَلُّ : يُنَضِّجُ العَدَسَ وَيُصَلِّحُهُ للأكل .

الْبَاقِلِيُّ : يُنَقَّعُ ثم يُطَبَّخُ . ولا يُؤْكَلُ من الفاكهة إلا ما نَضِجَ على شجره ،
 وَيُلْقَى ثَقْلُهُ وَعَجْمُهُ^(٢) ، وَيؤْكَلُ على ريق النَّفْسِ .

وَالْعِنْبُ : يُقَطَفُ وَيُمَهَّلُ أَيَّامًا ثم يُؤْكَلُ . ولا يُؤْكَلُ من القِنْبِ^(٣) إلا لُبُّهُ .
 ولا يُؤْكَلُ من الرأسِ إلا أَسْنَانُهُ وِعْيُونُهُ^(٤) .

الباذِنْجَانُ : يَشَقُّ وَيُحْشَى بالملح ، ويترك ساعة في الماء البارد ، ثم يصب
 عنه ويعاد الى الماء مراراً ، ثم يُسَلَقُ بعد ذلك .

الْكَبَرُّ : يُؤْكَلُ بالخلّ بعد غسله بالماء من الخل .

الزيتون : يُؤْكَلُ وسط الطعام ويَصَبُّ في الخل .

١٥ (١) ملك العجين وأملكه : بحقه فأنتم بحقه وأجاده . والزريع : الزيادة . أراد أن خبزاً يزيد بما يحتمه
 من الماء بلودة العجين . (٢) عجمه : نواة . (٣) القنب : نبات منقز الرائحة له حب
 مستدير يتركب ، وفي الأصل « القند » وهو سكر القصب ولا لب له والتحريف فيه ظاهر . (٤) كذا
 في الأصل ، ويحتمل أن يكون « لسانه » .

- ويؤكل من الأشتُرغاز^(١) خلّه ولا يُعرض لجسمه .
والكمأة^(٢) : تُنصف ويُشتر عنها قشرها، وتُسلق بالماء والملح ثم تُستعمل
بالسَعتر^(٣) والفلفل، وتُقلى بالزيت الركايب^(٤)، وكذلك الفطر .
السلق والكُرب^(٥) : يُسلقان بالماء والملح، ويصَّب ماؤهما ثم يُستعملان .
والبقول : تمسح^(٦) ثم تؤكل ولا تُغسل بالماء .
وأحمد الثمور^(٧) الهيرون . وأحمد البُسور^(٨) الجيسران^(٩) . وما أصفر أحمد^(١٠) مما أسود .
وخير السمك الشبوط^(١١) والبناني والمياح . ولا يؤكل السمك الطري إلا حاراً
بالخردل في الشتاء، وفي الصيف بالخل وبالأبازير . وأقل السمك أذى^(١٢) المنقور^(١٣) .
وشر السمك بكاره^(١٤) السماريس^(١٥) . وخير السماريس البيض^(١٦)، [وأكلها] خير^(١٧) من أكل
الحمر، وشرها السود .

- (١) الاشتُرغاز : ثوريله بالفارسية شوك الجمال ، وهو نبات حريف رخو وليس له صمغ وهو طويل
الشوك ترعاه الأبل . (٢) الكمأة : نبات طيب الرائحة حريف زهره أبيض إلى القهبة ، ويقال له
الصعتر بالصاد وهي اللغة الجيدة . والعامة تبدل السين زايًا . (٣) كذا في مفردات ابن البيطار في الكلام
على خواص الكمأة . وقد قيل باقوت أن هذا الزيت منسوب إلى الركابية وهو موضع على عشرة أميال من
المدية ، ثم قال : وأراه وهما لأن تلك النواحي قليلة الزيت إنما يجلب إليها من الشام على الركاب فهو منسوب
إليها . (٤) الهيرون : البري من التمر والربط . (٥) الجيسران : جنس من أنجر النخل معرب ،
وفي الأصل «جيسوان» وهو تحريف . (٦) الشبوط (فتح الشين وتضم وضم الباء المشددة) :
ضرب من السمك دقيق القنب عريض الوسط صغير الرأس لين المس . (٧) المنقور : الحامض
المنقوع في الخل أو الماء والملح . (٨) السماريس : صنف من السمك ، رأس الملوحة منه
إذا أُحرق قطع اللحم الزائد في القروح ومنع القروح الخبيثة من أن تدمي في البدن ، ويقطع القليل (راجع
مفردات ابن البيطار) . وفي الأصل : «عماريس» وهو تحريف . وأصل الجملة في الأصل هكذا
«وشر السمك بكاره السماريس البيض وخير السماريس البيض... الخ...» والسياق يقتضي بحذف «البيض»
الأولى . (٩) زيادة يقتضيها السياق .

وخيرُ البَيضِ بَيضُ الشَّوَابِ من الدَّجَاجِ، ولا خَيْرَ في بَيضِ الهَرِيمَةِ . وأخفُّ
البَيضِ الرِّقِيُّ، وأثقلُه البَيضُ الصَّلْبُ .

ولا يُعَرَّضُ من الرِّاسِ للدِّمَاغِ ولا لِللِّسَانِ، ولا الغَلَصَةِ^(١) ولا الخَرَاطِيمِ .

ولحمُ العُنُقِ خَفِيفٌ سَرِيعُ الانْهْضَامِ . وفي الحديثِ المرفوعُ : ” العُنُقُ هَادِيَةٌ^(٢)
الشاةِ وهي أبعدُها من الأذى “ .

والفُقَّاعُ^(٣) : يُشْرَبُ قبلَ الطَّعامِ ولا يُشْرَبُ بعده .

واللَّسِنْ : لا يُؤْكَلُ ولا يُشْرَبُ إلا بعدَ وضعِ الشاةِ بشهْرٍ ونحوه .

والبَقْلِيُّ^(٣) : يُؤْكَلُ بعده القُوذَنْجُ فإنه يَذْهَبُ بِنَفْتَخَتِهِ .

اللُّوْبِيَاءُ^(٤) : يُؤْكَلُ بعده الخَرْدَلُ الرُّطْبُ ، ويُشْرَبُ بعده ماءُ الرُّمَّانِ .
والسَّكَنْجِينُ المعمولُ بالسَّكْرِ .

الهَرِيسَةُ^(٦) : تُؤْكَلُ بالْقُلُقُلِ الكثيرِ والمُرَى ولا يُجْعَلُ فيها السَّمْنُ .

والمَضِيرَةُ^(٨) : تُطَبَخُ بالقُوذَنْجِ والسَّذابِ والكَرْفَسِ .

(١) الغلصة : رأس الحلقوم بشواربه (عروق في الحلق) وحرقدته (عقدة الحلق) . (٢) اخادية

من كل شيء : أذله . (٣) تقدم تفسيره في صفحة ٢٨٠ من هذا المجلد . (٤) اللوبياء (المالطه

والقصر، ويقال أيضا اللوباء، وهو مذكر) نبات معروف . (٥) السكنجين : شراب من خمر وعسل ،

ويراد به كل حلوى حامض ، وهو معرب . (٦) الهريسة : طعام يعمل من الحب المدقوق والحم .

(٧) المرى : الذي يؤتد به ، والعامه تخففه نسبة الى المرارة ، ويسمى الكاخم ، وهو عند الأطباء من

الأدوية القديمة ، وأجوده المتخذ من دقيق الشعير . وقد ذكر خواصه ابن البيطار في مفرداته وداود

في تذكرته ، فراجعهما . (٨) المضيرة : اللحم المطبوخ باللبن المأخراى الحامض . كن : حريرة

تسببه المضيرة في أكلها مع معارية ، فإذا حضرت الصلاة صلى خلف على كرم الله وجهه ؛ فإذا تبره في ذلك

قال : مضيرة معارية أدمم والصلاة خلف على أفضل ؛ فليل له شيخ المضيرة . (راجع مطالع البدر) .

الزَيْتُ الرِّكَابِيُّ : اِذَا خُلِطَ بِالْحَلِّ أَوْ أُغْلِيَ عَلَى النَّارِ ثُمَّ رُفِعَتْ رُغْوَتُهُ مَادَ كَالْمَقْسُولِ . وَفِي الْحَدِيثِ : أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : عَلَيْكُمْ بِالزَّيْتِ ، فَإِنْ خِفْتُمْ ضَرَرَهُ فَأَخْنُوهُ بِالمَاءِ فَإِنَّهُ يَصِيرُ كَالسَّمَنِ .

عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «عَلَيْكُمْ بِالشَّجَرَةِ الَّتِي نَادَى اللَّهُ مِنْهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ زَيْتُ الزَّيْتُونِ . آدَّهِنُوا بِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءٌ مِنَ الْبَاسُورِ» .

انْتَرَدَلُ : يُسَجَّنُ بِالْحَلِّ وَيُغْسَلُ بِالمَاءِ وَرَمَادِ الْبَلُّوطِ أَوْ رَمَادِ الْكَرْمِ مِرَارًا بَعْدَ أَنْ يَنْتَعِمَ دَقُّهُ وَيُحْمَلَهُ ، ثُمَّ يُغْسَلُ بِالمَاءِ الْقَرَّاحِ وَيُرَشَّ بِالمَاءِ حَتَّى تَخْرُجَ رُغْوَتُهُ وَيَكْثُرُ خَلُّهُ ، وَيُحْتَلَطُ مَعَهُ اللَّوْزُ الْحُلُوقُ أَوْ مَاءُ الرِّمَانِ الْحَامِضِ وَمَاءُ الزَّيْبِ .

١٠ [صورة ما جاء بخاتمة الجزء التاسع من النسخة الخطية التي نقل عنها الأصل الفتوغرافي] .

تم كتاب الطعام وهو الكتاب التاسع من عيون الأخبار لابن قتيبة ، ويتلوه في الكتاب العاشر كتاب النساء . والحمد لله رب العالمين ، وصلاته على خير خلقه محمد وآله أجمعين .

١٥ وكتبه الفقير إلى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الجزري الواعظ ، في شهر سنة أربع وتسعين وخمسمائة هجرية .

نجز كتاب الطعام ويتلوه في الجزء العاشر كتاب النساء .

(١) ورد هذا الحديث في الكشف للزغشري (ج ٢ ص ٨٣ طبع مصر) والجامع الصغير هكذا : «عليكم بهذه الشجرة المباركة زيت الزيتون فتداووا به فإنه مصحة من الباسور» .

جاء بعد خاتمة الجزء التاسع من النسخة الخطية التي نقل عنها الأصل الفتوغرافي ما يأتي :

قال الأصمعي : دخلتُ على هارون الرشيد وبين يديه بَدْرَةٌ، فقال : يا أصمعي ، إن حدثتني بحديث في المعجز فاضحكني وهبتك هذه البدره ؛ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ بينا أنا في صحاري الأعراب في يوم شديد البرد والريح وإذا بأعرابي قاصد على أجمة وهو عُرباني ، قد احتملت الريح كساءه ، فالتفت على الأجمة ؛ فقلت له : يا أعرابي ؛ ما أجلسك هاهنا على هذه الحالة ؟ فقال : جاريةٌ وعدتها يقال لها سَلَمَى ، أنا منتظر لها ؛ فقلت : وما يمتنعك من أخذ كساءك ؟ فقال : النَجَز يوقفني عن أخذه ، فقلت له : فهل قلت في سلمى شيئاً ؟ فقال : نعم ؛ فقلت : اسمعني الله أبوك ! فقال : لا أشبعك حتى تأخذ كسائي وتُقييه علي ؛ قال : فأخذته فالتقيته عليه ، فأنشأ يقول :

لعل الله أن ياتي بسلمي * فيطرحها ويلقيني عليها

ويأتي بعد ذلك صحابٌ مُزِينٌ * تطهرنا ولا نسعى إليها

فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهره ، وقال : أعطوه البدره ، فأخذها الأصمعي

وانصرف .

(١) كذا بالأصل ، وأرقه يوقفه لغة رديئة ، والفصحى : «وقته» بغير المزة .

(٢) السحاب : القيم ، وهو اسم جنس جمعي ولذلك يوصف بالقرود مراعاة لفظه كقوله تعالى :

«والسحاب المسخرين السماء والأرض» وبإلجم مراعاة لمناه كقوله تعالى : «ويشتري السحاب انقال»

ويعامل الفعل مع معاملة مع أمثاله من أشباه الجموع فنقول : أفرغ السحاب ماءه ؛ وأفرغت السحاب

ماءها . ولذلك قال : تطهرنا بل الوصف بالجمع .

وَيُرَوَّى أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ زَيْدٍ لَمَّا وَلِيَ الْمَدِينَةَ قَالَ لِابْنِ هَرْمَةَ : إِنِّي لَسْتُ كُنُّ^(١)
بَاعَكَ دِينَهُ رَجَاءً مَذْحِكًا أَوْ خَوْفَ ذَنْكَ، فَقَدْ رَزَقَنِي اللَّهُ بَوْلَادَةَ نِيَّةٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ
الْمَادِحِ وَجَتَّبَنِي الْمَقَائِحَ، وَإِنْ مِنْ حَقِّهِ عَلَى- أَلَا أُغْضِي عَلَى تَقْصِيرٍ فِي حَقِّ رَبِّهِ . وَأَنَا
أُنْسِمُ لَنْ أُتَيْتُ بِكَ مَسْكَانَ لِأَضْرِبَنَّ حَدًّا لِحُمْرٍ وَحَدًّا لِلْسُكْرِ، وَلَا زَيْدَنَّ لِمَوْضِعِ
حُرْمَتِكَ بِي . فَلْيَكُنْ تَرْكُكَ لَهَا قَدْ نَعْنَّ عَلَيْهِ ، وَلَا تَدْعُهَا لِلنَّاسِ فَتُوَكَّلَ إِلَيْهِمْ؛ فَتَهْضَمَ
ابْنُ هَرْمَةَ وَهُوَ يَقُولُ :

نَهَانِي ابْنُ الرَّسُولِ عَنِ الْمُدَامِ * وَأَذْبَنِي بِآدَابِ الْكِرَامِ
وَقَالَ لِي أَصْطَرِّعُهَا وَدَعَهَا * نَحْوِ اللَّهِ لَا خَوْفَ الْأَنَامِ
وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَنْهَا وَحَتَّى * لَهَا حُبٌّ يَمُكِّنُ فِي عِظَامِي
أَرَى طَيْبَ الْجِلَالِ عَلَى خُبْنَا * وَطَيْبَ النَّفْسِ فِي خُبْنِ الْحَرَامِ

ذَكَرَ هَذَا الْخَبْرَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرَّدُ فِي كِتَابِ الْكَامِلِ .

(١) كَذَا فِي الْكَامِلِ لِلْمُبَرَّدِ (طَبْعُ لَيْبِجْ ص ١٢٨) وَفِي الْأَصْلِ «مَنْ» .

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٤٠١ / ١٩٩٦

I. S. B. N. 977 - 18 - 0028 - 0

EGYPTIAN NATIONAL LIBRARY

‘UYŪN AL-AḤBĀR

BY

IBN QUTAYBA

Abū Muhammad ‘Abdullāh b. Muslim al-Dinawarī

(d. 276 H.)

Vol. III

[2nd EDITION]

NATIONAL LIBRARY PRESS

CAIRO

1996